أكرم طليس

عصر الإمام

الإمام موسى الصدر والمسألة الشيعية في لبنان

إشكالية الظاهرة والدور





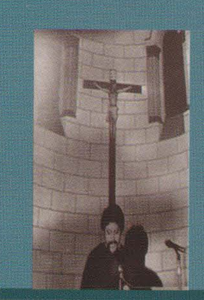














تقديم نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الإمام الشيخ عبد الأمير قبلان

دار المحجة البيضاء

عصر الإمام

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

ISBN 978-614-426-669-4



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

عصر الإمام

الإمام موسى الصدر والمسألة الشيعية في لبنان

إشكالية الظاهرة والدور

تقديم نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

الإمام الشيخ عبدالأمير قبلان

أكرم طليس



دار المحجة البيضاء

الإهداء

إلى الإمام موسى الصدر،

الذي علّم الشعوب أن تكون

عصيّة على التدجين.

أُقسِّمُ جسمي في جسوم كثيرة

إلى أمي في أعماق الروح

إلى الشهيد السعيد حسن شرّي، نجم الثورة الذي وصل قبلها

إلى أبي وجدي اللذين علماني دون كلام ألا ألوي عنقي لمخلوق

إلى روح رفيقي الإمام الصديقين المحامي أحمد قبيسي والأستاذ أحمد اسماعيل

إلى أرواح الشهداء الأخوة مصطفى شمران

بلال فحص

محمد سعد

السيد عباس الموسوي

محمد ملحم أمهز

محمد أحمد سليمان «أبو شوقي»

زكريا حمزة "أبو يحيي"

أحمد حرب

يعقوب ضاهر

محمد ناصر الموسوي: أبو ذكي"

علي محمد الحسيني

علي حسن طليس «أبو فراس»

وإلى أرواح شهداء المقاومة الفلسطينية، وشهداء أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، وشهداء حركة أمل، والمقاومة المؤمنة، وإلى شهداء الجيش اللبناني والقوى الأمنية، وإلى شهداء المقاومة الإسلامية، وأخصّ بالذكر البطل المجاهد العربي سمير القنطار، أحد مهندسي المقاومة الشعبية في الجولان المحتل. مروراً بعبقري المقاومة وعقلها الحاج عماد مغنية.

إلى أرواح موتى جبانة بلدتي بريتال، وأخص بالذكر المناضلين الذين قضوا بمواجهة ظلم العسكر العثماني والفرنسي والإرهاب التكفيري.

إلى الأخوة والأخوات المناضلين والمناضلات في العالم العربي والإسلامي، الباقين في الميدان الفكري والسياسي والجهادي المباشر.

إلى حفيدتي الحبيبة الرائعة ڤيرا علي طليس.

إلى جميع من ذكرت.

أقدم كتابي هذا.

شكراً

للـدكتورة صـفيّة سـعادة، علـى تـشجيعها إيـاي علـى اختيـار الموضـوع والإشراف، والتي علمتنّي وعلّمـت الأجيـال أن العقـل هـو الأسـاس فـي الإنتـاج الفكري، وأن الموقف الأسـاس السليم، لا ينفـصل عن النصّ. إنهـا روح والـدها، القـائد العربي النهضوي، الذي احترمه، وبمحبة أذكرّها بوعدها بأن تترجم الكتاب إلى الإنكليزية.

للدكتور ابراهيم بيضون، لأنني أغرقته معي في "ركـام نـصوص الإمـام" ولـم يقترب من فلتات إعجابي بها وإصراري على إيرادها، شكراً له على الوقت والجهد، الذي بذله، لقراءة المخطوط، ولو في صـيغته المختـصرة الأولـى، إنـه معلمـي فـي الأخلاق.

للدكتور منذر جابر، فله الفضل الأول في رسم معالم الطريق، ولاطلاعه علـى العناوين، وبعض المحتوى، فكان لتوجيهاته الأثر الإيجابي على النص، شـكراً علـى صداقته وعلمه.

للدكتور محمد بوعلي، على المساعدة اللغوية التـي قـدمها لـي فـي الفـصل الأول وفي وقت مبكر من مراحل البحث، شكراً لعلمه الواسع رغم ضيق وقته.

شكراً للصديق الدكتور رباح أبي حيدر الذي غمرني بعلمه.

والأستاذ صالح أشمر، الذي أصّر وبمحبة علي لإنجاز هذا الكتاب.

لزوجتي حمده شريف، لتحملّها غيابي عن المنزل، والفوضى في بعض جوانبه، التي تركتها آلاف الأوراق وقصاصات الجرائد، والمجلات، ومجموعة من الأكياس والدفاتر، والكتب، والأشرطة المسجلة فترة الإعداد الطويلة، ومع ذلك حافظت على الإصرار على إنجاز الهدف.

شكراً للأديب الصديق الأستاذ غازي قيس على القراءة اللغوية النهائية.

شكراً خاصاً

لكل شخصية وافقت على تسجيل حديث خاص عن العلاقة مع الإمام، لزوم البحث، أشكر الجميع وأعتبر هذه المقابلات بمثابة كنز أدبي لي. وفي نهاية الكتاب ذكر أسماء الشخصيات التي قابلتها حسب تاريخ إجراء المقابلة.

شكراً

للسيد صدر الدين الصدر، العزيز إبن العزيز

وشكراً لمركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، على كل الجهد لطباعة الكتاب على الكمبيوتر.

تقديم نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

الإمام الشيخ عبد الأمير قبلان

علاقتنا بالحاج أكرم طليس علاقة متميزة، ولها تاريخ حافل من المحبة والتعاون والصلة.

عرفت الحاج أكرم عند مجيئي إلى برج البراجنة، أواسط الستينات، وتعرفت إليه مع أخوانه، وكانت هذه العلاقة لها طابع ديني وإنساني، بنيت على أسس دينية، إيمانية، وكما قيل "**الأرواح جنود مجنّدة ما تقارب منها إئتلف، وما تنافر منها اختلف**". فكانت القلوب منسجمة بالحياة على أفضل حال من المحبة والتواصل.

الحاج أكرم طليس كان وما يزال من أتباع ومحبي الإمام السيد موسى الصدر، وكانت هذه المحبة تجمع بين المؤمنين الأوائل كافة وخاصة الشباب، خلال فترة التأسيس تلك، "المجلس والحركة" فأحببناه، إنساناً مخلصاً، يعمل ليل نهار لرضى الله ومنفعة عباده.

لا أستطيع إلا وأن أنوه بصاحب هذا الكتاب، وأدعو له بالتوفيق، لا سيما وأنه يحكي ولو ببعض الصفحات والأسطر، حكاية رجل ليس كباقي الرجال، وقائد ليس كباقي القادة، وعالم ليس كباقي العلماء ومؤمن ليس كباقي المؤمنين، إنه الإمام السيد موسى الصدر، ذاك العملاق الكبير، وصاحب الشخصية الفذة، التي قل نظيرها، فكراً، وعملاً، وسلوكاً، وإيماناً، كل هذا تجسّد في رجل نبض قلبه بالمحبة، واتسم بالسماحة وتحلى بالفضلى من الصفات. فكان مجلياً بحبه، عظيماً بحرصه

على لبنان الوطن، ولبنان الشعب. لذلك اندفع بشغف لا حدود له، وعزيمة لا تهدأ، بعدما هاله ما رآه، وراعه وما عايشه من فقر وحرمان وظلم واستبداد، فأبى إلا أن يكون مع أهله في هذا الوطن مجاهداً، مناضلاً، مقاوماً، يشاركهم الحلوة والمرّة، ومع إنسانه المؤمن بوحدة الأرض والشعب. التواق إلى أن يكون حراً سيداً، مستقلاً، عزيزاً على أرضه، كريماً بين أهله. ذائباً في الجماعة، متحرراً من الفردية، والانانية، والعائلية، والعشائرية، والطائفية، والمذهبية.

إن من يقرأ الإمام الصدر، يكتشف على الفور، كم كان طموحاً هذا الإنسان، وكم كان حريصاً على وطنه لبنان، وعلى إنسانه، بعدما أدرك حجم معاناته من الفقر والحرمان، ومدى تسلط الحارمين والمستغلين له، والحاكمين المتسلقين على حسابه، وعند الوصول يقولون: "ألقت عصاها واستقرّ بها النوى".

لقد درس الإمام الصدر أوضاع الناس، وأحاط بكل الأمور، فتعّرف إلى الإيجابيات منها والسلبيات، ووجد نفسه أمام معركة سياسية واجتماعية وإنمائية لا بد منها، لإنقاذ الوطن من مخالب المفترسين، فاندفع وهو يحمل راية التغيير والتنظيم، راية القضاء على الحرمان، ورفض الطغيان وإسقاط الإقطاع بكل عناوينه، لأنه كان يدرك أن لا حرية مع الإقطاع، ولا كرامة مع الاستبداد، فكان لا بد من حركة يتحول الفرد فيها إلى طاقة تذخر بالعطاء والتضحية، من أجل عزة وطن، وكرامة شعب. لذا أطلق صرخته المدوّية في وجه المتجرئين على الحقوق، والحارمين الناس، حتى من إنسانيتهم فكانت حركة المحرومين، التي قادها الإمام الصدر، فأطلق وثيقتها الموقعّة من قبل أبرز المثقفين اللبنانيين، الذين وجدوا في حركة الإمام الصدر حركة لبنانية، إجتماعية، إنمائية سياسية جامعة، لا مكان فيها للطائفيين، ولا للمذهبيين ولا للمتسلقين على حساب الفقراء ولقمة عيشهم.

إن لبنان موسى الصدر هو لبنان العيش المشترك، لبنان المقاوم، والمتصدي، والمواجه لشتى أنواع العدوان وفي مقدمته العدوان الصهيوني.

لبنان موسى الصدر، هو لبنان الموّحد، لبنان العدالة، لبنـان الإنـسان والكفـاءة، لبنان العلم والمعرفة والثقافة، لبنان العصي على التقسيم؛ مع إدراك الإمام بأن تقسيم لبنان أمر مستحيل، لكن أمر تحطيمه أمر ممكن، وبتحطيمه تتحطم قضية فلـسطين. وما يجري اليوم ونشاهده على ساحتنا اللبنانية، والعربية، والاقليمية والدولية، يؤكـد ما كان يقوله الإمام الصدر، وما كان يحذر منه، ويدعو إلى التنبه له، ومقاومته بشتى السبل، فالإستهدافات كبيرة، والمؤامرة الأميركية الإسرائيلية علـى فلـسطين ولبنـان، والمنطقة، باتت مكشوفة وواضحة للعيان، ولا تحتاج إلى الكثير من الجهد والعنـاء، للاستدلال عليها، إنها بينة واضحة، ولكن للأسف الشديد، لا نزال نجد من يدور في هذا الفلك التآمري، ويراهن على الترياق الأميركي، باتباعه سياسة "النعامة"، التي كان يدينها الإمام الصدر، ويرفضها بشدة، واعيـاً إلـى تعزيـز التـضامن العربـي، ووضـع استراتيجية سياسية واقتصادية وأمنية واحدة، تستطيع جبه الشر المطلق، الذي يتمثل بإسرائيل وأعوانها، وما يستبطنونه من أطمـاع وأهـداف توسـعيه واسـتيطانية، علـى حساب فلسطين ولبنـان، وبالخـصوص جنوبـه، الـذي احتـل موقـع الـصدارة فـي اهتمامات الإمام الصدر، الذي طالما كان يردد كلاماً للرئيس المـصري جمـال عبـد الناصر "**فكروا في الجنوب طويلاً، واعملوا ما يمكـنكم أن تعملـوا، فـنحن لـن نتمكن أن نقدم لكم شيئاً للدفاع عن الجنوب، سيناء غداً أو بعد غد ستعود إلى مصر، لأن سينا ليست أرضاً مغرية لإسرائيل، لكن الجنوب إذا ذهب لن يرجـع، فافعلوا ما تشاؤون**".

أما الجنوب، الذي كان الشغل الشاغل للإمام الصدر وهمّه الأكبر، كـان يقـول فيه "**بعد ألف سنة سيبقى الجنوب عربياً، وقبل ألف سنة كان الجنوب عربياً**".

ولهذا لم يدع الإمام وسيلة، ولم يتأخر عن مناسبة أو نشاط، أو عمل، يجد فيه مصلحة وطنية، وحماية للجنوب، إلا واندفع باتجاهـه، طارقـاً كـل الأبـواب لحفـظ لبنان، وحفظ صيغته، التي كان يعتبرها ثروة وطنيـة، يجـب التمـسك بهـا والحفـاظ عليها.

كان الإمام حريصاً على الوحدة الوطنية، تماماً كحرصه على الوحدة الإسلامية، فلم يتخلّ عن تلبية دعوة من دعوات القمم الروحية، آملاً في تحصين الوحدة الداخلية، لإقتناعه الراسخ، بأن وحدة الداخل كفيلة برد التحدي، وقادرة على صد وإفشال كل المشاريع، التي تستهدف لبنان، ككيان من خلال التوطين، الذي كان يعتبره الإمام الصدر من أشد وأصعب المخاطر، التي يواجهها لبنان، فكان من المدافعين الأوائل لا بل في مقدم المدافعين عن القضية الفلسطينية وطالما كان يقول: "**لا نقبل ببقاء شبر من أرض فلسطين تحت الإحتلال الإسرائيلي**". ومن أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة والشريفة، لا بد من وجود مقاومة، ومن وجود أحرار يواصلون مسيرة التحرير، ويؤدون واجبهم بشرف وعزة وإباء. لقد دافع عن القضية الفلسطينية على الرغم من كل ما كان في داخلها ومحيطها. واستمر على هذا الخط وهذا النهج، يواجه الغمازين اللمازين، والمتهمين والمشككين، إلى أن تمت المؤامرة الكبرى، وحدث أمر تغييبه وإخفائه مع رفيقيه الشيخ محمد يعقوب، والسيد عباس بدر الدين. ولكن كل هذا لم يمنعنا، ولن يثنينا عن الاستمرار والتمسك أكثر بخط الإمام الصدر، خط المقاومة، والدفاع عن الثوابت العربية والإسلامية والوطنية، كما لن تقدر أية قوة في العالم، على أن تغير في قناعاتنا التي ثبتت صحتها، وتأكد جدواها، من خلال ما تحقق من انتصارات على أيدي المقاومة في لبنان، التي كان الإمام الصدر، هو المؤسس والراعي والصانع لها.

إن خط الإمام الصدر، هو الخط الوطني الصحيح، ونحن في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وفي حركة أمل، وفي حزب الله، حريصون على هذا الخط وأوفياء له، بل أكثر تمسكاً به، من أي وقت مضى لأن ما يجري في المنطقة، وما يحبك ويحاك، من سياسات تقودها اميركا وإسرائيل، عبر مشروع "الشرق الاوسط الجديد". يدعونا لأن نكون أكثر وعياً، وأكثر عملاً، وأكثر تصميماً وجدية، على ترسيخ وحدتنا الوطنية، وتعزيز تضامننا، وتأكيد ثوابتنا التي تبدأ بتسريع الوفاق بين اللبنانيين، وتجاوز كل الخلافات، التي تصطنعها أيد لا تريد لهذا البلد أمناً، ولا

لشعبه استقراراً، من أجل تكريس الوحدة في ما بينهم، وتعزيز مقاومتهم، التي بالتأكيد هي السبيل الوحيد لإستراجاع فلسطين، ولإعادة الاعتبار لكرامة الأمة وعزتها.

أهمية كتاب "عصر الإمام" انه بحث اكاديمي، لرجل عاصر المرحلة كاملة، فتجربته العملية معنا، تعطي الكتاب قيمة معنوية هادفة.

هنيئاً لك يا حاج أكرم، على أخلاقك، وعلى استقامتك، ولذلك سنبقى محبين، متعاونين، مع الحاج الكريم أكرم طليس حفظه الله، وأيده، ونصره وجعله من خيرة ابنائه الصالحين.

الإمام الشيخ عبد الأمير قبلان

نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

مقدمتي

كنت في العشرين من عمري، بداية السبعينات، عندما بدأت بالتردد على مبنى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، في الحازمية، كنت أسمع لبعض محاضرات الإمام التي كانت تقام في القاعة الكبرى في المبنى، أعتقد بأنني منذ ذلك التاريخ فكرت، بل حلمت بكتابة مثل هذا الكتاب ولاحقاً كلما تسنى لي حضور محاضرة للإمام في أي مكان أستطيع الوصول إليه، كنت عندما يفرغ الإمام من محاضرته، أفكر بكتابة مثل هذا الكتاب، وفي أواخر السبعينات، وبعدما حصلت جريمة إخفاء الإمام، زرت مدينة صور، وقصدت منزل الأخت رباب الصدر، شقيقة الإمام للقاء معها، وطلبت منها أن تزودني ببعض كتابات الإمام عن الموضوع الفلسطيني، إذ رغبت يومها، أن أقوم بإعداد كتيّب عن الإمام والقضية الفلسطينية، كمقدمة لكتيبات عدة، تتناول عناوين فرعية أخرى مثل الإمام والوحدة الإسلامية، الإمام والتعايش، إلخ. وأذكر يومها أنها قالت لي، الشيعة يتكلمون كثيراً، ولا يفعلون إلا القليل". آلمتني تلك العبارة يومها، وبعد فترة وجدت أن ما كنت احلم به غير ما أنا مصمم على إنجازه، فالهدف كتاب عن الإمام لا كتيبات عن أجزاء عدة من نشاط الإمام. ولاحقاً تابعت مرحلة الدراسات العليا في قسم التاريخ - الجامعة اللبنانية.

عادت الفكرة بقوة إلي وكان أن تعرّفت في الجامعة إلى أستاذتي الأثيرة لدي الدكتورة صفية أنطوان سعاده. وعندما طرحت عليها الموضوع، قبلت ورحبت به، وقالت، "ليس لدي الوقت والرغبة لإشرف على أي دراسات عليا، لكن موضوعك يعنيني، فإنك ستكتب عن الإمام الصدر كما أكتب عن والدي".

تدخل بعض أساتذتي كي أصرف النظر عن هذا الموضوع الشائك، والذي سيستغرق الوقت الطويل، وأختار موضوعاً كلاسيكياً سهلاً أنجزه بسرعة، وكان ردي أن هدفي كتابة الموضوع، وإصداره في كتاب، أكثر من هدف الحصول على شهادة أكاديمية فيه. لذا أصريت عليه، وعندما قرأت كتاب المحامي الشاعر نجيب جمال الدين" "الشيعة على المفترق، أو موسى الصدر، الصادر عام ١٩٦٧" اعجبت بحدس الشاعر وعقله إذ إنه أدرك أن الإمام سيكون عند الشيعة، على المفترق، أي ما قبل الإمام وما بعد الإمام. وتأكدت بأنني يجب متابعة ما كان قد كتبه الشاعر، فالمدة التي تناولها بحثه منذ ولادة الإمام حتى عام ١٩٦٧ تاريخ صدور الكتاب. كانت فترة تمهيدية لما سيقوم به بعد ذلك، وصولاً إلى تاريخ جريمة الإخفاء عام ١٩٧٨، لذا وعندما التقيت بالشاعر المحامي نجيب جمال الدين، لإجري معه مقابلة مخصصة للبحث، سعدت عندما قام إلى أوراقه وجلب مخطوطة على دفتر، تكمل ما كان قد توقف عنده في كتابه عن الإمام عام ١٩٦٧، ولا أنسى ما قاله لي بأنه سيكون سعيداً، بأنني سأتابع ما كان قد بدأ به هو، مما زاد رغبتي في إنجاز الكتاب.

وبعدما قال لي المرجع المجدد السيد محمد حسين فضل الله في واحدة من جلساتي الأثيره معه، "مهما قيل عن الإمام الصدر فهو مفجّر الحالة الشيعية في لبنان". اعتبرت يومها أن السيد قد أنصف الإمام واعتبرت انها عبارة مفتاحية، جعلتني ألتفت إليها طوال فترة إعداد الكتاب منذ مجيء الإمام حتى اليوم الحاضر، أنظر فأجد ما حدث ويحدث في البلاد، وفي المحيط، للإمام تعليق عليه مباشر أو غير مباشر. وكأنه يختصر تاريخ وطن وتاريخ شعب، وتاريخ عقيدة، أن نصوصه مجتمعة، تمثل الخط السياسي الشامل والدائم، لخطه صفة راهنة كما له صفة تاريخية، تاريخ قوله ما قال، لقد أتى إلى لبنان والشيعة فيه "كمية" مهملة سياسياً واجتماعياً وعقائدياً وتركها وهي طائفة الثورة والحركة، والحيوية، وما جرى بعد جريمة تغييبه، كانت مرحلة تابعة لخطه كما أراها. لذا كانت هذه الأسباب دافعاً

وجيهاً لكتابة الكتاب. فأتى نتيجة جهد متواضع، أو أنه جهد نـاقص، لكننـي كتبـت عن الإمام بحب كبير، ومن الممكن لهذا الحب الكبير أن يؤثر علـى قيمـة الكتـاب وبنيته المنطقية، حاولت أن أكتب وجهة نظر الذين ليسوا مع الإمام في تحركـه عـام ١٩٦٧ وخصوصاً في إنشاء "المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى" فالتقيت، وسـجلت رأي المرجع الـسيد محمـد حـسين فـضل الله، والـسيد الأسـتاذ محـسن ابـراهيم، والرئيس كامل الأسعد. وكتبت ما قـالوه دون تـدخل منـي فـي حـرف، لكـن مـن الممكن أن يكون إعجابي الكبير بالإمام سبباً فـي انحيـازي الكامـل للإمـام ونهجـه وخطه وسلوكه، وتاريخه، هذا التوجه، ربما يكون من نتائجه - عند قـراءة الكتـاب بموضوعية من قبل قراء محايدين - طائفياً وعقائـدياً، وسياسـياً، أن يظهـر الـنقص، صغيراً كان أم كبيراً، وبالنتيجة أنا المسؤول الأول عن هذا الكتاب.

لا يمكن فهم خط الإمام ونهجـه، دون المـرور باختـصار علـى "الـشيعة فـي التاريخ" بقلم الإمام نفسه، ودور الحوزة العلمية في النجف وقم، وحركة العلماء بين لبنان - العراق - إيران. إلى جانب العودة إلى الوراء، إلى بواكير القرن الفائت، حيث راقبت التطور السياسي للنظام الطائفي في لبنان، معتمداً على دراسة للدكتورة صـفيّة سعاده، وراقبت حركة تنقّل الطائفة الشيعية، وحركـة التنقـل لجميـع الطوائـف فـي "الجغرافيا اللبنانية"، مستنداً على دراسة الـدكتور كمـال الـصليبي، وتابعـت الوضـع الشيعي في رجالاته وجمعياته وعلمائه ومكانته في الحياة السياسية في لبنـان، قـدر الإمكان، مركزاً على المحطات، واعتمدت بذلك على الكتب، التي تتكلم عـن ذلـك التاريخ والشخصيات، والدراسات، التي لم تصدر بكتـاب، وجـاء هـذا فـي الفـصل الأول.

وفي الفصل الثاني جعلت مجيء الإمام إلى مدينة صور، وتـاريخ الإمـام قبـل ذلك، والأعمال والتغييرات والعقبات، التي واجهها وأسـلوبه فـي العمـل، وتكـوين فريقه، وحركته، وأبرزها إنشاء المجلس الإسلامي الـشيعي الأعلـى، وتاليـاً تكـوين حركة المحرومين، وأفواج المقاومة اللبنانية أمل - بعد ذلك. واعتمـدت فـي ذلـك

على المصادر أهمها موسوعة الإمام الصدر، التي جمعهـا الرائـد المرحـوم يعقـوب ضاهر، ومجموعة من محبي الإمام وتلامذته الأكفاء.

وفي الفصل الثالث، كتبت عن الحرب الأهلية في لبنان نسخة ١٩٧٥ ومقدماتها من تحرّك الإمام وموقفه من الحرب، وجهده الهائـل فـي إطفـاء الحريـق، والجهـد السياسي الكبير، الذي بذله لوقف الحرب، وعلاقته مع الأطراف الأساسية في لبنـان، وكتبت عن بعض أجزاء من شخصية الإمام، كما رواها بعض أصـفيائه ومعاصـريه، وقد اعتمدت على الأدبيات السياسة، لتلك المرحلة، ومطبوعات، وقد ساعدني فـي إيضاح صورة الإمام حيث كانت لي هناك سلسلة طويلة من مقابلات، مع سياسـيين وعلماء دين، من مختلف الطوائف والأحزاب، إن هذه المقابلات تجدها في أغلـب مراحل ولحظات وعناوين الكتاب.

لقد أرّخت الإمام الصدر بقلمه إن جاز التعبير، فقد أشرت إلى نصوصه، التـي تؤرخ له سيرته العامة والخاصة، وكل ما أتى فيها واضح وضوح الشمس، لـيس فـي حياته مرحلة مظلمة غير معروفة، فكل ما قام به تحت بصر وسمع الناس. لذا أتـت النصوص واضحة، ولا أعرف من منظور التأريخ الموضوعي، هل استشهادي بقلمـه عنصر قوة للبحث أم عنصر ضعف، فقد وجدت كتابته خير دليل على ما يريد قـولاً وفعلاً، فقد كان مضيئاً، مبهراً في كتابته عـن نفـسه، وعـن خطـه، منـذ كتابتـه عـن السجادة، التي لم يلمحها في بيت أبيـه، حتـى أسـئلته فـي المدرسـة الفيـضية فـي المرحلة الإبتدائية، وفي حضوره إلى لبنان، وفي كل ما قـام بـه وقالـه حتـى تـاريخ جريمة الإخفاء، وحتى هذه الجريمة، فقد توقعها قبـل ذلـك التـاريخ، وعـرف أنـه سيكون الهدف الثاني بعد مقتل الزعيم كمال جنبلاط.

* * * *

* * *

*

حدث في لبنان والمنطقة بعد تاريخ جريمة الإخفاء عام ١٩٧٨ حدثان في غاية الأهمية، ولهما علاقة مباشرة بخط الإمام ومتداخلان. الأول تمثل بقيام الجمهورية الإسلامية في إيران إثر ثورة عارمة عمّت البلاد عام ١٩٧٩، والحدث الثاني كان عملية اجتياح إسرائيلي للبنان، والوصول حتى بيروت عام ١٩٨٢.

لم يتسنَ للإمام الصدر الذي شارك بفعالية في التحضير للثورة، أن يشارك في احتفالات الانتصار، لكن سنة ١٩٧٩، كانت سنة فاصلة، فقد اقتلعت من العالم الشاهنشاهية وكل مفرداتها، وحلّت مكانها ثورة إسلامية مباركة، لا شرقية ولا غربية أيضاً مع كل مفرداتها في إيران والمنطقة والعالم، وأعادت الأمور إلى نصابها الصحيح، ومن أبرز نتائجها الأولية، تحويل مقرّ سفارة "إسرائيل" في طهران، إلى سفارة فلسطين، وبذلك تكون قد أعلنت عن هويتها السياسية، تجاه الصراع العربي- الإسرائيلي، إذ كان الشاه يمثل الوجه الآخر لإسرائيل في الخليج. وأذكر أيام الثورة الأولى، أن المواطنين الإيرانيين، كانوا يحجّون إلى السفارة الفلسطينية، في طهران، كي يتباركوا من المكان، ومن المسؤولين هناك، ويعلنوا التأييد والسرور، فثورة منتصرة تعانق ثورة في طريقها للإنتصار.

بانتصار الثورة، انتصر خط الإمام الصدر في لبنان، وكانت فرحة عامرة غمرت أنصار الإمام وأتباعه واعتبروا أنهم جزءٌ لا يتجزأ من مسار الثورة، وكانت الوفود متبادلة بين إيران ولبنان.

وعلى صعيد المنطقة، تحولت إيران من شرطي للخليج مهمته تأديب المناضلين والمجاهدين داخل إيران وخارجها، خصوصاً في الخليج لمصلحة الإمبريالية الأميركية السائدة في العالم، تحولت إلى محجة للثوار على مستوى العالم أيضاً، بمواجهة القوى، التي كانت بخدمتهم سابقاً، فقد طرحت نفسها نصيرة المظلومين ضد الحكّام الجائرين في كل مكان، وفتحت أعين العالمين على فكرة التحرر، وكانت بمثابة تكملة للثورات الكبرى في التاريخ، أمثال الثورة الفرنسية، والثورة البلشفيه الروسية، إذ إنها ثورة جذرية إسلامية في مفاهيمها، وقيمها، وخططها، فقد أسلمت أجهزة الدولة بالكامل مع الإستفادة من روح العصر العلمي.

وما إن أسفرت الثورة عن وجهها ووجهتها، حتى أوكلت مهمة ضربها للرئيس العراقي صدام حسين والجيش العراقي، حيث عبر الحدود الإيرانية، وقدمت الدول الكبرى الدعم الكامل، وشاركت بعض الدول الإقليمية الخليجية بتمويل الحرب.

امتدت الحرب الإيرانية – العراقية الضارية ثمانية سنوات، أنهكت فيها الثورة الإسلامية الوليدة الناشئة، لكنها لم تنكفئ كما كان الهدف، فقد امتدت إلى لبنان، وفلسطين، وسوريا، أبرز أمكنة تفاعلت معها إيجاباً. أوقفت الحرب، وقال الإمام القائد الخميني كلمته الشهيرة، "إني أتجرع السم" لقبول ذلك القرار.

لم تطل فرحة الثورة طويلاً، فقد حدث في لبنان الحدث الأبرز، ألا وهو الإجتياح الإسرائيلي للبنان ووصل حتى بيروت، وكانت أول عاصمة عربية تحتلها إسرائيل.

وإثر الإجتياح شكل الرئيس سركيس "هيئة الإنقاذ الوطني"، اذ جمعت القيادات المسيحية والإسلامية المتقابلة على الجبهات في القصر الجمهوري.

إن اشتراك الرئيس بري رئيس حركة أمل في هيئة الإنقاذ، دفع السيد حسين الموسوي (أبو هشام) مع بعض القيادات بأن يصدروا بياناً ضد إشتراك الرئيس بري، وأعلنوا لاحقاً عن إنشاء "حركة أمل الإسلامية"، انضم اليها فئة كبيرة من القيادات في حركة أمل، وبقي جزء آخر تابع نشاطه في حركة أمل، وقد عملت شخصياً على التسوية في المراحل الأولى للمشكلة، ووصلت إلى بعض النتائج الإيجابية الأولية بين الطرفين، لكن كان القرار الإيراني وهو الأسرع، حيث أتى الحرس الثوري للعمل في لبنان وطويت صفحة المصالحة وتوابعها.

وكانت هذه هي البداية الفعلية لقيام تنظيم حزب الله، الذي سيغدو بعد سنوات قليلة العمود الفقري للمقاومة ضد "إسرائيل".

إن الأثر الإيراني على شيعة لبنان كان كبيراً جداً، فقد بدأ دروساً ثقافية، ولو في عز "الإحتلال" وتلاه تدريب عسكري، كان الإعداد فيه متقناً لدرجة كبيرة، كانت العملية أشبه ما تكون بالمصهر حيث يدخل الإنسان، فيعمل على عقله، وروحه،

وجسده، عملاً مدروساً، وآثاره ظاهرة، فقد كانت الدورات متتالية. وكان الشباب يلتحقون بأماكن سكنهم، أو في مراكز المرابطة حسب الحاجة.

لعبت سفارة الجمهورية الإسلامية في دمشق الدور الأكبر، في عملية التوجيه السياسي والعسكري، ولعب الحرس الثوري دوره الحاسم في إدارة المقاومة، وقد توالى على مركز السفير رجال أقوياء، فقد كان في أول الافتتاح السفير محتشمي، وكان صاحب قرار، أدار العمل بذكاء كبير لسنوات، وأتى بعده السفير محمد حسن أختري. وقد عرفت السفارة في عهده عصرها الذهبي، كمركز قرار أساسي، للعمل الدبلوماسي في سوريا ولبنان وفلسطين.

اهتمت الثورة الإسلامية في إيران بالوضع في لبنان، واعتبرت مقاومة الإحتلال الإسرائيلي أولى مهماتها، وتكفلت بكل التبعات المالية، وعرف المجتمع في أماكن تواجد الشيعة في القرى والمدن والضواحي ورشة هائلة، شملت كل نواحي الحياة، فقد اهتموا بالجرحى والمستشفيات، ودعم المدارس وغيرها من حاجات. حتى المنازل، التي هدمتّها إسرائيل في اجتياحها، فقد عملت إيران على ترميمها، والتعويض على أصحابها، عملياً لقد قامت إيران مقام الدولة في لبنان، لجهة حماية المجتمع من الأخطار.

وقد كانت الزيارات متبادلة وبكثافة، إذ كان لبنان غير آمن كلياً بسبب الإحتلال وتوابعه، فكان مركز السفارة في دمشق خلية عمل دائمة، كانت الوفود تتقاطر من إيران، حيث تقرير العمل الدبلوماسي العسكري، وحتى الاجتماعي، وقد شاركت في بعض تلك الإجتماعات من خلال موقعي في حركة أمل أولاً، ومن ثم في موقع "المقاومة المؤمنة" تالياً فقد كانت الوفود على أعلى المستويات، من رئاسة الجمهورية الإيرانية ورئاسة مجلس النواب، إلى وزارة الخارجية، ورجال الحرس الثوري، بالإضافة إلى الفريق الثقافي، الذي يهتم بالعقيدة وهيئاتها المختلفة.

وقد تركت تلك الوفود، والاختلاط، وجلسات المناقشة، التي تناولت كل الأمور الأساسية تقريباً، إذ تأثر الشيعة اللبنانيون تأثراً كبيراً بالأسلوب الإيراني في العمل،

لجهة تنظيم العمل ودقة المواعيد وأسلوب المخاطبة، والتدرج في وضع الخطط، والتوقيت الحسن للأمور والمشاريع، وبالنتيجة لقد أخذ الشيعة اللبنانيون عن الإيرانيين أسلوب عملهم، وجزءاً كبيراً من عقليتهم في إدارة الأمور. لقد كانوا غاية في اللياقة، والدبلوماسية، واللطف، والهدوء، وطول الأناة، وقديماً قيل عن نجاعة الأسلوب الإيراني في التصّرف، الشخصي والدولتي بأسلوب "الذبح بالقطنة".

هناك تراث هائل في إيران في التنظيم والإدارة والدبلوماسية، وأتت الثورة فأسلمت ذلك التراث، وقدم في وجهة حضارية متكاملة، شاملة، كل مناحي الحياة المعاصرة، فكما نستطيع القول إن الشيعة ما قبل الإمام موسى الصدر وما بعده في لبنان، نستطيع القول أيضاً الشيعة ما قبل الثورة في إيران وما بعدها. فهناك فرق شاسع ما بين الشيعة في العقلية اللبنانية، وبين الشيعة في العقلية الإيرانية، وقد تعوّد المجتمع السياسي في لبنان، التعامل مع هاتين العقليتين.

الحدث الثاني كان الإجتياح الإسرائيلي

العام ١٩٨٢ اجتاحت "إسرائيل" الجنوب اللبناني، والبقاع الغربي، والجبل، وصولاً إلى العاصمة بيروت، فقد احتلت نصفها "الغربي" إذ إن النصف "الشرقي" كان محتلاً من جيش اليمين المسيحي وقواته، واشترك في هندسة الإجتياح مع قادة العدو ضباطٌ في الجيش اللبناني، من أمثال الضابط جوني عبده مسوؤل جهاز الشعبة الثانية "المخابرات".

كشف الإجتياح القوى التقدمية والقوى الفلسطينية معاً، بعض المسؤولين كانوا عملاء لجيش الإحتلال، فسهلوا له الأمر وكانوا رموزاً في المقاومة الفلسطينية، ومنهم من قاوم. كان اللافت يومها معركة مميزة مع الإحتلال قامت بها وحدة من الجيش السوري في البقاع الغربي (بيادر العدس) ومعركة خلدة، برزت يومها حركة أمل إلى جانب المقاومة الفلسطينية بفصائلها المختلفة في أكثر من موقع.

أوصلت الدبابات الإسرائيلية عبر مجلس النواب المطيع الشيخ بشير الجميل، وهو الرمز اليميني المقاتل الأول إلى رئاسة الجمهورية، وبعد خروج الفلسطينيين

من لبنان، أفلتت جيش العملاء على مخيمي صبرا وشاتيلا، والنتيجة مذبحة كبرى، شملت مواطنين لبنانيين، إلى جانب الفلسطينيين، تلى ذلك إتفاق ١٧ أيار المشؤوم، بين إسرائيل المحتلة، والسلطة اللبنانية، وكان على رأس السلطة رئيساً للجمهورية الشيخ أمين الجميل، الذي حل محل أخيه المقتول بانفجار ضخم. جرى كل ذلك بوتيرة متسارعة، وكان ذلك في تسابق مع المقاومة والاستعداد لها.

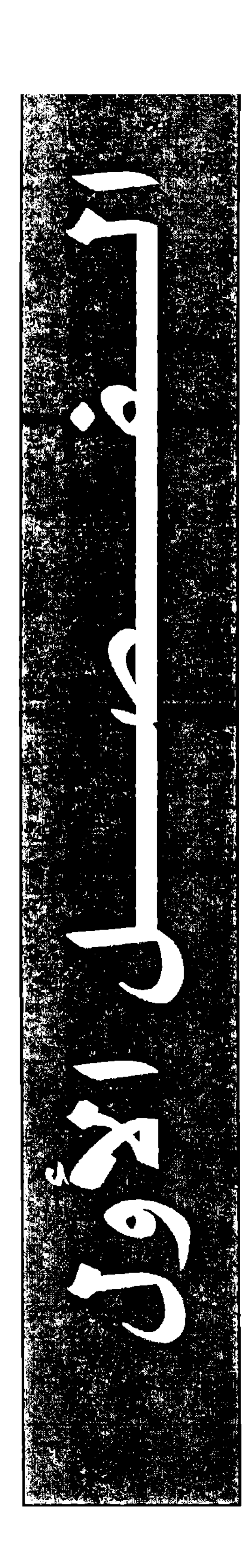
لم يبق طويلاً إتفاق ١٧ أيار، فقد كانت أكثرية اللبنانيين ضده، وعندما عادت سوريا إلى لبنان بعد خروج الجيش الإسرائيلي من بيروت وبعض الجبل، تم إلغاء الإتفاق المشؤوم، والجدير ذكره أن مجلس النواب نفسه، الذي وافق على الإتفاق، هو نفسه، الذي ألغى ذلك الإتفاق. قوى وطنية عدة، مرتبطة بالمقاومة الفلسطينية واجهت، لكن برزت حركة أمل، بسبب البيئة الحاضنة وخط الإمام الصدر، وشكل الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي، بزعامة كل من جورج حاوي ومحسن إبراهيم، جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وأُعلن بيان الجبهة بتاريخ ١٦ ايلول عام ١٩٨٢ من منزل الزعيم كمال جنبلاط، لما لذلك من دلالة وطنية. لقد انضوى تحت هذه التسمية الحزب القومي الإجتماعي السوري، وحزب العمل الإشتراكي العربي، وهو الوجه اللبناني للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد اشترك مع هذه القوى، التنظيم الشعبي الناصري، بزعامة مصطفى معروف سعد، وقد شاركت قوى حزبية أخرى، لكن بنسبة أقل، وبعمليات محدودة. وقد سهّل الحزب التقدمي الإشتراكي للجبهة عملها، وخطوط سيرها، وخصوصاً بعد الاصطدام في الجبل مع "القوات اللبنانية"، التي شاركت جيش الإحتلال وتعديها على الأهالي هناك. وقد شاركت في بعض المراحل "المقاومة المؤمنة" بنشاط مقاوم.

لكن قوات الاحتلال، وتحت الضربات العسكرية المتتالية، تراجعت من بيروت باتجاه الجبل، ومن ثم إلى صيدا فالجنوب، وفي كل انسحاب كانت تجد مبررات، لم تجدها في احتلالها لمناطق وأراض عربية أخرى، وخصوصاً بعد نكسة ١٩٦٧ وحتى الآن.

ووصلت بتراجعها أخيراً إلى منطقة الشريط الحدودي، التي خبرتها جيداً، منذ الإجتياح الأول عام ١٩٧٨، لكنها وتحت الضغط العسكري اضطرت أيضاً إلى الانسحاب الكامل في ٢٥ أيار ٢٠٠٠ - إنسحاب دون قيد او شرط - دون مفاوضات لاسرية ولا علنية، وكانت المساعدة الوازنة التي قدمت للمقاومة الإسلامية إلى حد ما محصورة بالجمهورية الإسلامية في إيران، وسوريا، ويسجل محلياً، لإميل لحود رئيس جمهورية لبنان وقائد الجيش، وللرئيس سليم الحص دورهم البارز في دعم المقاومة.

❊ ❊ ❊

وبعد، ولم أقصر اهتمامي على المستوى الفكري فقط، بل وبعد استشارة الإمام وتوجيهه المباشر لي عام ١٩٧٤، انخرطت مع أول مجموعة، أرسلها الإمام للدخول في تنظيم "حركة فتيان علي" وقبل أنشأ حركة المحرومين، وكان الهدف مع المجموعة، أن تقرّب "الحركة" من خط المجلس والإمام، ومنذ ذلك التاريخ، تابعت العمل التنظيمي في حركة المحرومين لاحقاً. وكنت الممثل السياسي لبيروت، ولاحقاً للبقاع، وعضواً في المكتب السياسي، بالإضافة إلى مسؤوليات أخرى. مما جعلني أتعرف إلى الكثير من الذين أجريت معهم المقابلات، التي تخص البحث. وبحكم وجودي في الإطار التنظيمي وخارجه، كنت أعرف الكثير مما يجري في وقته، وفي كل المراحل، وقد ارتبطت بعلاقة صداقة متينة مع الذين عملوا في السياسة طيلة ثلث قرن متتالية بين لبنان وسوريا. لذا جاء الكتاب نتيجة معرفة وتوثيق، لكن بما أنني تناولت فترة طويلة نسبياً، فربما ظهر نقص ما في نقطة ما وعنوان ما، فأنا مستعد لتصحيحه في طبعات لاحقة، إن شاء الله، ومن الطبيعي أن أرفد البحث، بوثائق من أي جهة أتت، تناقض ما أنا جئت به في الكتاب. فإذا كنت قد وفُقت فالفضل لله وحده أولاً، ولمسيرة الإمام الواثقة. أما إذا كنت قد قصرّت، فالمسؤولية كما قلت سابقاً تقع عليّ وحدي.


الفصل الأول

الشيعة في التاريخ[1]

الشيعة فرقة من المسلمين ينتمون إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويعتبرونه نموذجاً كاملاً للمسلم، ومرآة تامة لنبي الإسلام محمد صلوات الله عليه.

أصل الكلمة مأخوذه من حديث نبوي شريف، جاء في كتب الحديث كالصواعق لإبن حجر، والنهاية لإبن الأثير، والدر المنثور للسيوطي، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله: **"يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين"**.

ولقد كان في طليعة من حضر جمعٌ من كبار صحابة الرسول، كفاطمة بنت رسول الله، وقليل من المهاجرين، وكثير من الأنصار، وبنو هاشم، حسب نقل الطبري، وابن قتيبة، والمفيد، والطبرسي وغيرهم.

وبإمكاننا أن نلخصّ ما تختصّ به الشيعة، من بين سائر الفرق الإسلامية في أمرين:

الأول: موضوع الخلافة.

الثاني: موضوع الفقه.

إن مصادر التشريع عند المسلمين عامة، تبدأ بالقرآن الكريم، كتاب الله، ثم تليه السيرة النبوية الشريفة، واعتمد كثير من المسلمين على آراء الصحابة الكبار وفتاواهم، في الأمور التي لم يكن هناك حكم منقول عن الرسول، واستند إلى

١- النص بكامله ماخوذ من محاضرات عدة للإمام موسى الصدر.

أحاديث أظهرها حديث منسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله "**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**".

أما الشيعة، فإنها تعتمد على قول أهل البيت، الأئمة، وتعتبر قولهم وفعلهم وتقريرهم مصدراً ثالثاً للتشريع، وتستند إلى نصوص منقولة عن رسول الله كحديث: "**وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما، لن تضلوا، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**".

وحديث آخر: "**من أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن الجنة الخلد، التي وعدني ربي، فليتوّل علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة**".

والمعروف ان الشيعة يعتقدون عصمة الأئمة ولا يعتبرونهم مجتهدين، بل هم نقلة الأحكام وحملته عن رسول الله بكل أمانة ودقة، وبدون خطأ، حيث أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

كان لأئمة الشيعة الأثر الأكبر في تخطيط الأسلوب الصحيح للاجتهاد، وفي تعليمه. إن كون الأئمة الإثني عشر عاشوا مع الأحداث في اثني عشر جيلاً، لما يسهّل لهم المهمة، التي أصبحت جدّ شاقة، نظراً لبعد الزمن والحوادث الطارئة، ودخول الأكاذيب في الأحاديث. سيما أن الرسول قد أعلن عند عودته من حجة الوداع وفي مكان الجحفة، مفترق طرق الحجاج، وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة أعلن عن ولاية علي، بعد أن بلّغ الأمة بقرب وفاته، وبعد أن أشهدهم على ولايته، التي وردت في القرآن الكريم في الأمة.

بسمه تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب).

وبالرغم من هذا الموقف الأساسي، فإن علياً وشيعته بعد الإعلان عن موقفهم، لاحظوا خطورة الوضع، وحداثة عهد الناس بالإسلام، وإمكانية انفجار المجتمع الجديد، فوقفوا مع الخلفاء مؤيدين، ناصحين، مدافعين عن النظام، وأمدوا الأمة بما

كان عندهم من روايات نبوية، واجتهادات ومواقف، وكانوا في صميم المجتمع الإسلامي غير منفصلين ولا متربّصين، ولا شامتين، حتى أصبح القول المأثور عن ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه "لا أبقاني الله لمعضلة وليس لها أبو الحسن".

واستمر الأئمة من آل البيت في الخط يصونون الإسلام بمواقفهم، التي كانت تتنوّع حسب مواقف الخلفاء، وحسب استجابة الأمة، فالحسن بن علي، الذي صالح معاوية، وعلي بن الحسين الملقب بالسجّاد، وهو الإمام الرابع من أئمة الشيعة، لم يستمر بالثورة المسلحة، بل كانا يعلنان عن الأحكام الإسلامية وعن الإنحرافات الرسمية، بأساليب هادفة تربوية ودعائية وغيرها، وكانا يحافظان على الإسلام ويحميانه.

أما الحسين بن علي، فقد خرج ثائراً لكي يدين الإنحرافات الخطيرة، التي كان يمارسها يزيد بن معاوية، والتي كانت تهدد الكيان، وتشوّه حقائق الإسلام.

وكانت الظروف ملائمة للتوعية والتعليم، وتربية المجتهدين، وتطوير الفكر الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري، إلى أواسط القرن الثاني، مجالاً رحباً للصادقين الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق، حيث كان الخلفاء الأمويون ملتهين بمشاكلهم الداخلية، وبصراعهم مع العباسيين، وحيث التقى المجتمع الإسلامي بالمجتمعات الأخرى، فوجد نفسه أمام آلاف من الأسئلة والمواضيع الجديدة، وكان بحاجة ملّحة إلى قيادة فكرية أصيلة متطورة.

وللتعاليم التي حفظت عن الإمامين، والتي جعلت الصفة التابعة للشيعة بالجعفريين، ليست مختصه بالفقه، بل إنها تشمل طريقة فهم القرآن، والأصالة الإيديولوجية في المسائل الأصولية، أمام التيارات الفكرية التي تأثرت بالفكر الإغريقي أو غيره. كما إنها تحتوي على التوجيه العلمي في مختلف الحقول، وعلى الانفتاح تجاه الثقافات، مع حفظ الأصالة، وقضى موسى بن جعفر حياته، بين نفي

وسجن، واضطهاد، ولكنه بقي ينصح ويطرح الصورة الصحيحة للإسلام، تماماً مثل إبنيه الرضا والجواد، اللذين عاشا مضطهدين بالقرب من الخلفاء، ومثل حفيديه الهادي والعسكري، اللذين بقيا سنين مسجونين في ثكنة العسكر.

وفي جميع الروايات الواردة عن الباقر والصادق، وعن غيرهما من الأئمة الاثني عشر، تشكل كلماتهم وسيرهم مصدراً واسعاً من مصادر التشيع، يظهر الإلتزام الإسلامي العام، وإن ما يقولونه مروي عن الرسول، ولا يشعر الباحث عنها إطلاقاً برائحة الفئوية، والمذهبية والانفصال عن الأمة، بل إنهم كثيراً ما كانوا ينتقدون موقف بعض القادة، من خلفاء، وعلماء، بسبب التفرد وعدم الانسجام مع ما ورد في الكتاب والسنّة.

أما علماء الشيعة المجتهدون والاختصاصيون في مختلف العلوم الإسلامية، فإنهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم، لكي ينقلوا بأمانة، ما ورد في تفسير القرآن والسنّة، وما نقل إليهم من تعاليم الأئمة الإثني عشر، ويرفضون الاجتهاد، مقابل النص، بل يجتهدون ضمن الإطار العام للأحكام والمبادئ الإسلامية.

واليوم يؤخذ علينا كشيعة أن بعضنا يسبُّ بعض الخلفاء، نقول لهم إن السبّ ليس جزءاً من مذهبنا، إنه مرفوض، الإمام علي عليه السلام سمع جماعة من جيشه يسبّون معاوية، فقال لهم "لا أحبكم قوماً سبّابين" السب مرفوض، المذهب الشيعي يرفض سبّ الخلفاء والصحابة ولعنهم، لكن تفسير ما حصل هو أن هذا كان رداً، لأن معاوية فرض على جميع خطباء الجمعة في العالم، أن يلعنوا علي بن أبي طالب على المنابر يوم الجمعة، والصيغة المعروفة فكانوا يقولون: **"اللهم إن أبا تراب قد ألحد في دينك فالعنه لعناً وبيلاً.**

والخليفة عمر بن عبد العزيز، حذف الفقرة ووضع مكانها.

"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا حتى الآن موجود، لذا السبّ ليس جزءاً من الدين أبداً".

أما عن سبب الضغوط، التي تعرض لها الشيعة، فالسبب الأساسي لهذه الضغوط الرسمية على الشيعة في التاريخ، هو أن الشيعة كانوا أقلية خطرة، أقلية عقائدية، تعتمد على رؤية إيديولوجية لا تقرّ بالولاء للخلافة، وكان الشيعة يعتبرون أن التعاون مع الحاكم ذل وظلمة. ولذلك نجد تعاليم الأئمة وفتاوى الفقهاء مليئة بالإعلان عن مواقف صريحة تجاه الحاكم المنحرف، والظالم، وإن الواجب التصدي له بصورة تعرض الأمة للخطر. وهذا كان يشكل خطراً على الأنظمة، ولذلك قتلوهم، وسبوهم، ونفوهم، حبسوهم، أفقروهم، شوّهوا طريقهم وتاريخهم.

حتى اليوم وفي القرن العشرين، وما بعده، وأينما توجهّت في العالم العربي، يبادرون الشيعة باتهامات شتى عقائدية وغيرها.

إذاً، التشيع رؤية إسلامية صافية، سلوك إسلامي صافٍ، يجعلان من الشيعة طليعة الأمة، وإذا كان المطلوب أن يسمى التشيع مذهباً، فإن المطلوب أيضاً أن نعطي كلمة المذهب حجمها الحقيقي.

ماذا تعني مذهب؟ يعني الطريق.

مذهب، مفعل من ذهب، يذهب، مذهب، إسم مكان. إذاً التشيع مذهب للطريق، طريق الإسلام، الأساس والدين هو الإسلام، وعند ذلك فإننا نقدر أن نذكر المواصفات العامة له في النقاط التالية:

الولاية: إن الرسول كان له دور الرسالة، إبلاغ أحكام الله، ودور الولاية تنفيذ أحكام الله، هذا الدور أنيط بعليّ، الذي كان يضطلع به وكان يسعى لإقامة حكم صالح، هذا هو مفهوم الولاية في الفترة الأولى من تاريخ الأمة.

أما الآن فإن مفهومها هو السعي لإقامة حكم صالح، من أجل بناء مجتمع صالح، حكم يكون في الخط الذي سار فيه علي.

عند الشيعة، الإمام الذي هو مصدر الشريعة، معصوم، والقاضي والمجتهد وإمام الجماعة والبلد الشاهد، هو يجب أن يكونوا عدولاً. أما الحاكم فيجب أن

يكون في درجة عالية من العدالة، والناس جميعاً مدعوون لأن يبلغوا درجة التقوى،

الاجتهاد: إن المجتهد ليس مشرعاً ولا مغيراً للقوانين الشرعية، بل المجتهد ينظر ويصرف طاقته في سبيل استنباط الحكم وتطبيقه على موضوعه.

فإن دور المجتهد، هو فهم الحكم الإلهي للموضوعات، وليس دوره مراعاة المصالح والظروف، ولا وضع قانون أو حكم جديد للشيء.

كما أن هنالك نقطة مهمة، لعدم التقيد بفتاوى الماضين، وهي أنه لا يجوز تقليد الميّت لانقطاع عصره.

أما عند غير الشيعة، فالإمام غير موجود، والصحابة ماتوا، فهم من جيل واحد كلهم فما العمل؟ اعتمدوا القياس: حكم شبيه بحكم، موضوع شبيه بموضوع، استعملوه، وانتهى القياس، فاعتمدوا المصالح المرسلة، ومع ذلك بقيت الحاجة إلى اكتشاف الحكم تفرض على المجتهدين ما يصلح للتشريع. أي أن الحكم صار مثل التشريع، يعني أن العالم الديني أصبح مثل مجلس النواب، يشرّع، إذ لم يكن هناك اكتشاف لحكم إسلامي فبرز الخطر عند الإنقسام الشديد والتباين في الأفكار، فارتأى القادة سد هذا الباب فترة طويلة، فانسدّ باب الإجتهاد عند الآخرين، بينما بقي مفتوحاً عند الشيعة، حتى العصور المتأخرة، حيث انفتحت أبواب الاجتهاد تدريجياً.

ولا بد من التأكيد أن الاجتهاد، وإن كان مختصاً في الفقه، وفي فهم الأحاديث، واستنباط الأحكام، إلا أنه ألقى ظلالاً واسعة على مختلف الشؤون الإسلامية، عند الشيعة، وخلق ميزات حضارية معينة، من جملتها مبدأ الانفتاح على المذاهب والأديان الأخرى، والشيعة يملكون في تراثهم شواهد كثيرة لذلك.

إنتظار المهدي (ع)

ولا بد من إضافة مبدأ الإنتظار للمهدي (عج) انتظار المهدي المنتظر، الإمام الثاني عشر، من معالم ومواصفات هذا المذهب، وهذا المبدأ كان ينعكس على

الناس، بحالة من التهيؤ الدائم والإستعداد، وهذان حفظا التشيع في عصور الإضطهاد القاسي.

والمعروف أن الشيعة الإمامية، يعتقدون أن الإمام الثاني عشر، هو أحد الأئمة من آل البيت، ومن نسل علي وفاطمة، واسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، سيظهر وإنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

إن المهدي (عج) هو الذي سيقود الناس إلى المجتمع المثالي، الذي يسود فيه العدل التام، وتتوفر فيه الفرص للجميع، وليس فيه مكان للظلم بأنواعه، وللجهل، والباطل، وانتظار الظهور بمعنى التهيؤ، والأمل واجب مذهبي لدى الشيعة.

التقليد

وبعد حصول الغيبة الكبرى، أي عصر انقطاع الأمة عن الأئمة المعصومين. صدرت الأوامر المطاعة من الأئمة بأن واجب الناس الرجوع في شؤونهم الدينية كافة، وفي المسائل المستحدثة، إلى الفقهاء والمجتهدين العدول، أو حسب تعبير النص.

"من الفقهاء من كان صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، عاصياً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه".

وأصبح التقليد، أي متابعة المجتهد العادل في الشؤون الحياتية كافة، أي في معرفة أحكامها واجباً من واجبات الشيعي المكلف.

يمكن أن يختار الإنسان المؤمن طريق الاجتهاد، الذي هو على الرغم من مشقته مفتوح لكل شخص، وعند ذلك عليه أن يدرس ويتخصص في العلوم الإسلامية، التي تمكنه من استنباط الأحكام من مصادرها، التي أشرنا إليها[1].

يبلغ عدد أفراد الشيعة في العالم مائة وعشرون مليوناً على وجه التقريب، يسكنون، إيران- العراق- الجنوب الغربي من الاتحاد السوفياتي-

---

١- نص مأخوذ حرفياً من نصوص عدة للإمام الصدر.

أذربيجان- أرمينيا- جورجيا- أفغانستان- الهند- باكستان- الصين- تركيا وسوريا ولبنان والخليج العربي والقسم الشرقي من المملكة العربية السعودية واليمن وعُمان والبحرين.

وفي خطاب للإمام الصدر، بحضور رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٦٩، أورد الإمام بأن خُمس علماء المسلمين الشيعة من لبنان، خمس كتب الشيعة من علمائهم اللبنانيين، مع أن عدد أبناء الطائفة في لبنان يومها لم يتجاوز واحد ٪ من شيعة العالم.

أما عن شيعة لبنان، فقد اورد الباحث جوزيف كيششيان في كتابه "التطور الديموغرافي في لبنان عام ١٩٨٣ ص ٣٠.

معلومات عن تاريخ ١٩٧٨، كانت توجد أرقام عدد سكان الشيعة بحوالي تسعماية ألف نسمة، وكانوا يومها ما يقارب ٤٠٪ من سكان البلد. لكن اليوم وبسبب عملية التجنيس الواسعة النطاق، التي جرت أيام الرئيس رفيق الحريري، تغيرت تلك النسب لمصلحة الطائفة السنية.

وأبرز جامعاتهم الدينية في الوقت الحاضر، هي في العراق وإيران ولهم مؤسسات ومكتبات كبرى، ويعيش كبار علمائهم ومجتهديهم في الوقت الحاضر، في جامعة النجف الأشرف في العراق، وفي قُمّ، في إيران.

وفي لبنان، حيث أنشأ السيد محمد حسين فضل الله حوزة علمية وأصدر رسالة عملية.

الحوزة العلمية

الحوزة العلمية، هي كيان علمي وبشري، يؤهل عالمها للإجتهاد في علوم الشريعة الإسلامية ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها، "أما مرحلة الجهاز المرجعي، فقد دخلها حسب ما يقول المجدد الإمام السيد محمد باقر الصدر على يد "الشهيد الأول" رضوان الله عليه، حيث لم يعرف تطبيقاً أسبق من الناحية التاريخية، من تطبيق الشهيد الأول، فقد قام بهذا التطبيق في لبنان وسوريا وعيّن الوكلاء، وفرض جباية الزكاة والخُمس على القواعد الشعبية من الشيعة، وأسس في جزين معهداً كبيراً لتدريس الفقه والأصول على مستويات مختلفة، وهو أول معهد افتتح في جبل عامل"[1].

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء ص ١٩٦.

النجف

إن مؤرخي مدينة النجف، يتفقون على أنها بدأت تاريخها كمدينة مقدسة، منذ أن كشف لأول مرة عن قبر الإمام علي عليه السلام عام ٧٦٨م[١].

تمتاز النجف بمقبرتها، التي توصف بأنها "أكبر غابة للأموات في العالم" كما يصفها الشاعر محمد مهدي الجواهري "والموتى ليسوا من النجفيين أو العراقيين فقط، بل بجلب إليها الموتى من آسيا وأفريقيا وحتى من الدول الأوروبية"[٢].

وفي هذا يقول الشاعر أحمد الصافي النجفي في النجف، "صادرات بلدتي عمائم ووارداتها جنائز". وحتى الإيرانيون يفضلون البقاء في النجف ويتمنون الموت والدفن في النجف حيث كتب الأضفهاني، "اصفهان مولداً والنجف مدفناً إن شاء الله"[٣].

كما تمتاز النجف أيضاً بمكتبتها، حتى كتب الشيخ محمد رضى الشبيبي، "النجفيون صرعى الكتب والمكتبات" ففي النجف مكتبات خاصة وعامة كثيرة، تحتوي على ملايين الكتب المطبوعة، وعلى آلاف من الكتب المخطوطة النفيسة[٤].

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء ص ٥٩.

٢- المرجع نفسه ص ٥٣.

٣- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٤- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء صفحة ٥٧.

ازدهرت النجف بالحوزات والعلم، عندما هاجر إليها الشيخ الطوسي المتوفي عام ١٠٦٨ وانفصل عن حوزته الأساسية في بغداد وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف، وظلّت تنمو بفضل ورعاية ولده الشيخ الحسن، المعروف بأبي علي الطوسي[١].

ويذهب المجدد السيد محمد باقر الصدر، إلى أكثر من ذلك فيقول: "إن أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ، كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له، لكثرة اعتقادهم فيه وحسن ظنهم به"[٢].

وفي مراحل لاحقة إنتقلت الحوزة من النجف إلى كربلاء، بسبب تصادم المملكتين الصفوية والعثمانية ما سبَّب:

١. قلة الهجرة ووفود الطلاب إلى النجف.

٢. ضغط العثمانيين على العلماء بعد استيلائهم على العراق[٣].

وثمة أسباب داخلية أبرزها:

١. إصابة النجفيين بوباء الطاعون.

٢. انتقال زعيم الحوزة العلمية الشيخ حمد بن فهد الحلي إلى كربلاء.

ومن أبرز الذين عرفتهم النجف من العلماء "محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني ١٣٣٣- ١٣٨٤م ولد في جزين - جبل عامل وهاجر إلى العراق لطلب العلم وزار كثيراً من حواضر العالم الإسلامي، مثل بغداد - دمشق - القاهرة - مكة - المدينة وقرأ على أربعين شيخاً من علماء السنة، وبهذا أُتيح له نوع من التلاقح الفكري، بين مناهج البحث الفقهي والأصول عند الشيعة والسنة، وقتل

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ ص ٧٣.
٢- المرجع نفسه صفحة ٦٩.
٣- المرجع نفسه صفحة ٧٦.

بالسيف في دمشق، ثم صلب ورجم، ثم أحرق بفتوى القاضي برهان الدين بن جماعه الشافعي، واشتهر **بالشهيد الأول**[1].

ومن هؤلاء العلماء الكبار، الذين تنقلوا في البلاد الإسلامية، الشيخ زين الدين بن نور الدين الجبعي العاملي، ولد عام ١٥٠٥ م درس في جبع وفي دمشق على يد محمد بن مكي الجزيني، ثم رحل إلى مصر ودرس هناك، ثم زار الحج، وانتقل إلى بعلبك حين اسس "المدرسة النورية" وشى به قاضي صيدا إلى السلطان سليمان القانوني العثماني، فقتل في القسطنطينية عام ١٥٥٧ واشتهر **بالشهيد الثاني**[2].

وقد اشتدت تلك الهجرة القسرية قبيل مقتل الشهيد الثاني وبعد مقتله، يقول السيد حسن الصدر: "إنه لما جرى في تلك البلاد من القضاء المحتوم على المبرور الشهيد الثاني رحمه الله، فضعضعت البلاد العاملية، واضطرب أهلها وشملهم الخوف والتقيه، خرج الشيخ علي بن أحمد بن أبي جامع مع أولاده وعياله سائرين بحذر، حتى وصلوا إلى كربلاء فأقاموا فيها"[3].

واختلف مكان الحوزة نسبة إلى الظروف أبرزها:

١. انتقل مركز الحوزة من النجف إلى الحلّة أيام المحقق الحلي، وأقيمت حوزة في كربلاء بجوار مرقد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وفي سامراء، أقيمت فيها الحوزة قريباً من ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام[4].

أما النسبة الكبيرة من طلاب الحوزة العلمية في النجف وأساتذتها منهم "من

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء صفحة ١٩٦.

٢- بهاء الدين العاملي - د. دلال عباس ص ٦٥.

٣- المرجع نفسه صفحة ٦٦.

٤- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء صفحة ٩٦.

غير العراقيين، وحتى الطلاب العرب، من لبنان - الخليج - الحجاز" منهم لا يشكلون رقماً كبيراً، إذا ما قيسوا إلى النسب الكبيرة من الطلاب والأساتذة الإيرانيين والأفغانيين والباكستانيين والهنود"[١].

وحول جاذبية النجف الروحية والعلمية، يقول المرجع السيد محمد حسين فضل الله.

كل من يذهب إلى النجف يندمج في أجوائه، ومن الطبيعي للعالم أن يأتي الناس إليه، أي طلاب العلم، يحضرون مذاكرته، وفي إلقائه الدرس على الطلاب ما يفسح في المجال لأي عالم يملك نبوغاً أن يظهر، وأن يتعرّف الناس إليه[٢].

وحول سبب التحاق بعض الطلاب بالنجف، للدراسة في سن مبكرة، وخروجهم منها، من عداد "علماء الدين" بعد ذلك يقول المرجع السيد: "كان العراق يحبل في تلك الفترة، بتطورات فكرية وسياسية، قد فرضتها الظروف التي أعقبت الإستعمار، وكان الناس يتحركون سواء بعد زوال الإستعمار، أو في أثناء استعمار الواقع السياسي، كانت الماركسية هي أول حركة فكرية سياسية متكاملة، ترفع لواء معاداة الإستعمار. كانت هناك مجموعة من الطلاب العامليين، التي كانت تقرأ الكتب الحديثه، والمجلات، وكانت منفتحة، وربما كان بعضهم يعيش ظروفاً، اقتصادية خانقة صعبة. ما أدى ببعضهم ليخرج كي يتوظف معلماً هنا، ومعلماً هناك، وكانت بعض التفاعلات التي أخذت بهم إلى الماركسية، أمثال هؤلاء حسين مروّة، محمد شرارة، عبد المحسن السوري، صاحب جريدة "الحضارة"، وصدر الدين شرف الدين، الذي لم يأخذ الماركسية، لكنه كان صحفياً في جريدة "الساعة" في بغداد[٣].

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء صفحة ٣٥.

٢- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة مسجلة الباحث معه.

٣- المرجع نفسه.

أما في التاريخ الحديث والمعاصر، فنجد أن آخر سني مرجعية السيد محسن الحكيم (١٩٦٠ - ١٩٦٨) حيث قامت السلطات بحملة تسفير وترحيل جُلّ طلاب الحوزة في النجف، من غير العرب، أما العرب فقد شملتهم حملات التضييق وملاحقة أجهزة المخابرات[1].

وبعدا استشهاد المجدد السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠ أيام سلطة صدام حسين وحزب البعث العراقي، وما صاحب ذلك من تهجير الآلاف من الطلاب. واستمر هذا الوضع حتى نهاية حكمه.

١- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف، معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠ دار الزهراء صفحة ١٠٩.

إيران وقم

يرجّح أن أول من ذهب إلى إيران بدعوة من الشاه الصفوي، هو الشيخ نور الدين أبو الحسن بن عبد العالي الكركي، المعروف بالمحقق الثاني إذ إن المحقق الأول هو جعفر بن سعيد[١].

رحل المحقق الكركي أول مرة إلى مصر، وأخذ من علمائها بعد أن أخذ من علماء الشام، ثم رجع من مصر، وتوجه إلى بلاد العراق، فورد حاضرة النجف، وأقام فيها زماناً طويلاً، ثم رحل إلى إيران لترويج المذهب الشيعي، وكان السلطان حينئذ الشاه إسماعيل الصفوي"[٢].

يعتبر الشيخ محمد بن الحسن المشغري ١٦٢٣- ١٦٩٢م أحد كبار العامليين، الذين هاجروا إلى إيران، وكتابه "أمل الآمل" في علماء جبل عامل[٣].

ويظهر أن الشيخ محمداً بن علي الحرفوشي ت١٦٤٩ فرّ هارباً إلى إيران بعد أن سُعي به لدى الحكام لقتله بتهمة الرفض[٤].

ولنلقي نظرة على هذه الأرقام:

١- علي مروة، التشيع بين جبل عامل وايران، رياض الريس للكتب، لندن صفحة ٤٤.

٢- الشيخ جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى ايران في العصر الصفوي دار الروضة ط ١ بيروت ١٩٨٤ ص ٥١.

٣- المرجع نفسه ص ٩٥.

٤- المرجع نفسه ص ٩٥.

$\frac{45}{143}$ لم يهاجروا

$\frac{7}{143}$ هاجروا وعادوا

$\frac{31}{143}$ هاجروا إلى مختلف الأمصار، حجاز، عراق، هند، إيران

$\frac{60}{143}$ هاجروا إلى إيران واستوطنوا فيها.

وتكون نسبة المهاجرين $\frac{98}{143}$

يتبين من خلال هذه الأرقام أن هجرة العلماء في أساس حركتهم وحياتهم، وهي عادة قديمة العهد. وكانت إيران وقم محطة رئيسة.

ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩، وتأثير ذلك في الشيعة وعلمائهم، بشكل عام في حوزة النجف وعلمائها، بشكل أخص حيث برزت حوزة "قم" بوجود الإمام الخميني فيها، وهجرة طلاب الحوزة إليها[١].

و"قم" مدينة أقيمت في كنف السيدة فاطمة، اخت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام[٢].

وكانت إحدى مدن محافظات طهران، ولم تنفصل عنها إلا سنة ١٩٨٦. تقع على بعد ١٤٧كم جنوب طهران العاصمة، أبرز معالم المدينة وجود ما يقارب الستة

١- علي احمد البهادلي- الحوزة العلمية في النجف وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠م دار الزهراء ١٩٩٣ ص ٣٥١.

٢- المرجع نفسه ص ٣٦.

عشر مرقداً لأبناء أئمة آل بيت الرسول صلم عليه وآله، والمدينة اليوم تضم أكبر حوزة علمية، ومنها انطلقت الثورة الإسلامية في إيران[1].

وحول أثر العامليين المهاجرين إلى إيران، يقول الشيخ مرتضى مطهري: "إن لعلماء جبل عامل، دوراً مهماً في رسم الخطوط العامة للدولة الصفوية الشيعية، فالصفويون كانوا صوفية، لقد أدخلوا الإعتدال إلى خط الصوفية الدرويشي، بسيرة فقهيه عميقة، من قبل علماء جبل عامل، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهيه عميقة في إيران، لكان خط الصوفية انتهى إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركية. وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامة للدولة والأمة الإيرانية.

من تلك التحريفات في الصوفية وتعديل نفس العرفان والتصوف الشيعي، ثم يضيف فيما يشبه الحكم[2].

إن لفقهاء جبل عامل، بتأسيسهم الحوزة الفقهيه في أصفهان حقاً كبيراً على ذمة الأمة الإيرانية[3].

١- علي احمد البهادلي- الحوزة العلمية في النجف وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠- ١٩٨٠م ص ٩٤.
٢- د. دلال عباس، بهاء الدين العاملي.
٣- المرجع نفسه.

لبنان - عراق - إيران
تبادل علم وعلماء

عرف عن جَدّ السيد موسى الصدر، العالم الجليل بالفقه والأصول والرجال، السيد صالح شرف الدين (ولد ١٧٠٣) أنه درس في الأزهر، وباحث علماء البيت الحرام زماناً، وكان يلّقب بالمكي ثم عاش وقتاً في كربلاء، وعاد إلى عاملة[١].

لم يكن السيد صالح أوّل الذين هاجروا إلى النجف، إثر سلسلة الاضطهادات، التي مارسها الوالي العثماني أحمد باشا الجزّار، وبعدما قتل ولدي السيد صالح، وحكم عليه بالاعدام، إضافة إلى حرق البيت والمكتبة، وسرقة المال والمتاع[٢].

ولا كان الإمام موسى الصدر آخر من عاد إلى وطن أجداده، فتاريخ حركة العلماء بين الأمصار موغلة في القدم، تصل إلى فجر الإسلام، ولم تنقطع، حيث كان الخلفاء يرسلون بعض الصحابة إلى الأمصار، ليعلموا الناس دينهم، مثل عبدالله من مسعود في العراق، وإبن الدرداء في الشام[٣]. واستمرت على نحو من الحيوية والحرية، وقد تخلل ذلك فترات اضطهاد وقتل، إلا أنها لم تؤثر على النشاط العلمي، الذي بقي متوهجاً منذ ذلك التاريخ، حتى نهاية الأمبراطورية العثمانية، ونشوء الدويلات المشرقية، في ظل النفوذ البريطاني والفرنسي، عبر معاهده سايكس -

---

١- نجيب جمال الدين، الشيعة على المفترق او موسى الصدر ص ٢٢.

٢- المرجع نفسه الصدر ص ٢٢.

٣- د. رياض عبد الحميد مراد. التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس ص ٦٠ دمشق المتشارية الثقافية.

بيكو، وحتى بعد قيام هذه الكيانات - الدول لم يعترف العلماء بالحدود والسدود والموانع، وتابعوا نشاطهم وتفاعلاتهم في طلب العلم والدعوة بين الناس، في مختلف أصقاع الأرض. والأمثلة عديدة في مختلف المراحل التاريخية، ولعل رحلتي إبن عساكر والسمعاني، خير مثل على الوحدة الإسلامية، فإبن عساكر شامي يرحل إلى بلاد خراسان، والسمعاني خراساني، يرحل إلى بلاد الشام فكلاهما يطلب العلم ذاته في البلاد ذاتها، ومن المشايخ أنفسهم، فإبن عساكر ولد في دمشق عام ٤٩٩هـ وتوفي عام ٥٧١هـ ورد بغداد ورجع إلى دمشق، ثم وصل إلى خراسان من طريق أذربيجان، نيسابور، مكة، بغداد، دمشق، خراسان وكان إماماً ثقة، أبرز مؤلفاته "تاريخ مدينة دمشق".

أما أبو أسعد السمعاني، فقد ولد عام ٥٠٦هـ وتوفي عام ٥٦٢هـ رحل في صحبة والده إلى نيسابور - بغداد - دمشق - خراسان بلاد ما وراء النهرين. وكانت رحلته إلى الشام متنقلاً بين دمشق وبيت المقدس، ثم حطين، حلب، حماه، حمص، الرملة، صور، عسقلان، عكار، قاسيون، مشهد الخليل، معّرة النعمان[١] أبرز مؤلفاته "الأنساب".

ومن أبرز العلماء المهاجرين:

بهاء الدين العاملي، ١٥٤٧- ١٦٢١م.

ولد في بعلبك، هاجر مع والده إلى إيران، عاش في أصفهان، وقزوين، ترك والده إيران ليموت في البحرين، خرج من هراة بقصد الحج، ثم عاد، وبعد أن أمضى حوالي السنة متجولاً في الحجاز - القدس - مصر - الشام - آسيا الصغرى - عُيّنَ شيخاً للإسلام في أصفهان، وهو أعلى منصب ديني رسمي في البلاد. إن شهرته تجاوزت إيران في أثناء حياته، وسبقته إلى مصر والشام، وهذا يعود إلى

١- د. رياض عبد الحميد مراد. التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس ص ٢٠١ دمشق المتشارية الثقافية.

الحقول المعرفية الواسعة التي شارك فيها، وإلى شخصيته الإيجابية السمحة المعتدلة، وفي ذلك العصر، الذي اتسّم بتعصب مذهبي، قاطع مغلق[١].

ومن العلماء الذين هاجروا

حسين بن عبد الصمد الجباعي ١٥١٢- ١٥٧٦م.

سافر إلى العراق - بغداد، ثم عاد إلى بعلبك، حيث درس في المدرسة النورية ١٣ سنة، اتجه إلى إيران بعد مقتل الشهيد الثاني ١٥٥٨، بل إلى اصفهان ومكث فيها ٣ سنوات، أقام في قزوين، ومشهد وهراة وعام ١٥٧٥ ترك إيران وقصد البحرين بعد رحلة الحج. يوصف بأنه ممن جدّد قراءة كتب الحديث في بلاد العجم[٢].

علي بن عبد العالي الكركي ت ١٥٣٣م[٣]

ولد في كرك نوح - البقاع، غادر إلى دمشق - بيت المقدس - الخليل ومن ثم إلى مصر فالعراق وإيران أيام الشاه إسماعيل، وأيام طهماسب، ومع عودته نشر الشاه طهماسب، أمراً ملكياً (فرمان) يأمر بطاعته، ويحذر من مخالفته تحذيراً شديداً، توفي في النجف ١٥٣٤[٤].

علي بن هلال الكركي توفي ١٥٨٥.

ترك وطنه بعدما درس على شيوخ كلهم من جبل عامل.

هاجر من عيناتا إلى النجف، وإلى الهند - فإيران، ناقلاً معه مكتبة ضخمة، يبلغ تعدادها أربعة آلاف مجلد، حيث خلف أستاذه الكركي في منصب شيخ الإسلام[٥].

١- الشيخ جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى ايران ص ١٦٨٠.

٢- المرجع نفسه ص ١٤٧.

٣- المرجع نفسه ص ١٢٢.

٤- المرجع نفسه ص ١٢٦.

٥- المرجع نفسه ص ١٤١.

عبد الله نعمة، توفي ١٣٠٣هـ

كان الشيخ عبدالله نعمة تلميذاً في مدرسة الكوثرية، التي أسسها الشيخ حسن القبيسي، المتوفي سنة ١٨٤٢م، وكان الشيخ عبدالله مرجع الشيعة في جبل عامل على الإطلاق في عصره، وصاحب المنزلة الرفيعة في نفوس بني وطنه، خرج إلى العراق فكان فيها علماً يشار إليه بالبنان، ثم سكن مدينة رشت في إيران بضع سنين. فكانت إليه الفتيا في المدينة وما والاها، ثم عاد إلى وطنه إلى قرية جبع في جبل عامل"[١].

١- الدكتور مصطفى بزي، مقابلة خاصة.

طوائف وجغرافيا

لم تعرف الطوائف المكونة للبنان في الوقت الحاضر ثباتاً جغرافياً معيناً، فالتركيبة الديموغرافية المعروفة الآن لم تكن مستقّرة إلا منذ عام ١٩٢٠، تاريخ إنشاء لبنان الكبير.

أما قبل ذلك التاريخ، فقد حدثت حركة نزوح وتغيّر دائمة، كانت هي الأساس وليس الاستقرار نظراً للظروف العسكرية والسياسية، التي مرّت على المنطقة عموماً، وانعكست بشكل أو بآخر على لبنان بحدوده الحالية.

ولنلقِ نظرة تاريخية سريعة على حركة الطوائف، من ضمن جغرافية لبنان الحالية.

ولنبدأ بحركة الطائفة الشيعية.

يكتب المؤرخ الدكتور كمال الصليبي.

وكانت جماعات من الشيعة تسيطر، قبل العهد العثماني بمدة طويلة، على لبنان كله[١]. ما عدا مناطق بشري والبترون وجبيل في الشمال. وأكثر سكانها اليوم من الموارنة، وظلت حتى القرن الرابع عشر آهلة بالشيعة وما زال جبل الضنية[٢] إلى الشمال من بشري إلى هذا اليوم يحمل اسم الجماعة الشيعية التي استقرت هناك قبيل الحروب الصليبية.

١- تاريخ لبنان الحديث، د. كمال الصليبي ص ١٥.

٢- الضنية وعلى الأصح الظنية، اطلقت على عدد من الفرق الباطنية، وخاصة الاسماعيلية.

ويذكر المؤرخ الصليبي بأماكن سكن الشيعة، وأبرزها منطقة البقاع، وخصوصاً منطقة بعلبك - الهرمل، واستمرار هذا الوجود حتى الوقت الحاضر. "وفي أمد باكر، كانت منطقة البقاع شيعية أيضاً، وهي لا تزال في بعض أجزائها خصوصاً منطقة بعلبك - الهرمل شيعية حتى اليوم"[1].

ويعرّج المؤرخ الصليبي على مناطق كان سكانها شيعة في الماضي، ولم تعد اليوم تحمل حجم الوجود نفسه الذي كان، إذ طرأت عليه تحولات عديدة فيذكر.

"وعند الحملة الصليبية الأولى كان بنو عمّار وهم من الشيعة، يحكمون طرابلس، ويقال إن أتباعهم في المنطقة كانوا من الشيعة أيضاً"[2].

إن الحملات الصليبية المتتالية على المشرق، واحتلالها الساحل "اللبناني" واعتماد طرابلس مركزاً رئيساً لها، وما تلى ذلك من أحداث غيرت الأحوال، وجعلت أعداد الشيعة، تتضاءل بعدما غيّر السكّان نوع الطائفة تماشياً مع السلطة السائدة في تلك الفترات، وهنا يتداخل التاريخ المذهبي للجماعات البشرية في الجغرافيا، فنرى مثلاً نشوء المذهب الدرزي، وخريطة تواجده في وادي التيم، والشوف بشكل رئيس.

"وقبل ذلك التاريخ كانت الإسماعيلية قد ازدهرت في وادي التيم، وفي الشوف أيضاً كما يظن، إلى أن تحوّل أهل هاتين المنطقتين إلى المذهب الدرزي في مطلع القرن الحادي عشر، كانت منطقتا الشوف ووادي التيم اللبنانيتان قد أصبحتا منطقتين درزيتين، باستثناء هاتين المنطقتين بقيت السيطرة على البلاد للشيعة".

ومن الجدير ذكره أن فرقة الإسماعيلية، متناسلة من المذهب الشيعي، ويرجع

١- تاريخ لبنان الحديث، د. كمال الصليبي ١٥،

٢- د. كمال صليبي، تاريخ لبنان الحديث ص ١٥.

الدكتور الصليبي سيادة الوجود الشيعي في لبنان إلى سيطرة الدولة الفاطمية على مصر، وضمها مراراً بلاد الشام.

"وبلغ الفاطميون أوج عزهم في القرنين العاشر والحادي عشر، على حساب الدولة العباسية، التي أخذت بالتفسخ فوسعوا حكمهم وضموا، إليهم بلاد الشام أكثر من مرة، وعلى إثر ذلك بلغت الحركة الشيعية في بلاد الشام عصرها الذهبي"[١].

وعند حدوث تحوّل كبير في المنطقة، مثل زوال حكم الفاطميين، وحلول الأيوبيين مكانهم، لا يمكن للمنطقة إلا وأن تتأثر بهذا الحدث، فينعكس تباعاً على أحوال الطوائف، وأماكن سكنهم، تبعاً لخطط الحكام الجدد للمنطقة وأهلها.

يكتب الدكتور صليبي،

"وانتهى في النصف الأخير من القرن الثاني عشر حكم الفاطميين في مصر وأصبحت القاهرة عاصمة العالم الشيعي حتى ذلك الحين، قاعدة للأيوبيين والمماليك، وحصناً ضد الصليبيين والشيعة على السواء"[٢].

ومع سيطرة الأيوبيين والمماليك، تظهر الجوانب المذهبية بوضوح، في سياسة إدارة المماليك على المناطق، تحت السيطرة وبسبب الأولوية، لم يتعرّض المماليك للشيعة مباشرة وبقوة، إلا بعد فراغهم من التصدي للوجود الصليبي في المنطقة.

ولنرى كيف تكون نتائج "الحروب" سريعة، عندما يتدخل العامل "الإقليمي" ذو الوزن الكبير في الموضع المحلي المحدود.

يورد الدكتور الصليبي

"لكن بعد أن طرد الصليبيون من بلاد الشام انقلب المماليك على الشيعة، فجردوا الحملات على المناطق الشيعية في لبنان، أولاها عام ١٢٩٢م، اي بعد أن

١- د. كمال صليبي، تاريخ لبنان الحديث ص ١٥.

٢- المرجع نفسه ص ١٦.

استولى المماليك على مدينة عكا بعام، فانهارت جبال عكار والضنية بسهولة أمام هذه الحملات"[1].

إثر ذلك الوضع والقوة الجبرية وحفاظاً على الحياة وغريزة البقاء أصبحت تتم بسهولة عملية تغير المذهب، بالتحول إلى المذهب الحاكم، والأقوى، ومن لا يقبل بالقوة الحاكمة، يترك المكان أو يقبل أو يهاجر إلى مكان آخر آمن.

ويتابع الدكتور صليبي

"وتحول بعض سكانها إلى السنة، فيما أخلى بعضهم مكانه لأهل السنة"[2].

لكن الدفاع عن الأرض والعقيدة، يتطلب الكثير من التضحيات، فصمود شيعة كسروان ثلاث عشرة سنة أمام جيش المماليك، ـ قوة محلية تصمد امام قوة إقليمية ـ هذا الصمود المشهود عبر أحداث ثابتة مؤرخة بموضوعية تشير لأهمية ارتباط الإنسان بأرضه ورزقه وعقيدته. والجدير ذكره أن تلك الإستباحة المملوكية لشيعة كسروان، كانت بغطاء شرعي من أبرز قضاتها والمراجع يومها "إبن تيميّة" كما أورد صالح بن يحي في تاريخ بيروت (ص ٢٧) فقال: "إن الكسروانيين أظهروا الخروج عن الطاعة، وإنه في ذي الحجة ستة ٧٠٤ جهّز إليهم آقوش زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقي الدين وقراقوش، وتحدث معهم في الرجوع إلى الطاعة، فما أجابوا إلى ذلك. فعمد إبن تيميه إلى إصدار فتوى بهدر دماء الشيعة الكسروانيين، وهدم بيوتهم وحرق أشجارهم. وقد روى القلقشندي في صبح الاعشى (ج ١٣ ص٢٤٨) ما يلي: "كان شيخنا إبن تيميه يرى أن قتالهم (أي الكسروانيين) وقتال النصيرية، أولى من قتال الأرمن، لأنهم عدو في دار الإسلام وشر بقائهم أضر"[3].

وبناء لهذه الفتوى جهّز آقوش سنة ١٣٠٥ (٧٠٥هـ) جيشاً كبيراً بلغ ٥٠ ألف

١- د. كمال صليبي، تاريخ لبنان الحديث ص ١٦.

٢- المرجع نفسه ص ١٦..

٣- محمد علي مكي، "لبنان من الفخ العربي حتى الفتح العثماني ص ٢٢٥، دار النهار ط٣.

محارب، وساعده في التعبئة التنوخيون والدروز، ونائب طرابلس، ونائب صفد، والأمير إبن صبح وأمير البقاع الغربي وأمير بعلبك علاء الدين معبد. وسقطت كسروان بعد أحد عشر يوماً من القتال، فخرّب أقوش ضياعهم، وقطع كرومهم، ومزقهم، وملك الجبل عنوة، ووضع فيهم السيف"[١].

على أن شيعة كسروان أبدوا مقاومة عنيفة استمرت ثلاث عشرة سنة إلى أن انهزموا في النهاية وتشتتوا في ١٣٠٥"[٢].

وتأخذ طائفة الموارنة الدور وفق نظرية "ملء الفراغ" الذي أحدثه إجلاء الشيعة الإثني عشرية عن تلك المناطق، طائفة تطرد من أرضها، فتحل أخرى ولو أنها ليست من طائفة الحاكم ذاتها ولا دينه.

"ومع مرور السنين أخذ الموارنة النازحون من الشمال يستوطنون هذه المناطق"[٣].

لم تكن عملية اجتثاث الشيعة من كسروان كافية، لسلطة المماليك بل جرت عمليات متتابعة متتالية في كل المناطق المتاحة، ومع أسلوب التضييق والضغط والإرهاب.

ويقول د. صليبي: "وبدأ الشيعة تحت الضغط والإضطهاد، يختفون تدريجاً من أكثر مدن الساحل، حتى لم تبق لهم أغلبية إلا في مدينة صور، أما جبل الشوف، فلم يبق فيه إلا قريتين شيعيتين في منطقة الغرب هما القماطية وكيفون جنوب شرق بيروت، وبضع جاليات شيعية صغيرة في بعض قرى الساحل، غرب بيروت، برج البراجنة، الشياح، الغبيري، والشرق الجنوبي الوردانية وجون.

لكن الشيعة لم ييأسوا، فعادوا إلى أرض الأجداد، وتكاثروا من جديد، لكن

١- محمد علي مكي، "لبنان من الفخ العربي حتى الفتح العثماني ص ٢٢٥، دار النهار ط٣.ص ٢٢٦.

٢- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص ١٦.

٣- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص ١٦.

أيضاً وكلاء السلطة وملتزمي الضرائب الجدد عملوا على إجلائهم مرة أخرى، "وفي أوائل القرن السادس عشر، تكاثر الشيعة في كسروان من جديد، وعادوا يستوطنون في مناطق جبيل والبترون وبشري. لكن ما إن اقترب القرن الثامن عشر من نهايته، حتى كان أكثر هؤلاء المستوطنين قد طردوا بمساعدة الشهابين من هذه المناطق المارونية"[١].

ولو تتبعنا الوجود السني في لبنان، لوجدنا أن هناك مدن كبرى يتواجد فيها أهل المذهب بكثافة، لكن الظروف السياسية وتقلبات الفئات الحاكمة في لبنان، كانت تلقي بثقلها على الفئات والطوائف الأخرى فتضطر أن تتحول وتلتحق بالطائفة السنية، بسبب الإضطهاد أو الحظوة، أو المصلحة، أو القناعة العقيدية.

يورد الدكتور صليبي: "ولم تكن طرابلس وبيروت وصيدا مراكز وحيدة للسنة في لبنان، إذ كثيراً ما ادعى الدروز والشيعة في البقاع ووادي التيم والشوف الإنتماء إلى المذهب السني، على سبيل التقية خلاصاً من الاضطهاد، أو تقرباً إلى الحكام المماليك، التقية تقليد معروف لدى الشيعة، يتيح للمؤمن أن يتنكر لإيمانه الحقيقي، في أوقات الشدة، مدعياً لنفسه دين الفئة الحاكمة"[٢].

وعليه فإن الفئة الحاكمة تجلب الفئات المضطهدة للإلتحاق بها، وعداً أو وعيداً، والنتيجة تكاثر طوائف وضمور أخرى في المنطقة نفسها دون تزايد عدد السكان، فالعدد يبقى على حاله، لكن الانتماء يضعف فئة ويكثر فئة أخرى.

وهذا ما يفسّر على الأرجح منشأ الجماعات السنية الموجودة حالياً في قرى البقاع الأوسط، ووادي التيم، وبعض قرى إقليم الخروب، كما يفسر بعض التفسير وجود أغلبية سنية في عكار والضنية"[٣].

١- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص١٦.
٢- المرجع نفسه ص ١٧.
٣- المرجع نفسه، ص ١٧.

وعندما كان عديد الطوائف المحلية لا يكفي لإنجاز المشروع السياسي الكبير، كانت الخطة جاهزة لاستحضار فئات مؤيدة من الداخل العربي والإسلامي، توضع في الجغرافيا المحلية، فتحدث الغلبة المطلوبة، ومع الزمن تمسي تلك الفئات المستوردة من نسيج المنطقة والناس.

"وهناك عامل آخر، وهو أن المماليك في مطلع القرن الرابع عشر، رغبة منهم في توطيد حكمهم على بلاد الشام، جاؤوا بقبائل من التركمان والأكراد إلى مختلف مناطق الساحل، ليراقبوا المناطق الداخلية المتمردة، فنزل التركمان في منطقة كسروان وسواها، والأكراد في طرابلس، وخصوصاً في عكار والضنية، ويبدو أن جاليات سنية أخرى استوطنت منطقة بعلبك"[١].

تمركز الوجود الماروني في مناطق بشري والبترون وجبيل، ومع التطور العسكري السياسي في المنطقة تمدد الموارنة إلى أكثر من منطقة في لبنان، لم يكن لهم فيها وجود من قبل.

المرحلة الأولى، أخذوا مكان الشيعة في كسروان بإشراف المماليك.

المرحلة الثانية، شاركوا الدروز في الشوف بإشراف ومعونة المعنيين والشهابيين.

يقول صليبي: "وكان الموارنة في البداية يستوطنون مناطق بشري- البترون وجبيل، ثم شرعوا بالنزوح جنوباً إلى كسروان، بعد أن شتت المماليك سكانها الشيعة عام ١٣٠٥ وبفضل حماية المعنيين والشهابين، قدم الموارنة بأعداد كبيرة من الشمال، ليستقروا مع الزمن في المناطق الدرزية في الجنوب وسواها في الأراضي اللبنانية الحالية، التي كانت في ذلك الحين تحت حكم الأمراء، وهكذا شهد القرن السابع عشر هجرة مارونية واسعة، إلى جميع أنحاء "لبنان"، جعلت الموارنة أوسع الطوائف انتشاراً"[٢].

١- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص ١٧.

٢-المرجع نفسه ص ٢٠.

ومن الواضح مما ذكرنا سابقاً، أن ظروفاً سياسية "حاكمة"، ساعدت الموارنة على الإنتشار، لكن يسجّل لهم إيجابية أنهم انتشروا في كل بقعة من لبنان، إلى جانب بقية الطوائف، وهذا دليل على رغبتهم في الانخراط والاشتراك مع الآخرين في الاجتماع والعيش، أو ربما لأن معظمهم كانوا من الفلاحين. على رغم أن عقيدتهم المسيحية محصورة في لبنان، ونواح في سوريا، منشأ القديس مارون.

ويؤكد الدكتور صليبي: "وفي خارج جبل لبنان والمدن الساحلية نزل الموارنة بكثرة بين الشيعة في منطقة بعلبك الهرمل وجبل عامل، وبين السنة في عكار والبقاع، وبين السنة والدروز في وادي التيم، وكانت تلحق بهم حيثما يستوطنون فئات كبيرة من الملكيين، أكثرهم من داخل بلاد الشام، مما زاد في دعم سيطرة النصارى العددية في لبنان"[1].

وانتشر النصارى الملكيون في لبنان، روم أرثوذكس، روم كاثوليك، كالموارنة في جميع أنحاء البلاد تقريباً إلا أن الموارنة فاقوهم عدداً.

وثمة فروقات قليلة في العمل أثرت على التوزع الجغرافي.

"وفيما كان معظم الموارنة من الفلاحين، آثر الملكيون الاستقرار والتجمع في المدن الساحلية والقرى الجبلية الكبيرة، حيث اعتاشوا في الغالب على التجارة والحرف"[2].

وقد ذكر د. صليبي بعض الصفات العامة للشيعة يقول: "فتميز أهل الشيعة بالحذر السياسي، وضعف التنظيم الاجتماعي - ولعل ذلك صار نتيجة للاضطهاد والتعسف"[3].

١- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص٢٠.
٢- المرجع نفسه ص ٢٠.
٣- المرجع نفسه ص ٢٠.

ومن خلال قراءة التاريخ، يتضح لنا أن تاريخ العناصر المكونة "للبنان" لم يكن تاريخاً عسكرياً كله، تصادمياً، بل تخلله فترات من التعاون السياسي والإداري.

يؤكد د. صليبي: "وكان منذ عهد الإمارة أن عاش الموارنة، والدروز، والسنة، والشيعة، والروم الارثوذكس، والروم الكاثوليك معاً في لبنان، وقامت بينهم روابط سياسية"[١].

وحتى التحول من طائفة لأخرى، لم يكن وليد الضغط القهري على الدوام، بل حصلت تحولات أتت نتيجة دعوات تبشيرية، أدت إلى تكوين طوائف وفرق.

"ثم انضمت إليهم "جميع الطوائف المسيحية" في حينه، طوائف أخرى، منها طائفة إنجيلية صغيرة، اي طائفة البروتستانت، تحول معظم أبنائها إليها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من طائفة الروم الأرثوذكس بتأثير الإرساليات الأميركية والبريطانية"[٢].

لكن الخلافات العقائدية التي أدت لانشقاقات في بعض الطوائف، أدت إلى الهجرة إلى جانب القهر السياسي، والعرقي، والاضطهاد، والمجازر، فغيرت الطوائف أماكن سكنها، وهذا ما حدث للطائفة الأرمنية.

يقول د. صليبي: "وكانت الانشقاقات التي حصلت في الكنيسة الأرمنية في كيليكيا، في العقد الرابع من القرن الثامن عشر ١٧٣٧- ١٧٤٠ قد أدت إلى نزوح فئة كبيرة من الأرمن من الكاثوليك الموالين لروميه، إلى ربوع لبنان، ونتج عن الإضطهاد الذي ألحقه الأتراك بالأرمن في نهاية القرن التاسع عشر، لجوء عدد كبير من هؤلاء إلى لبنان، أكثرهم من أتباع الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، التي أصبحت بعدد أبنائها تحتل المرتبة السابعة في البلاد، بعد الموارنة، والسنة، والشيعة، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك والدروز"[٣].

١- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص ٢٤.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٤.

٣- المرجع نفسه، ص ٢٤.

وكي تكتمل لوحة التنوع الطائفي على أرض لبنان، لا بد من ذكر طوائف أقل عدداً من الطوائف الرئيسة المكوّنة، استوطنت فيه، وأصبحت من نسيجه الإجتماعي والسياسي، منها الطائفة العلوية، التي اتخذت من طرابلس والشمال معقلاً لها، منذ مراحل مبكره من شيوع وانتشار الدعوة العلوية في سوريا.

يكتب الدكتور صليبي: "وكان إلى جانب ذلك، قد استوطنت لبنان على مرور الزمن قلة من اليهود، واليعاقبة، واللاتين، والنساطرة، والسريان الكاثوليك، وسواهم، مما يشكلون اليوم ما يعرف بالأقليات"[١].

ويختم د. صليبي: "ويتضح من هذا العرض أن الشعب اللبناني لم يكن في الماضي أمة واعية لكيانها، موّحدة في أهدافها، وإنما كان مجموعة من الطوائف، جمع بينها حلف هو أقرب ما يكون، إلى العقد الاجتماعي. وتاريخ لبنان منذ القرن الثامن عشر هو في المقام الأول، تاريخ تطور هذا العقد الاجتماعي وأثره في نمو البلاد".

١- د. كمال صليبي- تاريخ لبنان الحديث ص ٢٤.

في أسس النظام الطائفي اللبناني

يتحدّر النظام السياسي للبنان من نظام الملّة، أيام الأمبراطورية العثمانية، وهذا النظام الذي حصلت فيه الملّة على حقوق قانونية، عندما أصبح "من المهم لكل ملة أن تبقى، وتحافظ على جماعتها، فالملة المسيحية، التي كانت تحتوي على طوائف عدة، طالبت بأن يكون لكل طائفة خطوط فاصلة ومستقلة عن الطوائف الأخرى"[1].

وكان التمايز منذ البداية، فيما بين الطوائف، أو المجموعات الدينية تقول د. صفيه سعاده: "وهذه المجموعات الدينية المختلفة، لم ينظر إليها كمجموعات متساوية في كل متكامل، وإنما كانت مدرجة بتراتبية أعلى وأدنى، فيها المسلمون غير السنة فيما بعد"[2].

فتقسيم المناطق الجغرافية كان حسب الهوية الدينية أيضاً، مما انعكس على السكان، فمدن كل منطقة الهلال الخصيب، ما زالت حتى يومنا هذا كما كانت مجزأة ما بين مناطق مسيحية، ومناطق إسلامية، وحتى عام ١٩٢٨ إلى مناطق يهودية أيضاً"[3].

ولقد شرّع الباب العالي هذه الحقوق، مما أدى إلى الاعتراف بـ ١٧ ملة، في القرن التاسع عشر، والخطورة أن المجتمع لم يعد مجتمعاً واحداً، أو "تصرفت كل

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon ص ٣٩ دار النهار ١٩٩٣.

٢- المرجع نفسه ص ٣٩.

٣- المرجع نفسه ص ٣٩.

ملة كوحدة متكاملة، مكتفيه بذاتها، تدير شؤونها تحت قيادة رئيسها الديني، بينما في الحقبات الإسلامية السابقة كان لأهل الذمة الحق فقط، ضمن الأحوال الشخصية، ومن مساوئ هذا النظام أن الفرد لا يستطيع أن يتحرك بحرية، وهو تحت الوصاية الكلية لطائفته التي يحتاج دعمها"[١].

ولأن المقاطعات العربية، كانت تحت سيطرة الأمبراطورية العثمانية، فقد طورت وشددت على فكرة المجموعات الدينية كوحدات قانونية، منفصلة كهويات قانونية وفيما كانت الامبراطورية العثمانية تخوض هذه الإصلاحات، خطي "همايون كولخانه" عام ١٨٣٩. والتأكيد على المساواة ما بين الرعايا والاعتراف بحق الملكية الخاصة للرعايا، والتي قادت إلى تراتبية مبنية على الطبقات.

"كان جبل لبنان يختار نظام الطوائف المغلقة، وفي عام ١٨٤٠ كانت الهوّة قد أصبحت عميقة جداً ما بين المسيحيين والمسلمين، ولم يكن ممكناً تلافيها بمجرد إصدار قانون"[٢].

وبدل ان يتأثر جبل لبنان بالإصلاحات العثمانية إيجاباً، أصبح وريث نظام الملة، وإنما بشكل معدل بتعديلات.

ويلعب نظام الإمتيازات الذي فرضته القوى الأوروبية البريطانية والفرنسية خصوصاً، على الأمبراطورية العثمانية دوراً هاماً، فقد فرز أموراً بالغة الأهمية إجتماعياً واقتصادياً.

"إذا كانت التجارة الأوروبية في الشرق الأوسط محصورة بالمسيحيين الأوروبيين والشرق أوسطيين وكذلك اليهود، ولم يستفد التجار المسلمون من ذلك"[٣]، وهنا يبرز دور المدارس التبشيرية الأجنبية، التي انتشرت في البلاد، فقد

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon ص ٥٠ دار النهار ١٩٩٣.

٢- المرجع نفسه ص ٤٩.

٣- المرجع نفسه، ص ٤٩.

أمنت تربية حديثه للمسيحيين. تعليم طلابهم "لغة أجنبية" وهي ضرورية للتجارة والإقتصاد"[١].

ولم يكن تأثير المدارس تلك محدوداً أو تربوياً فقد كانت له الأبعاد السياسية، إذ يقول الدكتور مصطفى بزي.

"لم يستطع أحد مبشري الإرساليات الأميركية هنري جيب، الذي يعتبر من رواد التبشير الأوائل ومن مؤسسي الجامعة الأميركية في بيروت، أن يخفي حقيقة نواياهم عندما قال: "كان المبشرون يتحمسون لدولهم سياسيا وعسكرياً".

وكانت المدارس التبشيرية تتنافس فيما بينها، لكن وفي مراحل متقدمة وفي سنة ١٩٢٤ عقدت الولايات المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية إتفاقية تنص على التنسيق التبشيري".

وفي تطور بارز عام ١٨٥٨ ثار الفلاحون ضد رجال الإقطاع، وبدلاً من أن يدعم رجال الدين الإقطاع دعموا الفلاحين، مما أدى إلى الإنتصار النهائي للمؤسسة المارونية، ومنذ ذلك الحين أصبح رجال الدين يترأسون ويكيفون هوية هذه المجموعة على أسس دينية.

لقد ظهر بعض التعاطف من الاهالي في القائمقامية الدرزية، مع الفلاحين الموارنة، في ثورتهم في قائمقامية الموارنة وفي صراعهم ضد الإقطاع، لم تترك تسير "بالمنطق الطبقي" فضغط الجانب الطائفي وانتصر أخيراً، وعادت الصراعات بين طائفة الموارنة وطائفة الدروز، وفرنسا وقفت إلى جانب الموارنة، وبريطانيا والأمبراطورية العثمانية وقفت مع الدروز في حربهم.

"وهكذا عام ١٨٦٠ أصبحت بنية لبنان الإجتماعية مؤسسة على خطوط الطوائف المغلقة، وأصبح الموارنة على رأس هذه الهرمية، وكان ذلك مختلفاً جداً

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon ص ٥٠ دار النهار ١٩٩٣.

عن فترة الإمارة، حيث كان النزاع ما بين الأمراء كعائلات حاكمة، بمعزل عن دينها[١].

امتدت الحرب الأهلية متقطعة بين الدروز والموارنه، منذ عام ١٨٤٥ حتى ١٨٦١، فلم تحل المشلكة بتقسيم الجبل إلى قسمين، كانت تخفت حيناً، وتشتعل حيناً آخر وكان دعم الطرفين واضحاً.

وبعد تدخل الدول الأجنبية توقفت الحرب الأهلية في جبل لبنان، وتم توقيع النظام الأساسي عام ١٨٦١، مما جعل لبنان مقاطعة عثمانية، لها حكم ذاتي، تضمنه القوى العظمى الست، التي وقعّت هذا الترتيب مع الباب العالي، وكان المتصرف هو الذي سيرأس السلطة، مسيحياً غير لبناني، يعاونه مجلس إدارة مؤلف من ١٢ عضواً، ينتخبون على أساس انتمائهم الديني، وعلى أساس نسبة حجم المجموعات الدينية، وبالترتيب التالي: ٤ موارنة، ٣ دروز، ٢ روم أرثوذكس، ١ روم كاثوليك، ١ سنة، ١ شيعة[٢] ولم يكن ما حدث يومها محصوراً بتلك الفترة، بل العقلية، إلى إدارة جبل لبنان، سوف تبقى إلى فترات طويلة تحسب عديد الطوائف وتعطي التمثيل، تقول الدكتورة سعادة: "وهكذا حدد مصير لبنان فيما يختص بالتراتبية الإجتماعية، فمنذ تلك اللحظة وحتى يومنا هذا كل التمثيل السياسي وكل النشاط السياسي يقوم على فكرة الإنتماء الديني، وأصبحت فكرة العلمانية والطبقية بعيدة جداً، كما كانت بعيدة تحت النظام العثماني"[٣].

تمتد تجربة المتصرفية من عام ١٨٦١ حتى ١٩٢٠ تاريخ إعلان لبنان الكبير، وتعاقب على حكم الجبل مجموعة من المتصرفين، وحكموا مباشرة، وكان هناك هيئات، اختيارية ولاحقاً بلدية منتخبة، وكان الفساد مرافقاً تقريباً جميع من تولوا

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon ص ٥٢ دار النهار ١٩٩٣

٢- المرجع نفسه، ص ٥٣.

٣- المرجع نفسه، ص ٥٣

على الحكم، لكن الكثير مما تأسس "من أسلوب الفساد" سوف يرافق التجربة في المراحل اللاحقة، أي فترة الإحتلال الفرنسي المباشر، أو ما سمي بالإنتداب، وحتى مرحلة الإستقلال.

أما فيما يخص تمثيل الطوائف، كان جبل لبنان يقدم على مجموعتين رئيسيتين الموارنة والدروز، لبنان الكبير عام ١٩٢٠ أصبح يضم الشيعة والسنة، بأعداد كبيرة، مما أدى إلى تعقيد الشكل الهرمي للبنيه الاجتماعية.

"ومع قدوم عام ١٩٣٦ تاريخ المعاهدة الفرنسية اللبنانية، وفي تبادل الرسائل بين رئيس لبنان "إميل إده"، والمندوب السامي "دي مارتيل" تم الاتفاق على أن تمثل كل الطوائف المغلقة في الإدارة والحكومة بشكل عادل، هذه الإتفاقية عرفت ب ٦و٦ مكرر، وأصبحت لتكون المبدأ الرئيس الذي على أساسه بني المجتمع اللبناني"[١] وتأمن الإعتراف بالمذهب الشيعي في ذلك العام.

وفي فترة الانتداب فترة وضع اليد الفرنسية مباشرة على الإدارة والقضاء، والجيش، والدرك، وكذلك على الإقتصاد. وتأسس الكثير من أساليب الفساد والرشوة، وآلية الإقتصاد بحيث راجت الشركات الحصرية للاستيراد والتصدير، وأعمال التجارة، إضافة إلى التلزيمات وتوابعها من الإفادات، ومع ميثاق ١٩٤٣، يقول رياض الصلح لبشارة الخوري: "إذا عومل المسلمون على قدم المساواة مع المسيحيين في لبنان مستقّل، حينئذ لن يطالب المسلمون بالوحدة مع سوريا"[٢].

وتكوّن عندنا المحصلة التالية: لبنان الكبير إبتداء بطائفة واحدة عام ١٩٢٠، تصل إلى ١٩٤٣ يصبح عندنا طائفتان: سنة وموارنة، سرعان ما يتبعها طائفتان أخريان الدروز والشيعة، ومن ناحية تكلم الرئيس بشارة الخوري بإسم المسيحيين، وليس الموارنة فقط، تكلم الصلح بإسم المسلمين وليس السنة فقط.

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon دار النهار ١٩٩٣،ص ٥٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٥٨.

وبعد الإستقلال ١٩٤٣، تم الإعتراف بأن الطائفة المارونية، هي التي ستقود البنية الهرمية في لبنان، حتى على أساس مؤقت.

وللبنان قصة غريبة مع الإحصاءات، فمنذ ذلك التاريخ البعيد للتنظيم السياسي الإداري قائمقامية ومتصرفية، ولبنان كبير، فاستقلال، كان الإحصاء السكاني له محاذيره السياسية، وهو من الأسرار العليا للإدارة "ولكن إحصاء ١٩٣٦، ظهر أن الموارنة أكثر عدداً، تبعهم السنة، ثم الشيعة، وكان على هذا الأساس بنيت الهرمية السياسية للطوائف، ولم يجر إحصاء واضح منذ ذلك الوقت"[١].

ومع وصول لبنان إلى الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، كانت السلطة والإدارة والجيش في لبنان، تسير على سيطرة الطائفة المارونية، أو ما عرف بالامتيازات المارونية". أما ما سمّي بعد ذلك بالمارونية السياسية على الجهاز الحاكم، وكان دور المسؤولين من طائفة الموارنة في المرتبة الأولى، يتبعهم بعض الصلاحيات لرئيس الوزراء والوزراء، من ثم يأتي دور المجلس النيابي، ورئيسه من الطائفة الشيعية.

١- د. صفية سعادة the social structure of Lebanon ص ٥٨.

الجمعية العاملية

كانت الحرب الأولى قاسية على جبل عامل، إذ سيق الناس إلى الجندية أفواجاً، واشتد البلاء، وعمت الفوضى جرّاء حرب تركت الآلاف من الأطفال يتامى، والألوف من النساء أرامل، وعطلت الأعمال وقضت على التجارة والصناعة، فهبط فريق من الناس إلى الساحل، فأصاب بيروت نصيب كبير منهم[١].

"وقد تولّد عند شيعة بيروت قلق نفسي مضنٍ، عائد بالدرجة الأولى لكونهم يعيشون في مجتمع جديد وغريب عنهم، ولاقى الكثير منهم صعوبة في الاندماج في هذا المجتمع المدني في بيروت"[٢].

"وكان أهل بيروت إذا رأونا في السوق يقولون هؤلاء أخواننا الشيعة"[٣].

كان الحاج يوسف بيضون من أوائل الشيعة يسكن بيروت، أتى من الشام، كان ورعاً، وكانت توضع عنده الأمانات، ولمكانته الإجتماعية كونه تاجراً، فمعظم الشيعة الفقراء، الذين يتعرضون للمشاكل، كانوا يلجأون إليه.

رزق الحاج يوسف بأولاد عدة، محمد، محسن، سليمان، حمزة، ورشيد[٤].

وقد حصلت حادثة انتشرت يومها، وهي وفاة ثلاثة من أبناء الشيعة في مستشفى

١- مجلة العرفان.

٢- بيان الاعمال الجمعية العاملية للسنوات ١٩٢٥- ١٩٢٧ ص ٣.

٣- اعيان الشيعة، المجلد العاشر ص ٣٤٦ دار التعارف بيروت ١٩٨٦.

٤- مقابلة للباحث مع السيد هدى رمضان.

الروم، فلم يكن باستطاعة ذويهم نقلهم إلى الجنوب لدفنهم، لفقرهم وتم دفنهم بواسطة إدارة المستشفى. وكانت هذه الحادثة دافعاً مباشراً لأن يتداعى بعض رجالات من الشيعة، ويعملوا على تأسيس جمعية، تعني بشؤون الشيعة وأحوالهم في بيروت"[١].

إن تأسيس الجمعية العاملية عام ١٩٢٣[٢] كان المؤشر الأول للتعاطي مع الحرمان والعوز الاجتماعي، من منظور إجتماعي حضاري حديث، يهدف إلى تنظيم المجتمع خلف شعارات وأهداف، ويسعى إلى تحقيق الأهداف، تحقيقاً سلمياً، فبعد مشاورات مع المرجع السيد محسن الأمين، تقدم رشيد بيضون بطلب لدى الدوائر المختصة، للحصول على إذن رسمي بتأسيس الجمعية.

تألفت الهيئة الإدارية من:

- الرئيس: رشيد بيضون.
- نائب الرئيس: سليمان الزين.
- أمين السر: أديب فرحات.
- أمين الصندوق: سليمان يوسف بيضون.
- المحاسب: الحاج علي يعقوب.

وقد جاء هدف الجمعية واضحاً، من خلال البيان الأول، وما ورد فيه "تأسيس جمعية خيرية للأعمال الميدانية كالتمريض، ودفن الموتى، وإغاثة الملهوفين ورفع العوز عن المحتاجين، وإنشاء مدرسة أهلية ترضع أبناءها لبان العلوم، والمعرفة الحقيقية، وقد بنت مدرسة إبتدائية سنة ١٩٢٩ عدد تلامذتها ٣٠٠ تلميذاً.

بقيت إبتدائية حتى سنة ١٩٤٥، إذ افتتحت الصفوف المتوسطة والثانوية عام ١٩٤٧[٣].

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٣٢

٢- علم وخبر رقم ٤٤١-١-٢ تاريخ ١٢ حزيران ١٩٢٣.

٣- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٣٢.

"وفي تلك الفترة، أوائل الثلاثينات من القرن العشرين، نزح العديد من الشباب إلى بيروت، وكانت مراكز إيوائهم أحياء الخندق الغميق، البسطا التحتا، زقاق البلاط، عين المريسة، وعملهم كان "العتالة" ومسح الأحذية، وأعمال التنظيفات"[1].

لم يكن كل الذين تركوا قراهم للعيش والعمل في بيروت، في حاله إجتماعية، إقتصادية معدمة، لكن المهاجرين الأوائل إلى بيروت، كانت لهم رغبة ونشاط لتغيير أوضاعهم، فلم يكن لهم رعاية أو وسائل دعم غير قدرتهم ونشاطهم ومثابرتهم. إذ إن بعضهم مارسوا بيع الكتب، في مكتبات صغيرة في شارع الأمير بشير، وقبل ذلك بقليل قدمت إلى بيروت عائلات شيعية تركزت في منطقة سوق سرسق، ودرج خان البيض، وسوق الأحذية وكان يدعى "سوق الأرمن" حيث كان يحيط بكنيسة مار جرجس في منطقة المعرض، كان لديهم رأسمال صغير، عملوا في الأفران، وبعضهم كان يبيع المنتوجات الجنوبية، مثل البيض والدجاج أمثال آل قبيسي، وقسم يبيع الأحذية المستعملة، والثياب "الباله" من آل مطر، وقسم يبيع المنتوجات في شارع الأرغواي من آل صفا[2].

وفي البدايات كانت حياتهم من الصعوبة بمكان، إذ إنهم "كانوا ينامون كل ٣٠ – ٤٠ رجلاً في غرفة كبيرة في منطقة خندق الغميق، لعدم وجود منازل من جهة، وارتفاع أسعارها، أو بدلات إيجارها من جهة ثانية، وكانت بيروت خارجة من الحرب الكونية الثانية[3].

يضيف السيد رمضان: "وكان مبنى إدارة العاملية، مكوّناً من غرفتين صغيرتين في الطابق الأرضي، وغرفتين في الطابق العلوي، وهناك مكتب ملحق بها. وكنت

١- علي عبد فتوني، تطور التعليم في مدارس الجمعية العاملية ص ١٠.

٢- السيد هدى رمضان، مقابلة مسجله للباحث معه.

٣- نفس المصدر.

أجلس في مكتب واحد مع الرئيس رشيد بيضون[١].

على الرغم من بساطة الوضع وبدائيته في العاملية والتعليم، كانت مناطق أخرى أو في المنطقة نفسها كانت تقدم فيها صروح العلم الواسعة والمتطورة، والتي تضم طلاباً محظيين، كانت بعضها مقصداً للشيعة الأثرياء وهم قلة.

ومن تاريخ تلك الفترة، قدم السيد هدى رمضان إلى بيروت عام ١٩٤٢ واستلم إدارة مكاتب الجمعية للإشراف على التفتيش، على المدارس التابعة لها، وكان عددها ٣٦ مدرسة في جميع أنحاء لبنان مع ملاحظة أنه لم يزد عدد الطلاب عن ٣٠٠ تلميذاً في بيروت. إنه ضيق المكان وضيق ذات اليد.

يضيف السيد رمضان: "أقام بيضون علاقات مع مغتربين، وخاصة في أفريقيا، وساعدوه في تشييد مبنى العاملية الحالي في رأس النبع، ساهموا في الدعم المادي"[٢].

وفي مجال التنافس السياسي، الذي أنتج تنافساً تربوياً، يقول السيد رمضان: "لم يقبل زعماء الجنوب أن تكون بيروت والشيعة فيها ضمن نفوذ آل بيضون فقط، ولأن أغلب عمال بيروت كانوا شيعة وجنوبيين، كان يوسف الزين أكثر المعاندين، فقام ولأسباب سياسية وافتتح مدرسة في البسطا التحتا، والتحق بمدرسته قسم من طلاب العاملية. وحاول أن يتصل بأعضاء في الجمعية، مثل حسن خليل الزين بداعي القرابة، وعمل على تقريبهم من بعض آل مطر إلى خطه السياسي"[٣].

وحول العلاقة مع إيران يومها، يقول السيد رمضان: كان عندنا في الجمعية العاملية بعثة إيرانية، ودرّسنا اللغة الفارسية، والنائب رشيد بيضون عمل عندما كان في اللجنة النيابية التربوية على تثبيت اللغة الفارسية كلغة حية في لبنان، وكانوا

١- السيد هدى رمضان، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

يدفعون لنا ٦٠ ألف ليرة لبنانية، من أجل إحياء عاشوراء[١].

ساهمت الجمعية العاملية في تكوين مناخ شيعي عام، برز في أهمية التجمع والمطالبة، فالتجمع ضمن أطر قانونية مرخصّة، أعطى للعوام من المواطنين طعم القوة والمنعة فالشعور بالمتحد الاجتماعي، ولو في حدوده الدنيا، يبث في الفرد الإطمئنان، إذ إن الدولة يومها لم تستطع خلق هذا الشعور لدى الفرد الضعيف، ومن الواضح كان سبق الطوائف اللبنانية الأخرى كلها تقريباً إلى العمل، من ضمن حركة ما، حزب ما، جمعية ما.

١- السيد هدى رمضان، مقابلة مسجلة للباحث معه.

المجلس النيابي والحرمان

عرفت جلسات مجلس النواب اللبناني بعض الأصوات النيابية، المطالبة برفع الغُبن عن المواطنين، من سكان "الملحقات"، وبخاصة عن تلك المناطق النائية في الجنوب - عكار - البقاع - جرد جبيل، حيث كان يسكن في بعضها أغلبية شيعية.

وجاء في المحاضر: وفي عام ١٩٣٧، استعرض نواب جنوب لبنان، رشيد بيضون، أحمد الأسعد يوسف الزين، في جلسة لمجلس النواب معاناة جبل عامل على الصعد كافة، طرقات - مياه - زراعة - وظائف وأشاروا إلى طبيعة تلك المعاناة بقولهم، "وكثيراً ما طلبنا إنصافنا ولم نُجَبْ"[١].

وبعد أن فشلت مطالبة النواب المتكررة للإنصاف، إتجه النواب إلى الإنسحاب من الجلسة، كما جرى في ١٤ ك١ عام ١٩٣٧. إذ أعلن نواب الجنوب إنسحابهم من جلسة مجلس النواب، والمنسحبون كانوا صبري حمادة - أحمد الحسيني - أحمد الأسعد - علي العبدالله - مارون كنعان رشيد الحرفوش - يوسف الزين - إبراهيم عازار - رشيد بيضون[٢].

ومن ذكر الأسماء يبرز بوضوح أن النواب ليسوا جميعهم من دوائر الجنوب بل أوسع إذ إن السيد صبري حماده يمثل البقاع، والسيد الحسيني يمثل جبيل.

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٣٥.
٢- المصدر نفسه ص ٣٦.

"وبتاريخ ١٧ ك١ عام ١٩٣٧ وجه النائب رشيد بيضون سؤالاً إلى الحكومة حول الحقوق والإنصاف"[١].

ويشارك النائب يوسف الزين في جلسة ١٨ شباط ١٩٣٨ النيابية قائلاً: "إن الضرائب كثيرة، وطرق جبايتها ترهق المكّلف، "قانون حصر التبغ" وتحصيل الغرامات الفادحة من الأهالي، وزجهم في السجون على مخالفات بسيطة، كل هذا أدى إلى صراخ الأهالي من الشمال إلى الجنوب، فالواجب يقضي الإنقاذ من شركة الحصر وأعمالها بالملحقات[٢].

وفي سنة ١٩٣٨ شارك نائب الجنوب كاظم الخليل بقوله "إن العناية بالصحة في الملحقات أمر ضروري، فمستشفى صيدا يبلغ عدد الأسرة فيه عشرة، لمرضى كثيرين، العناية الصحية يجب ألا تخص منطقة دون أخرى.

ومن البقاع يأتي صوت النائب صبري حماده، ليعرض سوء الحالة في منطقته، حيث يقول: "مناطقنا محرومة من الأطباء، ففي كل سنة تمر الملاريا على القرى، لا تتركها إلا وتذهب بأرواح (١٥٠-٢٠٠) شخص"[٣].

إثر ذلك فرّت الناس من الإجحاف والإرهاق، وهجرت إلى فلسطين وإلى داخل لبنان، بيروت.

هذه عينة بسيطة من مطالبات نيابية لحقوق بعض الملحقات، إذ إن الصوت النيابي، لم يقصّر بالمطالبة ورفع الصوت، لكن "السلطة" كانت لا تتجاوب مع المطالبة بإنصاف المناطق المحرومة من الخدمات التربوية، والصحية، والاجتماعية، وغيرها من حاجات المواطنين، مرّة عن عجز مادي، ومرة أخرى عن عنصرية طائفية، مناطقية، ومرّة ثالثة عن غياب التخطيط الشامل للمناطق والمدن.

---

١ غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٣٦.

٢- المصدر نفسه ص ٣٦.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٨.

ولأن المطالبة النيابية لم تنفع فتش الشعب عن وسائل أخرى لتحقيق أهدافه الإجتماعية والإنمائية والسياسية، فكانت الحركات الحزبيه، التي لعبت الدور الأبرز في الحياة والسياسية في لبنان.

والكتائب والنجّادة والطلائع

سافر الشيخ بيار الجميّل إلى أوروبا في رحلة رياضية من ثلاثينات القرن العشرين، وكان ذلك زمن صعود التيارات النازيه والفاشية، في كل من ألمانيا وإيطاليا، تأثر الشيخ بالروح العسكرية الشوفينيه المرافقه للتحركات السياسية.

وعندما عاد إلى لبنان، رغب بإنشاء حركة مشابهه لتلك الحركات، التي عاينها في أوروبا. وبعد مشاورات مع الإدارة الفرنسية للإنتداب في لبنان، قرر مع بعض مجايليه، إنشاء منظمة "الكتائب" ويظهر من التسمية، الصيغة العسكرية في روحها وسلوكها.

وبعد توقيع المعاهدة اللبنانية - الفرنسية ١٩٣٦. أدت منظمة "الكتائب" دوراً بارزاً كإطار جماهيري لإعداد الغالبية من المسيحيين، تحت شعار كيان لبنان المستقل عن البلاد العربية، والمرتبط بفرنسا، في بداية تأسيس الكتائب أوكل إليها دور الرد على المظاهرات الوحدوية، يقول بيار الجميل: "أجبنا على مظاهرات طرابلس بمظاهرات في إهدن وجونية وجبيل" وأضاف: "كان علينا أن نثير أزمة كي نرسم حدود وطننا على الخرائط الجغرافية وفي الكتب المدرسية"[١].

وتكونت اللجنة التأسيسية من السادة بيار الجميل، جورج نقاش، شفيق ناصيف، إميل يارد، وخصصت قيادة الجيش ضابطاً عسكرياً فرنسياً، لتدريب الكتائبيين على التمارين العسكرية[٢].

١- لبنان بين الواقع والمرتجى ١٩٧٠ ص ٢٥٥.

٢- الكتائب اللبنانية، بيار الجميل دار الطباعة والنشر اللبنانية، بيروت ١٩٥٠ ص ٣٠.

عملت الكتائب كأداة ضاربة، إلى جانب القوات الفرنسية، كانت وظيفتها التصدي للتيار العروبي واليساري والإسلامي، وأي شكل من أشكال التمرد والتحرك المطلبي في الشارع، وفي أروقة السياسة، "وانحصر انتشارها ضمن الطائفة المارونية والكاثوليكية وأماكن تواجدهم"[١].

وبقيت في ذلك الدور حتى ظهور بوادر الإستقلال، وفي اللحظة السياسية الأخيرة، تركت إدارة الانتداب، وسارت في طليعة المطالبين سياسياً وشعبياً لنيل الإستقلال الوطني.

وفي ردة فعل إسلامية، قامت شخصيات بيروتية بالإيعاز لعدد من الشباب من الطائفة الإسلامية، لتأسيس منظمة شبه عسكرية، تقف وتواجه نشاط حركة منظمة الكتائب المسيحية الطابع، فبادرت مجموعة من الشباب مؤلفة من عماد الصلح، محي الدين نصولي، حسين سجعان، جميل مكاوي، عبدالله دبوس، وحسن حيدر، وقد انضم إلى تلك الشخصيات أعداد من الكشاف المسلم، وغيرهم من الشباب، ما أدى إلى تشكيل تنظيم شبه عسكري أطلقت عيه اسم النجادة[٢].

وقد انبثقت النجادة عام ١٩٣٦ عن جميعة الكشاف المسلم، الذي كان منتشراً في سوريا ولبنان منذ العام ١٩١٢[٣].

مثلت "النجادة" الإتجاه الإسلامي السني، المؤمن بالوحدة العربية، الذي يمثله فريق من المسلمين، دعاة الوحدة. والذي رأى أن توقيع المعاهدة الفرنسية – اللبنانية عام ١٩٣٦ تكريس نهائي للكيان اللبناني بحدوده القائمة، وهو ضرب لآمالهم الوحدوية، ما أدى إلى خروج التظاهرات الإسلامية، ومع ما رافقها من صدامات طائفية في المناطق المختلطة"[٤].

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٥٦.

٢- عبد المنعم شعيب، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ص ٧٨٠.

٣- د. حسان حلاق الجذور التاريخية للميثاق الوطني ص ٢٣.

٤- حسان الحلاق- الجذور التاريخية للميثاق الوطني ص ٢٣.

وقد لعبت النجادة دوراً مميزاً فعالاً، عندما وصل إلى رئاستها السيد عدنان الحكيم. وقد كان لها مشاركة واضحة في أزمة ١٩٥٨، والإصطدام الطائفي، وكانت في طليعة التيار العروبي، الذي مثله جمال عبد الناصر في لبنان.

وفي هذه الأجواء، بدأت بعض الأصوات الشيعية النيابية تتعالى، فتحدث النائب رشيد بيضون عن هضم حقوق الشيعة.

في جلسة ١١ تموز ١٩٤٤، وبعد الجلسة تلك، وبعدما مثلت الكتائب الموارنة بخاصة، والمسيحيين بعامة، ومثلت النجادة الطائفة الإسلامية السنية، وعلى الرغم من انضواء العديد من الشباب الشيعي فيها، ووصلت العدوى للطائفة الشيعية، فبدأت قياداتها تفكر بتكوين تنظيم مماثل للتنظيمين المذكورين، وقد وجدت "خميرة" لذلك التنظيم، ألا وهو الكشاف العاملي. فكان ذلك إيذاناً بولادة تنظيم يمثل تلك التطلعات في السياق الطائفي الحزبي. فأسست "الطلائع" من نفر من الشباب المخلصين، الذين وعوا رسالة الشباب وفهموها اتحاداً ينتج قوة وتضامناً، حول فكرة يؤدي إلى تحقيقها.

قدم البيان من المؤسسين لمنظمة الطلائع بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٤٤ وهم: معروف السموري، هدى رمضان ممثل لدى السلطة، علي أحمد يوسف، عبدالله مطر، بقصد إنشاء منظمة رياضية، لأجل الألفة بين الشباب وتنمية الروح القومية"[١].

وقد ورد في المادة ١٥ من قانون الجمعية، نلحظ أن في حال حلّت المنظمة، وتوقف عملها السياسي تعود أموالها وممتلكاتها إلى الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية[٢].

وأعطي العلم والخبر بتأسيس منظمة الطلائع، تحت رقم (٩٠١) تاريخ ٣٠

١- حسان الحلاق- الجذور التاريخية للميثاق الوطني ص١٢٠.

٢- طلب تأسيس منظمة الطلائع وغسان عيسى ص ١٢٨.

حزيران العام ١٩٤٤ بناء على المرسوم رقم (٢) المؤرخ ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٣، ووفقا لقانون الجمعيات العثماني، ولقراري المفوض السامي ١٤٦ و١٧٢ بتاريخ ٤ تموز و١٣ آب العام ١٩٣٤، موقع من وزير الداخلية آنذاك كميل شمعون.

وقد ورد في القانون الأساسي: مؤسسة قوميّة وطنية، اسمها الطلائع وكانت أهدافها:

١. سيادة لبنان الكاملة.

٢. توطيد التعاون مع البلدان العربية الشقيقة وتوثيق الروابط مع المغتربين.

٣. تهيئة الأساليب لتكون عموم اجزاء لبنان في مستوى واحد ثقافيا وعمرانياً وكان الشعار (حياة - حرية - مساواة).

أما الرمز فكان سيف ذو الفقار، أي سيف الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام الرئيس الأعلى، رشيد يوسف بيضون[١].

وقد ورد أسماء أحمد إسبر، ومحمود عمار كعضوين سابقين في المجلس الأعلى، قبل أن يغادرا لاحقاً، الأول إلى حزب الكتلة الوطنية بزعامة ريمون إده، ويترشح عن منطقة جبيل، ويأتي نائباً والآخر، يغادر إلى حزب الوطنيين الأحرار بزعامة كميل شمعون حيث يترشح عن دائرة بعبدا، ويأتي نائباً.

وجاء العام ١٩٤٤، فأصبحت منظمة الطلائع الإطار الحزبي السياسي للشيعة في لبنان وكانت أولى مهاماتها التوجه نحو النازحين الشيعة في بيروت، وفي القرى المهملة في المناطق الشيعية في لبنان.

اعتمدت منظمة الطلائع في تدريب عناصرها النظامية، على نظام وتدريب فرق الكشافة، يضاف إليها لمسات من تدريبات القوى العسكرية.

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص١٤٥.

وقد ورد في متن الأهداف من القانون الأساسي: "ولكن الطلائع وإن كان معظم أعضائها من الطائفة الإسلامية الشيعية، إلا أنها كانت تطمح أن تكون لكل اللبنانيين"[1].

يوماً بعد يوم، أصبحت الطلائع ممثلة للسواد الأعظم من الشيعة، ويعبّر عن ذلك زغردات النسوة والصبايا للطلائع حين تلوح بيارقها".

وجاءت تسمية بيت الطلائع المركزي أسوة ببيت الكتائب المركزي، وتجسيداً لنمط حزبي واحد، وهذا التماهي، لم يبق محصوراً في هذه الزاوية وفي لبنان فحسب، فإن المنظمات والأحزاب في لبنان وسوريا، اعتمدت على عسكرة شبابها في لبنان (الكتائب، النجادّة، الوحدة الوطنية، الجبهة القومية، الحزب السوري القومي الاجتماعي وفي سوريا، ظهرت القمصان الحديدية والقمصان البيضاء..)، في هيكلية على غرار تنظيم الجيوش في الدول، قادة وضباطاً عناصر، ورتباً، ألبسة موحدّة[2].

اعتمد النائب رشيد بيضون في حملته النيابية والسياسية، والحزبية على أرقام وإحصاءات استقاها من دوائر رسمية، تؤكد فكرة حرمان الطائفة الشيعية من وظائف الدولة على جميع المستويات، قياساً لعدد السكان واضعاً اللوم على عاتق الدولة المنتدبه، وفي بعض الجداول تلك، يورد أن عدد الشيعة حسب إحصاء ١٩٣٢، وصل إلى ١٥٤٢١٨ مواطناً من أصل سكان لبنان البالغ ٧٨٥٧٢٩ مواطناً.

وبذلك تكون الطائفة الشيعية عددياً في المرتبة الثالثة، الامر الذي لم ينعكس على نسبة الوظائف الرسمية، التي حصلت عليها الطائفة المبينة في الجدول الاتي:

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ١٥٣.
٢- المصدر نفسه ص ١٦٩ نقلاً عن جريدة النضال عدد ٧٨٩٧ راجع مصطفى المقدم.

الوظائف	من اصل
٤ حكام صلح	٣٠٠
محافظ واحد	٥
مفوض شرطة	١٨
٤ موظفين	٢١٠
٤ حجاب	--
قائمقام واحد	١٣
٤ مساعدين قضائيين	٣٥٠
١١٧ دركياً	١٠٧٥
١٦ شرطياً	٤١٤

وهذه الأرقام، هي مجموع موظفي الشيعة في القطاع الرسمي.

ويتابع، إن الشيعة يقبضون ٦٢٠٠٠ ليرة لبنانية سنوياً، نسبة لما يقبضه سائر الطوائف ١/٥٨.

ويدفع الجنوب ٨٠٠ الف ليرة على شكل ضرائب، تشكل ربع الميزانية ¼ ويختم بيضون إن الدولة المنتدبة هي المسؤولة[١].

وعندما برزت الطلائع كحاضن لأبناء الطائفة، انسحب العديد من الشباب الشيعة من النجادة وانضموا إليها[٢]. بخاصة عندما ظهر ان الطلائع تمنع الإهانات، التي كانت توجه "لجماعتنا بخاصة لأصحاب المهن الوضيعة".

١- رشيد بيضون، قول وفصل ص ٣٤.

٢- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٢٢٧.

وفي التنظيم الداخلي، طُلب من الشباب الذين يرغبون بمزاولة الرياضة، أن يجهزوا أنفسهم. وتوجه البعض منهم لمتابعة تحصيلهم العلمي في الفترة المسائية، وعمل البعض في مجال التدريس لمحو الأمية المتفشية بين الشباب. وكانت الأحوال الاجتماعية على مستوى من الضعف، إذ طلب المسؤولون في الطلائع من الشباب أن يغيروا ملابسهم الرثة القروية، ويحّسنوا أوضاعهم، وشرحوا لهم ضرورة الإغتسال وأمّنوا لهم ذلك[1]. وعلى الصعيد التنظيمي "كان هناك عشر مناطق تنظيمية، كل منطقة فيها قادة وضبّاط، وسميّت كل فرقة باسم أحد الأئمة الإثني عشر"[2].

وانتشرت الدعوة بشكل تلقائي، فكان الشباب عندما يغادرون بيروت إلى قراهم في الجنوب والبقاع، ينشرون الدعوة. وبعدما تطور الوضع لجهة عدد الأنصار. "فكرنا بالإنتقال من مركز العاملية القديم، إلى المركز الجديد في رأس النبع"[3].

وهكذا أصبح للشيعة تنظيمهم، الذي يقف على قدم المساواة مع الكتائب والنجادة. إن لجهة العدد أو التنظيم. وكانت الروح العسكرية "رياضية" سائدة وكانت الطلائع قد أظهرت قدرة فائقة على حشد الأنصار، وحسن التنظيم في مناسبات عدة، أبرزها "الاحتفال الذي أقمناه في أثناء زيارة مرجع الشيعة إلى بعلبك التي قصدها للإصطياف، وكان لتلك الزيارة الأثر الطيب"، وفيما خص المسيرات يضيف السيد رمضان: "فقد اعتبر حشد الأنصار وتنظيمها من علامات القوة، وقد تكون تلك المسيرة الهائلة، التي نظمتها الطلائع يومها إثر مسيرة للكتائب وأخرى للنجادة، تلك المسيرة الكبيرة، هي التي أخافت القوى الشيعية الأخرى ونبهت باقي القوى الطائفية".

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٢٢٧.
٢- مقابلة مع السيد هدى رمضان.
٣- المصدر نفسه.

يتابع السيد رمضان: "انطلقنا في تلك المسيرة من جامع عمر بن الخطاب - جامع العاملية، باتجاه الحرش، مروراً بالنويري، فالبسطا الفوقا، والتحتا، وصولاً إلى ساحة البرج، ومن ثم عدنا إلى شارع بشارة الخوري، وكانت برفقتنا موسيقى الطلائع، واضطلع بمهمة حماية المسيرة فرق من الطلائع من كل الأعمار. إن ضخامة المسيرة كانت حافزاً للقوى في السلطة وأنصارها من زعماء الشيعة، كي يدرسوا كيفية احتواء هذه الظاهرة الخطيرة، وقيل عن لسان الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح: "إذا قويت الطلائع أكثر فستصبح أهم من الجيش"[1].

وعندما تطّور الأمر واتجه استعراض القوة إلى الجنوب، فما كان من القوى، إلاّ أن اتخذت موقفاً عملياً، يتجاوز المراقبة والتحسب.

يتالبع السيد رمضان: "عندما فكّرنا باستعراض القوة في الجنوب، وفي اليوم الموعود، واجهنا في الدامور جماعة كاظم الخليل وأحمد الأسعد، بالإضافة إلى القوى الأمنية، وكان القصد الواضح، "لا يريدون لنا الذهاب إلى الجنوب"[2].

لم يكن من الحكمة بنظر الدولة محاربة الطلائع عبر أجهزتها مباشرة، لما يمكن أن يكسبها التفافاً شعبياً، بخاصة في ظل الأجواء الطائفية السائدة في البلاد. فكان التفكير بأسلوب آخر من النوع نفسه.

١- مقابلة مع السيد هدى رمضان.

٢- المصدر نفسه.

النهضة

وفي العام ١٩٤٥ بدأت محاولات أحمد الأسعد، لعرقلة مشاريع الجمعية العاملية، ومنظمة الطلائع الإصلاحية، فأصدر بياناً وجهه إلى المقيمين والمهاجرين، من ابناء الشيعة في جبل عامل، أعلن فيه عزمه على إنشاء جامعة في جبل عامل[١].

وعلى خطّ مواز، بدأت الخطة التي رسمتها القوى السياسية المعارضة للطلائع بالتبلور. فجاءت المواجهة ذكية ومن داخل التنظيم، إذ أحب فريق من الشباب الإنضواء تحت لواء الطلائع وإنشاء فرقة خاصة بهم، مستقلة مالياً وإدارياً عن الطلائع، وهدفهم بذلك تفتيت الطلائع وشرذمتها. رفض رشيد بيضون الفكرة، فلجأوا إلى الأسعد وبايعوه بالرئاسة، ووجدوا في جمعية خيرية تحمل إسم النهضة في برج البراجنة، فتبناهم الأسعد العام ١٩٤٦"[٢].

وعن طريق انتساب جماعة أحمد الأسعد لجمعية النهضة، أصبحوا أكثرية فيها، فانتخبوا النائب أحمد الأسعد رئيساً والمحامي محسن سليم مستشاراً قانونياً لها، وسرعان ما تبنى السياسي هنري فرعون حزب النهضة تمويلاً، فدفع مبلغاً من المال قدره خمسة آلاف ليرة، تشجيعاً وتنشيطاً للنهضة، وخصوصاً كان النائب رشيد بيضون يومها من حلفاء رياض الصلح، بينما كانت السياسة قد جمعت الأسعد إلى عبدالحميد كرامي، وهنري فرعون، الذي كان يحارب نفوذ رياض الصلح،

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٢٢٣.

٢- المصدر نفسه ص ٢٢٣.

وانقسمت القوى السياسية بين الطرفين، فأيد صبري حماده عمّه الأسعد[1].

وأيد عادل عسيران الطلائع، ومن الطبيعي أن تكون أهداف "النهضة"، هي أهداف الطلائع نفسها، لأنهما تنظيمان يعملان وسط الطائفة ذاتها، وفي ظل ظروف متشابهة.

والجدير ذكره أن جمعية النهضة، لم تنبثق مثل الطلائع، من ضرورة سياسية طائفية، شعبية، إنما جمعية مغمورة، قائمة من قبل، واستغل الاسم لأهداف سياسية، وبغية توظيف وانتشار شعبي أسرع، ومن هيئة قادتها:

أحمد الأسعد، رئيساً

خضر جوني، نائبا للرئيس

عباس الحاج

محسن سليم

عكيف السبع.

وكان شعار النهضة، الأرزة والسنبلتين رمز الجيش اللبناني، وكان الزي مثل الجيش اللبناني أيضاً. وقد شاركت "النهضة" إلى جانب النجادة والطلائع في احتفالات عيد الجلاء ١٩٤٧.

خلافات الطلائع - النهضة

مرة أخرى تدخل السلطة لتمنع نشاط الطلائع، إثر قرار برحلة إلى الجنوب، وتنظيم عرض في ثاني أيام عيد الفطر العام ١٩٤٦ في صيدا معقل رياض الصلح، اصدر وزير الداخلية صائب سلام قراراً منع الرحلة وبرنامجها. لكن حكومة رياض الصلح، أوعزت إلى قوى الأمن بمنع الطلائعيين من العودة إلى الجنوب، وتوقيفهم في صيدا[2].

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص٢٢٣.
٢- المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

وكانت الغلبة السياسية والأمنية للفئة المدعومة من السلطة، حيث ظهر الإنحياز في أكثر من حادثة مثبتة في سجلات القوى الأمنية.

فقد كانت الإعتداءات المتبادلة، تتم في معظم الأحيان بحادثة فردية. يتبعها صدام وعراك، سلاحه العصي والحجارة والمدى والمسدسات"[١].

وكان المدعو خضر الجوني من النهضة أقوى البارزين، وعنصر قوته، علاقته المباشرة بالوزير هنري فرعون. فقد اتخذ له مركزاً في كاراج صيدا، "ساحة رياض الصلح لاحقاً" مع بعض الشباب وكلما رأوا أحد الطلائعيين يسير ويعلق على صدره زراً، يمسكونه ويدخلونه إلى الكاراج، ويوسعونه ضرباً مبرحاً"[٢].

هذه العراقيل والإشتباكات الفردية المدعومة من السلطة، لم تثنِ الطلائع من الإضطلاع بدورها الوطني، إذ "شاركت في احتفالات الجلاء العام ١٩٤٧، وتمت لقاءات لها مع الكتائب في إطار المهرجانات والاحتفالات الرياضية ١٩٤٦-١٩٤٧"[٣].

ونتيجة زيادة حدة الإنتماء الطائفي، وانعكاسه على الحياة العامة، أصدر رئيس الوزراء في ٧ تشربن أول العام ١٩٤٦ تعميماً، حذر فيه عموم الموظفين من الإنتماء إلى المنظمات والأحزاب، وإحالة المخالفين منهم على المجلس التأديبي، ومن وحي هذه القرارات "إنسحاب ضابط طلائع جباع، وإنسحاب أمين السر العام عضو المجلس الأعلى[٤].

أثر ذلك القرار على النائب رشيد بيضون، فهاله ما يحدث، من اعتداءات على أنصاره ويعد أن أصبح الأخ يقتل أخاه، والإبن يقتل أباه، وأهالي القرية الواحدة

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٢٥٩.

٢- مقابلة مع السيد هدى رمضان.

٣- المصدر نفسه.

٤- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٢٦٤.

يتقاتلون في مذبحةٍ أتت على الزرع والبشر"[١].

لم يكن بمقدور رشيد بيضون أن يقف داعماً ومسانداً في هذه المأساة، بعد أن تأكد أن ما تتمتع به النهضة، من تغطية سياسية من المراجع العليا في الدولة، بشارة الخوري، هنري فرعون، رياض الصلح وصبري حماده. وهو مفرداً لا يستطيع المجابهة.

أسفرت السلطة عن وجهها أكثر من هذا الموضوع، عندما قامت باتخاذ قرار أكثر تخصيصاً. ولما كانت الكتائب هي ذراع الموارنة "الرياضي" كانت النجادة للطائفة السنيّة. ومثلت الطلائع الشيعة مما هدد زعامة أحمد الأسعد، الذي عمد إلى حلها عبر إنشاء النهضة، واقتتال أنصارها في كل مكان وبتاريخ ٨ آذار العام ١٩٤٧ أصدر وزير الداخلية قراراً رقم ٧٤٥ والقاضي بإيقاف نشاطات المنظمات، والأحزاب شبه العسكرية[٢].

لم يكن بمقدور رشيد بيضون مواجهة السلطة، فقال إثر القرار "لم آت لإذلال الشيعة، ولن أدعهم يقتتلون فيما بينهم، جئت لأعزهم لا لأذّلهم"[٣] استجابت الطلائع لقرار الحكومة، وقبلت قيادتها حل المنظمة، على الرغم من نجاحها على الصعيد السياسي، والشعبي، والخدماتي، فيما استمرت الكتائب والنجادة وتحولتا إلى أحزاب، إضافة إلى ارتداء عناصرها اللباس العسكري.

وما جرى مع منظمة الطلائع، جرى وبالأسلوب نفسه، مع جمعية الكشاف العاملي، الذي أسسه السيد رشيد بيضون في ١٨ اذار ١٩٤٧ وكجزء من محاربة السلطة له، أُسقط اسمها وعضويتها من اتحاد الأحزاب المكافحة للصهيونية سهواً"[٤].

١- غسان احمد عيسى، منظمة الطلائع في لبنان من خلال وثائقها الاصلية ١٩٤٤-١٩٤٧ ص ٢٦٩.
٢- المصدر نفسه ص ٢٦٩.
٣- المصدر نفسه ص ٢٧٣.
٤- المصدر نفسه ص ٢٥٩.

ورفض طلبها لإصدار جريدة سياسية أسوة ببقية الأحزاب من جانب وزارة الداخلية اللبنانية".

يقول لحد خاطر: "لقد تجاهلت الكتائب مرسوم الحل، وتابعت نشاطها السياسي"، إذ أدركت أنها ليست المقصودة بالقرار. إن صدور القرار كان فعلياً لحل الطلائع فقط، إذ إن النهضة كانت في حكم المحلولة. فقد كان لها وظيفة محددة، كشفها أحد مسؤولي النهضة السيد حسن اليتيم، قائلاً "إن إنشاء حزب النهضة، ليس تحقيق أهداف وطنية، بل ضرب رشيد بيضون عن طريق الطلائع"، وبحل الطلائع غادرت الطائفة الشيعية الصيغة التنظيمية، التي لجأت لها أسوة ببقية الطوائف واللبنانيين، وعادت إلى أحضان الإقطاع السياسي، بانتظار مرحلة أخرى، وصيغة تنظيمية أخرى، لقد اتضح من الوقائع السابقة أن إلغاء حزب "منظمة الشيعة" كان قراراً سلطوياً بامتياز، بإشراف مباشر سياسي، أمني، مالي من بشارة الخوري ورياض الصلح، وهنري فرعون وصبري حماده، وأحمد الأسعد، هذا القرار الكبير، وكي يتم تنفيذه فقد توسل بأدوات شيعية سياسية مقتدرة. وهذا الإنجاز السياسي وبعد إلغاء "الكشاف" و"الطلائع" انتقل رشيد بيضون ليرشح نفسه عن دائرة في بيروت، وعمد إلى رسم سياسة جديدة، تعتمد على الخدمات الاجتماعية والتربوية.

ساهم هذا الواقع في إطالة عمر الإقطاع السياسي الشيعي وخصوصاً الجنوبي، وألغيت حركة شعبية ضمت في صفوفها مواطنين عاديين، ولو كانت تحت قيادة رشيد بيضون، الذي لم يكن سلوكه إقطاعياً، بنى جمعية، ومدرسة أكملها بمنظمة، فقد ميّز نفسه وخطه، فكان الأقرب إلى الشعب، حيث أسس جمعية تعنى بشؤون الفقراء والمعوزين بالإضافة إلى مدرسة، ولاحقاً أسس فرقة كشاف، لقد غابت فكرة التنظيم عن الطائفة الشيعية منذ إنهاء نشاط منظمة الطلائع، حتى مجيء الإمام وتكوين حركة المحرومين، أوائل عام ١٩٧٥ عام بدء الحرب الأهلية.

هيئة النضال الإجتماعي

بعدما منع "كشاف الشيعة العاملي" وحزبهم "الطلائع" وأمام صمم السلطة عن سماع مناشدات ومطالبات واستقالات النواب، تحركت مجموعة من المثقفين والمتعلمين والمتنورين الشيعة، يبحثون عن حل.

يقول الدكتور عدنان حيدر: "شعر الشباب الشيعي المثقف، أنه مهضوم الحق في الدولة، وفي الهيئات شبه الرسمية، بشكل واضح العام ١٩٥٣ فتنادى مجموعة، كان من بين أولئك القاضي حسين حمدان، محمد شعيتو، القاضي محمد علي صادق، د. محمد فرحات[١]، ومنير ابراهيم، ضاهر حمزه، فهد يحي[٢]، ونصرت أبو خليل، محمود صفا، علي خليفة، خليل زين[٣] وآخرين.

كانت هذه المجموعة تعمل على تحقيق تنظيم شؤون الطائفة، يقول الأستاذ محمد شعيتو: "عملت أواخر ١٩٥٩، مطلع عهد الرئيس فؤاد شهاب، على وضع إحصاء لعدد الوظائف، وتقسيم هذه الوظائف على الطوائف، فقدمت هذه الإحصائية إلى الرئيس، وكانت أول دراسة من نوعها يطلع عليها رئيس الجمهورية، وكانت سبباً آنذاك في تحقيق بعض الإنصاف في المراكز العليا الأولى والثانية[٤].

١- الدكتور عدنان حيدر، مقابله للباحث معه.

٢- الاستاذ منير ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

٣- الاستاذ محمد شعيتو، مقابلة للباحث معه.

٤- المصدر نفسه.

يضيف الأستاذ محمد شعيتو: "عند الاجتماع الأول في مبنى "الريفولي" وسط البلد، بدعوة من النقابي العمالي حسين علي العلي، وبعد عدة اجتماعات انبثقت هيئة، وتولت الدفاع عن حقوق الطائفة الشيعية المهضومة، حصلت على الترخيص الرسمي من السلطات، باسم "هيئة النضال الاجتماعي"، وأن من أبرز الأهداف، الدفاع عن حقوق الطائفة الشيعية، ومناصرة الكفاءات والمواهب من هذه الطائفة.

ترأس هذه الهيئة د. عدنان حيدر، حتى تلاشت في أحداث ١٩٧٥ وأما عن إنجازات تلك الهيئة غير الإحصاء، يضيف الدكتور حيدر "تمكنا من جمع تبرعات، واستأجرنا مكتباً في شارع عمر بن الخطاب، في رأس النبع، كنا ندعو الزعماء لحفلات. لقد دعونا أحمد الأسعد، عادل عسيران، رشيد بيضون، كاظم الخليل وغيرهم. أقمنا الندوات للحوار، أسسنا مركزاً صحياً، أشعة ومختبر"[١].

وعن نظرة السياسيين إلى دورهم، يضيف الدكتور شعيتو "كان السياسيون ينظرون إلينا نظرة قد أقول عدائية نوعاً ما، كما كان المؤسسون لهذه الجمعية، يتطلعون إلى تنظيم شؤون الطائفة الشيعية، إسوة بطائفة السنة والدروز، فضلاً عن الطوائف المسيحية، التي رتبت وضعها قبل ذلك بكثير، وحدهم الشيعة كانوا بلا تنظيم"[٢].

وعن علاقتهم مع الإمام الصدر يقول الأستاذ شيعتو: "أوائل الستينات، علمنا أن هناك سيداً يدّرس في العاملية مادة الدين، تحدثوا عن ثقافته وفكره النيّر، دعوناه فاستجاب للدعوة، وتتالت إجتماعاتنا"[٣].

١- الدكتور عدنان حيدر، مقابله للباحث معه.

٢- الاستاذ محمد شعيتو، مقابلة للباحث معه.

٣- المصدر نفسه.

أحداث ١٩٥٨

كانت ولاية عهد الرئيس شمعون مليئة بالأحداث الهامة، التي شهدتها المنطقة العربية، "حلف بغداد عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥، حرب السويس عام ١٩٥٦، مبدأ إيزنهاور عام ١٩٥٧، قيام الوحدة بسوريا - مصر ١٩٥٨، لذلك من المحتمل أن يكون الرئيس شمعون قد أهمل موضوع الداخل، ليتفرغ للمسائل الخارجية[١].

لم يمر الوقت الطويل على استلام الرئيس السلطة، وقد ظهر توجهه في السياسة الخارجية، حتى تكونت المعارضة لحكمه من جهة: الاتحاد الوطني، التي ضمت الأحزاب التالية، الحزب التقدمي الإشتراكي، حزب النجادة، حزب التحرر العربي، حزب النداء القومي، حركة القوميين العرب، حزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الشيوعي، كما انضم إليهم عدد من النواب، الذين قدموا استقالة جماعية في ٩ نيسان ١٩٥٧ احتجاجاً على قبول مبدأ إيزنهاور، وعقد إتفاقية بموجبه مع الولايات المتحدة الاميركية، في ١٦ آذار ١٩٥٧[٢].

ومن محطات المواجهة السياسية، مهرجان المعارضة في بيروت ٣٠ أيار العام ١٩٥٧، الذي شارك فيه زعماء المعارضة من المناطق اللبنانية كافة" وقد تحول المهرجان إلى مظاهرة، اصطدمت مع السلطة وسقط نتيجته عدد من القتلى والجرحى[٣].

١- احمد عبود...... ص ٢٨.

٢- المصدر نفسه ص ٤١.

٣- الصدر نفسه ص ٤٣.

وقد عمل الرئيس شمعون على تزوير الإنتخابات العام ١٩٥٧، لإسقاط رموز المعارضة، فكان له ما أراد، أسقط كل من كمال جنبلاط، عبدالله اليافي، عبدالله المشنوق، صائب سلام، أحمد الأسعد، وفؤاد عمون.

لقد انحاز الرئيس شمعون بالكامل للغرب ومشاريعه في المنطقة، فقد أعلن ولاءه للغرب وأميركا بالتحديد، إذ صرّح بعيد تسلمه السلطة للمسؤول الأميركي في السفارة، "لبنان سيقف كلياً إلى جانب الغرب في حال وقوع الحرب بين هذا الأخير والسوفيات"[١].

ولم يكتف بهذا القدر من الولاء، بل كان أكثر تحديداً "إن موانئنا ستكون مفتوحة لاستقبال الأسطول البحري، ومطاراتنا لطائراتكم الحربية، سواء كان بيننا أي اتفاق خطي بهذا الشأن أم لا"[٢].

وفي نهاية العام ١٩٥٣ بادرت الولايات المتحدة لعقد اتفاق مع باكستان، لمدها بمساعدات اقتصادية عسكرية. كما عملت على تقريب وجهات النظر بين باكستان وتركيا، مما ساهم في عقد صداقة وتعاون، بين هاتين الدولتين في ربيع ١٩٥٤، وعمل العراق في ١٩٥٥ على التفاوض مع تركيا وباكستان برعاية بريطانية وأميركية، أسفرت تلك المفاوضات عن إقامة حلف دفاعي مشترك، بين هذه الدول، ضد المعسكر الشيوعي، دعي بحلف بغداد[٣].

ويحدد شمعون لسفير أميركا، إبان مجمل المشاكل، التي واجهها الآن، بدأت منذ رفضت قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، خلال أزمة السويس، وذلك بسبب ولائي للغرب[٤].

١-احمد عبود...... ص ٤٦..

٢- المصدر نفسه ص ٤٦.

٣- عباس بو صالح ازمة اللبنانية ١٩٥٨، ص ٤٥.

٤- المصدر نفسه، ص ٤٧.

وكانت عمليات تهريب السلاح للطرفين المتقابلين قائمة، وبعد شكوى الرئيس شمعون هذه العملية، استغرب السفير الأميركي في تقرير بعثه إلى وزارة الخارجية الأميركية في ٢٠ آذار العام ١٩٥٨.

"كيف يندد رئيس لبلاد موحدة، بمسألة تهريب السلاح إلى عناصر مسلمة، فيما هو متواطئ بمسألة تهريب السلاح إلى عناصر مسيحية"[١].

وكان اغتيال نسيب المتني في مطلع أيار برصاص "مجهولين" هو الباب الذي دخلت منه رياح ثورة ١٩٥٨. اتهمت المعارضة الرئيس بتدبير الإغتيال للصحفي الشهير"[٢].

وإزاء هذه الظروف عام ١٩٥٨ شعرت الطائفة السنية، وخصوصاً بعد قيام الوحدة المصرية - السورية بقوة إضافية، عادت بعض قياداتها للمطالبة بانضمام لبنان إلى تلك الوحدة. بدأت في التاسع من أيار انعكاسات التوتر السياسي، تؤثر عسكرياً وأمنياً على الأرض، فوقعت مواجهات عنيفة بين المقاومة الشعبية - كما كان يطلق عليها - وبين قوى الأمن الداخلي في بيروت. وبادرت المقاومة إلى إغلاق العديد من الشوارع المؤدية إلى الأحياء، البسطا التحتا والفوقا، المصيطبة وطريق الجديدة والمزرعة الداخلية والنويري والخليّة السعودية[٣].

١- عباس بو صالح ازمة اللبنانية ١٩٥٨، ص ٩٠.

٢- لويس الحاج- من مخزون الذاكرة "دار النهار" ص ٣٢.

٣- المصدر نفسه ص ٩٢.

مواقف الطائفة الشيعية من أزمة ١٩٥٨

لم تصل أحداث العام ١٩٥٨ إلى برج حمود، فالشيخ رضا فرحات، اتصل بأطراف الصراع، طالباً تحييد برج حمود، اتفق الشيعة مع الأرمن على الأمر، كان أحمد الأسعد لا يريد الاشتراك في الحوادث، ولم يستطع التهرّب من الإحراج. قال للناس إنه يريد أن يؤمن السلاح لهم من سوريا وغادر المنطقة[١].

أما شيعة بيروت، فقد اشتركوا وكانوا في الأحزاب، الحزب الشيوعي والحزب القومي وحزب البعث وغيرها، لقد كانت حرباً بين الطائفة السنية والمسيحيين. هكذا اعتبر بعض الشيعة الأمر. عبدِ الكريم الزين كان مع المقاومة لمصاهرته آل سلام. أما الجمعية العاملية فقد اتخذت خطاً حيادياً، ولم تشترك في الحرب.

وقد كانت الإنتفاضة في بيروت محصورة بجانب سلام، يعاونه في ذلك ضابطا ارتباط هما عبد الكريم الزين، ورشيد شهاب الدين[٢].

١- الشيخ محمود فرحات، مقابلة للباحث معه

٢- عباس بو صالح ازمة اللبنانية ١٩٥٨، ص ٩٤.

البقاع في أزمة ١٩٥٨

يشرح دولة الرئيس حسين الحسيني الموقف تلك الفترة. "لم يكن في بعلبك وجود للسلطة إلا ثكنة الشيخ عبدالله العسكرية، لم يسقط رموز المعارضة لشمعون في بعلبك - الهرمل فازت لائحة صبري حماده - ابراهيم حيدر، شفيق مرتضى، وفيليب تقلا، واللائحة المنافسة والخاسرة والمدعومة من الرئيس شمعون، كانت على الشكل التالي: سليم حيدر، مصطفى عبد الساتر، نايف أمهز، نصري المعلوف"[١].

ويضيف الرئيس الحسيني: ""عندما زار الرئيس عبد الناصر دمشق، كان كل أهل بعلبك في استقباله".

وكان الأستاذ غالب عباس ياغي أحد أبرز قادة التحرك ضد السلطة يومذاك، نتركه يروي الأحداث.

"كحزب البعث كنا جزءاً من المعارضة قبل أحداث ١٩٥٨ في ٤ - ٥ أشهر، قمنا بتدريب بعض الأشخاص كاستعداد لما يمكن أن يحصل، تحركنا في البقاع ضمن التحرك العام، وكان في البقاع رأي عام ناصري، وقومي عربي.

يتابع السيد ياغي: "وقف جماعة الحزب القومي السوري الإجتماعي في بعلبك مع السلطة، وكانت تلك الفئة الوحيدة المتدربة والمسلحة والمنظمة، كنا في حزب البعث وإلى جانبنا الحزب الشيوعي وبعض العشائر، ساهموا معنا، كان عندنا

١- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

حرية الحركة من بعلبك وإلى الشمال مفتوحة حتى حمص، كانت السلطة في البقاع متمركزة في الشيخ عبدالله ومركز الجامعة الاميركية - السفري، وأبلح ورياق وفي سيّار بعلبك"[١].

وحول الدور الذي أنيط بتلك القوى، يتابع السيد ياغي: "كانت وظيفتنا هي تشغيل قوى السلطة كي لا تُسحب إلى أماكن مشتعلة فيها الإشتباكات".

وحول موقف الجيش اللبناني، يجيب الأستاذ ياغي: "لم يكن الجيش معادياً بالكامل لأن فؤاد شهاب، لم يكن مع شمعون في رأيه وتحركه، كان التموين والبنزين مؤمناً من حمص وحول صيغة القيادة في بعلبك يورد السيد ياغي: "في بعلبك قمنا بتكوين قيادة تمثل كل الناس، كان معنا صبحي جعفر، عبدالله ضاهر الجبلي، محمد عباس ياغي، المختار حسين عثمان، المختار رضا رعد، عثمان الرفاعي، عادل الرفاعي، هاني حيدر".

وحول قيادات المناطق يضيف السيد ياغي: "كان هناك قيادة في منطقة اللبّوة بزعامة توفيق هولو حيدر، وفي الهرمل كانت بزعامة صبري حمادة، وكان في المناطق الأخرى قيادات مثل مصطفى طعان دندش، صالح نصرالدين، سعدالله المقداد، ونايف زغيب".

يروي السيد ياغي بعض تفاصيل تلك الفترة: "كان سوق بعلبك لا يقفل كلياً ضد السلطة، أرسلت أحد الشباب وأعطيته رزمة ديناميت، وطلبت منه أن يفجرها في الفضاء، وفي اليوم التالي سرت شائعة أن كل من لم يقفل متجره سوف يفجَّر".

وحول الحساسيات العائلية الصغيرة، يجيب السيد ياغي: "لم يكن لها حتى مكان في التحرك، حاول آل حيدر بما لهم من سلطة وعلاقات وضباط في سوريا، حاولوا أن يجعلوا المقاومة في البقاع تحت قيادة توفيق هولو حيدر. وفي اجتماع

١- الاستاذ غالب ياغي، مقابلة للباحث معه.

المسؤولين، طرح الموضوع فرفض من قبل الجميع، على الرغم من ضغط جماعة عبد الحميد السرّاج مسؤول المخابرات السورية، وكانت النتيجة أعطي آل حيدر بعض قطع السلاح"[١].

وحول انعكاس الأمر في الانتخابات النيابية في المنطقة، يجيب الأستاذ ياغي: "وأثناء الانتخابات النيابية صار تأثير صبري حماده، ضرورة لأن شمعون أسقط رموز المعارضة، فتخلينا عن ترشيح ودعم رياض طه مرشح الشباب إذ إن صبري حماده أصبح يمثل الخط الوطني القومي"[٢].

وبرز تلك الفترة دور مميز للمرأة، امتازت بذلك الدور بشكل أساسي السيدة ربيعة حيدر، وأم محمود الرفاعي، وتركز ذلك النشاط في مجال التموين، وإيصال الأسلحة والمساعدة الاجتماعية".

وحول التوزع الطائفي لعناصر الثورة، يقول السيد ياغي: "كانت القوى المسلحة في بعلبك مكونة من طائفتي السنة والشيعة، مع غلبة العناصر السنّية عددياً، كان هناك اندفاع أكثر من السنة"[٣].

ويورد الدكتور عباس بو صالح: "كان أبرز الأحداث في البقاع هو احتلال قرية النبي عثمان، التي كانت تحت سيطرة الحزب القومي الاجتماعي وانسحاب الحزب منها"[٤].

١- الأستاذ غالب ياغي، مقابلة للباحث معه.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

٤- عباس بو صالح الأزمة اللبنانية ١٩٥٨ ص١١١.

الجنوب وأحداث ١٩٥٨

في مدينـة صور، تم تشكيـل جبهة وطنية قوامهـا بعض الأحـزاب والشخصيات المعارضة في الجنوب لإستقدام السلاح والذخيرة، وكانت على اتصال دائم بجبهة الإتحاد الوطني في بيروت، وتمركزت المقاومة الشعبية في مدينة النبطية، فيما ظلت منطقة بنت جبيل، وكذلك منطقة جزين خارج نطاق العمليات العسكرية[١].

وقد ظهر بعض التنظيم للمقاومة في صيدا، وتوزعت المهمات المتنوعة على لجان مختصة.

ويبدو أن الضغط العسكري، الذي مارسته القوات الحكومية على المقاومة في الجنوب، لم يتطور إلى عمليات اقتحام بسبب جمود المقاومة الشعبية من جهة، ومسايرة قوى الجيش لهؤلاء من جهة ثانية[٢].

لم يكن للجميع في صور الرؤية نفسها لجهة حكم الرئيس شمعون، فللسيد كاظم رأيه وموقفه، وهذا ما أكده السيد خليل كاظم الخليل.

في بعض الجنوب، صور والقرى المحيطة بها أيد كاظم الخليل الرئيس شمعون، واعتبر أن عبد الناصر لم يكن قادراً على التفاهم مع كميل شمعون، وبرأي كاظم الخليل، ليس هناك مبادئ، ولا قصة وحدة عربية، كانت السفارة المصرية

١- عباس بو صالح الأزمة اللبنانية ١٩٥٨ ص ١٠٨.

٢- المصدر نفسه ص ١٠٩.

توزع السلاح، والسفير عبد الحميد غالب يتدخل في السياسة المحلية[١].

كانت "هيصة" كما يطلق عليها أثناء اشتعالها، تلك "الهيصة" كانت مقدمة ضرورية لنزع شمعون من السلطة، وكانت الأجواء مؤاتية، فكانت حظوظ قائد الجيش فؤاد شهاب، هي الأمثل من حيث توازنه تجاه الأطراف المتواجهة، وأتت الرياح الإقليمية والدولية لتؤكد ذلك، وانتهت "الثورة" بعدما طرح شعار "لا غالب ولا مغلوب" عبر منشورات توزع في المناطق اللبنانية كافة، وقد بدأ الهدوء يسيطر على الساحة اللبنانية، خصوصاً أماكن الاحتكاك الأمني في أحياء بيروت المتقابلة، وبقية بؤر التوتر والاشتباكات.

وأنزلت في ١٥ تموز، قوة من جنود البحرية قرب بيروت[٢] وفي ١٦ تموز وصل روبرت مورفي وكيل الخارجية الأميركية موفداً من إيزنهاور[٣] وكان ذلك للقيام بكل جهد ممكن، لإعادة السلام والهدوء إلى الحكم، ومساعدة الرئيس شمعون على ذلك[٤].

١- السيد خليل كاظم الخليل، مقابلة للباحث معه.

٢- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٧.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه.

الرئيس فؤاد شهاب

وصل اللواء فؤاد شهاب إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية بتاريخ ٣١ تموز ١٩٥٨ بعدما انتخبه مجلس النواب بأكثرية ٤٨ صوتاً مقابل ٧ أصوات نالها منافسه الأستاذ ريمون إده.

وكان اللواء قد دخل السياسة مرغماً عام ١٩٥٢، على إثر استقالة الشيخ بشارة الخوري، إذ تسلم رئاسة حكومة مؤقتة، أعطيت لها صلاحيات رئيس الجمهورية لمدة ١٢ يوماً.

وكان قبل ذلك في عام ١٩٤٥ اختاره الرئيس الخوري قائداً للجيس الوطني، بتوجيه من رؤسائه الفرنسيين، الذين شهدوا له بأنه ضابط ممتاز[١].

وصل الرئيس شهاب إثر حوادث ١٩٥٨ وكان موقفه من الأحداث مقدمة لوصوله إلى السلطة، حيث كان في قيادة الجيش، ورفض تدخله في الأوضاع السياسية، ورفض ضرب المعارضة عام ١٩٥٢ بعدما طلب منه الرئيس الخوري، إثر ذلك الإضراب الشهير، الذي استمر عدة أيام ضد العهد.

وعاد في أزمة ١٩٥٨ كي يقول: "أنا أعرف، الجميع ينتقدني، فالمعارضون يريدون مني أن أستلم الحكم، ولا أنتظر انتهاء ولاية الرئيس الشرعية، والموالون يريدون مني أن أوقف الثورة، وأضرب الثوار ولن أفعل"[٢].

١- جريدة الديار ٢٦ جون ١٩٩٧ دولي مشعلاني- الرئيس شهاب.

٢- باسم الجسر في مقابلة مع مجلة الصياد عدد ٥١٣٥ بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٥٢.

ولعلّ حقيقة الأمر "أن الرئيس شهاب كان تسوية على أساس أنه حل التعادل السلبي، ففي المباراة لم ينتصر أحد، لأن فؤاد شهاب لم يكن أميركياً ولم يكن ناصرياً، لكن كان يراعي هذا وذاك"[١].

إن تأثيرات حوادث ١٩٥٨ كبيرة، طالت الحياة السياسية اللبنانية، والاجتماعية، والدينية، وانعكس ذلك في بروز الروح الطائفية العالية إلى حد أن قال الرئيس شهاب: "أنا معكم، الطائفية السياسية كانت وستظل مصدر العلة والخطر، لكن ليتكم تجلسون معي يوماً واحداً، فتلمسوا كم هو صعب تجاوز الطائفية في لبنان، خصوصاً بعد قصة ١٩٥٨"[٢].

ويقول الأستاذ باسم الجسر: "من المؤكد أن بعد أحداث ١٩٥٨ نشأ في الأوساط المسيحية السياسية اللبنانية تفكير أن الشيعة يجب تقريبهم إلى جهتنا".

ومن جهته الإمام الصدر كان له رأي في تلك الأمور، إذ يقول أمام الكوادر الأولى للتحرك في مبنى المجلس:"لقد شاركنا في ثورة ١٩٥٨ وفي أثناء المفاوضات جلسنا تحت الطاولة"[٣].

ومن جهة رفض الإمام تسوية "لا غالب ولا مغلوب" يتابع الإمام الصدر: "هذه التسوية عادة تكرّس الغلبة، فلكي يسكتوا الغالب يعطوه أكثر من المغلوب، وإن كان على ضلال"[٤].

يعلق دولة الرئيس حسين الحسيني على الموضوع ويقول: "إن جذور أزمة ١٩٥٨ وفي وجهها الداخلي تكمن في أن الاستقلال لم يؤد إلى ولوج باب إقامة دولة القوانين والمؤسسات، ولم يؤد إلى إزالة التفاوت في المناطق اللبنانية، فجاءت

١- فؤاد بطرس- الديار ملف فؤاد شهاب.

٢- باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

٣- حضور الباحث تلك الجلسة في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى- الحازمية.

٤- الإمام الصدر، جريدة الجريدة ١٩٦٩/٦/٢١.

انتخابات ١٩٥٧ لتفصّل الدوائر الإنتخابية على مقاسه، بحيث يتم إسقاط جميع رموز المعارضة، التي تشكلت في مواجهة حكم الرئيس شمعون"[١].

وقد كانت أسباب أزمة ١٩٥٨ - الاجتماعية منها مدار بحث وتشاور، بين كبار المسؤولين، وهذا ما برز في قول الرئيس شهاب للبطريرك بولس المعوشي: "المسلمون لبنانيون، لهم حصة في الدولة، لا يمكن لأحد أن ينكرها أو أن يستأثر بكل شيء، لا أستطيع أنا ذلك، أليس لهذا السبب قاموا بثورة ١٩٥٨"[٢].

وللسيد منح الصلح وجهة نظر عما كان يجري تلك الفترة، يقول: "كان فؤاد شهاب يستند إلى رأي عام دولي يعتقد بعد حصول الوحدة بين سوريا ومصر، أنه لا بد من تحصين لبنان بنوع من الإصلاحات فكان هناك تأييد دولي لفكرة إحداث إصلاحات في لبنان بالنسبة إلى قطاعات واسعة من اللبنانيين، بالإضافة إلى أن هناك نوعاً من الميثاق الاجتماعي في لبنان، يلتقي فيه الجميع على فكرة انعكاس لبنان إقتصادياً وتوزيع الاقتصاد بشيء من العدالة النسبية، بين كل المناطق اللبنانية، هذه الفكرة جاء من أجلها الأب لوبريه، من ثم بعثة إيرفد"[٣]

وحول استقبال اللبنانيين لأحكام الأب لوبريه يقول الرئيس شهاب: "إن أفكار الأب لوبريه، التي هي أفكار إصلاحية، إذا لم تأتِ على لسان خوري كاثوليكي وفرنسي، فإن اللبنانيين لن يأخذوا بها"[٤].

وفي هذا القول فهم العقل والثقافة المسيطرة في الوسط المسيحي اللبناني.

١- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

٢- فرانسوا جينادري – الديار حلقة ١٧ فؤاد شهاب،

٣- منح الصلح حلقة ١١ فؤاد شهاب، الديار.

٤- المصدر نفسه.

بعثة ايرفد

بين عام ١٩٥٩- ١٩٦١ قامت بعثة إيرفد برئاسة الأب لوبريه، بعملية المسح الشامل الإقتصادي - والاجتماعي للبنان، وقد قدمت تقريرها الأول المؤلف من سبع مجلدات ضخمة، الذي احدث ضجة عند نشره. إذ جاء مصداقاً للمقولة التي كان فؤاد شهاب ومفكرون سياسيون كثيرون قبله، او معه، يرددونها وهي أن وراء النزاعات والمشاكل السياسية والطائفية في لبـنان، تكمن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، والفروقات الكبيرة بين الطبقات، والفئات، والمناطق، فالأعجوبة اللبنانية والإزدهار الظاهر في قسم من بيروت، كانا يخفيان أوضاعاً اقتصادية، خطيرة، من تزايد مضطرد في السكان ٢.٣٪ و٢.٧٪ إلى هجرة كبيرة من الأرياف، إلى المدن، أو هجرة إلى الخارج، إلى التفاوت المذهل في الدخل بين اللبنانيين، إلى طغيان قطاع الخدمات على القطاعين الزراعي والصناعي، بالرغم من أن نصف سكان لبنان يعملون في الزراعة او يعيشون منها[١].

ومما أظهرته هذه الدراسة: أن التفاوت في الدخل ومستوى الحياة بين المناطق الريفية والأحياء الشعبية في المدن والقرى، التي يتألف سكانها في أكثريتهم من المسلمين السنة والشيعة بنوع خاص، هما أدنى بكثير من مستوى الحياة والدخل في بيروت والمدن والأحياء والقرى التي تعيش فيها الطبقات البرجوازية الوسطى المسيحية[٢].

١- باسم الجسر، فؤاد شهاب ص ٥١، نشر عن مؤسسة فؤاد شهاب ١٩٩٨.

٢- المصدر نفسه.

كما جاء في رسالة الأب لوبريه: "كان هناك فئة من اللبنانيين، يعيشون في مستوى المجتمعات الأميركية الميسورة وإلى جانبها في الأرياف والضواحي لبنانيون يعيشون في عهد إبراهيم" (يقصد عهد ابراهيم الخليل - أبو الأنبياء).

ومن الأرقام المذهلة التي أبرزتها الدراسات:

٤٪ من اللبنانيين كانوا يحوزون على ٣٢٪ من الدخل العام.

١٤٪ يحوزون على ٢٨٪ من الدخل الوطني العام.

٣٢٪ منهم يحوزون على ٢٢٪ من الدخل الوطني العام.

٥٠٪ منهم يحوزون على ١٨٪ من الدخل العام.

ونصف اللبنانيين يعملون في الزراعة، فلم ينالوا إلا ٢٠٪ من الدخل الوطني العام[١].

قبل أرقام وإحصاءات بعثة إيرفد، كان الكلام عن التفاوت الاقتصادي والاجتماعي وجهة نظر تقال بصوت خافت، خشية تصاعد التوتر الطائفي، تقريباً مثلها مثل الإحصاء السكاني. يتميز بخصوصية وحساسية سياسية عالية، خشية انفضاح الأمر، وتسرّب الأرقام إلى مسؤولي الطوائف المحرومة، فتتأثر نسبة توزيع النفوذ على الطوائف، وتهتّز الصيغة الدائمة الاستعداد للإهتزاز.

وحده الرئيس شهاب كان مستعداً لأن يدخل في تفاصيل المشكلة بالبحث عن حلول واقعية.

يقول السيد فؤاد بطرس، وهو أشهر وزير خارجية في الفترة الشهابية: "حاول الرئيس شهاب ان يرسي بعض الأسس، ويعطي ضميراً جديداً نوعا ما للسياسة".

ويتابع السيد فؤاد بطرس: "أراد فؤاد شهاب أن يعدّل قليلاً المعادلة، التي

١- باسم الجسر، فؤاد شهاب، نشر عن مؤسسة فؤاد شهاب ١٩٩٨.ص ٥١٢.

كانت قائمة على أساس توزيع المناصب بين المسيحيين والمسلمين، يجعلها ترتكز على قاعدة المناصفة، وتأمين حق معيّن من المشاركة في الحكم، وتعزيز هيبة الدولة، واعتماد سياسة خارجية، تقوم على ثلاث نقاط أساسية:

١. على الصعيد العربي: عدم الدخول في محاور، وفي صورة خاصة عدم الدخول في محور الناصرية، التي كانت في ذلك الوقت سائدة، وشبه مسيطرة في العالم العربي.

٢. الاحتفاظ بحرية التحرك واسعة على صعيد السياسة الخارجية، وعدم التنكر لوجه لبنان بالنسبة لعلاقاته مع الغرب.

٣. اعتماد القضايا العربية الأساسية، وفي الطليعة فلسطين[١].

٤. وحول المفاصل الرئيسية في حكم شهاب، يضيف بطرس: "وكان لحكم شهاب الجانب الأمني البارز من حيث أنها تتعلق بهيبة الدولة واعتماد الاقتصاد الحر، مع السعي بشكل مرن جداً وبدقة للحيلولة دون الاحتكارات، كان يعتبر أن هناك مناطق نائية، وملحقات مهملة تماماً، يسكنها مواطنون من طوائف معينة، وكانت مهملة وغير مجهّزة، لا على صعيد المدارس، ولا على صعيد الطبابة والخدمات[٢].

كان للرئيس شهاب أسلوبه في المعالجة، إذ أراد تسويق فكرة الإنصاف والعدل الاجتماعي في مخاطبة طبقة التجار والحكام ورؤساء الأموال. يروي الصحفي الأستاذ باسم الجسر، عينه مما سبق الإشارة إليه.

"طلب مني الرئيس شهاب أن أمضي يومين في جرود الهرمل، وأكتب تحقيقاً عن مشاهداتي في الجريدة "الاوريان"، لم أدرك غايته من ذلك، إلا بعد أن عرفت

١- فؤاد بطرس جريدة الديار ٢٢ نيسان ١٩٩٣.

٢- المصدر نفسه.

أن هذه التحقيقات عن حياة العشائر ومشاكلها الاجتماعية والإنسانية، كان جزءاً من حملة إعلامية نفسية، يشجعها سراً للضغط على الحكومة، والحصول على عفو عن المحكومين من العشائر".

لقد كان ينظر بعين العطف والموضوعية إلى حالة العشائر والمناطق المحرومة، حيث يقول مخاطباً الصحفي الأستاذ الجسر: "لقد شاهدت بعينك، كيف ينام الرعاة والماعز في كوخ واحد، وسمعت بأذنيك مشاكلهم مع السلطة، بقطع أحدهم حطباً يبيعه، ينظم بحقه محضر، وعندما يحضر الدرك لتنفيذه يفرّ، فيطارد فيطلق النار عليه، فيرد، فيحكم بالإعدام!؟ فليعطوهم ماء، مدارس، كهرباء، وطرقات، ويحاسبوهم بعد ذلك على مخالفة القانون"[1].

لقد اصطدم الرئيس شهاب بالحل العسكري الأمني، الذي كان يفضله الرئيس شمعون، وقد استقال من منصبه في قيادة الجيش، واشترط العودة عنها بعد إصدار عفو عام عن المحكومين الفارين في جرود الهرمل، وكانت تلك أول شرارة بينه وبين الرئيس شمعون، وقد كانت لديه نظرية موضوعية عن نقاط التوتر في لبنان، وحيث كان يدور أمامه حديث عن الطائفة، وعن المسلمين والنصارى، كان يقول "ما حدن أحسن من حدا كلهم لبنانيين".

ويكمل: "إن لبنان لا يمكن أن يحكم نفسه دون تمثيل إرادة المسلمين"[2].

لقد كانت له وقفات جريئة وطنية حازمة إذ واجه الرئيس بشارة الخوري، وفي إشارة إلى نفوذ "السلطان سليم الخوري" شقيق الرئيس وقال للرئيس الخوري: "ما أهلك أو أهل البلاد"

ورداً على من كان يدفعه للحسم سياسياً، يقول: "ماذا تفعلون بالمائة طائفة وعائلة

١- باسم الجسر، مجلة الصياد ٣ ايار ١٩٧٣.

٢- المصدر نفسه.

وحزب وعشيرة"[1]. كان نظيف الكف على عكس سيرة رؤساء الجمهوريات، الذين سبقوه، وكان يرى بعين موضوعية، ويرد حالة التوازن التي يعيشها ويمارسها إلى الحياة العسكرية، ويعطي بما يشبه النصيحة لرجال السياسة.

"رجال السياسة عندنا ناقصهم خدمة عسكرية، خصوصاً مثل خدمتنا، واحدنا خـدم في لبنان - بيروت - عكـار - القامشلي - بحوران - ما بيعرفوا العـرب، ما بيعرفوا السوريين"[2].

١- باسم الجسر، فؤاد شهاب، نشر عن مؤسسة فؤاد شهاب ١٩٩٨..

٢- منح الصلح الصياد.

انجازات الشهابية

بعد المبايعة الأولى التي تلت استقالته، وقيام حكومة شعر بالارتياح في العمل والقانون، معها قرر فؤاد شهاب الإسراع في تنفيذ المشاريع الإصلاحية والمؤسسية والاجتماعية، التي كانت محصلة دراسات بعثة إيرفد.

وهكذا شهدت الأعوام ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤ ولادة سلسلة من المشاريع والقوانين، والمؤسسات الكبرى، لم يسبق للبنان أن عرفتها من قبل وأهم هذه المشاريع والمؤسسات:

١. قانون تنظيم التعليم العالي.

٢. إنشاء المجلس الوطني للسياحة.

٣. تنظيم وزارة الإعلام.

٤. تنظيم وزارة التخطيط.

٥. قانون التنظيم المدني الشامل لكل لبنان.

٦. إنشاء المشروع الأخضر.

٧. وضع قانون النقد والتسليف.

٨. إنشاء مصرف لبنان المركزي، وترميم بنائه.

٩. إنشاء الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

١٠. توسيع التعليم المهني الحكومي.

١١.إنشاء مديرية الشباب والرياضة.

١٢.تنظيم عمل الاجانب في لبنان.

١٣.المخطط التوجيهي العام لضواحي بيروت.

١٤.تنظيم معهد المعلمين العالي.

١٥.إنشاء تعاونية موظفي الدولة.

جاءت هذه الإنجازات مكملة لتلك، التي تحققت في السنوات الثلاث الأولى من العهد الشهابي، وأبرزها:

١. إنشاء مصلحة الإنعاش الإجتماعي.

٢. إنشاء معرض طرابلس الدولي.

٣. إنشاء مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت.

٤. مكتب الفاكهة.

٥. مكتب القمح.

٦. إعادة تنظيم مصالح المياه والكهرباء في المدن والمناطق.

٧. إنشاء مجلس الخدمة المدنية.

٨. إنشاء هيئة التفتيش المركزي.

٩. إعادة تنظيم التفتيش المالي وديوان المحاسبة.

١٠.إعادة تنظيم مجلس القضاء الأعلى ومجلس شورى الدولة.

١١.إنشاء كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية.

١٢.مجلس التخطيط والإنماء الاقتصادي.

كما تم في هذه المرحلة إنجاز المشاريع التالية:

١. تنفيذ أوتستراد الذوق - فاريا.

٢. تنفيذ الحوض الثالث لمرفأ بيروت.

٣. توسيع مطار بيروت.

٤. تنفيذ مرفأ جونية.

٥. وضع كتاب التنشئة الوطنية.

٦. تنفيذ الخطة الشاملة، لكل المناطق، بإيصال الماء والكهرباء والطرق المعبدة، إلى عدد كبير من القرى النائية في المناطق المحرومة.

٧. إنشاء عدد كبير من المدارس في القرى المحرومة والأرياف.

وفي الجانب السلوكي الشخصي والعام، عرف عن الرئيس شهاب نظافة كفّه، فلا صفقات، ولا سمسرات، وقد كان رجلاً دقيقاً في الأمور، الصغيرة منها والكبيرة، فقد رفض ساعة ذهبية كهدية من أحد المسؤولين الكويتيين قائلاً لفرنسوا جينادري، "شو بيصير بالذين حولي، يصيروا يلهطوا، يسرقوا على اليمين وعلى الشمال" أو عندما فوجئ بهدية أحد النواب إليه وهي عبارة عن ٥٠ ربطة عنق، فعلق ضاحكاً "شو شايفني بغيّر ربطة عنق كل ٣ ساعات". وهذا في القضايا الصغيرة، أما في الكبيرة قله رأي غاية في الأهمية وبعد النظر، يروي الأستاذ باسم الجسر: "ذات يوم طلب يوسف بيدس رئيس وصاحب بنك أنترا اللقاء بالرئيس شهاب فقال للوسيط: "هناك وزير مالية، ووزير اقتصاد، دعه يراهم، رجال الأعمال من حقهم أن يدافعوا عن مصالحهم، ولكن ألا يدخلوا الحكم معهم، هذه قصة لا تعود تنتهي، ساعدني لأساعدك، طعميني لطعميك".

إنها قمة في الاستقامة والتحسب، لنرى بعد زمن، ماذا جرى بالدولة عندما وصل إلى الحكم رجال الأعمال.

وحول تبادل الأدوار عند اللبنانيين، يقول: "كل فئة لعبت دورها، اليوم المسلمون بدهم العروبة، البارحة أيام العثمانيين، كان الموارنة يريدون العروبة".

ويصل ليرتاح بإنجاز اجتماعي كبير، إذ يقول على لسان الأستاذ الياس ربابي: "من جميع ما أنجز في عهدي لم أشعر بارتياح وغبطة كالإرتياح والغبطة اللذين شعرت بهما عند إقرار الضمان الاجتماعي".

لكن بعد "انقلاب" الحزب السوري القومى الاجتماعي نهاية عام ١٩٦١، تغيّرت بعض الظروف، فقد اشتدت قبضة الأمن أكثر، ولعب ضباط "الشعبة الثانية" المخابرات، دوراً سياسياً بارزاً في إدارة البلاد والمؤسسات، وحصل تضييق على المخيمات، حتى وصلت الأمور إلى انحياز حتى في الأمور الفنية، حيث تم ترسيخ وتشجيع الفن اللبناني الرحباني مثلاُ، ومحاولة إقصاء فنانين آخرين أمثال زكي ناصيف وتوفيق الباشا، بسبب الإنتماء السياسي.

ومن الملاحظ أن المنجزات الإدارية وخصوصاً الرقابية منها التي وضعت أيام الرئيس شهاب بدأت تتقلص فعاليتها شيئاً فشيئاً حتى يومنا الحاضر، إذ أبطل مفعول أغلبها وما بقي منها عبارة عن هيكل عظمي لا حياة فيه، فقد عملت العهود اللاحقة والإدارات المتعاقبة للرؤساء في لبنان على إفراغها من محتواها الفعلي.

أما قدرة الرئيس شهاب على النظر للبعيد، فقد انسحب من السياسة عام ١٩٧٠ وقبل وفاته التي حصلت في ٢٥ نيسان ١٩٧٣ بأسبوعين، قال لفرنسوا جينادري "بتعرف ايش شايف قدامي، شايف قدامي بركة دم".

الوضع السياسي قبيل مجيء الإمام الصدر إلى لبنان

عندما استقّر الإمام الصدر في لبنان، أواخر الخمسينات ١٩٥٩ كان اللواء فؤاد شهاب قد أصبح رئيساً للجمهورية، وكان رئيساً للوزراء الأستاذ رشيد كرامي، استمرت وزارته من ١٤-١٠-١٩٥٨ حتى ١٤-٥-١٩٦٠ وكانت مكونة من الوزراء إلى جانب كرامي: السيد حسين العويني ممثلاً الطائفة السنية، وريمون إده وبيار الجميل ممثلا الطائفة المارونية.

وقد يكون أول ما لفت نظر الإمام، أن ليس في الوزارة من شيعي، ولعله الدرس الأول والرسالة الأولى المعبّرة، التي استلمها منذ اللحظة الأولى، فوجد ممثل الطائفة السنية ممثلاً حكماً طائفتي الشيعة والدروز، ووجد أيضاً ممثل الطائفة المارونية ممثلاً الطوائف المسيحية مجتمعه، في الوقت عينه، ثنائية توافقية، فوقية، مهيمنة باعتراف دولي إقليمي يومذاك، تختصر الميثاق الوطني، المعمول به منذ الإستقلال.

ذلك يعني أن لا اشتراك للشيعة في إدارة لبنان التنفيذية، لكن لم يطل الأمر على هذه الحالة، إذ انضم السيد علي بزي للحكومة، وكان أحد أبرز الشهابيين في الجنوب.

وقد مثل الشيعة في الندوة البرلمانية تلك الأيام النواب التالية أسماؤهم، مع تاريخ دخولهم العمل السياسي التمثيلي الرسمي. وكانت النتيجة أن هناك إقطاعاً سياسياً عائلياً، هيمن على الوضع السياسي العام.

آل عسيران:

عادل عسيران: دخل المجلس النيابي عام ١٩٤٣ حتى ١٩٦٠ وكان قبله نجيب عسيران الذي قد دخل المجلس النيابي أول مرة ١٩٢٢ وبقي حتى ١٩٣٩. ذلك يعني أن عائلة عسيران، كانت ممثلة للطائفة الشيعية في الجنوب منذ ١٩٢٢ حتى ١٩٦٠.

آل زين:

يوسف الزين: دخل الندوة النيابية عام ١٩٣٧. أما عائلة الزين فقد عرفت التمثيل النيابي عام ١٩٢٠ عبر حسين الزين. وبالنتيجة استمر النفوذ السياسي لآل الزين منذ ١٩٢٠ - ١٩٦٠.

آل الأسعد:

كامل الأسعد: انتخب أول مرة عام ١٩٥٣ وبقي حتى ١٩٦٠ ثم وصولاً حتى ١٩٧٢، وبالنتيجة استمر النفوذ السياسي النيابي منذ ١٩٢٥ حتى ١٩٦٠ وقد تناوب كل من عبد اللطيف الأسعد، وعلي الأسعد، وأحمد الأسعد وصولاً حتى كامل الأسعد.

آل الخليل:

كاظم الخليل: انتخب أول مرة ١٩٣٧ حتى ١٩٦٠.

رضا وحيد: انتخب نائباً لدورة واحده بسبب علاقته بالرئيس شهاب.

علي بزي: انتخب أول مرة ١٩٥١ واستمر حتى ١٩٦٤.

محمد الفضل: انتخب أول مرة ١٩٣٤ ولمدة ٤ دورات، واستمر نفوذ العائلة من ١٩٢٢ حتى ١٩٦٠.

آل بيضون:

رشيد بيضون: دخل الندوة البرلمانية أول مرة عام ١٩٣٧، مثل الجنوب

دورتين، ومثل بيروت ٥ دورات. ومثل العائلة عبد اللطيف بيضون، دورتان، واستمر نفوذ العائلة منذ ١٩٣٧ حتى ١٩٦٠.

محمود عمار: دخل الندوة البرلمانية عام ١٩٥٧ أيام الرئيس شمعون، وكعائلة استمر النفوذ من ١٩٥٧ حتى ١٩٦٠.

أما في البقاع

ابراهيم حيدر: مثل الشيعة البقاعيين نيابياً منذ عام ١٩٢٠ لأول مرة، واستمر لعشر دورات أي لمدة ٢٦ سنة، تخلل تلك الفترة مرّة بالتعيين. وكعائلة مثل العائلة صبحي حيدر ب ٣ دورات، سليم حيدر، دورتان. استمر التمثيل النيابي لهذه العائلة منذ ١٩٢٠، حتى ١٩٦٠ بلا انقطاع.

صبري حمادة: مثل الشيعة أول مرة ١٩٢٥ حتى ١٩٦٠، كعائلة مثلها فضل الله حماده، دورة واحدة وقد مثل العائلة في مجلس الإدارة الأولى عباس ملحم حمادة.

شفيق مرتضى: مثل البقاع أول مرة عام ١٩٥٧ حتى ١٩٦٠ ولدورتين.

ومثل سيّاد جبيل

السيد أحمد الحسيني: منذ ١٩١٥، ولمدة ٩ دورات.

علي الحسيني: نائباً عام ١٩٦٤- ١٩٦٨.

السيد حسين الحسيني: مثل العائلة عن البقاع منذ ١٩٧٢ حتى الطائف، لذا استمر نفوذ العائلة السياسي منذ ١٩١٥ حتى الطائف وما بعده.

وقد مثل جبيل

أحمد اسبر: من أنصار ريمون إده عام ١٩٦٠ ولثلاث دورات.

عبدالله الحاج: مثل بيروت عام ١٩٥١ حتى ١٩٥٣ و١٩٥٣ حتى ١٩٥٧ دورتان.

وفي البقاع

رشيد حرفوش: عُين عام ١٩٣٧ مرة واحدة.

فضل الله دندش: ١٩٦٠ ، عرف بعلاقته الوثيقة بالرئيس فؤاد شهاب.

نايف المصري: دورة ١٩٦٠.

البقاع الغربي:

حسين منصور: انتخب عن دائرة زحله لأول مرة ١٩٦٠.

وفي عودة إلى الجنوب:

آل العبدالله:

علي العبدالله: معين عام ١٩٣٧ دورتان.

حسين العبدالله: دورة.

ابراهيم العبدالله: دورة.

ممدوح العبدالله: دورتان.

علي العبدالله: ١٩٧٢، وكعائلة مثلت الشيعة في المجلس ما يقارب ٣٥ سنة.

محمد صفي الدين: ١٩٤٧ حتى ١٩٦٠.

جعفر شرف الدين: ١٩٦٠ ولثلاث دورات ما يقرب من ١٢ سنة.

محمد الغطيمي: انتخب عام ١٩٤٧ حتى ١٩٦٠ لثلاث دورات.

سليمان عرب: انتخب ١٩٥١ دورتان.

علي عرب: ١٩٦٠ دورتان.

رفيق شاهين: دورة.

غالب شاهين: دورة

فهمي شاهين: دورة.

رزق الله نور الدين: ١٩٢٢- ١٩٢٥.

سعيد فواز: ١٩١٤- ١٩٦٠ دورتان.

رضا وحيد: ١٩٥٧ - ١٩٦٠.

علي بدر الدين: ١٩٥١- ١٩٥٣.

نماذج عملية

درج ممثلوا المارونية السياسية الحاكمة في لبنان، منذ إعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ حتى موعد صدور اتفاقية الطائف عام ١٩٨٩، على التعامل مع ممثلي الشيعة من موقع التابع، وليس موقع الشريك الكامل المواصفات. فالسلطة كانت كاملة بيد المارونية السياسية، في مختلف درجاتها ومواقعها، وكانت تعطي الفتات "للشركاء" الآخرين في الوطن، مما جعل إطلاق نداءات متتالية، وإنذارات تختلف حدّتها حسب موضوعاتها المباشرة تلك الآونة، من قبل ممثلي كل الطوائف المسيحية منها والإسلامية تقريباً، فالمسيحية منها كانت تطلق غالباً أنيناً مكتوماً بينما كانت لدى الطوائف الإسلامية السنيّة، والشيعية، والدرزية، علنيّة وحادة في بعض الأوقات، جميعها كانت تطالب بالإنصاف والمشاركة في القرارات المصيرية، وما كان يُرمى لبقية الطوائف كان من نوع "الديكور" في النظام الطائفي اللبناني، كما قال الإمام الصدر ذات مرة".

والأمثلة كثيرة على هذا السلوك، وهذا بعضه القليل، ولنتناول بعض النماذج من التعامل، مع الرئيسين أحمد الأسعد وصبري حماده، ومع الوزير سليم حيدر.

مثل الرئيس أحمد الأسعد الجنوب والطائفة الشيعية مراراً، وعلى الرغم من قوته داخل الطائفة، كان داخل النظام يحتاج إلى دعم، وهذا ما جرى معه مرة".

جاء في كتاب الصحفي لويس الحاج، "من مخزون الذاكرة" دار النهار ١٩٩٣، ص١٥٣ "بعد انتخاب شمعون رئيساً للدولة، تناهى إلى أحمد الأسعد أن الرئيس سيختار لرئاسة المجلس وجهاً جديداً، وأن كمال جنبلاط وريمون إده وغسان

تويني يؤيدون هذا الإتجاه، فاتصل أول ما اتصل بجنبلاط، الذي قال له "يا عمي روح دبّر حالك مع النواب، أنا ما بمون إلا على ثلاثة، أربعة أصوات، وهودي ما بيعملوا رئيس المجلس، أما ريمون إده فقد أحال الأسعد على غسان تويني.

يروي الصحافي لويس الحاج ظروف زيارة الأسعد لتويني في النهار، حيث كان في مكتبه يمسح له ماسح الأحذية حسين حذاءه. وفي هذه اللحظة وصل عطوفة الرئيس، فاستأذنه تويني لإكمال تلميع الحذاء، بعدما سلّم عليه مرحباً. وهنا وقف الأسعد وقال مخاطباً ماسح الأحذية، لا تؤاخذني يا سيدي ما شفتك حتى سلّم عليك، وأقبل عليه مصافحاً.

فقد كتب الصحفي تواضع الرئيس أحمد الأسعد بسلامه على ماسح الأحذية، لكن لم يتابع وقائع الجلسة مع طالب "وظيفة" رئيس المجلس النيابي اللبناني.

أما حول الانتخابات النيابية في الجنوب، فكان الرئيس أحمد الأسعد على جانب كبير من الذكاء والظرافة والانتهازية. ولنترك الصحفي لويس الحاج في كتابه[١].

كان الرئيس أحمد الأسعد، ممثلاً من الطراز الأول، ففي أحد المواسم، الانتخابية، بلغه أن المجتهد العلاّمة السيد عبد الحسين شرف الدين، قرر تأييد اللائحة المنافسة للائحة الأسعدية في محافظة الجنوب، لأنها تضم أحد أنجاله.

وكان السيد عبد الحسين يتمتع بنفوذ كبير في أوساط الناخبين، فحسب وبعد إعمال الفكر قرر ترويع السيد بخطف نجله، وأوعز إلى أتباعه في صور، بتنفيذ عملية الخطف، واقتياد نجل المجتهد إلى دار الطيبة، من غير أن يتعرضوا له بسوء. نفذّ الأتباع العملية وسرّب الأسعد خبر الخطف، فارتاع السيد عبد الحسين أيما ارتياع، وأرسل إلى دار الطيبة وفداً كبيراً من أعيان صور، وكلّفه، إبلاغ الزعيم

١- لويس الحاج، من مخزون الذاكرة، ص ١٥٥.

الوائلي أنه، أي السيد لن يتدخل في الإنتخابات، وأنه سيترك لأنصاره ومحازبيه حرية التصرّف، وفي دار الطيبة، رحّب الأسعد بالوفد ترحيباً حاراً، وما أن فوتح بأمر النجل المخطوف، حتى سأل زائريه بلهفة الوالد الخائف على مصير ولده: "مين خطف السيد ابن السيد؟ وإن شاء الله ما لحقو أذى؟ ولما قيل له إنه بخير وإن الذين اقتادوه إلى الطيبه يحيطونه بالرعاية الكافية، صرخ في وجه "قبضاي" من أتباعه: ولك يا محسن، كيف بتخليهم يخطفوا حفيد بنت رسول الله، غفرانك يا رب، بكره ربنا بدو يحاسبني على هالعملة، روحوا جيبوا السيد محمول عكتافكم، هيدا سيد إبن سيد ومنحطوا على رأسنا".

هذه كانت فعلة الرئيس أحمد الأسعد مع المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين، فكيف كانت معاملاته مع خصومه في السياسة من الناس العاديين؟ هذا بعض مما كان يجري أيام حكم الإقطاع السياسي الشيعي في الجنوب.

أما قصة الإقطاع السياسي الشيعي في البقاع، أو بعلبك الهرمل فهذه بعض وجوهها.

يورد الصحفي لويس الحاج في كتابه من مخزون الذاكرة ص ١٥٧، ما يلي: "وكان الرئيس صبري حماده مخلصاً في تعامله مع الشيخ الرئيس "بشارة الخوري" حتى إنه لم يتردد في شدّ إزره عندما اتسم الخلاف بين القصر وعبد الحميد كرامي بطابع طائفي، "يعني ذلك أن وزن البقاع الشعبي يوضع في رجحان كفة على أخرى، وفق تدابير وخطط عتاة المارونية السياسية.

يتابع الصحفي لويس الحاج،

وعندما قرّر، أي بشارة الخوري على تجديد ولايته، أسند وزارة الداخلية إلى صبري حماده، الذي أتقن طبخ انتخابات ١٩٤٧ بحيث جاءت النتيجة كما اشتهاها الشيخ الراغب في التجديد". ومن المعروف أن تلك الانتخابات كانت مثالاً في التزوير.

أما علاقة الرئيس صبري حمادة مع الخصوم فمختلفة بعض الشيء.

كتب الأستاذ لويس الحاج في كتابه من مخزون الذاكرة ص ١٥٩ "لقد اشتهر صبري حمادة بسعة الصدر، لكنه ضاق ذرعاً بالحملات، التي كان يشنها عليه فتى هرملي جريء هو رياض طه، الذي اختار الصحافة مهنته، وراح يدبّج المقالات الهادفة إلى توعية أبناء منطقته، الخاضعة لسيطرة آل حماده، وقد تجاهل صبري بك بادئ ذي بدء، الفتى الثائر، لكنه أدرك وهو يخوض، إحدى المعارك الإنتخابية أن حملات رياض طه، أوتيت ثمارها، وأن الأجيال الصاعدة في منطقة بعلبك الهرمل، بدأت تتنكّر لزعامته. وكان أن جرّب أنصاره الخلاص من رياض طه باغتياله، فنجا بأعجوبة من ثلاث محاولات اغتيال، واتهم حماده صراحة بتحريض أتباعه على قتله".

وللحقيقة إنني وفي غمرة إعدادي لهذا البحث عن الإمام، التقيت بالكثير من المعنيين والعارفين في المنطقة، لقد ترحموا على أيام صبري حماده، قياساً بما يجري في السياسة هذه الأيام. لقد أجمعوا أنه كان فارساً ذا أخلاق.

لم تكن رموز الزعامة من آل حيدر تتخذ من الدماء وسيلة للارتقاء في السياسة، لقد كانت النخبة منهم، تتخذ العلم والمعرفة والكياسة في إدارة أمورها، فقد كانت ظروفهم الاقتصادية مناسبة كي يعلّموا أولادهم في المعاهد المحدودة في لبنان، مدرسة عينطورة، والجامعة الوطنية في عاليه، وفي معاهد دمشق، واسطنبول، وبيروت لاحقاً. وقد كانوا في زعامة الشيعة في لبنان، منذ بواكير القرن العشرين، بل قبل ذلك، فترة السلطنة العثمانية وأيام حكم فيصل. حتى فترة الثلاثينات من القرن العشرين، عندما قامت الثورة السورية الكبرى بزعامة سلطان باشا الأطرش، قام توفيق هولو حيدر بثورة في البقاع، متمركزاً في اللبّوة - البقاع الشمالي، موجهاً قوته ضد سلطة الإنتداب الفرنسي، جامعاً مجموعة من الثوار من المنطقة - وفي المقابل كانت فئة أخرى من نخبة آل حيدر يراهنون على العمل السياسي، ضمن حالة الإنتداب، ذلك لا يعني توزيعاً للأدوار كما تفعل بعض العائلات السياسية، بل كان

الأمر خياراً حراً. وهذه العقلية المفتوحة أدّت فيما أدّت إليه إلى أن يترشح لإنتخابات النيابية عام ١٩٧٢ عدة أشخاص من آل حيدر، لم يتفقوا على مرشح واحد يقف الجميع خلفه.

لكن بعض الساسة منهم، عملوا على عرقلة بناء مدرسة في بعلبك، تابعة لجمعية المساعي الخيرية، أوائل القرن العشرين، ما بين عامي ١٩٢١ - ١٩٢٤، بل استغلوا حادثة إطلاق نار على أحد رموزهم في بعلبك، فزجوا تعسفاً بمؤسسي الجمعية - المدرسة في السجن، ولم يفرج عنهم إلا بعدما ألغوا الجمعية، بسبب أنها تثير الفوضى والروح العربية، وألغوا المدرسة، بسبب أنها ستعلّم الفقراء، وهنا يلعب الذكاء الاجتماعي والدهاء دوره، فقد أطلق سراح المسجونين بعد سنة ونصف، وأعلنت براءتهم من التهمة، التي وجهت إليهم، لقد كان الذكاء حاداً عندما اصر الرمز الحيدري مصطفى بك، الذي زجهم في السجن على أن يوصل إلى بعلبك السجناء المفرج عنهم بسيارته، ترافقه عراضة عسكرية، إجتماعية، كاملة الأوصاف.

لقد مثل الشيعة في البقاع ولبنان الدكتور سليم حيدر، وهنا بعض ظروف عمله السياسي.

يكتب الصحفي لويس الحاج،

"عندما استلم الرئيس كميل شمعون الرئاسة، فكر في اختيار الوزراء، وحرص على انتقائهم من بين السياسيين السلسلي القياد"[١].

ويتابع لويس الحاج

عملت الحكومة على "تطهير" الدوائر من الموظفين الخوريين، في جلسة طالت حتى منتصف الليل، وكان على رأس الحكومة الأمير خالد شهاب. وقد سرّب أحد الوزراء سبب استمرار الجلسة حيث قال: "قضية صرف من أراد الرئيس

١- لويس الحاج، من مخزون الذاكرة،دار النهار، ص ٣٠.

صرفهم لم تثر أي نقاش، لكن مسألة تعيين موظفين جدد قبل منتصف الليل، هي التي جعلت الجلسة تطول...

فالرئيس قدم لائحة بأسماء ألف وخمسماية مرشح لوظائف مختلفة، غالبيتهم من دير القمر وجوارها، وترك لكل وزير أن يقدم مرشحيه، على ألا يتعدى عددهم المئتين، فغرق الوزراء ورئيسهم في عملية اختيار المحظوظين، ولدى تلاوة الأسماء، لاحظ شمعون أن الدكتور سليم حيدر اختار مرشحيه المئتين من الحيادرة، فقال له "الأفضل يا سليم حذف كلمة حيدر من ثلاثة أرباع أسماء مرشحيك، بحيث يخيّل للناس أن آل حيدر لم يأكلوا البيضة وقشرتها.

وأضاف الوزير الذي سرّب هذه المعلومات، أن "عملية التصحيح" أجراها الوزير الحيدري، إستغرقت وحدها ساعة كاملة[1].

هذا ما جاء في الوثائق، لكن عُرف عن الدكتور سليم حيدر أنه "مستقيم" في حياته السياسية، وتسنى لي شخصياً أن أعقد معه صداقة لعدة سنوات في أواخر أيامه كان مثالاً في الوطنية، والعقل والشاعرية الفياضة، كان رجل دولة بامتياز. الحقيقة أنني فوجئت بهذه الرواية الصحيحة، لم أجد مبرراً له، في حدود معرفتي، فالمنطقة تزخر بأشخاص لديهم شهادات رسمية عالية من غير عائلة حيدر، خاصة أننا نتكلم عن فترة أواسط الستينات من القرن الفائت، فضلاً عن أبناء الطائفة، فهو كان يمثل الطائفة في الوزارة، ولربما كان يرد على توظيف الأسعد لأنصاره في الجنوب، وتوظيف بعض آل حمادة عبر الرئيس صبري حماده، لكن الإثنين وظفا من غير عائلتيهما في الإدارة. لكن الواقعة تحتاج إلى توضيح أكثر مما تحتاج إلى تبرير. لم أجده شخصياً.

١- لويس الحاج، من مخزون الذاكرة،دار النهار، ص ٣١.

علماء مجاهدون، السيد محسن الأمين

لم تكن الساحة الدينية مقفرة قبل عودة الإمام إلى البلاد، فقد كانت تزخر بالعلماء، وبالدعوة، وعرف لبنان علماء كباراً مجاهدين لكن البارزين كانوا قلّة ومنهم.

السيد محسن الأمين:

ولد في شقرا من بلاد جبل عامل عام ١٨٦٥ وتوفي ١٩٥٢، منذ بداية حياته، سار على طريق السلف الصالح، يقول: "ذهبنا إلى كربلاء، ثم إلى النجف، ثم وردنا دمشق عام ١٩٠٠ ووجدنا أموراً هي علّة العلل"[١].

يحدد أولويات يدرجها بالتتابع:

١. الأمية والجهل، وخصوصاً بوضع الأطفال، وتعزيز الإتجاه نحو الوحدة الإسلامية، فلم يقصر الدعوة والإهتمام بطائفة الشيعة فقط.

يقول: "وجدنا أخواننا في دمشق متشاكسين، منقسمين إلى أحزاب وكان هدفنا المساواة بين الناس، وعدم التحيّز لفريق دون آخر، وهذا أمر طُبعنا عليه، ولم نتكلّفه تكلفاً"[٢].

ويصل إلى موضوع التجدد في النظرة للطقوس المرافقة للشعائر الحسينية، إذ

١- المصلح الاسلامي السيد محسن الأمين ص ١٧.

٢- المصدر نفسه ص ٢٤.

يقول: "مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة، ضرب الرؤوس بالسيوف"[1].

ويتابع السيد الأمين: "فبذلنا غاية الإمكان في تعليم العلوم العربية، واستأجرنا داراً لتعليم البنات إلى جانب تعليم البنين"[2].

إن الإهتمام بالمرأة وتعليمها في ذلك الوقت كان عملاً حضارياً.

ويتابع ذكر إنجازه على هذا الصعيد: "أنشأنا مدرسة باسم المدرسة العلوية، وثانية أسميناها المدرسة اليوسفيه، بعدما تبرع بتكلفتها يوسف بيضون"[3].

وحول موضوع التأليف والكتاب، وعرف عنه العمل الموسوعي. أمثال "أعيان الشيعة"، ويضيف: "وألفنا كتاب "المجالس السنية في مناقب ومصائب البنى والعترة النبوية في خمسة أجزاء، الأربعة الأولى خاصة بالحسين"[4].

ويضع السيد الأمين نقطة على حروف الموضوع، يقول: "ومن جهات الخلل في إقامة العزاء، وجرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ولبس الأكفان، وكان هذا محرماً بنص الشرع، وحكم العقل، فجرح الرؤوس إيذاء للنفس محرّم عقلاً وشرعاً، لا يترتّب عليه فائدة دينيه ولا دنيوية، بل يترتّب عليه زيادة على أنه إيذاء للنفس والضرر الديني وهو إبراز شيعة أهل البيت بصورة الوحشية والسخرية"[5].

ونتيجة تلك الطروحات يومذاك، قال البعض إنه "خرج من دين الإسلام"[6].

وحول نظرته إلى عمل العلماء وخروجهم إلى الناس والمجتمع يقول: "لكننا،

١- المصلح الاسلامي السيد محسن الأمين ص ٢٤.
٢- المصدر نفسه ص ٢٧.
٣- المصدر نفسه ص ٢٦.
٤- المصدر نفسه ص ٢٧.
٥- المصدر نفسه ص ٢٧.
٦- المصدر نفسه ص ٢٨.

ألفنا العزلة، والتباعد عن الناس، مهما أمكن، مع اشتغالنا بالمرافعات، وفصل النزاعات وتدبير أمر المعاش"[1].

وأبرز ما تصدى له في الشأن العام، قضية شركة الكهرباء في سوريا.

يورد السيد الأمين: "اختلفت شركة الجرّ والتنوير الأجنبية مع الأهالي في دمشق، وكان عندي ذات ليلة، فريق من زعماء الكتلة الوطنية فقلت، فما بالنا لا نقاطع هذه الشركة الأجنبية، لقد أماتت الدولة العثمانية عواطف الشهامة والشمم في كبريائنا، لا يبالون بتحكم شركة الكهرباء الأجنبية بهم، ويتابع السيد رأيه يقول: "ما تعودت أن ألقي كلاماً في المجتمعات، ولكن أنتم بلغّوه عني"[2]، وكانت النتيجة في اليوم التالي أن قاطع الناس الشركة مقاطعة تامة، وأحرقوا بعض عرباتهم، ولم يعد يركب فيها أحد، ثم تحوّل الأمر إلى قيام "انتفاضة" على الإنتداب الفرنسي"[3].

ومن مواقفه العامة، أنه أيد علناً دعوة الملك فيصل بن الحسين، والذي دخل دمشق عام ١٩٢٠ وكان الإنكليز والفرنسيون متواجدين في دمشق في تلك الحقبة، لقد أيد الملك فيصل وهنأه عندما تم تتويجه ملكاً على سوريا.

وعندما أصدر الفرنسيون قانون الطوائف، بما لا يوافق مصلحة المسلمين، ويخالف نص الشرع الإسلامي، تقدّم السيد باحتجاج للمفوضية الفرنسية، ونشرته الصحف، فاضطر الفرنسيون إلى الرضوخ، وأعلن السيد أن لا فرق بين سني وشيعي، وعرضوا عليه بإحداث منصب رأس علماء الشيعة في لبنان وسوريا فرفض، ودعا إلى الثورة على الفرنسيين، وأيد القضية الفلسطينية، وتوجه إلى المسلمين ودعاهم إلى مساندتها.

١- المصلح الاسلامي السيد محسن الأمين ص ٢٨.

٢- المصدر نفسه ص ٣٠.

٣- المصدر نفسه ص ٣٠.

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

ولد السيد في الكاظمية العراق عام ١٨٧١ في أثناء رحلة والده لطلب العلم في النجف الأشرف. عاد إلى شحور - جبل عامل في الثامنة بادئاً تلقي العلم على والده ووالدته زهراء الصدر، شقيقة العالم المعروف السيد حسن الصدر، وكانت تفقه الدين، وتعرف المذاهب بحكم نشأتها[١].

بدأ رحلة العلم وهو في العشرين من عمره، إلى الكاظمية من جدّه لأمه، آية الله السيد هادي الصدر، وفي أثناء دراسته تميّز في مجالات القدرة الذهنية، وجلسات المناظرة والتمكن من المسائل الفقهية والأصولية وسرعة الإستنباط"[٢].

اشتغل السيد في كتب التفسير والحديث والتاريخ، ونفذ إلى آفاق التأمل والتحليل والإجتهاد. وكان الطابع الغالب على مؤلفاته هو الطابع الفكري العقائدي بتأثير من أجواء تلك الفترة، حيث دعوات التوحيد وليس التفرقة[٣].

وأخذ عن شيوخ الإمامية، وأضاف الأخذ عن مشايخ الزيدية، وأهل السنة، والجماعة، سماعاً ومكاتبه"[٤].

طلب منه والده العودة إلى لبنان واستقر في جبل عامل قرية شحور، وكان في

١- الإمام شرف الدين، مجتهد العصر، دار الارقم، صور عبد العزيز سيد الاهل ط١-١٩٩٨ ص ١٦.

٢- المصدر نفسه ص ١٨.

٣- ابرزكتيه- المراجعات- النص والاجتهاد- ابو هريرة- زينب الكبرى، بغية الراغبين.

٤- الإمام شرف الدين، محمد رضا حكيمي ط١، ٢٠١١ ص ٤٣.

الثانية والثلاثين[1] وانتقل إلى صور حيث الدائرة أوسع. وقد أعطى السيد الإمام إسماعيل الصدر للسيد شرف الدين ترخيصاً ودعماً، للعمل برسالة مكتوبة عممت على الناس[2].

دخل السيد صور، وإذا بها خالية من أي مركز ديني أو اجتماعي أو علمي أو ثقافي، سوى مسجد صغير قديم، بقي من آثار الوائليين زعماء الشيعة في جبل عامل[3].

وبدأ رحلة الإرشاد والوعظ والإصلاح، فكر ببناء المسجد. وقد استمنحه السلطان العثماني محمد رشاد مساحة واسعة من خرائب صور، كانت من الصوافي، التي هي ملك للخلفاء العثمانيين.

وبعد رحيل الحكم العثماني وحلول الفرنسي مكانه، عمل الإقطاع السياسي على نزع الوقف من السيد، بمساندة الإحتلال الفرنسي فتوقف مشروع السيد"[4].

لكن السيد بنى مسجداً بعدما تبّرع أحد المؤمنين بقطعة أرض، وبعدما خفّت وطأة الفرنسيين أرسلوا للسيد موافقتهم على تأسيس المعهد العلمي على الأرض الرشاديه، فبنى السيد مخازن لتدر بعض المال، وعاد السياسيون للتدخل ضد مشروع السيد، فأوقف حتى ١٩٣٥ حيث استقر المشروع بعد محاكمات.

عام ١٩٢٠ أحرق الفرنسيون دار السيد عبد الحسين، ومكتبته، ومن مواقفه أنه أيد وحدة سوريا وبلاد الشام، وانخرط في قيادة الثورة في جبل عامل، وخطبته شهيرة في مؤتمر وادي الحجير، كان يقول أمنيتنا وحدة سوريا والعراق بحدودها الجغرافية الطبيعية، ومن مواقفه في أثناء حادثة عين إبل الطائفية، التي لم تكن فرنسا

١- مجتهد العصر- محمد رضا حكيمي ط١، ٢٠٠١ ص ٣٢.

٢- حياة الإمام شرف الدين في سطور حسن قبيسي ط١، ١٩٨٠ ص ٤٨.

٣- المصدر نفسه ص ٨٤.

٤- الإمام شرف الدين مجتهد العصر، دار الارقم ص ٤٣.

بعيدة عنها - خطابه الشهير- الذي يقول فيه: "ألا وأن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن، وفي المصير، فأحبوا لهم ما تحبونه لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم وأموالهم، كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة، بهذا السلوك يا أبنائي الأعزاء دون غيره، تردّون كيد الفرنسيين إلى نحورهم"[1].

إثر هذه المواقف غضبت فرنسا عليه وأحرقت داره، وفرضت الجزية على جبل عامل.

وفي ردة فعل على وعد بلفور، يقول السيد شرف الدين: "إن فلسطين من سوريا بمنزلة العين من الوجه، ومن العرب بمنزلة القلب من الجسد، ولا قرار واستقرار بانفصالها عنها، والرفض حتى الموت لوعد بلفور"[2].

وعام ١٩٤٥ رفع السيد شرف الدين عريضة باسم أهالي جبل عامل ورد فيها: "نحن أهالي جبل عامل نحتج بشدة ضد إنزال جيوش أجنبية في بلدنا، الذي هو مستقّل، هذا استخفاف بحريتنا، وازدراء بشرفنا، ونحن على استعداد للدفاع عن استقلالنا، لن نتردد بذرف آخر نقطة من دمائنا في هذا الخصوص"[3].

وللسيد موقف لافت في أثناء العدوان الثلاثي ١٩٥٦ على مصر، يورد "تحت راية الحق يحملها جمال عبد الناصر".

وللسيد موقف في أثناء قيام حلف بغداد، قام شاه إيران بزيارة لبنان، ورغب بزيارة صور، قال للوفد الذي زاره "إني أبرأ إلى الله من كل ما يمتّ إلى الإستعمار وحلف بغداد"[4].

١- السيد عبد الحسين شرف الدين، بغية الراغبين، ج ٢، م.س، ص ٤٤١.

٢- المصدر نفسه ص ٤٥٦.

٣- فؤاد عجمي ص٥٠ من عريضة قدمها السيد شرف الدين كما جاء في التقرير الشهري السياسي للقنصلية الاميركية في بيروت ٢١ ايار ١٩٤٥.

٤- السيد عبد الحسين شرف الدين، بغية الراغبين، ج ٢، م.س، ص ٦١٢.

أما في المجال التربوي، ففي عام ١٩٣٨ كانت المدرسة الجعفرية تفتح أبوابها ويتلقى التلاميذ من أبناء جبل عامل دروسهم، فيها مجاناً، وأوكل إدارة المدرسة إلى ولده جعفر، الذي غدا بعد ذلك نائباً عن الجنوب في المجلس النيابي اللبناني.

إلى جانب المدرسة والجامع، والندوة الحسينية، والمعهد، بجناحيه للأبناء والبنات، إلى جانب معهد العلوم الدينية، يكون السيد قد أتم عدته للعمل.

وللإقطاع السياسي المناوئ لطروحات السيد ومشاريعه في صور رأي، فقد قال السفير خليل كاظم الخليل عما جرى تلك الفترة.

"كان السيد عبد الحسين شرف الدين على علاقة جيدة مع آل الأسعد، وكانوا يحركونه ضدنا، وهذا الأمر كان أيام جدّي، وأيام كامل الأسعد الجدّ، وتطور الخلاف عندما حاول السيد عبد الحسين أن يسجّل وفق الطائفة باسمه الشخصي، مستغلاً مرجعيته في الطائفة"[1].

١- السفير خليل كاظم الخليل، مقابلة للباحث معه.

الشيخ حبيب آل ابراهيم المهاجر

أبرز العلماء الذين طبعوا منطقة بعلبك، الهرمل بطابعه قبل مجيء الإمام الصدر.

ولد الشيخ حبيب عام ١٨٨٦ في حناويه - الجنوب، هاجر إلى النجف عام ١٩١٠، أمضى فيها خمس سنوات، عاد إلى الوطن عام ١٩١٥، ثم هاجر ثانية إلى النجف ١٩١٩، وانتقل إلى "الكوت". حسب رغبة السيد المرجع أبي الحسن الأصفهاني، أعظم مراجع النجف في زمانه، استمرت إقامته فيها خمس سنوات. غادر بعدها إلى العمارة، أكبر حواضر جنوب العراق[١].

كان العراق قد انتقل حينذاك، من سلطة "العثمانيين"، إلى الانتداب البريطاني، تصدى لعمل الهيئات التبشيرية في جنوب العراق، والجنوب قلب الكثافة السكانية الشيعية، متواصلاً من جهة مع وسط العراق، ومن جهة أخرى مع أكبر مركز للتشيع في العالم في "إيران" التي كانت تعيش تخلفاً وقهراً مزمنين.

وكانت الهيئات التبشيرية قد بنت مستشفى كبيراً مجانياً، متطوراً يومذاك، وبنوا مكتبة ومطبعة محققةً نجاحاً مذهلاً[٢].

في عام ١٩٢٧ وصل الشيخ "العمارة" وقد أوكل إليه وحده مقاومة الحملة التبشيرية، فأنشأ مستشفى، ثم أصدر فتوى بحرمة التعامل مع مستشفى المبشرين،

١-المهاجر العاملي ص ١٥.

٢-المصدر نفسه ص ١٩

كما أسس مطبعة، وأصدر مجلة "الهدى" ومدارس حملت الإسم نفسه، ومكتبة عامة، وألف العديد من الكتب[1].

وخلال ثلاث سنوات - أو تزيد قليلاً - من العمل الدؤوب، وجد المبشرون، أنفسهم معزولين تماماً، مرفوضين من الناس كافة، حتى اضطروا في النهاية إلى الرحيل، وقد بلغت مكانته، ان قال فيصل الأول: "أنا ملك العراق ما عدا جنوبه، فالشيخ حبيب هو ملك الجنوب".

عام ١٩٣٢ عاد إلى الجنوب اللبناني، وبعدها استقر في بعلبك، إثر اتصالات جرت بين أهالي المدينة والشيخ، ساهم فيها السيد أبو الحسن الأصفهاني، وفيها قضى ما بقي من عمره أي ثلاث وثلاثين سنة على وجه التقريب"[2].

كانت منطقة البقاع يوم نزل فيها الشيخ حبيب في غاية التخلف بمختلف المعايير، دينياً، اجتماعياً، ومعيشياً.

كانت في بعلبك مدرسة واحدة، مخصصة أساساً لأبناء الموظفين الميسورين، فاهتم الشيخ بالتعليم، فأنشأ اثنتي عشرة مدرسة، حملت جميعها اسم "الهدى"، شملت أيضاً القرى المجاورة لبعلبك، شمل نشاطه منطقة واسعة جداً، إلى درجة أن حياته لفترة كانت تجوالاً شبه دائم، من مشغرة في أقصى البقاع الغربي إلى بلدة نُبُّل في قضاء حلب[3].

عام ١٩٤٩ اهتم بوضع العلويين، فحثهم على جمع صفوفهم وتوحيد كلمتهم، فتأسست الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في اللاذقية ١٩٥١، وكانت النتيجة الأولى، صدور مرسوم من الدولة السورية، يعلن أن العلويين هم مسلمون جعفريون،

١- المهاجر العاملي، ص ١٩

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه

وكان ذلك بمنزلة نقطة الختام لكل الأوهام التي شاعت في حقهم[١].

فالشيخ حبيب هو الذي بذر بذور الإسلام في البقاع، إلى جانب علماء من آل زغيب - يونين - وكانت فترة العمل الإسلامي في القرى قبل حضور الإمام تعتبر فترة الهمس[٢].

وكانت حلقاته الدينية تعتمد على الأسئلة في أغلبها، عن الطهارة والنجاسة، الصلاة والصوم، ولم يكن يتكلم في السياسة[٣].

وكان يطل بعض الأوقات على الشأن العام، فقد وقعّ على وثيقة شعبية، سياسية لأنصار السلم، ولم يكن متعصباً، وكانت كلمته نافذة، وكان صاحب حركة دينية عادية في منأى عن السياسة[٤].

ويختصر الوضع الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، بقوله: "يوجد بعض علماء الدين البارزين مثل السيد محسن الأمين، والسيد عبد الحسين شرف الدين، الشيخ محمد عبد الحسين صادق، والشيخ محمد تقي صادق، كان لهم بروز على المستوى الشعبي، ولكن من خلال الصيغة التقليدية جداً، ولم يكن لهم بروز وفاعلية، على صعيد تفاعل الوعي الديني مع الحياة اليومية"[٥].

أما في منطقة الشمال اللبناني، يقول الشيخ علي منصور أحد كبار علماء الطائفة العلوية.

كانت علاقتي مع علماء الشيعة الموجودين في لبنان وسوريا، علاقة متميزة، وكنت أعرف السيد محسن الأمين بالشام، وعبد الحسين شرف الدين، وأهداني

١- المهاجر العاملي، ص ١٩.

٢- الشيخ حسين عبيد، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٣- الحاج مهدي زين – شمسطار، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٤- عبد مرتضى الحسيني، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٥- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث ومعه.

كتبه، وكتبت في مجلة "العرفان" وكنت أجتمع مع الشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر، وكانت لي علاقة مع الشيخ حبيب آل إبراهيم، وكانت مجلته "الإسلام" منتشرة في سوريا، وكانت تدخل كل بيت"[١].

وللسيد محمد حسن الأمين وجهة نظر حول الوضع الديني قبيل مجيء الإمام الصدر، حيث يقول: "وفي مرحلة من المراحل كان علماء الدين الشيعة بشكل خاص، يبتعدون عن السياسة والجدل السياسي، وكان بعض العلماء من يؤيد أحياناً الفريق السياسي مثل بيت آل الأسعد وأنسبائهم آل صادق وآل الخليل. وهذه العائلات السياسية، كانت على علاقات مع علماء، لكن الطابع العام للعالم ألا يكون محسوباً على سياسي، وهذه التربية الأصلية موجودة في تاريخنا الشيعي، كرجل دين هو فوق الإنقسامات السياسية"[٢].

واتخذ البعض مواقف أكثر جرأة وحدة، يضيف السيد محمد حسن الأمين: "كان والدي يرفض استقبال أحد المرشحين للإنتخابات وإن كان أحمد الأسعد وكاظم الخليل أو غيرهم"[٣] كان يدعم بعض العلماء بعض السياسيين، لكن لم تصل حتى حدود التبعية.

أما الشيخ محمد جواد مغنية "أكثر العلماء الكبار وعياً لتفاعل الدين مع الحياة العامة"، "يقول الإمام الشيخ محمد شمس الدين".

كان يتعاطى قضايا علاقات الإيمان الديني في الحياة اليومية والسياسية والاقتصادية، قضايا الأسرة، قضايا الشبهات التي تثار حول الإسلام من قبل المستشرقين، أو في الحركة اليسارية أو اليمينية وكانت له كتابات مفيدة ومقتصرة على دائرة محدودة جداً".

١- الشيخ علي منصور في طرابلس، مقابلة للباحث معه.

٢- السيد محمد حسن الأمين، مقابلة للباحث معه.

٣- المصدر نفسه.

حيث يقول: "إن علماء جبل عامل مشتتون لم تجتمع كلمتهم على أمر بما إننا غير مجتمعين، حالتنا أشبه بحالة الإحتضار"[1].

ويتوجه الشيخ مغنية في نقد عنيف جداً لرجال السياسة في جبل عامل إذ يقول: "لقد أبدى زعماء جبل عامل نشاطاً غريباً في هذه الأيام التي يعاني فيها الناس ويلات الحرب وآلامها، فأشعلوا نار الفتن وتوزعوا بشتى وسائل الهدم والتخريب، جمعوا حولهم اللصوص، وقطاع الطرق، والرعاع المشاغبين، الذين يصفقون لجرائم الزعماء، ويتأهبون لتدنيس المجتمعات"[2].

ويتابع الشيخ مغنية في نقد بعض العلماء إذ يقول: "وإن من البدعة والضلال أن يستحلّ المتّسم بسمة أهل العلم، تشجيعهم على ظلمهم، فيصُحح أغلاطهم، ويحسّن مساوئهم، وكيف يسوّغ لمن ينتسب إلى العلم والدين أن يركن إلى الزعماء، وهم السبب الأكبر في تمزيق "جمعية العلماء". والمعول، الذي هدم المعهد العلمي، بعد أن تهيأت أسبابه وتمت جميع أدواته التمهيدية"[3].

ويختصر الإمام شمس الدين الوضع الديني قبل الإمام الصدر: "كان باعتباره تقليديا، وبصيغة أخرى كانت جامدة، أو متخلفة، كانوا يمارسون شعائرهم الدينية، كانت صلاتهم، وصيامهم، وحجهم، على المألوف في سائر البلاد الإسلامية"[4].

ويدخل الإمام شمس الدين في بعض التفاصيل، يضيف: "في قضايا الأسرة، وفي قضايا السياسة، وفي قضايا الاقتصاد، وفي قضايا الأزمات الاجتماعية، وقضايا المرأة، كان المسلمون الشيعة متخلفون عن المسلمين السنة، مثلاً، وبطبيعة الحال كانوا متخلفين عن وعي المسلمين، كانت الحياة الدينية تقليدية جداً، لم يكن هناك

١- محمد جواد مغنية، الوضع الحاضر في جبل عامل في مطلع الإستقلال ١٩٤٥، ص٥٧.

٢- المصدر نفسه ص ٥٩.

٣- المصدر نفسه ص ٦١.

٤- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث ومعه.

وعي لتفاعل الدين مع الحياة العامة للإنسان، في المجتمع وللجماعة في المجتمع"[١]. وحول تأثير المكان على حياة السكان، يورد الإمام شمس الدين: "أما المسلمون الشيعة في الأرياف، والشيعة سكان أرياف ووجودهم في المدن وجود حادث وطارئ. كانت حياة الشيعة في الأرياف حياة ساذجة، وتقتصر على الشعائر، ومن دون وعي لعلاقات الإيمان بمتغيرات الحياة الشيعية".

ويورد دولة الرئيس حسين الحسيني نقاطاً يعتبرها أساسية في الموضوع نفسه: "كان العلماء قبل مجيء الإمام يؤثرون الإبتعاد عن الشأن العام، بمعنى أدق عن العمل السياسي والإجتماعي، ويحصرون نشاطهم على النشاطات الفقهيه، لأن السلطنة العثمانية ورواسب الحكم العثماني، كانت تقضي على رجال الدين ألا يتعاطوا بالشأن العام السياسي، إلا من خلال الدعوة لتأييد السلطة ومؤازرتها، وهذا ما انعكس على علماء لبنان، فهم يحتاجون دوماً إلى دعم من قبل النافذين"[٢].

أما حول الفهم السياسي لدى المجتمع، فقد كان محدود التأثير.

"كان هناك عند الناس العاديين غفلة كاملة عن طبيعة النظام السياسي القائم، ما كشف فيما بعد، ما يسمى المارونية السياسية، لعله كان مدركاً من قبل نخبة صغيرة"[٣].

وحول الوضع السياسي في الجنوب، يعتبر الإمام شمس الدين: "كان الجنوب تحت سيطرة الإقطاع السياسي، لا أذكر أنه كانت حياة سياسة نشطة للشيعة في غير الجنوب والبقاع".

أما حول الحركة الحزبية في الجنوب، فقد كانت بذوراً تزرع في تلك التربة، يوضح الأستاذ محسن ابراهيم أحد أبرز رجالات اليسار والحركة الحزبية في لبنان، يقول: "كان الجنوب دائماً له اعتبار خاص، ووزن خاص، في كل ما تعاقب من

١- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث ومعه.

٢- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

٣- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث ومعه.

عمليات تأسيس حزبي منذ الثلاثينات، وصاعداً، من ذلك تأسس اليسار الأول - الحزب الشيوعي، حركة القوميين العرب، حزب البعث، بوجهه اللبناني"[١].

ويميز الأستاذ ابراهيم في ممثلي الإقطاع السياسي الأسعدي وأدوارهم في مختلف المراحل.

"كان الإقطاع الأسعدي ممثلاً خاصة بكامل الأسعد، يختلف سلوكاً وممارسة عن والده، لقد كان لأحمد الأسعد الأداء المرن، الشعبية المرنه، خاصة تجاه حقبة الخمسينيات، وحلف بغداد، ومشروع أيزنهاور، وأحداث ١٩٥٨، أبحر الأسعد فيها وخرج سالماً، فيما كان كامل الأسعد صاحب تجذير الخصومة مع كل التيارات"[٢].

ولعل الإمام شمس الدين ينصف السياسي وسلوكه، بإلقاء المسؤولية على الناس، وعلى تربية الناس في نظرتهم للأمور، يضيف: "كان هناك مصادرة للإرادة الشعبية، ولعلها مصادرة ناتجة عن رضى، يعني الناس كانت تقبل بهذه الصيغة القائمة، لأن تربيتها الدينية السياسية، رؤيتها، إطروحتها لتفاعل مضمونها الديني والثقافي مع المجتمع العام ومع المجتمع السياسي، لم يكن يرى بأساً بوجود زعيم يلخصّ الإرادة والتوجه، ويصدق فيما يقول، وكان هناك، غفلة كاملة عن طبيعة النظام"[٣].

ويتابع الشيخ شمس الدين حول الحرمان والإحساس به وطريقة معالجته.

"ويبدو لي أن إدراك طبيعة الحرمان ودرجته، لم تكن موجودة بالشكل الذي تحوّل فيما بعد إلى أزمة سياسية"[٤].

١- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

٢- المصدر نفسه.

٣- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث معه

٤- المصدر نفسه.

وحول محدودية التأثير الشعبي لحركة اليسار، فللشيخ شمس الدين رأيه، إذ يقول: "اليسار اللبناني الذي كان من إحدى وظائفه التوعية والتفكير لم يكن نشطاً إطلاقاً كان يقتصر على النخب"[١].

ويختصر الإمام شمس الدين الوضع الشيعي من ضمن المارونية السياسية، بقوله: "قبل الإمام موسى الصدر، كان الشيعة مندمجين اندماجاً كلياً في المارونية السياسية، في المشروع الماروني، كانوا أحد حملة المشروع الماروني، حيث خرجوا من الإندماج بعملية غير هينة"[٢].

وحول الوضع الداخلي، يقول الشيخ محمود فرحات، "لم يكن عندنا خطبة جمعة تذاع في وسائل الإعلام الرسمية، ناقشنا مدير عام الإعلام شارل رزق، طلبنا إنصافنا في خطب الجمعة فحصلنا عليها، ثم طالبنا المناصفة، في حديث السحور من الإذاعة سنة ١٩٧١-١٩٧٢ وحصلنا على بعض الأحاديث في رمضان ٢ للشيعة و٢ للسنة كل ذلك لم يأت عفو الخاطر، أتت بعد معارك سياسية مع رشيد كرامي - صبري حماده - السيد موسى - محمد صفي الدين واجتماعات عديدة.

وأوضح الإمام لائحة بالغبن اللاحق بالشيعة في الوظائف، بناء على معلومات استقاها من خبراء في الإدارة اللبنانية.

الفئة الأولى: تتمتع الطائفة ب ٤٠٪ من حقوقها وهي محرومة من ٦٠٪ منها.

الفئة الثانية: نالت ٣٧٪ وحرمت من ٦٣٪.

الفئة الثالثة: نالت ١٢٪ وحرمت ٨٨٪ من الحقوق التي يكرسها الدستور[٣].

١- الإمام شمس الدين، مقابلة للباحث ومعه.

٢- المصدر نفسه.

٣- مجلة كل شيء عام ١٩٧٣.

الضواحي

شكلت الضواحي، ضواحي بيروت، الشرقية منها والجنوبية والغربية الحاضنة الأساسية للتحرك في تلك الفترة، فترة الغليان، جاء في جريدة النهار يوم ٢٧-٥-١٩٧٠:

"وكانت برج حمود، والنبعة كقفير نحل تغلي بالمتظاهرين، الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والسابعة عشرة، وخاصة أبناء النازحين، الذين وصلوا الأسبوع الماضي إلى تلك المحلة، وكانت لجنة من الشباب قد نظمت الإضراب وأمنت إقفالاً شاملاً، وفي شوارع المحلة علقت لافتات: "فليسقط اللامبالون قبل فوات الأوان" "نطالب بدخول الجيوش العربية، والتنسيق مع الجبهة الشرقية، "أين الدفاع يا دولة الخدمات".

يروي السيد شفيق الموسوي أجواء تلك الفترة.

كنت بين مجموعة من الشباب، طلاب ثانويين وجامعيين، التحقنا بجلسة أسبوعية، ثقافية في المجلس الشيعي في الحازمية سنة ١٩٧٣ وسنة ١٩٧٤ بدأنا ما يشبه التنظيم لهذه الجلسات واللقاءات، بعدما ضمت الكثير من الطاقات، التي تسعى وتحاول تفهم مشروع الإمام الصدر الوطني.

كان السيد مقبولاً من الوجوه الشبابية والثقافية والفكرية، التي تبنت مشروعه، ودافعت بقوة عنه، في تلك الفترة، أغلب رجال الدين كانوا ضد مشروعه، وضد إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

"كانت حركة العالم الشيعي تعيش في إطار متقوقع على ذاته، لم تكن تفكر بهموم وطنيه، ولا تفكر بهموم فكرية ثقافية، يمكن أن تفكر ببعض القضايا الإسلامية المحصورة بالفتوى، حالتهم لم تكن تدفع بالشباب والجماهير للالتفاف حولهم، كانت ذهنيتهم الإتجاه نحو الدعة، والهدوء، والإطمئنان، وكانت حركة السيد موسى مواجهة المشاكل".

يتابع السيد شفيق الموسوي:

"الإطار الأول الذي عملت فيه في الضاحية - برج البراجنة، كان إطاراً ثقافياً بإشراف الشيخ عبد الأمير قبلان، وكانت دروساً فقهية - دينية.

كنا مجموعة، أبرزهم الحاج حسين الخليل، كان هدف الإخوان الحضور إلى المسجد، واحتضن السيد موسى هذه المجموعة، وكانت الدروس تعطى مرة في مبنى المجلس الحازمية، وفي جبهة النضال الاجتماعي، رأس النبع، كان عملاً ثقافياً، وكان عددنا يتراوح ما بين ١٥-٢٠ شاباً، تكونت المجموعة من الطلاب، وبعض التجار وأصحاب المحلات، أذكر الحاج طارق الخليل، والحاج غازي العنان، ومحمد الحركة وغيرهم.

كانت دروس ثقافة، وكانت الحركة اليسارية متقدمة في الضاحية، ويومها طرح موقف الإسلام من الإستعمار، والجهاد، وإسرائيل، والاقتصاد! السيد موسى هو الذي طرح هذه المفاهيم.

يتابع السيد الموسوي

استفدنا من دروس ووجود الشيخ حسين عواد، كان له الدور الكبير في تربية الشباب أخلاقياً ومعرفة الحلال والحرام.

تطورت حركة الشباب باتجاه عمل الإمام الصدر في بدايات حركة المحرومين، وكانت الجماهير من جميع الفئات والمناطق، والأعمار يحركهم حسّ الطائفة.

كان عند الإمام المشروع المطلبي، وكان المشروع الوطني، حول الدفاع عن الجنوب. كان يطالب بتأسيس الأنصار، بإعطاء مقومات الصمود لإبن الجنوب، حتى لا يزحف إلى بيروت، كان يعيق عمل السيد موسى، كل من كامل الأسعد واليسار، كان للحزب القومي الاجتماعي السوري وجود في الضاحية، ومجموعات لحزب التحرير الإسلامي، والحزب الشيوعي والتنظيم الناصري.

كنا نكتب الشعارات على جدران برج البراجنة، ويأتي أفراد من التنظيم الناصري ويشطبون الشعارات، وكان الدرك يهددوننا بالحبس.

وبعد تطور الأحداث، أصبح الإمام الصدر يقسم الجلسة إلى درس ثقافي، وموقف سياسي، وفيه يتعرض للأحداث السياسية.

يروي السيد محمد سعيد الخنساء، أبو سعيد، الوضع الإسلامي في الغبيري وغيرها، "اتخذنا خطوة أولى، مجموعة أخوة مؤمنين، التقينا في مسجد زين العابدين (ع) في الغبيري، أذكر خضر دبوّس وكمال سيف الدين.

وفي برج البراجنة لنا أخوة يعملون معنا: حسين الخليل، شفيق الموسوي، نسيم عطوي، كان لدينا مواعيد لأخذ الدروس الفكرية والعقائدية والعبادية، من قبل الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ علي الكوراني والشيخ حسين معتوق والشيخ محمد حسن قبيسي.

كانت الإنطلاقة في المساجد، والعمل في ندوات تكرر محاضرات، وأعطى بعض الدروس الشيخ حسن عواد، السيد فيصل الأمين، الشيخ علي كوراني، الذي كان يقوم بعمل سياسي حزبي: "الدعوة"، والشيخ حسين عواد، الذي كان يقدم لنا بعض الدورس الروحية الأخلاقية.

ويتابع السيد أبو سعيد روايته في تلك الفترة:

أنشأنا مجلة "صوت الشبيبة المسلمة"، كنا نتبع أسلوباً جديداً في تحصيل المال، فنأخذ بدل صلاة وصوم عن بعض الأشخاص، نكلف بعض الأخوة القيام

بهذه العبادات، مقابل المال، ونغطي المصاريف، إذ كان وضعنا المالي ليس جيداً.

في تلك الفترة كانت في الساحة هجمة يسارية مركزّة، تلك الهجمة كانت تخالف الفطرة، وكانت هجمة متشددة عقائدياً، يغلب على نشاطها طابع الجدلي "ديالكتيك" ونقاش فكري حاد. كانت الساحة فارغة من عمل إسلامي، وكان عندنا شوق لأي عمل له طابع رسالي ديني.

عندما انطلقت حركة السيد موسى بالنهوض، شعرنا بشيء يعبر عن مشروعنا، وليس مشروع الآخرين وكانت المنطلقات.

١. من عامل ذاتي نظري، أي مواجهة الحركة الإلحادية الحزبية.

٢. كان مشروعه التعبير عن الوجود السياسي، وكنا نريد شيئاً يعبر عن كياننا السياسي وتطلعاتنا.

اعتمدنا أسلوب النخبة، نركز على بعض الشباب، نراقبهم وندرس إمكاناتهم ونطلب من أحدنا التركيز عليه وإقامة علاقة معه ونتابعه.

كنا نصطدم بمحيطنا أولاً، فوراً كان يقال، أنتم حركة إخوان مسلمين حيث لم يكن هناك أي نشاط شيعي إسلامي حزبي.

كنا نخوض مناقشات ومناوشات في مراكز منظمة العمل الشيوعي، ومنظمة الشباب الديمقراطي، وفي مراكزنا، ونقوم بنقاش وحوار مع الأحزاب، مرة عندنا ومرّة عندهم.

انطلقنا من عملنا الطلابي لتكوين الإتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، كانت حركة يسارية من جهة، ومن الجهة الأخرى حركة يمينية. كنا الحلقة المفقودة، ومن أبرز ذكرياتي تلك الفترة، محاضرة للسيد موسى في المهنية العاملية عنوانها: الدين وحركات التحرر العالمية.

يتابع السيد الخنسا

كنا سريين في البداية في تشكيل الإتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، حاولنا التقدم بطلب لأخذ الترخيص بالشكل القانوني، وكان وزير التربية آنذاك إدمون رزق، لكن اختفى الطلب، وبعد مراجعة السيد موسى والطلب إليه بالمساعدة على ذلك، طلب من النائب علي الخليل وكان وزيراً، أن يأخذ الطلب بيده ويوقعه، وهكذا حصلنا على الترخيص.

انطلقنا من حركة المسجد إلى وسط طلابي، أقمنا أول احتفال كبير في مسجد الغبيري، تكلم فيه السيد موسى، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، هذا العمل خرج عن المألوف الثقافي، أسسنا أول الفرق الرياضية، نادي الإيمان الرياضي، كنا نلعب في ملعب روضة الشهيدين، عملنا في التعليم المجاني للطلاب المقصرين في المركز، وجهزنا قاعة تحت مسجد زين العادين (ع) في الغبيري.

يتابع السيد الخنسا

كان يجمعنا التقارب في السن، والتعامل الأخوي، نلتقي بالأفق السياسي مع السيد موسى وطروحاته السياسية، وفي الفترة نفسها بدأت حركة حزب الدعوة الإسلامية السرية الفكرية، وكانت حركتهم ترفد حركتنا، كان "المرجع" المحلي الشيخ حسن عواد، والمرجع السياسي كان السيد موسى.

وكنا كلنا في مسائلنا الفكرية، نعتبر السيد محمد باقر الصدر، هو العمق الفكري لنا، كنا ندرس كتبه لمناقشة اليسار.

في مجال الاخوات كانت زوجة الأخ حسن حسين الحاجة أم علي، ناشطة في الجامعة ومحجبة، يومها الحجاب كان له استهجان وقيمة. وقد أسمينا العمل رابطة العمل الإسلامي.

طرحنا أقصى التشدد الإسلامي، الموسيقى ممنوعة، كان السيد عباس الموسوي، والذي عُين الأمين العام لحزب الله واستشهد على يد إسرائيل في الجنوب، كان من شباب اللجنة الثقافية في الغبيري، التقى مع السيد موسى، وأعطاه الرعاية والإهتمام كان متحمساً للعمل في صفوف المقاومة الفلسطينية، وكسرت رجله في أثناء مرحلة التدريب، فرز السيد موسى السيد عباس للعمل الحوزوي. وبرز أيضاً الحاج محمود قماطي وعمل في الكشافة.

يتابع السيد الخنسا

كان السيد موسى شمولي النزعة في العمل، مع كل الناس على المستويات كافة وكان يتصل بالشباب ويشجعهم على العمل، كنا نسأله أين جوّنا وأين جوّهم؟ نقصد البرجوازية الشيعية، التي التفّت حوله فكان يقول، انتظروا حتى تكبروا ويبلغ ريشكم، كان يشجعنا على إقامة الندوات، ويلبي دعوتنا، كان يحضّر لحركة سياسية واسعة، واكب حركة التدريب قبل الأحداث، شعر أنه يجب الإستعداد.

كان الأخوة يقيمون شيئاً من التوازن بين القضية المحلية وبين الحالة الأوسع، وأن اختلاط الشباب بالعمل السياسي الخارجي، أعطى زخماً للحركة السياسية، وكان لبنان على أبواب الانفجار، كنا نحضر ندوات السيد في الجامعات والكنائس للتأييد.

وحول العلاقات يتابع الخنسا

كان لنا علاقة عبر "الإخوان" الشيخ نعيم قاسم، ومحمد رعد وحسن شري وعبد الرحيم فخر الدين مع الحركات الإسلامية "السنية"، وتأثرنا بهم في إقامة حلقات ذكر القرآن الكريم، وكنا نشارك في مسجد الدنا مع "الجماعة الإسلامية" السنية.

كانت حركة الدعوة والشيخ علي كوراني يدعوان للانفتاح على الوسط السني، يشاركنا في مخيمات كشفية "أبرزه مخيم الشبيبة في رأس المتن لأهل الجنوب،

وقمنا بالعمل التبشيري ما يقارب ٢٠ يوماً، وكان المخيم بإشراف مديرية الشباب والرياضة، بالتنسيق مع جمعية الشابات المسيحيات.

وفي مخيم الباروك، شاركنا في قطاف التفاح ونحن نقوم بالعمل التبشيري بين الطلاب.

حركة السيد موسى علمّت الحركات الإسلامية كيف تعمل في الشارع، والإنتقال من حركة المسجد إلى حركة الجماهير، وكيفية استقطاب كل الناس، سواء الذين عندهم مطالب أو الملتزمين بالرسالة والدين، علمّنا كيف ندخل مع الناس من خلال أحاسيسهم ومشاعرهم، ومن خلالها ندخل إلى الجانب العقائدي.

كان يفكر أن يعمل مؤسسات، للاطباء والمهندسين مثلاً: كان يعطي قيمة للأشخاص والمؤسسات، فكان عمله كمن يحفر في الصخر يومها، كنا نذهب للناس، اليوم يأتون إلينا.

يتابع السيد الخنسا

"أنشأنا مجلة المنطلق، وهي نشرة دورية ثقافية إسلامية، باقية حتى الآن، شاركنا في بناء مسجد جبشيت تطوعاً.

وكنا نقيم جلسات تأمل روحية، في أماكن جميلة قرب شاطئ أنطلياس ومنصورية المتن"[١].

أود أن أعلق تعليقين اثنين على بعض ما جاء على لسان السيد "أبو سعيد"، لقد دعيت يوماً، أعتقد نهاية السبعينات إلى إلقاء كلمة وحوار في مركز اتحاد الطلبة المسلمين، في الغبيري، وكنت قد كتبت في مجلة حركة أمل مقالاً بصفحتين بعنوان، يسألونك عن جنوب موسى الصدر، فقرأت المقال، وكان الحضور وأغلبه من الطلاب وقياداتهم، وكانوا على شيء جيد من الموضوعية والمعرفة، أذكر حينها

١- محمد سعيد الخنساء، ابو سعيد، مقابلة للباحث معه.

أن الأسئلة والحوار تمحورا حول موضوع الجنوب، وكيفية تحريره، ومواجهة إسرائيل، وما هي الخطة للمواجهة، وإلى أي حدّ تقف، هل الهدف تحرير كل فلسطين، أم فقط تحرير الجنوب؟ أذكر يومها أنني وجدت أناساً جذريين، ومن الواضح أنهم لا يملكون التجربة العملية، لكن وضعهم العقائدي كان جيداً، كانوا طلاباً في مرحلة التأهيل الفكري.

النقطة الثانية التي أريد التعليق عليها وهي دور الشيخ علي كوراني، لقد تعرّفت إلى الشيخ علي عام ١٩٧٤- ١٩٧٥، وكنا في الشياح، نقاتل في الجبهة، كنت أمر على منزله يومياً تقريباً، كان محاوراً جيداً له رؤية واضحة، وكنا نسأله، لم ألمس منه علاقة إيجابية مع الإمام الصدر، لكنه عندما اعتصم الإمام في مسجد العاملية، كان الشيخ من الذين قاموا بزيارته وتأييد خطوته، أعتقد أن هذا الأمر قد حصل بسبب الرأي الإيجابي للسيد محمد باقر الصدر بتحرك الإمام.

كان الشيخ علي كوراني يدعو للوحدة الإسلامية، وكان يشجع على العلاقة مع المثقفين، شيعة وغيره، كانت عقلية السيد المرجع محمد باقر الصدر واضحة في سلوكه ورأيه، لقد ترك الأثر الجميل في نفوس وعقول الذين التقوا به تلك الفترة.

يروي الأستاذ عاطف عون وهو من أوائل الذين عملوا في الخط الإسلامي في الضاحية:

كنا نقرأ كتب السيد محمد باقر الصدر، والتكامل في الإسلام لأحمد النجيفي، إذ كانت الأسرع انتشاراً وتداولاً بين الشباب.

أبرز العاملين كان الشيخ حسين عواد، كان مدرسة بحد ذاته، كان مدرسة فكرية، كان يدلك على طهارة العمل الإسلامي.

كان السيد محمد حسين فضل الله وجمعية أسرة التآخي في برج حمود. وكان الشيخ عبد الأمير قبلان والجمعية الخيرية الثقافية، وحسينية البرج، الرمل العالي، وكنا من مؤسسي الجمعية والعاملين فيها.

يتابع الأستاذ عاطف عون رواية تلك الفترة

اشترينا قطعة الأرض أرض الحسينية من والد السيد باقر الموسوي السيد أحمد الموسوي، أقمنا الشوادر في عاشوراء، على أرض الحسينية عام ١٩٦٤-١٩٦٥، صار الإمام الصدر يحضر احتفالاتنا بدءاً من عام ١٩٦٦.

أنشأنا "مدرسة التكامل الإسلامية"، والذي كان لي شرف إدارتها وتأسيسها في آن، كنا نسهر على المستوى الأكاديمي والإسلامي الأخلاقي.

وعملت في مبرة الإمام الخوئي للأيتام.

أذكر فترة البدايات، السيد نسيم عطوي، كان يملك شقة في شارع الحسينية - برج البراجنة - وكان يعلم فيها بعض الدروس، عقائد ومنطق وأحكام شرعية، كان يدعو العالم إلى منزل أحد الشباب، وتجتمع الشباب عنده، وتكون حلقة الدرس، السيد شفيق الموسوي كان من المجموعة الأولى، الحاج حسين الخليل، حسن حجازي "المطهّر القانوني" حسن حجازي كان يعطي كل جهده للعمل الإسلامي، كان وحده جبهة بحد ذاته، في شارع الإمام علي، برج البراجنة، التف حوله آل حماده، أذكر الشهيد فؤاد حماده، آل حمية وعقل، أبو قاسم محمد طليس، وكان أبو قاسم سلوّم يعطي الدروس أيضاً، وأحمد زراقط تلميذ الشيخ حسين عواد.

وفي منطقة رأس الدكوانة، كنا نذهب لتلك المنطقة حيث جمعية ووجود الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكانت الجمعية الخيرية الثقافية في الغبيري، كنا نذهب إلى الشيخ محمد حسن قبيسي في الشياح.

كنا نذهب باتجاه البسطة والمصيطبة، ونجتمع مع آل قازان من شحور سنة ١٩٦٨ تم الإعتداء عليّ بالضرب من قبل الحزب الشيوعي، بعد لقاء مع آل قازان، والتقيت بالشيخ نعيم قاسم، كان آنذاك طالب كلية تربية مادة الكيمياء.

يتابع الأستاذ عاطف عون حديثه عن تلك الفترة

كان العرض الإسلامي لجميع الناس من مختلف فئاتهم الاجتماعية، ركزنا على الطلاب في ثانوية البرج الرسمية - الرويس، ودعوناهم لحضور الإجتماعات، كنا ندعو الإمام الصدر لإلقاء المحاضرات، أو نأخذ بعض الأشخاص ونزوره، كانت مبادرات فردية.

كانت الأحزاب، والشيوعي خاصة له عمله على الأرض، الحزب القومي له بعض التحركات.

بعد تكوين المجلس، صرنا نطالب الإمام التدخل في بعض القضايا، أقيمت أمسيات ثقافية في مبنى المجلس - الحازمية، كان يأتي إليها المؤمنون من البقاع والجنوب، والأخوة في اتحاد الطلبة المسلمين، ومنهم خضر دبوس، محمود قماطي، محمد سعيد الخنساء، جميل حسين، وحسن حسين، والأستاذ أحمد حمدان أستاذ تعليم ديني.

كان الأستاذ حسين شرف الدين مديراً لدورة التعليم الديني. وكان الإمام يتكلم يومياً من أماكن ثلاثة في ليالي عاشوراء، اعتمدنا على الشباب المؤمن، في توزيع اليافطات وتعليقها، وكانت صدقة السر تجمع من المؤمنين، وتوزع على الفقراء ليلاً، وندفع الأقساط المدرسية عنهم". يختم الأستاذ عاطف عون

وحول الضواحي في المنطقة الشرقية من بيروت، يروي الشيخ محمود فرحات:

كان يأتي إلى برج حمود، جماعتنا الذين يسكنون، بياقوت، آل مدلج آل عبيد وآل زعيتر.

وكان في تل الزعتر أناس من قرية يونين، كانت مرجعيتهم برج حمود، كان الشيخ محمد مهدي شمس الدين يسكن تل الزعتر، ويهتم بالناس هناك. هناك حادثة، بنت بلدية برج حمود مساكن شعبية، سكن أغلبها الأرمن، لأن لا قوة انتخابية للشيعة، كان للأرمن قوة انتخابية تتجاوز "٤٠٠٠" منتخب وكان عندنا ٢٣٠ صوتاً فقط، حاولنا نقل النفوس والسجلات إلى برج حمود من

القرى الشيعية البقاعية والجنوبية، حاولنا بالضغط السياسي، حصلنا على بعض المساكن.

أما عن النبعة فيتحدث المرجع السيد محمد حسين فضل الله، يقول السيد: رعى والدي إنشاء جمعية أسرة التآخي في النبعة عام ١٩٦٥ ورعى افتتاح حسينية التآخي في النبعة، وأرسل السيد محسن الحكيم رخصة كي تدفع للجمعية الحقوق الشرعية مساهمة في البناء، وعندما كنت أزور لبنان آتياً من النجف كنت أزور المشروع.

سنة ١٩٦٦ كان عندي ظروف صعبة للبقاء في النجف، واضطرتني للخروج من النجف، الذي بقيت فيه ٣٦ سنة.

جئت النبعة عام ١٩٦٦ وبدأت العمل المؤسسي من خلال المشروع، أكملت بناء الحسينية إلى ستة طوابق، وفتحت حوزة دينية إسمها "المعهد الشرعي الإسلامي" وبدأت تدريس الفقه والأصول والتفسير، أنا أعطي كل الدروس، وبعض طلابي المتميزين وصلت في مرحلة من المراحل ٤٢ تلميذ شيخ، منهم الشيخ راغب حرب، الشيخ يوسف دعموش، الشيخ حسين شحادة، الشيخ محسن عطوي، الشيخ أسعد فنيش.

بقيت الحوزة تواصل أعمالها حتى خروجي من النبعة ١٩٧٦.

ويتابع السيد المرجع فضل الله:

بدأت أعطي المحاضرات للرجال والنساء، كل على حدة، محاضرات لها مواعيد محددة، أسسنا مكتبة عامة ومستوصفاً، وكانت الحسينية ملتقى، كخلية نحل – صلاة الجمعة وليلة الجمعة كانت مميزة، كان مجتمع النبعة مكوّناً من كل المناطق اللبنانية، شيعة من الجنوب والبقاع وكسروان، كنت أتجول في المناطق القريبة، سد البوشرية، الفنار، آل زعيتر، جديدة بياقوت، وأيام السبت والأحد أذهب للجنوب والبقاع لمناسبات عامة ومحاضرات.

لم تكن علاقة مباشرة مع الجوار المسيحي، لكن كنا نستدعي بعض الرجال المسيحيين للإشتراك في احتفالاتنا، أمثال الشاعر بولس سلامة، نصري سلهب، فكتور الكك، وبعض السنّة أمثال الشيخ فهيم بوعبيه، وكنا ندعو السيد موسى، وكنت أدعم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في تل الزعتر.

كان يوجد بعض الخلافات بين جماعة المسجد وجماعة الحسينية، العصبيات التي توجد في الواقع الشيعي، كان من الصعب - السيطرة عليها، كنت أحاول التخفيف من العصبيات تلك، يختم المرجع السيد محمد حسين فضل الله.

الضواحي الشرقية

أما ماذا جرى في الضواحي الشرقية، ماذا جرى في برج حمود، فيروي الشيخ محمود فرحات عام ١٩٥٠ تلقى والدي المرحوم الشيخ رضى فرحات رسالة من المرجع الكبير آنذاك السيد محسن الحكيم يعرض عليه النزول إلى منطقة برج حمود، لأن هناك جماعة من المؤمنين بحاجة إلى رعاية وتوجيه دينيين، مع إشارة أن الجماعة يعانون من وضعهم الديموغرافي.

فتوجه والدي إلى منطقة برج حمود، فوجد جماعة متفرقة من أبنائنا من الجنوب والبقاع - كان الوضع في برج حمود مضطرباً لكون المنطقة يسكنها أو سكنها من قبل الأرمن، وكانوا يعتبرون المنطقة بمثابة غيتو لهم مثل عنجر - البص في صور، وكان سكانها لا يسمحون لأحد بالدخول إليها، وعند قيام دولة أرمينيا ظن الأرمن أن أرمينيا ستكون جنتهم الأرضية، فباع قسم كبير منهم المساكن، التي كانت لهم في برج حمود وكانت جُلها إن لم تكن كلها من التخاشيب أو البراكيات التنك مساكن من تنك، فأغلبهم باعوا أو أجّروا لآماد طويلة لاهلنا في البقاع والجنوب، الفقراء الذين هاجروا من قراهم لضيق ذات اليد، كانت أعمالهم في المهن المتدنية الأجور، أغلبهم يعملون في المرفأ بنقل الأمتعة، أو في نقل أكياس الترابة من محطة النهر، حيث يجلبوا الترابة في القطار من شكا، إلى منطقة النهر،

كان العمال ينقلون الترابة من القطار إلى الشاحنات، التي توزعهم على المناطق.

وكان مستواهم المعيشي والفكري متشابهاً، وعندما وصل الأرمن إلى أرمينيا وعاينوا الواقع وجدوا أن حياتهم في برج حمود نعيماً، عاد معظمهم إلى برج حمود، وجدوا البيوت معظمها مباع أو مؤجر فتسلطوا على عدد من المقيمين الجدد وأخرجوهم بالقوة أو بإرضاءات، كان للأرمن حزب الطاشناق، ولديهم شباب مدربين ومستعدين للمشاكل، جماعة الشيعة فقراء، كل شخص من بلد، لا رابط بينهم مشتتين في النهار وفي العمل مرهقين في الليل، سمعت حكايا كثيرة أوائل شبابي هناك عن تعسف وظلم.

ويتابع الشيخ فرحات

أسس والدي الشيخ رضا جمعية وابتدأت باللقاءات مع هذه الجماعات، وحيث تقام اجتماعات عامة مشتركة، وصل بينهم وعرّفهم على بعضهم بعضاً، وعملت الجمعية في جمع المعلومات ووضعها في خدمة الشيخ، وكان حسن المطالبة، محبوب من الناس، يراجع النافذين، كي يحلوا له بعض المشاكل.

استطاع الشيخ أن يقيم علاقة جيدة مع الأرمن، مع المسؤولين، والمخاتير في الأحياء ومع رجال الدين وأبرزهم رجل دين يدعى بولس عريس، كانا يعقدان جلسات فكرية جيدة.

طالب مع الأرمن لإيجاد بلدية، وكانت منطقة برج حمود تابعة لبلدية الجديدة، وبدءا التحرك، وذهب مع الخوري عريس إلى رئيس مجلس النواب أحمد الأسعد، وافق الأسعد ووجدت البلدية، شرط أن يكون احدهما الشيخ أو الخوري رئيساً لها، رفض الشيخ واستقلت برج حمود عن جديدة المتن. هذا الأمر ساعد الشيخ على خلق جوّ من التفاهم والإلفة، حيث في الماضي كانت الاشتباكات عامة تصل إلى حدّ معركة بين العرب والأرمن، أحيانا بين أهل بلدات مثل الهرمل مع الأرمن، حيث يشترك سكان المنطقة من الهرمل. كان هناك تجمعات كبيرة

نسبياً مثل تجمّع بنت جبيل وغالب، لأسباب سخيفة، الغاية من ذلك فرض الوجود ويجيب الشيخ محمود فرحات عن أسباب النزوح، هو السعي وراء لقمة العيش، كانت الزراعة محدودة جداً وكانت المساكن في برج حمود رخيصة قياساً بمناطق أخرى.

الأرض في الأساس لشخص يدعى نقولا بسترس أحد كبار وجهاء بيروت، كان له وكيل اسمه سمعان علوان من بلدة إيطو في الشمال، كان يحمل صفات القرى الأخلاقية. اتفق والدي مع الوكيل وكان جارنا على بيع الأرض، هناك ولكن بالتقسيط، نظراً لوضعهم المالي السيئ. كانت العقارات مفرزة بحدود ٥٠٠م^{٢}-٦٠٠م^{٢} وكان الدفع أسبوعياً.

قاعة الجمعية كانت في البداية مكاناً لتجمع الأهالي، بعد ذلك بدأ التفكير ببناء المسجد، ذهب الشيخ رضى إلى السيد محسن الحكيم وأخبره بنيته، وحاجة المنطقة للمسجد، وبمساعدة المؤمنين بني المسجد بسرعة بمساعدة المغتربين، وبدأ بناء المدرسة، وكانت مدارس برج حمود تعلم الأرمنية في برامجها وأقامت الجمعية بعد ذلك ميتماً بالإتفاق مع وزارة الشؤون الاجتماعية، مصلحة الإنعاش وذهب المشروع مع الحرب عام ١٩٧٥.

كانت الخلافات السياسية لرموز الطائفة الشيعية تنعكس في برج حمود على الأرض، الأسعديين مترابطين، العسيرانيين - الخليليين، وكان مؤيدو الرئيس صبري حمادة، ومن أكبر التجمعات، تجمع هونين - وتجمع بنت جبيل.

كنّا محاربين لوجودنا في تلك المنطقة، حتى الجامع، نقولا بسترس رفع دعوى على وكيله بسبب بيع أرض الجامع، لم يكن هناك مدفن، كل يدفن في قريته، وكانت الحالة الإسلامية، مرنة، إنفتاحية، وكان أحمد الأسعد أكثر من مرّة يلتقي نواب الأرمن ومخاتيرهم، يحذرهم إن تعدوا على الشيعة هناك، وكان له دور في تثبيت الشيعة في برج حمود.

في منطقة بعلبك الهرمل

وحول بدايات العمل الإسلامي قبل مجيء الإمام وحضوره على الساحة في بعلبك والقضاء، يقول الأستاذ زكريا حمزة، أبو يحي:

شكلنا مجموعة أخوة متدينين، بدايتها في قرية النبي شيت - البقاع كنت أنا وعلي مسيلب، عباس المنيني - عباس طليس - حسين الموسوي أبو هشام - حسين حيدر شكر- أبو علي جعفر الموسوي - نعتني بالأمر الثقافي الإسلامي، التقينا مع الشيخ سليمان اليحفوفي وكان مفتياً لبعلبك.

ويكمل الحاج عباس طليس:

عام ١٩٦٢، تعلّقت مع مجموعة في درس الشيخ حبيب آل ابراهيم، كنا مع قلة ننتقل من قرية إلى أخرى لإرشاد الناس إلى دينهم، وألّفنا فرقة "١٦" وهي عبارة عن مجموعة شباب، عملنا كان الرد على أي شخص يسبّ الدين، أو يتعرّض للدين بالضرب، والتهديد، وخاصة في سوق بعلبك - فرقة ١٦ كانت فرقة من الدرك اللبناني، مهمتها التدخل السريع في بيروت، كوّنها العَميد ريمون إده بعد أحداث ١٩٥٨.

أبرز الأخوان، كان الحاج حسين عبيد، الحاج أحمد نصرالله، الحاج مصطفى رعد، الحاج محسن القرصيفي - السيد مصطفى الحسيني - الحاج يوسف عكر - الحاج مصطفى ياغي، الحاج عبد الرحمن عساف. كنا نستمع إلى دروس الشيخ حبيب، وننتقل إلى القرى لشرح الدروس نفسها، لناس القرى، كنّا نتعاون بشأن السيارة والبنزين، لأن رجال الدين كانوا قلائل. كان يأتي بعض العلماء في فصل الصيف إلى بعلبك أمثال السيد مرتضى القزويني، والسيد محمد قاسم القزويني.

واتخذنا من مسجد النهر في وسط بعلبك مكاناً للدرس، وبعد مجيء السيد حسن عثمان، طالب بالمسجد فتركه الشيخ حبيب، وانتقل إلى بيته، وكان عنده

قطعة أرض أقام عليها مسجداً صغيراً، صرنا نجتمع فيه، كان هدفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتابع السيد طليس:

كان الحاج حمودي عواضة من المؤازرين للشيخ حبيب بالمال، وكذلك كان الوجيه علي أحمد مظلوم.

بعد وفاة الشيخ حبيب طالبنا بالشيخ سليمان اليحفوفي وكان يدرس في العراق، كتبنا عريضة إلى المراجع أننا نريد الشيخ سليمان، وذهب وفد من بعلبك، الحاج حمودي عواضة، المختار حسين عثمان، الحاج حسين كنعان إلى النجف وطلبوا الشيخ سليمان.

جاء الشيخ سليمان واستقبل استقبالاً حاراً، بدأ العمل واشترى الحسينية في السوق، جمع المال من التبرعات، أبرز المساهمين مختار نحلة عبدالله ضاهر الجبلي، "جمعية التوجيه الإسلامي" كنت أحد أعضائها، سمعنا أن في صور عالم دين يتعرّض لإشاعات يرسلها أعداء سياسيين، وبأحد الاجتماعات طرح الشيخ سليمان موضوع السيد موسى الصدر ومضايقاته، واتفقنا لزيارته ودعمه، قمنا بتكوين وفد كبير وذهبنا إلى صور أعتقد سنة ١٩٦٦، استقبلنا السيد موسى وجماعة هناك، كان الحشد كبيراً، خطب الشيخ سليمان باسم الوفد، وكانت كلمة وعيد لأعداء الإمام السيد، بلغ عدد الوفد ركّاب حوالي ٢٠ سيارة، وزرنا السيد موسى في صور مرّة ثانية بعد عشرين يوماً، أعجبنا بالسيد موسى، بشكله وعقله ومعرفته، وقمنا بالزيارة الثانية بدعوته لزيارة بعلبك.

يتابع طليس:

زارنا السيد موسى في بعلبك، وكان استقبالنا حافلاً وكبيراً، وخطب السيد موسى والشيخ سليمان، تم الاتفاق على العمل سوياً لأجل جمع الطائفة، وعدنا وأقمنا له الاحتفال الآخر في بدنايل، وكان كبيراً، وعملنا له اليافطات الترحيبية

وأحضرنا الخيل للإستعراض. وأقمنا احتفالاً آخر في بريتال، وكانت البنادق الحربية منتشرة من مدخل الضيعة حتى الحسينية، لقد ساهم الشيخ سليمان في نشر صورة السيد موسى إيجابياً.

سرى بعض الكلام عن أن السيد موسى الصدر بعد تكوين المجلس أنه لا يعطي للشيخ سليمان دوراً كبيراً، حتى وصل الأمر إلى قضية المفتي الممتاز، عندما عيّن السيد موسى الشيخ عبد الأمير قبلان توترت العلاقة مع الشيخ سليمان، وبالوقت عينه كنا نرغب نحن ببقاء الشيخ سليمان في المنطقة، لأننا بحاجة له.

ويختم الحاج طليس:

في هذه الفترة التقينا مجموعة أخرى من النبي شيت أبرزها - حسين الموسوي أبو هشام - زكريا حمزة - السيد حسين الموسوي، أبو جعفر الموسوي، أبو حيدر شكر.

ومن جهته يروي الشيخ حسين عبيد ذكرياته تلك الفترة:

الشيخ حبيب آل ابراهيم بذر بذور الإسلام في البقاع، كان يجتمع في مسجد النهر، عندما يصلي نهار الجمعة حوالي ٣٠٠ - ٥٠٠ مصلٍ من كل البقاع.

وعند خلاف الشيخ سليمان مع السيد موسى بسبب منصب المفتي الممتاز، انفصلت عن الشيخ سليمان واتبعت السيد موسى، أنا كان دوري التوجيه الإسلامي في القرى، وأبو هشام الدور التنظيمي، وأبو يحي الدور العسكري.

وكان هناك بعض النشاط في قرى غرب بعلبك، ولنترك الحاج مهدي زين يروي، كان يزورنا الشيخ حبيب آل ابراهيم في منزل والدي وجدي، وكان أهلي يدعو أهل القرية للاجتماع به في شمسطار سنة ١٩٤٧، كان ينشر مجلته ويتم تداولها، كان يزورنا في شمسطار الشيخ محمد زغيب في بعض المناسبات، وكان يرافقه بعض الأوقات الشيخ حسين الخطيب، وأبضاً كان يأتي السيد محمد ابراهيم كانت شغلة الشيخ حبيب أن يتنقل بين القرى، يوزع المجلة، ويقيم الاجتماعات،

كان أكثر رجال الدين نشاطاً في العمل الإسلامي.

ويتابع السيد زين:

بعد وفاة الشيخ حبيب وصل نشاط السيد محمد حسين، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وأسرة التآخي في برج حمود، وكانوا يأتون إلينا وتقام اللقاءات.

كنا نطلب السيد موسى للكلام في موضوع معيّن، وندعو على أساسه. وكان مركز العمل الحسينية في شمسطار، انعقد اللقاء الأول في جامع شمسطار عام ١٩٦٥- ١٩٦٦، كان الإمام الصدر يكتب الكلام الذي يريد ان يلقيه، كانت لغته العربية ضعيفة، همنا الوحيد نشر الفكر الإسلامي بين الناس، وكانت اجتماعاتنا مع معلمي المدارس وأكثرهم حزبيين، "يسار".

شاركنا في مشروع الليرة التابع للمجلس، كانوا ١٣٢ مشتركاً. لم يكن الإمام يتكلم سياسة محلية، كان يحكي مبادئ ثورية، إسلامية. عندما بدأت حركة المحرومين، بدأ الكلام السياسي. كنا نزور المجلس ولدينا مطالب، مستوصف مثلاً، كان الإمام يتصل بالوزارات ويطلب الأمر. كان الحزب القومي والحزب الشيوعي لديه حزبيين كباراً في السن، ركزت الأحزاب على المعلمين، والتلاميذ في المدارس.

وحول النشاط الإسلامي في الهرمل، يروي السيد علي محمد الحسيني:

بنى الوالد مسجداً في الهرمل، ثم حسينية كان دوره في الوعظ والإرشاد، وكان يقرأ مجالس الحسين في الهرمل، وحمص، وحلب، وعمل مع العشائر على معرفة الواجبات الدينية.

وكان للإمام علاقة مباشرة مع عناصر متعاطفة مع مشروعه، وكانوا ما زالوا ضمن الإطار التنظيمي للجيش اللبناني، بينهم أخوة في مختلف الرتب، ضباطاً وجنوداً، وكان تعاطفهم على مستويات عدة من أبرزهم النشاط الذي قام به الأخوان شاكر شكر، وعبد النبي طليس وآخرين كثر.

وحول الحركة الحزبية في البقاع يروي الأستاذ عبده مرتضى الحسيني:

أواخر العشرينات من القرن الفائت، نشأت حركة القوميين العرب، كان هناك نشاط شيوعي جيد، كان النشاط الشيوعي أعمق وأنشط وأشمل.

أواسط الأربعينات، وأواخر الخمسينيات، كانت الحركة الحزبية محصورة تقريباً بالقومية السورية والشيوعية.

لم يكن في القرى حركة حزبية، اتصلت أنا في ال ٤٠ في الهرمل أذكر عبدالله شاهين، وفي رأس بعلبك توفيق رزق، وفي بوداي ضاهر كنعان، وخرجت قضية أنصار السلم، استقطبت العشرات من الأسماء اللامعة وقد توفقت بإمضاء الشيخ حبيب آل ابراهيم على الوثيقة.

وعلى الصعيد السياسي، كان إبراهيم حيدر، وزيراً، وصبري حماده وكانت الناس تلتف حولهما. كان آل حيدر، وبعد ذلك برز دور صبري حماده واشتهر أنه ضد آل حيدر، حيث كان ينظر إليهم استئثارهم بالمنافع والتوظيفات لعائلتهم.

الحركة الحزبية كانت ضد الاثنين لأنهما إقطاعية عائلية، الشيوعيون، ساندوا حمادة إلى فترة.

الحزب القومي، عمل في صفوف العشائر قبل الشيوعي، كان الحزب القومي أقوى من الشيوعي في منطقة الهرمل والشمال البقاعي وكنا في بعلبك وجوارها أقوى منهم العشائر الحمادية، دعموا صبري حماده ضد آل حيدر، كونت أول تحرك نسائي في بعلبك، التيار الناصري، كان تياراً عاماً خاصة بعد معارك القناة ١٩٥٦ وضربة ١٩٥٦.

كانت الناس كلها مع الناصرية، كل محتفظ بحزبيته، لكنه ناصري الهوى. والتعبير مظاهرات، بيانات، وفود وبروز دور الإذاعة المصرية والسورية، خصوصاً فترة الوحدة، كان تياراً كاسحاً لدرجة أن الكثير من الحزبيين، قاموا بترك أحزابهم

والالتحاق بالناصرية كتيار، أخذت الناصرية شعارات القوميين والبعثيين عبد الناصر حرك الشارع عند كل العرب في المغرب والمشرق.

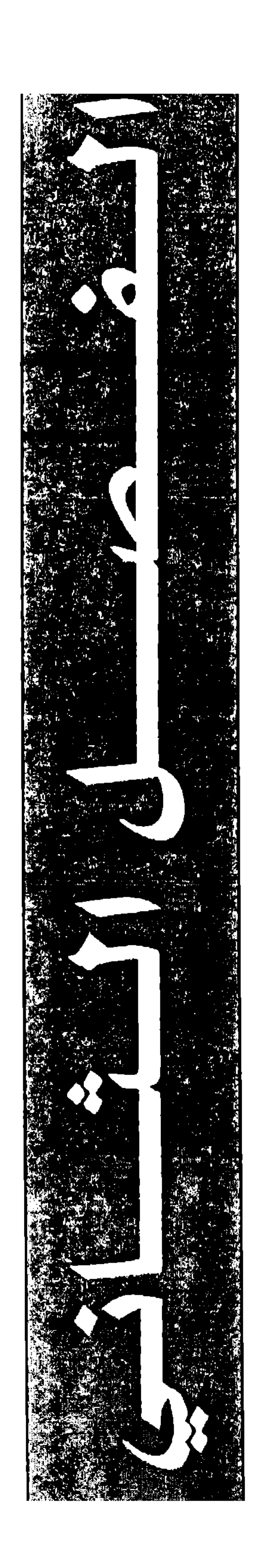
الفترة الشهابية ودور بطرس عبد الساتر، لم تكن ضد الحزبية بوضوح، وطرحت الوضع الاجتماعي وحلوله، مساهمة في حل المشاكل. أوجدوا زعامات جديدة، فضل الله دندش، انطوان الهراوي، نايف المصري، أما الشيخ حبيب، فلم يكن متعصباً، وكانت كلمته مسموعة، كان صاحب حركة دينية عادية، لاسياسية، أما الأستاذ نجيب وهبي، فيروي ذكريات تلك الفترة.

كان يمثل الاقطاع السياسي بصبري حماده وابراهيم حيدر، كانا يتصارعان على الناس والنفوذ لم يكن هناك بينهما فرق يذكر، تدخل المخابرات "الشعبة الثانية" لمصلحة لائحة صبري حماده، آل حيدر لا يخدمون إلاّ أنفسهم، شخصياً تركت الحزب القومي بعد حلف بغداد، واتفاق الحزب مع كميل شمعون، تيار الناصرية شدّ كل الناس من غير انتساب إلى تنظيم ما، لكننا أخذنا من الشيخ حبيب الفكر.

ساير الإقطاع السياسي الإمام الصدر لشخصيته وشعبيته، التي كانت تقوى يوماً بعد آخر.

أما ابن الزعيم إبراهيم حيدر السيد خليل يقول:

إن صبري حماده، وكامل الأسعد كانا من أخصام الإمام الصدر، ويتابع، فكرّ السيد موسى بإنشاء حركة أمل كي يكون القائد العسكري والقائد المدني في وقت واحد، وحول بعض جوانب شخصية الإمام يقول: "حل الإمام خلافنا الثأري بين عائلتي حيدر وياغي، حل الموضوع بكلمتين، لأن السياسين كان لهم مصلحة في خلافنا ودوامه، كان للإمام قدرة مطلقة على الإقناع".


الفصل الثاني

الأصل

إذا كُتبَ لك أن تعيش في بلد آبائك، وأجدادك، فهل أنت مستعدٌ لذلك؟ قال ذلك المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين في مجلسه في صور، موجهاً سؤاله إلى السيد موسى الصدر عام ١٩٥٧، وكان حينذاك شاباً، في مقتبل العمر، فلم يجبه، ثم نظر السيد شرف الدين إلى ولده السيد جعفر قائلاً: يا جعفر يا ابني، إذا أخذ الله وديعة أبيك، فلا يملأ الفراغ بعدي إلا هذا الشاب... قاصداً السيد موسى، الذي انحدرت من عينه دمعة...[1].

أثر هذه الكلمات القليلة،

سرى همس مكتوم، وانطوى الحديث لحظة ذاك، انطواء السجل الذي له عودة أخرى، فالسيد موسى لم يبلغ الثلاثين، وفي المجلس علماء كبار تجاوزوا التسعين، وكان قد اجتهد بعضهم لعقود، لإستحقاق هذا الموقع، فموقع السيد ومجلسه، أُسس على التقوى والعلم والوطنية، وتجاوزت شهرته صور ولبنان، فضلاً عن فلسطين وسوريا ومصر، وصولاً إلى العالم الإسلامي الكبير.

وفي عام ١٩٥٨ وفي أثناء إقامة مراسم العزاء في النجف الأشرف - العراق للمقدس السيد عبد الحسين شرف الدين، كان السيد موسى يتقبّل التعازي مع أهل الفقيد. تقدم من السيد جعفر نجل الفقيد قائلاً: "هل أجد لي مكاناً في ضاحية بيروت، أسكن فيه، وأنطلق برسالتي الدينية" فأجابه السيد جعفر: "لماذا في

١- المقرئ السيد حسن بيضون.

الضاحية، تأتي إلى منزلك في صور، وعندما تستّقر هناك، تنطلق بعدئذ إلى أي مكان تريده"[١].

وفي أواخر عام ١٩٥٩ وصل الإمام إلى لبنان، فتوجه إلى صور "واتخذ له منزلاً متواضعاً من منازل آل شرف الدين"[٢].

من هو السيد موسى الصدر!

ولد الإمام في قم بإيران عام ١٩٢٨، والده صدر الدين إسماعيل بن صدر الدين بن صالح، وينتهي نسبه إلى السيد صالح شرف الدين، الذي نزح ولده صدر الدين من لبنان إلى العراق منذ ١٩٠ عاماً، إثر حملة الجزار المعروفة على بلادنا، جده إسماعيل، كان المرجع الأعلى للطائفة الشيعية في العالم[٣].

دراسته: تلقى الإمام الصدر في قم علومه الابتدائية، والثانوية، ثم دخل جامعة طهران، و"كانت عمامته أول عمامة دخلت حرمها"[٤] وتخرج في كلية الحقوق، فرع الإقتصاد السياسي، بعد ذلك تابع دراسته الدينية في إيران، درس في النجف، مدة أربع سنوات، واستطاع أن يكون النجم الاجتماعي للحوزة الدينية الشهيرة[٥]. كما قال المرجع محمد حسين فضل الله.

كان الإمام يهتم بالفلسفة، وتأثر خصوصاً بالفيلسوف الإسلامي الكبير ملا صدر الشيرازي[٦] يقول السيد الأردبيلي وهو من كبار علماء إيران معرفاً بنبوغ السيد

١- السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين مقابلة مسجلة للباحث معه.
٢- السيد سلمان امون، امين سر جمعية البر والإحسان.
٣- نجيب جمال الدين، الشيعة على مفترق او موسى الصدر، نشر ١٩٦٧.
٤ - نجيب جمال الدين، الشيعة على مفترق او موسى الصدر، نشر ١٩٦٧. نجيب جمال الدين، الشيعة على مفترق او موسى الصدر، نشر ١٩٦٧.
٥- السيد المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.
٦- السيد محمد الغروي، مقابلة للباحث معه.

موسى "كان أدقنا بهشتي وأذكانا موسى الصدر"[١].

وفي قم درس على الإمام البروجردي، وأنشأ مجلة بإسم "مكتب إسلام"، أي المدرسة الإسلامية، وهي أكبر مجلة دينية في إيران يومها، أدارها فعلاً مدة طويلة، ويُعدّ السيد موسى الصدر في حينه "أحد كبار المثقفين بكل معنى الكلمة، وكان يملك قدرة نقدية في مقام الإستدلال"[٢].

١- في كتيبٍ عن الإمام غير مؤرخ.

٢- الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

تجربة صور

بعد أن استقرّ الإمام في صور، وخلال الأشهر الأربعة الأولى، أمضى فترة تفكّر ومراقبة ودراسة واستقبال وتعارف، ولأن البداية يجب أن تكون من نقطة معينة ثابتة، كانت تلك "جمعية البر والإحسان" وهي "جمعية تأسست عام ١٩٤٨ وكانت بإشراف السيد عبد الحسين شرف الدين"[١].

عمل الإمام الصدر في الجمعية ناظراً لها أوائل ١٩٦١، وبانخراطه فيها أدخل معه دماً جديداً، بمساعدة وجوه عدة إجتماعية[٢] أبرزها السيد حسين بيطار، ابراهيم عقيل، سلمان أمون، عبدالله يزبك، علي صالح، علي مرتضى، أبو حسين دبوق. وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية حينذاك ما يقرب من الألف، فقام بتطوير القانون الأساسي، والنظام العام، ما أدى إلى اكتسابها سمة قانونية، وبعد سنة قدم حصيلة عملها:

١. لقد تم منع التسول في صور منعاً باتاً، بعد أن كفلت الجمعية للفقراء أقواتهم وألبستهم من الأغنياء والقادرين على البذل.

٢. كل فقير يمرض، يؤمن فوراً له طبيب، وعلاج مجاني بمساعدة أطباء المدينة.

٣. تنظيم المجالس الدينية والإحتفالات العامة.

١- السيد سلمان امون، أمين سر الجمعية، مقابلة للباحث معه.

٢- المصدر نفسه.

إن هذه الأعمال وغيرها، ترجع في دفعها وإبرازها إلى جهود جمعية البر والإحسان - صور[1].

وفي سنين لاحقة أنجز الإمام مع الجمعية:

١. تجديد نادي الإمام الصادق.

٢. إيجاد مكتب للفرع النسائي.

٣. تأسيس دورة تدريبية، لفن الخياطة لسد عوز عائلات فقيرة[2].

٤. تأسيس بيت الفتاة - ومدرسة الهدى.

يضم بيت الفتاة فروعاً للخياطة، ومكافحة الأمية والتدريب المنزلي، ومهمة تعليم السيدات والفتيات على الأشغال اليدوية، في البيوت، ويعرضن أشغالهن وبيعها لصالحهن.

وذكر أبرز المتبرعين الأسماء التالية، السيد خليل قرعوني، منير عرب - نجيب نصار - وأبرز العاملين: السيد ابراهيم خياط، الشيخ محمد عقيل.

١. وأسس الإمام معهد الدراسات الإسلامية، في شقة مستأجرة في مدينة صور، وقد ابتدأ مع ١٤ طالباً.

يدرس العلوم الإسلامية بمختلف فروعها، والعلوم الطبيعية، واللغات الأجنبية، والدراسة مجانية، والطلاب داخليون جميعاً، ويشرف على دراستهم نخبة من علماء الدين[3].

كان هدف الإمام، أن يتطور المعهد ليصبح جامعة، على غرار جامعة النجف الأشرف، ومن أبرز الأساتذة الذين درسوا في المعهد، الدكتور محمد فرحات، د.

١- مسيرة الإمام الصدر جزء أول - صفحة ٦٤.

٢- من تقرير ١-١-١٩٦٣.

٣- الشيخ ابراهيم دياب، مقابلة للباحث معه، بصفته احد المنتسبين للمعهد.

محمد الصادقي، د.أحمد اللوساني، د.كاظم مكي، د. أسعد علي، وكان مدرّس اللغة الفرنسية المحامي أحمد قبيسي. ودرس الشريعة في الأصول المفتي الجعفري الشيخ عبد الأمير قبلان، ودرس الفلسفة الإمام الصدر نفسه[١].

١. انطلاق مشروع التعليم الديني، بعد نجاح "مشروع الليرة" القائم على جباية ليرة من كل فرد شهرياً، لقد رغب الإمام في ذلك إيجاد صيغة علاقة مع أكبر نسبة من الناس، كانت الليرة اللبنانية تساوي أقل من نصف دولار عام ١٩٦٦، لكن المشروع ربط الناس مع الإمام، في فريق واحد بقيادة واحدة، ورأس واحد وعمل منظم[٢].

وقد تأمنت رواتب المدرسين من إيرادات "مشروع الليرة" وقد نجح المشروع بعدما شمل عدداً كبيراً من المناطق اللبنانية، وتسابق الناس وتفاخروا، بحملهم بطاقة الإشتراك[٣] ونجاح المشروع أثار حماسة المغتربين، فقدموا بدورهم الأموال للمشاريع الإنمائية، وكانت المصادر المالية من الإشتراكات والتبرعات من خلال الإحتفالات[٤].

وكانت مهمة الجباية، يقول السيد محمد علي الحسيني، أحد أوائل المسؤولين قد "عهدت إلى متطوع عليه الاتصال بالأهالي، والجمعيات والفعاليات، وترتيب موعد للقاء الإمام، لطرح الموضوع ومستلزماته، وأخذ العناوين، ومبلغ الإشتراك، وعندما أنشئ المجلس الشيعي طلب الإمام من الجباة أن يوقفوا العمل في دفاتر النعليم الديني، والبدء بدفاتر صادرة عن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

١- الشيخ ابراهيم دياب، مقابلة للباحث معه، بصفته احد المنتسبين للمعهد.

٢- السيد عبد الحليم خضرا، مسؤول مالي عن المشروع يومذاك، مقابلة للباحث معه.

٣- عام ٢٠٠٥ وجدت البطاقة وما زالت موجودة بحوزة بعض المواطنين- الباحث.

٤- السيد عبد الحليم خضرا، المصدر السابق.

مشروع التعليم الديني:

إن نجاح مشروع "الليرة" دفع بالإمام إلى تبني مشروع التعليم الديني، فقد أدرك أن الطالب، يأخذ طوال الأسبوع مختلف المواد من غير أن يأخذ حصة الدين، مع العلم أن وزارة التربية الوطنية، خصصت ما معدله ساعة أسبوعياً للتعليم الديني، وكانت هناك جهود إفرادية لبعض العلماء، بشكل محدود، من بعض المدارس، فكانوا يعطون بعض الدروس الدينية، ويختارون الصفوف العليا لأجل مقامهم[١].

كانت البداية، يروي السيد عبد الحليم خضرا، "بأن عيّن الإمام بعض الأساتذة لتعليم الدروس الدينية، ممن حصلوا على شهادة البكالوريا، أو ممن يتابعون الدراسة الجامعية المتدينين، وقد بدأ المشروع بثلاثة أساتذة، وانتهى بستة عشر أستاذاً، وكان يغطي المشروع خمسين مدرسة رسمية، في منطقة صور - بنت جبيل والزهراني.

وبعد قيام المجلس ارتفع عدد الأساتذة، حتى قارب المئة، كانوا جميعاً تابعين للمجلس".

مؤسسة جبل عامل المهنية: انطلق الإمام من فكرة المؤسسة المهنية من أولوية التعليم المهني، فكان يقول: "إننا نريد أن نخرج العامل المتدين، والصائغ المتدين، والزارع المتدين، والتاجر المتدين، لا أن نخرج رجل الدين فقط، الذي يكون منفصلاً عن المجتمع"، "كان يهدف إلى تكوين رجال اختصاص متدينين، يدعون إلى الله بلسان مهمتهم، وأعمالهم"، يختم السيد خضرا.

وقد تم وضع حجر الأساس عام ١٩٦٣، بعدما تبرع بقطعة الأرض السيد منير عرب، وساهم رجال أعمال آخرون بالتكاليف أمثال: خليل قرعوني وعباس حلاوي وغيرهم، وأثار هذا المشروع لغطاً سياسياً، يروي السيد حسين بيطار الوقائع التالية:

طرح مشروع المؤسسة أيام الرئيس شهاب، فلقي معارضة من بعض الوزراء

١- السيد عبد الحليم خضرا، مقابلة للباحث معه.

فقال شهاب مستغرباً المعارضة، "جاء الإمام ليحمل عنا بعض العبء الإجتماعي فَلِمَ نعرقل له عمله؟ وأوصى بمساعدة الإمام في أخذ الترخيص، وإعفاء الآلات من الرسوم الجمركية، بعدما تبرعت كل من فرنسا وألمانيا بتقديم بعضها[١].

وساهمت مصلحة الإنعاش الإجتماعي بتغطية التكاليف، وفي عام ١٩٧٠، وصل الدكتور مصطفى شمران من منفاه في أميركا، فتولى إدارة المهنية، وعرفت في عهده نجاحاً ممتازاً، وقد كانت نقطة الانطلاق، وتجمعاً لآلاف الكوادر المهنية أولاً والسياسة والعسكرية والعقائدية لاحقاً، بعدما تطور الوضع التنظيمي ودخلت البلاد في الحرب الأهلية نسخة ١٩٧٥ وكان دور شمران كبيراً في الإعداد والتنظيم.

- السيد حسين بيطار.

ردود الفعل على بداية عمل الإمام

يقول السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين:

"لقد وفد إلى صور حينئذٍ علماء لم يستقروا فيها، لأن أهل المدينة والقرى التابعة لها، لم يروا فيهم مؤهلاً علمياً، على نحو ما اعتادوه أيام السيد المقدس"[1].

لم يكن موقف العلماء موحداً من موضوع عمل الإمام في لبنان، بل كان سلبياً بوجه عام، لأن مجرّد اختياره لهذا الموقع الحساس أثار حسد وغيرة الآخرين، ممن كانوا يطمحون إلى خلافة السيد شرف الدين، رافقت الإمام اتهامات شتى، أطلقها بعض العلماء، حول ظروف مجيئه ودوره وحركته، يجيب الشيخ محمد مهدي شمس الدين على هذا الإتهام بقوله: "إذا اتهم الإمام الصدر في مجيئه، فيجب اتهام السيد عبد الحسين شرف الدين أيضاً، وقد أتى إلى لبنان بالتنسيق مع مرجع لا يرقى الشك إلى صفاء رؤيته من هذه الجهة وهو المرجع البروجردي"[2].

يرد الشيخ شمس الدين: "العداء للإمام بسبب نوعية وأسلوب تحرّك الإمام". يوضح الشيخ: "جاء الإمام الصدر ومعه مشروع تفاعل الوعي الديني مع الحياة اليومية مع قضايا الأسرة، أو القضايا الاجتماعية، مثل قضية التسوّل، مثلاً ومثل هذه إحدى الواقعات الكبيرة، قضية علاقة المسلم بالمسيحي" في الحياة اليومية، مثل

١- السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين- مقابلة للباحث معه.

٢- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

الحكاية المشهورة عن طهارة المسيحيين[1].

ويتابع الشيخ: "يعني التواصل مع المجتمع الأهلي من غير عقد، ومنذ ذلك الحين تنبّه علماء الدين الآخرون، تنبهوا إلى هذا البعد، وكانت هذه إحدى ساحات المنافسة والمشاكسة"[2].

ويرد السيد محمد حسن الأمين السبب في العداء إلى أسلوب الإمام المتطور، فيقول: "لم تكن أغلبية العلماء مرتاحة نفسياً للإمام، فمن الطبيعي أن تكون حالة جديدة، وأسلوباً جديداً، فيه تحدٍ للسائد القائم بما فيه تحدٍ للقيم القائمة"[3].

وحول حركة الإمام الصدر في لبنان وتأثيرات تلك الحركة حتى على العلماء وطريقتهم وأسلوبهم في الدعوة والعمل، لقد أثّر الإمام حتى في أسلوب خصومه وخصوصاً العلماء.

"ومنذ ذلك الحين كانت الإثارة إثارة خيّرة، تفاعل معها أناس بسلبية وتفاعل معها آخرون بإيجابية وكانت النتيجة إيجابية وضعت أسساً لطريقة وأنشأ الخطاب الديني، وتوجيه الخطاب الديني، ولأن أطروحته متسامحة، فقد حدثت محاولة مسابقته أو محاكاته في هذا الطرح"[4].

وكان للإمام الصدر نشاطات متنوعة، ليس في لبنان فقط، وإنما في الخارج أيضاً، وفي هذا المجال يقول المرجع السيد محمد حسين فضل الله: "عندما قامت السلطات العراقية باضطهاد المرجع السيد الحكيم والحوزة العلمية، كنا نعمل مع

١- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

قصة بائع البوظة المسيحي من صور، جوزيف انتيبا، الذي تناول الإمام البوظة في دكانة بعد سريان اشاعة عن نجاسة المسيحيين، اطلقها بائع بوظة شيعي.

٢- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

٣- السيد محمد حسن الأمين-، مقابلة للباحث معه.

٤- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

السيد موسى، وكان يقود حملة ضد السلطة العراقية، وقد أرسل رسائل كثيرة إلى رؤساء العرب، طالباً منهم التدخل، وأثار الموضوع على المستوى الشعبي"[1].

ويختم الشيخ شمس الدين في هذا الموضوع بما يشبه الحكم النهائي، يقول: "أمامي وقائع آل الصدر، في قم، والده، وأخوه وأسرتهم ومحيط الأسرة، بيت سلطاني، بيت القمي، أخواله، أعمامه، والخطاب الثقافي الذي بلوره مع رجال كبار أمثال المرحومين "مفتّح، ومطهري، وبهشتي، كانوا شركاء في "مكتب إسلام" فالواقعتان الأسرية والثقافية تجعلان من الصعب قبول فكرة أن السيد موسى جاء إلى لبنان من ضمن خطة استلحاق شيعة لبنان بالنظام الإيراني، أو لبثّ مضمون ثقافي ضد العروبة"[2].

لم تكن جبهة السياسيين أقل اثارة من الجبهة العلمائية تجاه الإمام الصدر، يقول دولة الرئيس حسين الحسيني: "لأنه برز في صور عالماً مميزاً لجهة شخصيته، ولجهة أطروحاته، وهذا ما كانت تفتقده الساحة"[3].

يروي السيد جعفر شرف الدين "اللقاء الأول بين السيد موسى والرئيس الأسعد كان إيجابياً ولكن الأسعد ما لبث أن تحوّل موقفه بعدما لفته التوجه السياسي للصدر، وكان يرى أن رجل الدين يجب ألا يتدخل في السياسة"[4].

راقب الإمام وأنصاره في بدايات العمل أن موقف الإقطاع السياسي يتسم بالتحفظ، كما أورد السيد حسين بيطار أحد أوائل الذين عملوا مع الإمام في منطقة صور، يروي السيد جعفر شرف الدين في هذا السياق قائلاً: "طلب مني كاظم الخليل أن أصله بالسيد موسى، وفي الوقت عينه اتصل بي السفير الإيراني علي

١- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.

٢- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

٣- دولة الرئيس حسين الحسيني- مقابلة للباحث معه.

٤- كلام للرئيس الاسعد نقله السيد خليل كاظم الخليل- مقابلة للباحث معه.

دشت قائلاً: "لماذا تمنع السيد موسى من زيارة آل الخليل"، فقلت له: "أعمالهم تمنعه، لقد أساءوا إلى محراب السيد عبد الحسين"، فأجاب السفير: "السيد موسى يردهم إلى الصواب"[١].

وحول دور آل الخليل في العلاقة مع الإمام، يروي السفير خليل كاظم الخليل: "رحبنا بالسيد، كنا نعمل سياسة، ونريد تعزيز موقع المرجعية في صور، طلبت من جماعتنا زيارته لتأييده"[٢].

وللتأييد تفسير آخر، يضيف السيد جعفر، إذ إن عائلة الخليل عائلة متكبّرة، حشدوا أنصارهم في أثناء الزيارة ليعلنوا مدى قوتهم"[٣].

ويضيف السيد سلمان آمون أمين سر جمعية البر والإحسان: "عائلة الخليل، كانت عدائية مع الإمام، وفي المقابل هو لم يكن راضياً عن الأعمال التي يقومون بها مع الناس"[٤].

أما آل الزين فقد أيدوا الإمام، يؤكد على ذلك النائب عبد اللطيف الزين نظراً "لقناعتنا أنا وأخي عبد الكريم بصورة خاصة، بأن السيد موسى الصدر، يمكن أن نجد فيه مبتغانا بالتغلب على ما كان يسود من خلافات واختلافات، بين المراجع الدينية العاملية واللبنانية"[٥].

أما دولة الرئيس عادل عسيران، فقد بقي متمسكاً بالحياد في الصراع بين الأسعد وحماده والسيد موسى"[٦].

١- الشيخ جعفر عبد الحسين شرف الدين، مقابلة للباحث معه.
٢- الشيخ خليل كاظم خليل، مقابلة للباحث معه.
٣- السيد سلمان آمون، مقابلة للباحث معه.
٤- المصدر نفسه.
٥- النائب عبداللطيف الزين، مقابلة للباحث معه.
٦- السيد محمد علي الرز، مقابلة للباحث معه.

يقول المحامي عاكف حيدر:

"وفي المحصلة، نستطيع أن نوجز أن القيادات الشيعية آنذاك، لم تكن مرتاحة - حمادة - الأسعد - للسيد، لأنه كان يقوى على حساب شعبيتهم في الجنوب والبقاع، وبالتالي ينهج سلوكاً مخالفاً للإتجاه التقليدي المعمول به لدى الزعامة الأسعدية، كذلك في زعامة صبري حمادة، على أساس أن آل حيدر، كانوا خارج الصراع في تلك المرحلة"[1].

أما رأي أحزاب الحركة الوطنية، بالأخص الماركسية اليسارية منها. في مجيء الإمام وظهور ملامح تحركاته في المنطقة، فيوجزه الأستاذ محسن ابراهيم، الذي تقاسم مع السيد كمال جنبلاط قيادة الحركة الوطنية مدة طويلة.

"كان لليسار موقف الريبة من هذه الحركة الجديدة، كان مساره صاعداً وحركته حمّالة أوجه". كان الإمام بلغة اليسار بصدد تأسيس تيار شعبوي معيّن في وسط بيئة إجتماعية طائفية معينة في البلد، جزء من كتلة من الكتل الاجتماعية في البلد لليسار فيها، وللحركة الوطنية فيها وجود فعّال وفعلي منذ عشرات السنين، هذا الأمر أوجد عنصر الشعور بأن هناك وافد يملي على الأقل، ولادة علاقة تنافسية في الحد الأدنى، صراعية في الحد الأعلى"[2].

يضيف الأستاذ ابراهيم: "العنصر الثاني، هو الحاضنة الفكرية السياسية العامة، التي شكلت إطار دعاية التمدد اللبناني لحركة السيد موسى الصدر"، وكانت تمتد من "الندوة اللبنانية" وصولاً إلى رئاسة الجمهورية.

كان هناك ريبة من أنه هناك محاولة لإنتاج ثنائية أخرى مارونية - شيعية، تستبق أي تطورات في صفوف هذه الطائفة الصاعدة، بثقافتها ومعلميها، باقتصادها

١- المحامي عاكف حيدر، مقابلة للباحث معه.

٢- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

والمهاجرين، الذين بدؤوا يضخون الأموال لرجال الدين.

إنها ثنائية، تستقبل هذه التطورات وتضبطها، وبعد ذلك يوجد بدائل لهذا النظام من داخله، ثنائية، بديله عن ثنائية.

وكان التساؤل هل للصدر بعد إقليمي، وجود إيراني، مقابل الباب العالي المصري، على الرغم من مناوئة السعودية، لمصر، لا تستطيع السعودية أن تكون مرجعية في صفوف الطائفة الشيعية[1].

رحبت السلطة وعلى رأسها اللواء فؤاد شهاب بالإمام الصدر، وكان اللقاء الأول بينهما ناجحاً كما أخبرني السيد النائب السابق فضل الله دندش، وتعاطف الرئيس مع طروحات الإمام الاجتماعية وأعطى أمراً للإدارة بالتعاطف مع طلباته، وخصوصاً وزارة الشؤون الإجتماعية، واعتبر أن عمله الإجتماعي يخفف من الأعباء الملقاة على الدولة.

واستمرت العلاقة جيدة مع خلفه الرئيس شارل حلو، لكن لم تكن النتائج جيدة بسبب وجود حزبي الكتائب والأحرار إلى يمينه وسياسة الدولة العامة المرسومة بإهمال الريف والاهتمام بالعاصمة، وما حولها من عناصر سياحة واصطياف، واقتصاد ومـال. فهموم الإمام ليست هموم السلطة اللبنانية تلك الحقبة.

رحبت الجماهير بالإمام أيما ترحيب، رغبت بعلاقة ما معه، شخصية أو عامة، زحفت إلى محاضراته بكثافة، تعاطفت مع طروحاته، وجدت فيه جديداً على العلماء، انتظرته في خطابات والإحتفالات الكبيرة، اطمأنت إليه إن هي سارت خلفه أو معه، واطمأنت إلى صدقه في سلوكه وأفكاره، وبقي هذا الود المتبادل قائماً، ساهم مساهمة فعالّة في إعادة إعمار المسجد بأهله، وجيرانه، وبالمصلين.

١- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

زار الإمام المغتربين في أماكن عملهم في العالم، وخصوصاً في أفريقيا حاضر فيهم، تدخل مع السلطات لمصلحتهم، دلهم على التراث والجوانب المضيئة فيه، وجدوا فيه مشجعاً لهم على العمل، والنشاط، والتعلق بالوطن الأم، منحوه الثقة، راهنوا عليه في تقدمهم الاجتماعي والسياسي، ساهموا في مشاريعه الاجتماعية الكثيرة.

حادثة صور

أواسط عام ١٩٦٦ حدثت ضجة في صور وما حولها، وانتشرت في طول البلاد وعرضها. ولنترك السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين يروي الحادثة: "جاءت امرأة بإبنتها قائلة للإمام، إن والدها يريد قتلها لأنها خرجت مع رجل خارج صور، وتريد حمايتها عند السيد، رفض السيد استقبالها، لكن بعض الحضور تدخل وضغط على الإمام خشية قتلها. فتركها تدخل المنزل وخرج هو. واستحضر الإمام الرجل وعنفَه على خروجه مع البنت وأجبره على الزواج منها بعقد قرانه عليها، وخرج الرجل وأطلق إشاعة أن السيد قد أعجب بالفتاة وكانت جميلة، ويريد إرغامي بالزواج منها. لأنها من الطائفة السنية.

ويتابع السيد جعفر روايته: ثارت ضجة في صور، وصلت إلى النيابة العامة، فذهبت شخصياً إلى النائب العام وطلبت أن يعتقل الرجل، لأنه أثار فتنة، فأوقفه النائب العام قبل أن يطلقها. وجاءني اثنان من الوجهاء المؤمنين يقولا أنهما يجمعان المال من أجل طلاق البنت وجاءني أبو الفتاة وأختها يطلبون إلي ذلك، تدخل النائب العام طالباً منه إجراء الطلاق فوافق، وحصل على وثيقة بذلك، بعدما أخذ البنت إلى مستشفى الدكتور فؤاد عسيران ومستشفى لبيب أبو ظهر في صيدا وحصل على تقرير بأنها ما زالت بكراً، ويختم السيد جعفر: وانطوت القضية، وبقيت تتفاعل الإشاعة التي ضربت البلاد".

فتكونت الوفود التي زحفت وبأعداد كبيرة إلى صور إلى نادي الإمام الصادق، حيث استقبل الإمام وأنصاره الوفود، وتكلم العديد من ممثلي تلك الوفود.

ومن جهته السفير خليل كاظم الخليل يضيئ على بعض جوانب من القضية "الشخص الذي ادعى على الإمام بتهمة الاعتداء على البنت "زوجته" من الطائفة السنية من آل محفوظ. وكان يعتبر نفسه من قبضايات صور، كان يتردد على منزلنا، وكان على علاقة مع آل سلام في بيروت، وكان آل محفوظ على علاقة مع آل المملوك، وهؤلاء على علاقة جيدة مع آل سلام. وبعد دعواه على الإمام تغيب فترة أسبوعين عن صور، ولاحقناه حتى أحضرناه وأجبرناه على أن يكتب الإسقاط، وأقر بذلك، طلبنا من جماعتنا زيارة السيد موسى لتأييده.

انتهت القضية، وتتابع سير الوفود للقاء الإمام واستنكار ما جرى له من إساءة. كثيرة هي الوفود، وفد من الشمال، ووفد من بعلبك، ولعله أكبر وفد كان وفد بعلبك، وعلى رأسه الشيخ سليمان يحفوفي، فتكلم الشيخ وبعض الحضور. مثل السيد حسين الموسوي، "أبو هشام" والسيد زكريا حمزة وآخرين.

يروي الأستاذ ذكريا حمزة، وقائع ذلك الوفد والنهار: "اثر شيوع حادثة الفتاة في صور، تحركنا وعلى رأسنا مفتي بعلبك الشيخ سليمان يحفوفي إلى صور، في قرابة ٢٠ سيارة، استقبلنا السيد في نادي الإمام الصادق، وانتشر الخبر أن البعلبكيين قد حضروا ليؤيدوا السيد وتجمع الألوف من الناس، كنا نعرف الإمام بالاسم فقط، تكلم العديد منا وطرحت شخصياً إحراق منـازل آل محفوظ، وكانت الجماهير ثائرة، ثورة عارمة، فتحركت الجماهير، فهّب الإمام إلى المنبر، وطلب من الناس الهدوء"[١].

ووردت تعليقات واستنكار من شخصيات سياسية، منها ما قال الرئيس صائب سلام عن الفرية: "أنا واثق أن الذي يقوم بالدسائس، لا يرى خيراً لا بالشيعة ولا بالسنة".

وصرّح باسم حزب الهيئة الوطنية السيد أمين العريسي، قال: "قد وجد في

١- الاستاذ ذكريا حمزة، مقابلة للباحث معه.

سماحة السيد موسى الصدر كل تجاوب، ليس في سبيل وحدة المسلمين فحسب، بل في سبيل وحدة الوطن اللبناني بطوائفه كافة وفئاته".

ومن ردات الفعل السياسية على الموضوع، قام الرئيس صائب سلام والدكتور محمد كنيعو رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وإبرهيم عرب عضو المجلس بزيارة الإمام الصدر في صور من أجل إزالة الآثار التي خلفتّها حملة الافتراءات، التي تعرّض لها الإمام، يورد تصريح لسلام: "لتأكيد احترام الطائفة الإسلامية السنيّة قبل الشيعية للزعيم الديني، والمصلح الاجتماعي الكبير".

وفي المسجد تكلم الشيخ صبحي الصالح، قال: إن دعوته "أي الإمام" لإنصاف الطائفة الشيعية، لا تعني أبداً الدعوة للطائفية في لبنان، وإذا صحَ التعبير فإنها طائفية اجتماعية إيجابية تعمل مع جميع الطوائف المسلمة، المسيحية، لرفع المستوى العام لها جميعاً"[١].

وختم الرئيس سلام بقوله: "أنا أنظر إلى السيد موسى كما أنظر إلى جميع الأئمة والعلماء المسلمين علماً، وإماماً مسلماً"[٢].

وقد فسّر الإمام الصدر تأثير الإشاعة، وعلق: "يظهر أن تجاوب المواطنين معي حمل المشككين "من الخصوم" على العدول عن هذا المخطط إلى أسلوب آخر، يتناول الخلق الشخصي، وكانت هذه الأرجوفة أكبر من طاقة الإحتمال، فثارت الطائفة الشيعية، وكل من يتحسس بالمواطنية من الطوائف الأخرى. وهذا الزخم الذي قوبلت فيه الفرية الأخيرة. لم يكن لو لم يستقر في النفوس الشعور بالغبن من جانبه، والإحساس بأن المقصود لم يكن الشخص، بل النوع، ومن وراء هذا طائفة بأكملها تمثل جزءاً كبيراً من لبنان"[٣].

١- ٢٧ - ٨ - ١٩٦٦ - جريدة الحياة.

٢- المصدر نفسه.

٣- من بيان الصدر عام ١٩٦٦.

ووصل إلى خلاصة فيها الكثير، حيث يقول: "إن الجهاز الديني عند الشيعة، ليس جهازاً منظماً، موحداً، وذلك لأسباب تاريخية ومذهبية.

وإثر تلك الحادثة، درست أسباب هذا الزحف الشيعي، فاستخرجت محتواه من إطاره، فتكشف لي عن طابعه الشيعي، وفد طغت عليه شعارات الظلامة، التي تلف الشيعة من الرأس إلى القدمين"[١].

وفي لهجة عالية معبّرة، عميقة الغور والتأثير، يقول الإمام: "كنت بالأمس قد متّ... واليوم عدت فحييت، فأنا فيما أعيش بعد اليوم مدين لكم، وإذن فحياتي لم تعد ملكاً لي، وإنما هي لكم وفي سبيلكم"[٢].

ومن أبرز ردود الفعل على حادثة صور، برقية استنكار مرسلة من علماء الطائفة الشيعية إلى الإعلام، ورد فيها أسماء أبرز علماء تلك الفترة، ورسمياً فقد أوفد رئيس الجمهورية محافظ الجنوب هنري لحود إلى الإمام الصدر في صور، حيث قدم باسمه أسفه للمؤامرة التي تعرّض لها الإمام وكان وفد بعلبك والبقاع من أهم الوفود التي استنكرت الحادثة، ورغب الإمام في رد الزيارة إلى بعلبك بعد فترة وجيزة، وكان الإمام على رأس وفد علمائي شعبي ضم مئات السيارات، وبالمناسبة أعلن عن البدء بإنشاء ميتم في بعلبك، حيث قدم وتبرع الإمام بمبلغ من المال، وتبرّع بقطعة الأرض الحاج حمودي عواضه مساحتها عشرة آلاف متر مربع.

وقد ورد في خطبة الإمام يومها قال: "لقد شاركتمونا في آلامنا، فنشارككم في آمالكم، لماذا المشاركة؟ المشاركة أعمق مما يتصوره المفرقون، الذين يحاولون إبعاد الجنوب عن البقاع، وخلق نزاعات إقليمية ضيقة"[٣].

وقد كانت فكرة التقارب بين أهالي الجنوب وأهالي البقاع من القضايا الأثيرة

١- نجيب جمال الدين، الشيعة على المفترق او موسى الصدر ص ١٠٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- ٢٣-٨-١٩٦٦ جريدة الحياة.

لدى الإمام، لقد ظهرت كثيراً في خطاباته ومهرجاناته وأقواله وإعلامه. وقد كانت السلطة على الدوام تلعب على ذلك الوتر، بعلبكي - جنوبي، وتثير التفرقة، وتدعم فئة على أخرى، وكان للإقطاع السياسي الدور الأبرز في إذكاء النعرات، وقد ظهرت جلية في أكثر من مكان تواجد الفريقين، وفي الضواحي تحديداً.

ويتساءل أمام الجماهير عن السبب في التخلف: "ترى لماذا نحن محرومون؟ هل خلقنا نحن من باطن الأرض وخلق غيرنا من السماء"، ويعطي الإمام بعض النسب إن "٩٨٪ من أبناء الطائفة الشيعية ينقصهم التوجيه الديني الصحيح". ويختم: "إن هناك ١٦ طائفة تقريباً في لبنان، منظمة تنظيماً كاملاً بخلاف الشيعة"[1].

١- ٢٣-٨-١٩٦٦ جريدة الحياة.

بيان الإمام الصدر ١٩٦٦

لعل بيان الإمام موسى الصدر بتاريخ ١٥-٨-١٩٦٦ وكان بعنوان "الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان آلامها وآمالها"، كان الوثيقة الأبرز حتى ذلك التاريخ، حيث لخصّ الإمام وضع الطائفة الشيعية، وقد طبعت تلك الوثيقة ووزعت على المهتمين. وكانت الأساس النظري الاجتماعي السياسي لفكرة الحرمان في لبنان، والذي تطور بعد ذلك في أواسط السبعينات بحركة المحرومين، فقد انتشرت تلك الوثيقة بكثافة في أوساط العاملين، وأصبحت اللغة السياسية الاجتماعية لحركة الإمام الصدر وأنصاره، وكانت تمثل فيما يشبه البيان السياسي، حيث سوف يتكرر ذكر بنودها في كل مهرجان، وتصريح، ولقاء، واجتماع، فجميع احتفالات تلك الفترة كان فيها شيء من بيان ١٩٦٦.

فقد جاء في ذلك البيان، كمدخل "الشعور النفسي بالحرمان وبالضعف عند المواطن الشيعي، وخاصة الموظف ناتج عن الشعور بعجز الطائفة عن إظهار شخصيتها المتكاملة في مختلف ميادين الحياة، وقد نتج عن ذلك الوضع، عدة نقاط:

١. فقدان الثقة بالنفس وعدم وحدة الصف.

٢. فقدان الأمل بالدولة وما تخطط وما تنفذ.

٣. ضعف الثفة برجالات الطائفة من روحانيين وزمنيين، لعدم التكاتف فيما يعود على الطائفة بالخير العام.

وأورد الإمام بعض الأمثلة والنسب، جاء فيه: "قضاء واحد من المناطق يضم

اثني عشر ألف طفل، بين السادسة والثانية عشرة يعلمهم واحد وثلاثون مدّرساً رسمياً، أي مدرّس واحد لكل ٣٨٧ طفلاً، وكان هذا قبل ١٩٦٠.

وذكر الإمام مبادراته العديدة للإصلاح، وتأييد أكثرية أبناء الطائفة له، إلا بعض الخاصة، "فقد شككو بأنفسهم ونواياهم حين أثاروا الشكوك حولي والافتراءات علي، وربطوا مبادرتي بحركات سياسية محلية أو عربية، او عالمية، دون رادع من إيمان ولا اعتماد على قرائن وأدلة".

ويرد ذلك المناخ ضده بسبب أنني "كنتُ لا أرى سبباً لهذه الشكوك سوى أني خرجت برجل الدين إلى عالم الحياة والحركة، ورفعت عنه غبار السنين، يسير مع الحياة في تطورها، ورقيها منسجماً بذلك مع الفكر الديني الأصيل".

ويشير بخلاصة عما يريده الشيعة:

١. ضرورة وجود جهاز يمثل رغبات أبناء الطائفة، ويعمل لتحقيق آمالها ويشعر بمسؤوليه تجاه آلامها.

٢. إن المستفيدين من التوجيه الديني عند الشيعة لا تتعدى نسبتهم ٢٠٪ من مجموع أبناء الطائفة.

٣. ومن أجل إحياء وتنظيم الأوقاف المهملة، وحفاظاً على المؤسسات الثقافية والاجتماعية الموجودة.

٤. وفي سبيل تبادل التجارب وبث روح التعاون مع بقية الطوائف الشقيقات.

٥. ومحافظة على مصالح الطائفة العليا وسعياً وراء العمل ورفع الظلامات، بضرورة الدعوة إلى بناء جهاز للطائفة الإسلامية الشيعية.

ويذكر بأن هذا الأمر ليس بدعاً من الأعمال، وقد نكون تأخرنا كثيراً، لأننا الطائفة الوحيدة في لبنان التي لا تتمثل رسمياً بمجلس ملي أو شرعي.

ويختم بخلاصة إعتبار هذا البيان، الذي سيكون مخططه للعمل على الصعيد الشعبي.

ويؤكد الإمام أن الكثير من رجال الفكر والعلم والسياسة قد رحبوا بها، وأيدوها واعتبروها حلاً ناجعاً للمشكلة، بل هي تنظيم لرفع مستوى أبنائنا تسهيلاً للتعاون وأداء واجباتنا الوطنية الاجتماعية، أسوة بسائر الطوائف اللبنانية.

وكي يجعل هذا الموضوع أمراً واقعاً على رجال السلطة في لبنان، طلب من المواطنين كافةً وخاصة أبناء الطائفة الإسلامية الشيعية، للتعبير عن آرائهم بالبرقيات والرسائل الموجهة إلى فخامة الرئيس الأول، وإلى الحكومة الموّقرة، وإلى مجلس النواب، مطالبين باستصدار قانون بهذا الشأن، على غرار المرسوم الإشتراعي رقم (١٨) تاريخ ١٣-١- ١٩٥٥، القاضي بتنظيم الطائفة الإسلامية السنية، وعلى غرار القانون الصادر بتاريخ ١٣-٧-١٩٦٢، الذي ينظم الوضع الطائفي للدروز، وكانت الطوائف المسيحية منظمة قبل ذلك التاريخ.

وفي ٣١-١٢-١٩٦٦ صدر عن ممثلي الطائفة الشيعية في لبنان إقتراح لمعالجة الغبن اللاحق بالطائفة، وكان في مقر جميعة الهداية والإرشاد العلمية، وافق المجتمعون على اقتراح يقضي بانتخاب لجنة تتولى إعداد بيان يرفع إلى الرئيس حلو، وقد تم الإتفاق على تسمية لجنة ضمت السادة: الشيخ حسين الخطيب - السيد موسى الصدر - السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين - الأستاذ عبد اللطيف الزين - المحامي محسن سليم - المحامي خضر الحركة - رضا التامر عبد الحسين زبيب - الدكتور فؤاد خليفة - الأستاذ رياض طه.

إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

يعتبر الأستاذ نجيب جمال الدين، أن فكرة تكوين المجلس لم تكن فكرة مستعجلة، كانت عبارة عن فكرة مدروسة، بدأ النضال فيها منذ ١٩٦٢، ويرد السيد جعفر ع.ح شرف الدين إلى أن نشر الفكرة وتسويقها إثر "حادثة صور" حيث أمت الوفود النادي الحسيني في صور. وأراد السيد أن يأخذ من هذه الظاهرة طريقاً لتأسيس المجلس الشيعي، معتمداً العواطف الثائرة، فأعلن عن رغبته وحاجة الطائفة لإنشاء المجلس.

وحول تاريخية الإنشاء يورد السيد جعفر شرف الدين: "حصل الرئيس أحمد الأسعد على رخصة بإنشاء جمعية شيعية عامة باسم المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بالأربعينيات، تم بالخمسينيات تقدم السيد شفيق مرتضى بقانون لمجلس النواب لتأسيس مجلس شيعي أعلى.

قبل تكوين المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كان هناك المجلس الإسلامي وكان على أساس تمثيل كل المسلمين، كما يقول دولة الرئيس نبيه بري، وكانت حصة الشيعة فيه إثنان الأستاذ إبراهيم حلاوي والأستاذ محمد الساحلي، يعلق الرئيس بري قائلاً: "حتى هنا حقوق الشيعة مهضومة، ويضيف كُوِّنَ المجلس الإسلامي لإزالة الغبن، فصار يشكل ريبة عند الشيعة، وكان التساؤل لماذا لا يكون هناك مناصفة في عدد الأعضاء، ولماذا لم يكن هناك مداورة بالرئاسة، ويختم الرئيس بري "بدل أن يكون المجلس الإسلامي مجال

وحدة بين المسلمين، صار مجال تفرقة"[1].

ويورد السيد هدى رمضان بعض التفاصيل، يقول: "جئنا بوفد من الجمعية العاملية، واجتمعنا مع الرئيس حسين العويني، وطرحنا مسألة تمثيل الطائفة الشيعية والدرزية في المجلس الإسلامي، لم نصل إلى نتيجة، لكن الأمر اختلف عندما تدخل الرئيس جمال عبد الناصر في مؤتمر بريوني - يوغوسلافيا، وقد مثل لبنان رئيس الحكومة صائب سلام، ويضيف السيد رمضان:

"أخبرني الصحافي كامل مروة، أن عبد الناصر تدخل لقبول المسلمين الشيعة في المجلس قائلاً للرئيس صائب سلام: "الشيعة هم قلب الإسلام النابض، يجب أن تقيموا مجلساً واحداً، وتدخلوا فيه كمال جنبلاط، كممثل عن الدروز، إثر ذلك جرت مفاوضات مع القيمين على المجلس على أساس أن يتم اختيار ١١ شخصاً شيعياً و١١ سنياً و٢ دروز، لكن لم تصمد تلك الصيغة، وقد طرح عن العاملية تلك الفترة ممثلين ثلاثة، السادة سليمان الزين، محمود صفي الدين، حسين مكي"[2].

يروي السيد جعفر ع.ح. شرف الدين

بعد أن تقدم السيد موسى بمشروع قانون إلى المجلس، تقدم حوالي ستون عالماً إلى مجلس النواب أيضاً بمشروع قانون لتأسيس المجلس، أرادوا أن يكونوا مزاحمين للسيد، ومن أبرز هؤلاء الشيخ موسى عز الدين، السيد مهدي ابراهيم، تقدم هؤلاء وغيرهم من باب المعارضة له، وعندما سألت بعضهم، قالوا هو أي السيد يريد أن ينزع عنا الغبار، نحن ننفض الغبار عنه، وطلب هؤلاء العلماء مني اللقاء مع الرئيس كامل الأسعد، كي يتبنى حملتهم، فسألت دولة الرئيس فقال تعال مع ٤-٥ منهم، وطرحوا عليه القضية، فأجاب الرئيس الأسعد.

١- دولة الرئيس نبيه بري، مقابلة للباحث معه.

٢- السيد هدى رمضان، مقابلة للباحث معه.

قال الأسعد، يتابع السيد شرف الدين: "أنا ليس عندي معطيات العمل ضد السيد موسى الصدر، ومطلب إقامة المجلس الشيعي أصبح مطلباً شعبياً، أنا لا أستطيع أن أحارب السيد ولا المطلب، سأقف على الحياد، ولا أحاربكم أيضاً، علم الرئيس صبري بموقف الأسعد، فطلب إلى الرئيس الأسعد أن نبحث برئاسته مشروع القانون، وتقدمه إلى مجلس النواب، أو نتبنى مشروع العلماء، أو مشروع السيد موسى"[1].

وبتاريخ ٨ - ٣ - ١٩٦٧ ورد في الصحف "أنجز أمس إعداد اقتراح قانون بإنشاء مجلس إسلامي شيعي أعلى، ساهم في وضعه العلماء السادة، حسين فضل الله، حسين الخطيب، محمد زغيب، وسيقدم هذا المشروع إلى مجلس النواب لدرسه".

ويتابع السيد جعفر شرف الدين "رواية الأحداث تلك الفترة "درسنا في كتلة الجنوب برئاسة الأسعد، نسختين الأولى موقعّه من السيد موسى، أنا أخذت نسخة السيد موسى من المشروع، والنائب أنور الصباح أخذ يقرأ نسخة العلماء، وصرنا نقرأ مادة مادة، ونصّوت عليها، نناقشها، حتى وصلت إلى مواصفات الرئيس. نسخة العلماء تقول إن على الرئيس أن يكون لبنانياً منذ أكثر من عشر سنوات، ومن أبوين لبنانيين ويحمل إجازة اجتهاد، ومن مواصفات الرئيس أن يحمل صفات اجتهاد من جامعة إسلامية شيعية".

يتابع السيد شرف الدين روايته عن الأحداث "قال الأسعد، لا تنتقلوا من هذه النقطة إلا إذا وافق السيد جعفر، فالرئيس الأسعد ذكي، لا يريد أن يخرج أحدٌ معارضاً، صوّت هو قبل الكل، على ما أنا وافقت عليه، عندها قرأ الرئيس الأسعد المشروع من الأول حتى الآخر، وصوّت عليه بمادة وحيدة".

ويتابع السيد شرف الدين "وعلى سبيل الممازحة خاطبني الأسعد في نهاية

١- السيد جعفر.ع.ح. شرف الدين، مقابلة للباحث معه.

التصويت، "نسيت أن تضع يا سيد مواصفات الرئيس، قلت ما هي، فقال أن يكون طوله أكثر من مترين، وعيناه خضراوان، فتبسّم الجميع، وقلت شكراً دولة الرئيس".

مطلع عام ١٩٦٧ غادر الإمام الصدر إلى أفريقيا في زيارة تفقدية للجالية اللبنانية في أكرا الغانية، وقبيل مغادرته عقد الإمام مؤتمراً صحفياً، وطالب بضرورة إنشاء مجلس إسلامي شيعي أعلى، وعندما غادر، يروي الصحفي حسين قطيش "إتصل بي السيد أحمد اسماعيل، وطلب مني معاودة الاجتماع مع بعض الشباب والوجهاء في منزله، في رأس النبع واتفقنا على المتابعة في البحث في الموضوع.

وتناقلت الاجتماعات من منزل لآخر

وعندما سألت الأستاذ قطيش عن الأسماء التي يتذكرها وكانت تحضر الاجتماعات ذكر.

النائب السابق جعفر شرف الدين - الحاج نجيب نصار - توفيق نصار - الحاج ابراهيم غدّار - الحاج محمود صفا - مرتضى حمود، عباس أمين الحاج، حكمت قصير، أحمد اسماعيل - أحمد قبيسي - نجيب جمال الدين، نبيه بري - حسين قطيش - د. مالك بدر الدين - د. فخري علامة - د. أحمد زروي- د. محسن الحاج - د. محمد علي الرز - ابراهيم كوثراني - السيد خليل حسين - السيد محمد رضا الحاج - الأستاذ عبد العزيز سويدان - الرئيس صبري حمادة - السيد حسين الحسيني - محمد صفي الدين - محمود عمّار - فضل الله دندش - الوزير السابق سليمان الزين - هدى رمضان وكثير غيرهم"[١].

ويضيف: "طلب مني الإمام أن نضع مشروع المجلس كصياغة قانونية، واتفقنا على أن نقوم بزيارة لكل من الرئيس صبري حماده وكامل الأسعد، كان الرئيس حماده رئيساً للمجلس النيابي، اعترض المحامي أحمد قبيسي وكان ثورياً، لا يريد

١- السيد حسين قطيش، مقابلة للباحث معه.

الكلام مع كامل الأسعد، وتمت الزيارتان وكنت في عدادهما"[1].

يتابع الأستاذ قطيش روايته وقائع تلك الفترة: "ذهبنا أنا ونجيب جمال الدين، ود. مالك بدر الدين، د. فخري علامة، د. محمد علي الرز، ألقى نجيب جمال الدين كلمة مؤثرة مع صبري حمادة، وفي هذا الوقت ظهر متحمسٌ آخر هو الشيخ فضل الله دندش، وفي هذا المجال، وفي مسعى لكسب التأييد للمشروع"، يضيف الأستاذ قطيش: "التقيت بالنائب ناظم القادري، وكان رئيساً للجنة الإدارة والعدل النيابية، قال لي أنتم تهيئون مشروعاً مستقلاً للطائفة الشيعية، فقلت له نعم فأجاب أنا مستعد أن أقطع يدي من الرسغ ولا أطرح الموضوع. فقلت للنائب فضل الله دندش، فقال أنا أدبر الموضوع، وعدت والتقيت بالنائب القادري، فكرر ما قاله سابقاً، وقال سأقطع يدي من الكتف ولا أعرض هكذا مشروع.

إثر ذلك ذهبنا إلى رئيس المجلس الأستاذ صبري حمادة، وأخبرته ما جرى معي، فقال صبري بك هل في مشروعكم بعض القضايا المالية، فقلت أكيد، يوجد ملاك موظفين، قال بسيطة تعرض المشروع على اللجان المشتركة، المكونة من لجنة المالية، ولجنة الإدارة والعدل.

وبتاريخ ١٢-٥-١٩٦٧ أقرت لجنتا المال والإدارة، إقتراح القانون، برئاسة رئيس المجلس صبري حمادة.

وعندما تجتمع اللجنتان يترأس المجلس رئيس المجلس، وهكذا صار فيما بعد، يضيف الأستاذ قطيش: "كنا قد زرنا الرئيس حماده، وقررنا زيارة الرئيس الأسعد، أذكر أنني كنت في عداد الوفد، وكان معنا النائب جعفر شرف الدين، وهو من كتلة الأسعد النيابية. والسيد محمد علي الرز، أبو رضا الحاج، وأنا توليت المجابهة. طلب مناصرو حمادة أن نستعجل في إعداد مشروعنا، وكان صبري بك

١- السيد حسين قطيش، مقابلة للباحث معه.

متحمساً للمشروع، وقد حدثت مشادة في المكتب، وصلت أصداءها للخارج. وقيل إن صبري بك ضرب يده على الطاولة، بحدة رداً على مماطلة البعض، واتهم مشايخ الجنوب بأنهم يباعوا "بسلة بيض" وحول الإتصالات السياسية لصرف النظر عن المشروع، فقد حدثت تدخلات عديدة، منها كما يروي السيد قطيش قائلاً: "أخبرني صبري بك أنه تم الاتصال به من قبل الرئيس كرامي، والمفتي حسن خالد والسفير المصري عبد الحميد غالب، وطلبوا منه صرف النظر عن دعمنا، وتحويلنا إلى المجلس الإسلامي المشترك، لكنه أخبرهم بأننا شباب، ويفضل عدم مجابهتهم ووعدهم بالسعي معنا بعد التكوين لتوحيد المجلسين.

وبعد توحيد المشروعين، مشروع العلماء ومشروع السيد موسى، والتوافق على مشروع واحد بصيغة واحدة، قدم للمجلس النيابي اقتراح قانون.

ويتابع الأستاذ قطيش: "طلبت من الرئيس حمادة أن نحضر الجلسة، فسمح لنا بالحضور في الجناح المخصص للسفراء، ونزلنا كلنا، طرح المشروع على التصويت، وتم التصديق عليه بمادة وحيدة دون مناقشة، وصوّت النواب عليه. ورأيت النائب محمد صفي الدين يقترب من الرئيس كرامي ويهمس في أذنه بعض الكلمات، وما هي إلا لحظة، حتى قال الرئيس كرامي: أما وقد تم التصديق على قانون إنشاء المجلس الشيعي فإنني باسم الحكومة، أهنئ الطائفة الكريمة بقانونها الجديد، وأتمنى لها التوفيق.

يضيف الأستاذ قطيش: "عندما كان الإمام الصدر في أفريقيا، إتصل بي السيد، وطلب إضافة بند بإنشاء جامعة إلى مواد القانون. وأضيفت العبارة إلى القانون.

رُدَّ المشروع إلى مجلس النواب بعدما استلمته دوائر رئاسة الجمهورية بسبب، "إنشاء الجامعة" أيام الرئيس شارل حلو.

ويختم السيد قطيش: "عندما عاد الإمام من أفريقيا، قال لنا لقد أزلنا صخوراً وجبالاً من صوان من أمامنا.

ومن جهته يروي دولة الرئيس كامل الأسعد الصورة على الشكل التالي:

"هناك موضوع، معروف ومتعارف عليه، سواء كان على مستوى مشروع قانون أو على أي مستوى في مجلس النواب يتعلق بالأحوال الشخصية، كإنشاء مجلس ملي ديني، كان يبّت في إطار الطائفة ذاتها، قبل أن يُطرح على مجلس النواب، وكان رفعه إلى مجلس النواب فقط من أجل أن يحرز قانونية شرعية، عبر أكثرية نيابية ولا يناقش، إطلاقاً، خاصة عندما يتفق نواب الطائفة ذاتها، صاحبة المشروع، بل يصّوت عليه برفع الأيدي"[١].

أما حول آلية تقديم المشروع إلى المجلس النيابي فالرئيس كامل الأسعد كانت وجهة نظره: "قدمنا نحن النواب الشيعة العشرة، عبد الكريم الزين، عبد اللطيف الزين، أنور الصباح، غالب شاهين، جعفر شرف الدين، عبد اللطيف بيضون، عبدالله غطيمي، كامل الأسعد وممدوح العبد الله.

إضافة إلى النائب الشيعي عن قضاء بعلبك الهرمل محمد عباس ياغي، الذي انضم إلى كتلتنا وقدمنا مشروع القانون، وأقر القانون بناء على إصرار جبهة الإصلاح، ولولا إصرارنا آنذاك، لم يقرّ المشروع إطلاقاً"[٢].

وحول بنود المشروع، فيورد الدكتور محمد شعيتو: "كان هم الشباب، هيئة النضال، والمؤيدين للإمام أن يصدر قانون تأسيس المجلس مهما كانت الصيغة ناقصة، وبعد ذلك يجري التوسع بالنصوص، واستكمال النصوص الضرورية، في مراحل لاحقة، إذ عاد البحث حتى بعدما انتخب الإمام بتاريخ ٢٣-٥-١٩٦٩"[٣].

كانت الأجواء تلك الفترة عامرة بالحيوية السياسية بين مؤيد بحدّة، ومعارض بشراسة أيضاً، فموجة التأييد كانت حاسمة في اوساط العامة، وفي بعض الدوائر

١- دولة الرئيس كامل الاسعد، مقابلة للباحث معه.

٢- المصدر نفسه.

٣- الدكتور محمد شعيتو، مقابلة للباحث معه.

الرسمية والسياسية، ومن مختلف القطاعات والمهن والجمعيات. فالرغبة الشعبية كانت عارمة، وكان الإمام عبر الخطب والتحركات المطلبية والمحاضرات قد جعل طرح المجلس من الأولويات السياسية تلك الفترة، ففي لائحة الأنصار يبرز"دور الرئيس صبري حمادة، الذي كان له اليد الطولى والفضل الأكبر في تحرير قانون إنشاء المجلس"[١].

ومن أبرز الوجوه المؤيدة، كان كامل مروة، وكذلك صبري حمادة، الذي كان رئيساً للمجلس النيابي يومذاك، وكانت السلطة يومذاك متبنية هذا التوجه"[٢].

أما دولة الرئيس نبيه بري فيقول: "أنا أزعم أنه كان للرئيس صبري حمادة الفضل الكبير والكبير جداً، يأتي بعد فضل الإمام الصدر مباشرة، على الرغم من أن حمادة لم يكن مؤيداً منذ البداية"[٣].

أما السيد محسن ابراهيم، فيرّد أسباب التأييد لحركة الإمام، بالتالي بدأت تتوضح المعالم الاجتماعية لحركة السيد موسى على كونه الرجل العابر للطبقات الاجتماعية، والمناطق غير محصورة في فئة معينة، في وسط إجتماعي معيّن، فالإمام يجمع من البرجوازية الطائفية الأكثر تنوراً، والأكثر استعداداً للمساهمة في حياة البلد، وتعلق الأمر بالإقطاع السياسي[٤].

أما دولة الرئيس حسين الحسيني، فله وجهة نظر يقول: "كان للرئيس صبري حماده دور أساسي في الدعوة وبالتالي للمفتي الجعفري الممتاز حسين الحسيني"[٥].

١- القاضي حسن الحاج، من مقابلة للباحث معه.

٢- حبيب صادق، مقابلة للباحث معه.

٣- دولة الرئيس نبيه بري، مقابلة للباحث معه.

٤- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

٥- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

ومن جهته يدلي الشيخ محمود فرحات بدلوه في هذا الموضوع يقول: "ومن أبرز الأنصار لتكوين المجلس، الشيخ سليمان اليحفوفي، والشيخ محمود فرحات، كان هناك الخوف من هذه المؤسسة أن تمسك من قبل السلطة، والنظام اللبناني، وبما أن رئيس الدولة غير شيخ، من الممكن أن تحد من حرية حركة الشيخ، هذه كانت مخاوف متداولة تلك الفترة[١]".

أما الشيخ مهدي شمس الدين فيرجع الأمر إلى ظروف خاصة مبكرة إذ يقول حول الأنصار.

عام ١٩٦٠ كانت توجد نخبة مما يسمى "انتلجنسيا" و"الثقافية"، التي كانت تتطلع إلى خطاب ديني أكثر استنارة، وأكثر تفهماً للواقع، وأكثر ميولاً عند الآخرين في لبنان، وكانت حاجة الجماعة إلى اعتراف الآخرين بها، الحاجة إلى وجود لغة مشتركة جامعة، ليس في قضايا السياسة فقط، وإنما في قضايا الحياة، أيضاً، الجسم الديني لم يكن يلبي هذه الحاجة في ذلك الحين إلا بقدر محدود جداً، ومن الذين كانوا ملتزمين الفكرة مع الإمام الشيخ موسى شرارة[٢].

ومن المرحبين بإنشاء المجلس كان دولة الرئيس رشيد الصلح، "لأن الطائفة الشيعية الكريمة لم يكن لديها في ذلك الوقت مرجع رسمي، كما هو موجود في بقية الطوائف، مثلاً السنة كانت لهم دار الفتوى، الموارنة كانت لهم البطريركية المارونية بكركي.

ويتابع رئيس الوزراء: "حصل يومها تباين بين النواب الشيعة، فتحضّر مشروعان فطلبنا منهم أن يجتمعوا في مكتب رئيس المجلس صبري حمادة، ويتفقوا على الصيغة النهائية لنقرها نحن"[٣].

١- الشيخ محمود فرحات، اول مدير عام المجلس، مقابلة للباحث معه.

٢- محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

٣- دولة رئيس الوزراء رشيد الصلح، مقابلة للباحث معه.

كانت الأمور تلك الفترة حدّية، يقول الأستاذ محسن دلول، "فمن كان معه تحزّب له بتعصّب، ومن كان ضده قائله بتعصب أعمى"[١].

أما السفير خليل كاظم الخليل، فيرى القضية من منظاره حيث يقول: "أيدنا السيد موسى، في مسعاه لتكوين المجلس الشيعي، وعملنا معه وتعاوننا مع صبري حمادة، لأنه كان رئيساً للمجلس، لأن كاظم الخليل لاحظ أن هناك تقليداً سائداً في الأعياد، يزور رئيس الجمهورية رؤساء الطوائف، لم يكن هناك مرجعية للطائفة الشيعية، كي يزورها ويقدم لها المعايدة.

يضيف سعادة السفير: "كان كاظم الخليل يعتبر أن المجلس مظلّة لأبناء الطائفة، ويفضّ كل الخلافات، حاول والدي جمع السيد موسى مع كامل الأسعد وعادل عسيران وصبري حماده، آل الأسعد كانوا غير راضين عن المجلس، وعن إقامة علاقات مع السيد موسى"[٢].

أما المرجع السيد محمد حسين فضل الله فإنه يرى الأمور من زوايا أخرى، يقول: "لم أقف موقفاً سلبياً من الواقع الشعبي المؤيد للمجلس، لم أجد أية مصلحة في ذلك، لا سيما كنت أستقبل السيد موسى كمحاضر في أكثر من مناسبة، وكان الناس يستقبلونه باحتفالية، وكنت أتردد على المجلس بين وقت وآخر.

ويردد المرجع السيد ما كان يطرح تلك الفترة، يقول: "كان لي ملاحظات على مسألة العناوين السياسية، التي كانت تتمثل في خط السيد موسى، كانت علامات استفهام تثار أمام تحرك السيد موسى، مرحلة كان يسودها النهوض، وكان تيار القومية العربية جارفاً، وكان التيار الآخر اللبناني الذي تقوده الكتائب وأحزاب الجبهة اللبنانية، كان السيد موسى يوضع إلى جانب التيار اللبناني، لا سيما العروبيون والفلسطينيون كانوا يقفون ضد توجه السيد موسى، وكانوا حذرين، كانت هذه

١- محسن دلول، مقابلة للباحث معه.

٢- السفير خليل كاظم الخليل، مقابلة للباحث معه.

التهاويل تعطي بعضاً من الضبابية والغموض على هذه المسألة"[١].

أغلب الذين وقفوا مع الإمام في بداية تحركه بقوا معه في حركة إنشاء المجلس الشيعي، والذين وقفوا ضد حضوره منذ البداية، بقوا أيضاً ضد تكوين المجلس، مع بعض الإستثناءات القليلة، وتوزعوا على فئات عديدة.

لقد اقترب من الإمام وحركته الكثير من الطبقة الوسطى في لبنان كما تقول الدكتورة صفية سعادة: "إذ أخذت تلك القوة بالإزدياد في الخمسينات، والقوة الاقتصادية تنعكس عادة على الطبقة السياسية، إلا أن النظام الطائفي لم يتحرك، ووجدت الطبقة الوسطى نفسها عاجزة عن الوصول إلى السلطة كطبقة"[٢]، لذا كان اقترابهم من الإمام وسيلة من وسائل حضورهم الاجتماعي والاقتصادي، مقدمة لحضورهم السياسي، عبر مشروع الإمام، وبمواجهة البرجوازية الشيعية والإقطاع السياسي معاً.

وحول خلفيات المعارضة العلمائية لإنشاء المجلس، يوضح الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نحن لم نكن مثقفين بما فيه الكفاية بالاجتماع اللبناني، وكان السيد موسى الصدر أكثرنا خبرة في طبيعة الحال، وحينما فهمنا حقيقة التركيب الداخلي من جهة، وحقيقة الحرمان والهامشية، التي كان الإنسان الشيعي يعيش في لبنان، وتحدثنا عن درجة فعالية الجسم السياسي، أو الآلة السياسية عند الشيعي وتراوح أمرها بين العجز أو الفشل أو عدم المبالاة، وأن هذه المؤسسة ستكون أشبه بضمانة وحافظ، وتحرّك لكوامن هذا المجتمع وصيغة التعبير عن تطلعاته.

يضيف الشيخ شمس الدين عن تميزه في موقعه من إنشاء المجلس، كنت أفضل أن يعمل الإمام موسى من الداخل، وأعمل أنا في الخارج، أي لا أدخل في

١- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.

٢- د. صفية سعادة، ص ٦٧.

بنية المؤسسة، لأن ذلك أفضل للفكرة، حيث كنت أرغب وأسعى لإقناع المرجعية بهذا الخط، مرجعية السيد محسن الحكيم"[١].

يروي الشيخ شمس الدين اجواء تلك الفترة من التأسيس، أطلقت على كل الهيجان في مرحلة التأسيس، كان يوجد معارضة علمائية لا يستهان بها مقابل عدد محدود جداً يؤيد الفكرة، المعارضة كانت قوية، بأمثال الشيخ محمد تقي صادق، الشيخ موسى عز الدين وكانا يستقطبان عدداً كبيراً من الوسط الديني، ويجدان دعماً كبيراً من جهات سياسية شيعية "الأسعد".

وقد كان أبرز العلماء المعارضين حسب الشيخ محمود فرحات، الشيخ محمد جواد مغنية، الشيخ حسين معتوق، الشيخ حسين الخطيب، الشيخ عبدالله نعمة، والسيد هاشم معروف.

ويرد الشيخ محمود فرحات الأسباب إلى العقلية، إذ يقول: "ذهنية العلماء المعارضة للمجلس ذهنية تتوجس خيفة من أي جديد حتى الإنجازات العلمية كانت تخيفهم، وخشية استبداد الحاكم الظالم، وتخيف أيضاً لأنها ضمن نظام الدولة - جمهورية يتشارك فيه غيرنا من الطوائف، وليست بقيادة شيخ من هؤلاء المشايخ.

وكانت هناك معارضة علمانية إذا جاز التعبير، تمثلت يومها بمسؤولي الأحزاب اليسارية والعلمانية، يقول السيد حبيب صادق: "كنا نعارض إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، أنا شخصياً والكثير من أصدقائي من أبناء الجنوب وأخي المغفور له الشيخ محمد تقي صادق، كان يعارض على صعيد الأسرة العلمائية، ونحن على صعيد العلمانيين إلى جانب معارضتنا على الصعيد المدني، كانت تقوم حركة في وسط رجال الدين الشيعة، قد يكون رمزها في ذلك الوقت الشيخ محمد تقي صادق، وقد كانت لدي عريضة تحمل تواقيع الكثرة من علماء الدين الشيعة،

١- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

الشيخ محمد تقي الصادق، الشيخ محمد جواد مغنية، الشيخ عبدالله نعمة، السيد علي مهدي ابراهيم وغيرهم إلى جانب حوالي ٦٠ شخصية دينية تطالب بعدم إقامة مجلس طائفي مذهبي.

وحول العلاقة العضوية للشيخ محمد تقي صادق شقيق الأستاذ حبيب مع الرئيس كامل الأسعد، يقول: "أنا شخصياً كنت آخذ على أخي الشيخ محمد تقي علاقته الجيدة مع كامل الأسعد، ومع أحمد الأسعد ومع أم كامل لأنها إبنة خالتي.

وحول نظرة العلماء لحركة الإمام، وخصوصاً إنشاء المجلس، يصوّب المرجع السيد محمد حسين فضل الله يقول: "أشعر أننا كنا مخطئين عندما كنا نلاحظ على كلمة السيد أنه نفض غبار السنين عن الواقع الديني، إنه استطاع فعلاً أن يقتحم الكثير من الحواجز، التي كانت تقف أمام الإنسان الشيعي في الانفتاح على الآخرين او في المطالبة بحقه بشكل منفتح واسع، يجعله يشعر بأنه جزء من هذه التركيبة اللبنانية، ويدخل إلى واقع ساحة الصراع، وفي هذا أرى الفضل الكبير للسيد موسى.

وكان ثمة معارضة من علماء الطائفة السنية، ويروي دولة الرئيس نبيه بري: "كلفني الإمام الصدر بمقابلة المفتي حسن خالد، وشرح فكرة المجلس، وأن الهدف من إنشاء المجلس هو زيادة التضامن بين المسلمين وليس إيجاد شرخ وتفرقة، واستعملت التعبير التالي بنقاشاتي: إن السنة تساوي واحد والشيعة صفر، فإذا وضعنا الصفر إلى اليمين صار الرقم عشرة، وإذا كان الصفر إلى الشمال بقي الرقم واحد، وبينما إذا صار للشيعة مجلس وصار واحداً، إذا وضعته على الشمال أو إلى اليمين يصبح الرقم ١١. وتفهم الأخوان السنة الأمر، والجميع تفهم أيضاً، الدروز وبقية الطوائف المسيحية". ويضيف الرئيس بري: "الممانعة لم تكن من الطائفة السنية، كانت أكثر من السياسيين الشيعة".

وحول إيجاد مجلس مشترك بين السنة والشيعة، يقول المرجع السيد محمد حسين فضل الله: "كان السيد موسى يتحدث بإيجابية عن ضرورة إيجاد مجلس

إسلامي يضم الشيعة والسنة، لكنه يعتبره مشروعاً ليس له واقعية، باعتبار أن الآخرين لا يقبلون، خصوصاً لأنهم لا يقبلون بتداول الرئاسة، وقد برزت تلك الفترة طروحات عديدة اشترك فيها الكثير من السياسيين والعلماء، لإيجاد مجلس إسلامي مشترك، كانت تعترضه عقبات أساسية.

يروي السيد جعفر شرف الدين فصلاً من فصول المساعي والخطوات، زرت المفتي الشيخ حسن خالد في مصيفه في عاليه، وقلت له عندكم مفتي الجمهورية ينتخبه القضاة السنيون، المفتون السنيون، النواب السنيون، مثلاُ أنت وكيل أوقاف والشيعة عندهم أوقاف. كيف تريد أخذها من غير أن تشرّعها، وبعد شهرين من هذا الكلام قرأت بالجريدة أنه يعتبر أن مفتي الجمهورية، تصرّف بأوقاف المسلمين سنة وشيعة، ذهبت وزرته مرة ثانية، وقلت له مضطر أن أعترض بمجلس الشورى، "أحسن ما تروح الجعفرية" فقال ألم تطلب أنت ذلك؟ فقلت أنا طلبت أن نعمل مجلس إسلامي مشترك، نصفه سنة ونصفة شيعة، والرئيس يكون مرة شيعياً ومرة سنياً.

وتابعت مع المفتي خالد: "نحن نريد أن نعمل المجلس الشيعي، كي نقرر قائداً يفاوضك بإيجاد الطائفتين، ليس هناك قائد يستطيع الآن، لأن رئيس المحكمة الجعفرية العليا لا يستطيع، رئيس مجلس النواب أيضاً لا يستطيع"[١].

ويشرح الأستاذ المحامي محمد الساحلي عضو المجلس الإسلامي، يقول: "المجلس الإسلامي، كناية عن تركيبة سياسية مؤلفة من السنة والشيعة والدروز، المقصود تركيبة سياسية توحيدية توفيقية بين المذاهب الثلاثة، وكانت مقتصرة في المرحلة الأولى على سكان بيروت من هذه الطوائف.

يضيف الأستاذ الساحلي: "سنة ١٩٧٢-١٩٧٣ جرت أول انتخابات بالموضوع سنة ١٩٧٣ وفزنا ١١ سنة و١١ شيعة و٤ دروز، وصار توافق على أن يكون شفيق

١- النائب جعفر شرف الدين، مقابلة للباحث معه.

الوزان رئيساً للمجلس الإسلامي، وانتخبت أنا محمد الساحلي نائباً للرئيس، وعبد الغني سلام أميناً عاماً وطارق عبد الباقي "درزي" المسؤول المالي. أخذ المجلس الإسلامي يطور نفسه، ويعقد اجتماعات أسبوعية ويدلي برأيه.

وأقام المجلس علاقات جيدة مع السيد موسى، والسيد كمال جنبلاط، وأذكر من الأسماء الشيعية كان معنا الدكتور أحمد عزالدين، أسامة جابر، هدى رمضان، عارف حمود.

ومن بين الأسماء من الطائفة السنية، شفيق الوزان، عبد الغني سلام، خليل تمساح، عبد الرحمن بكداش العدو. استمرينا حتى ١٩٨٤ ومن الواضح والمميز عن الطائفة السنية، وجود مؤسساتي سواء على مستوى دار الإفتاء - الأوقاف"[١].

وحول أجواء أركان الطائفة السنية من موضوع إنشاء المجلس، يقول الشيخ محمود فرحات: "الطائفة السنية كانت معارضة، لأننا كنا تحت العباءة، بعد ذلك شعروا أنه يجب أن يعطوا الشيعة أكثر، فأعطي المفتي الجعفري الممتاز وهو من جملة جهاز الإفتاء التابع لدار الفتوى.

ويضيف الشيخ فرحات عن توجهات الإمام ومعاونيه في تلك الفترة في تعزيز الإنفتاح على الجميع انطلاقاً من الوضع اللبناني".

أما المرجع السيد محمد حسين فضل الله، فيرجع أسباب المعارضة إلى خلفيات، يقول: "كانت خلفيات المعارضة السياسية ذاتية أكثر منها سياسية، باعتبار أن السيد موسى يمثل النجم السياسي بالإضافة إلى كونه نجماً دينياً، إن صح التعبير".

أما القطب المعارض الأبرز، والذي كانت كل المعارضات تتكوكب حوله، دولة الرئيس كامل الاسعد، يقول: "كان الوضع آنذاك أن هناك رفضاً لإنشاء

١- المحامي محمد الساحلي، مقابلة للباحث معه.

المجلس الشيعي من قبل أكثرية النواب الشيعة، فالرئيس صبري حمادة كان ضد إنشاء المجلس من حيث المبدأ، لأنه لا يجوز أن يدخل رجال الدين في السياسة.

يتابع دولة الرئيس الأسعد "حيث يعتبر أنه قد أخطأ في ذلك القرار": "لقد كان معروفاً آنذاك المرشح لرئاسة المجلس تقريباً الوحيد هو السيد موسى الصدر، وكان معروفاً آنذاك أن السيد موسى بدأ يعمل في الجنوب بشكل غير مباشر في الخفاء إذا جاز التعبير، ضد كامل الأسعد. على الرغم من ذلك كنت مقتنعاً، وليس هناك أحد معصوم عن الخطأ - بضرورة إنشاء المجلس - أسوة بالمجالس المليّة الأخرى القائمة آنذاك".

ويضيف الرئيس الأسعد فيما يشبه ظروف اضطرارية لاتخاذ ذلك الموقف.

"على الرغم من معرفتي إن أتى السيد موسى على رأسه، سيكون له قدرة على مخاصمتي أكثر، بواسطة جهاز المجلس، الصلاحيات، الأموال، التي يمكن أن تتوفر لذلك، لكن التقيت مع الرئيس صبري حماده وقلت له إننا نصرّ على إنشاء المجلس، أجابني بأنني أستطيع أن أطرحه على بساط البحث"[1].

وحول هذه النقطة المركزية "أي تدخل" "رجل العالم الديني" في السياسة يروي الشيخ محمود فرحات على لسان الرئيس كامل الأسعد: "قال لي الرئيس الأسعد: كنت أتمنى ألا يدخل المجلس في أعماق السياسة، المفروض بالمجلس، يتابع الرئيس الأسعد، ورجل الدين، بالعالم الديني أن يكون مراقباً وشاهداً إذا أخطأ الشخص يقال له أخطأت، أما أن يتدخل في زواريب السياسة ودهاليزها، فهذا لا يجوز"[2]. وبعض العلماء له وجهة نظر معترضة، لكن ليست عدائية.

١- دولة الرئيس كامل الاسعد، مقابلة للباحث معه.

٢- الشيخ محمود فرحات، مقابلة للباحث معه.

ويروي السيد محمد حسن الأمين: "كنت أزور السيد موسى، وكان يزورني، وكنت صريحاً معه، قائلاً له: "أنت تضيف ركناً جديداً من أركان تثبيت النظام الطائفي في لبنان، واقتنعت أخيراً برأيه بشكل مرحلي. أي حتى تغيير النظام، يجب أن نستعمل الأسلوب نفسه، ولم أقتنع أن يكون هذا الأمر هو استراتيجية الشيعة، أنا مقتنع فيه كأمر لا بّد منه، لم آخذ موقفاً سلبيا لكن لم أكن من "جماعته".

هذا فيما يخص إنشاء المجلس الشيعي لكن في الشأن العام السياسي يضيف السيد الأمين: "لم أتفق مع شخص في تحليل الوضع السياسي في لبنان، أو على مستوى البنية العربية كما اتفقت مع السيد موسى"[١].

وفي اختصار شديد يوضح الأستاذ باسم الجسر، أحد المقربين للإمام، ومن الذين عرفوه وراقبوا سياسياً تلك المرحلة، يقول الأستاذ الجسر: "شنت على السيد موسى الصدر حملات، حملة سنية من جهة وحملة قومية من جهة أخرى، يعني القوميون اليساريون كانوا ضد رجال الدين، وسنياً قالوا بفصل السنة عن الشيعة، كان بالنسبة لهم إضعافاً للمسلمين، لقد قام بالحملة السنية الرئيس صائب سلام مثلاً، كان يردد بأن السيد موسى يريد تقسيم المسلمين، وإن حركته هي حركة ضد السنة، أكثر مما هي ضد المسيحيين، لكن كان للسيد علاقة إيجابية مع الإفتاء والشيخ حسن خالد"[٢].

وحول الإتهامات، التي كانت توجه للإمام تلك الفترة، في التحرك وفي إنشاء المجلس، يختم السيد المرجع محمد حسين فضل الله: "لا أجد لدى من اتهموه الكثير من الأدلة، التي تثبت كلامهم، كان الحسد خلف أكثر الاتهامات"[٣].

وقد جاء في صحف نهار ١٢-٤-١٩٦٧: قدم ٩ نواب مشروع قانون معجلاً

١- السيد محمد حسن الأمين، مقابلة للباحث معه.

٢- باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

٣- المرجع السيد محمد حسين فضل الله.

بإنشاء مجلس أعلى للطائفة الإسلامية الشيعية، أعرب رئيس الحكومة "رشيد كرامي" عن تأييده للمشروع، وتقرر إحالته إلى لجنة الإدارة والعدل لدراسته.

وقد قدم هذا المشروع إلى المجلس النواب السادة، محمد صفي الدين، علي عرب، حسين منصور، محمد عباس ياغي، فضل الله دندش، نايف المصري، محمود عمار، جعفر شرف الدين، علي الحسيني.

وجاء في الأسباب الموجبه للمشروع إن إنشاء مجلس أعلى للطائفة الإسلامية الشيعية يرمي إلى تبادل التجارب، وبث روح التعاون الأخوي الصادق بين الطائفة وشقيقاتها الطوائف الأخرى.

وينص المشروع على أن الطائفة، مستقلة في شؤونها الدينية وأوقافها ومؤسساتها، ولها ممثلون من أبنائها يتكلمون بلسانها، ويعملون بإسمها، طبقاً لأحكام الشريعة ولفقه المذهب الجعفري، في نطاق الفتاوى الصادرة عن مقام المرجع العام للطائفة في العالم.

ويقضي المشروع بأن ينشأ للطائفة الإسلامية الشيعية في الجمهورية اللبنانية مجلس يسمى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، يتولى شؤون الطائفة ويدافع عن حقوقها ويحافظ على مصالحها، ويسهر على مؤسساتها، ويعمل على رفع مستواها، وهو يقوم بتنظيم أوقاف الطائفة وإحياء المهمل منها.

ويوجب المشروع استطلاع رأي المجلس إلزامياً في مشروع القوانين والأنظمة العامة، العائدة إلى الشؤون الدينية للطائفة الإسلامية الشيعية، ويتألف المجلس من ثلاث هيئات هي: الهيئة العامة، الهيئة التنفيذية، الهيئة الشرعية وتتألف الهيئة العامة من قضاة الشرع، علماء الدين، المفتين، الوزراء الحاليين والسابقين، النواب الحاليين والسابقين، الأساتذة الجامعيين، القضاة المدنيين العاملين والمتقاعدين، المحامين، الأطباء، الصيادلة، المهندسين، الموظفين المدنيين من الفئة الثالثة فما فوق، ممثلي المؤسسات الاجتماعية والثقافية والتعاونيات والجمعيات، والهيئات النقابية

والصحافية وغيرها. وتعتبر الهيئة العامة المصدر الوحيد للسلطات والصلاحيات، التي يمارسها المجلس[1].

بتاريخ ١٦-٥-١٩٦٧، صدق مجلس النواب اللبناني في جلسته المنعقدة يوم الثلاثاء على مشروع قانون تنظيم أوضاع الطائفة الشيعية بمادة وحيدة.

وبتاريخ ٢٦-٧-١٩٦٧، أذاع الإمام الصدر بياناً عن الأوضاع الراهنة والاعتداء الإسرائيلي على العرب، وحدد سبعة أمور "علينا أن ننفذها لنحرز النصر".

١. أن نشعر بمادة الخطر، ونتلمس معرفة نقاط الضعف ونقاط القوة.
٢. أن نعيد الثقة بأنفسنا.
٣. أن نوحد صفنا حكومة، وقادة، وأحزابا، وفئات، ومذاهب، وتعليق خلافاتنا.
٤. العمل الصامت بعيداً عن المزايدات والمتاجرات، باستعمال جميع إمكانياتنا.
٥. الوثوق بالله وحده والرجوع إليه وحده.
٦. الاستعداد التام النفسي والجسمي لمواجهة العدوان.
٧. مطالبة الحكومة بتجهيز الجيش بالأسلحة الحديثة، وأكد الإمام أن طريقنا الوحيد هو الإستمرار في المعركة، وأن النصر الحقيقي والنهائي هو لنا دون تردد"[2].

وبتاريخ ٢٥-١٢-١٩٦٧ نشرت الجريدة الرسمية في عددها ١٠٣ القانون رقم ٧٦/٧٢ المتعلق بتنظيم شؤون الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان. وطويت مرحلة مهمة من تاريخ الطائفة الشيعية في لبنان، وبدأ الجميع يتلمس مكامن قوته ونقاط

١- عن جريدة الانوار، العدد ٢٤٨.
٢- موسوعة الإمام ص ٢٥٣.

ضعفه، وكانت تلك المرحلة هي نقطة، ومحطة شعر فيها من انتصر بالزهو، وبتحقيق الرغبات والأماني وشعر فيها المجبر على القبول بالنتائج، لكن الجميع بدأ الاستعداد لما بعد هذا الإنجاز، الذي اعتبر أغلب العاملين بأنهم ساهموا في إنجازه حتى المعارضين، فقد عملوا على وضع القيود والنصوص، التي تجعل من المجلس ديكورا بين الديكور، الطائفي العام في البلاد، والذين كانوا يرغبون بتعزيز هذا الإنجاز، والعمل على تدعيمه بالنصوص المطلوبة، ذلك يعني أنها فتحت المعركة الداخلية بامتياز واشترك فيها الكثير من أهل الساسة والعلماء والفعاليات، وحتى المواطنين شعروا بأن حدثاً ما قد حدث، له نتائجه وله أبعاده، منها التي ظهرت ومنها ما ستظهره الأيام المقبلة.

وبعد تأسيس المجلس علّق القاضي محمود علاء الدين في ملحق جريدة "النهار" بالآتي: "إلا أن الطائفة الشيعية، وهي الطائفة الثانية في دستور البلاد وصاحبة الأولوية في تعبيره، حرمت هذا الامتياز في لبنان من زمان حتى كان المجلس الأعلى الذي سيشكل، إلى محافظته على حقوق الطائفة ورعاية مصالحها وازدهارها الديني والخلقي والاجتماعي، أوثق الوشائج لحب وسلام دائمين بين أبناء هذا الوطن، وينهي كلمته، إنه يرى الدين علماً وجمالاً أروع من الجمال وسحراً أفعل في النفوس من السحر، ويرى موسى الصدر أول المجددين والمصلحين".

ويختصر المرجع السيد محمد حسين فضل الله الاجواء تلك الفترة، يقول: "ولد المجلس وكان حدثاً كبيراً عظيماً في وجدان الطائفة الشيعية، لأنها شعرت أنها ولدت من جديد، وأنها أصبحت تمثل رقماً في البلد، وأنها أصبح لها قيادة ومجلس، وما إلى ذلك.

الانتخابات الاولى

بدأ التحضير للانتخابات، لم يكن هناك مشكلة مع الزمنيين، محامين، مهندسين، أطباء، صيادله، رؤساء جمعيات، صحفيين، وغيره.

يشرح الأستاذ حسين قطيش: "كانت المشكلة على صعيد العلماء، لأن أغلبهم كانوا ضد المجلس وضد السيد موسى، تحرك أكثر من رجل من رجال الإمام باتجاه أحد العلماء. ولعب الحاج مرتضى حمود، المتموّل الشهير والذي كانت تربطه علاقة مع الكثير من العلماء. كانت هيئة المحكمة الشرعية الجعفرية العليا، هي الحالة القيّمة على تحديد العلماء، لذلك استثناها الرئيس الأسعد من أن تشملها صلاحيات المجلس. لم يكن هناك نظام خاص لمن يلبس العمامة. لقد لعبت المحاكم الشرعية الدور القاسي ضد السيد، وضد عملية الإنتخاب، كان المشايخ يقفون خلف الرئيس الأسعد، وكان الرئيس الأسعد يقف خلف المشايخ، فضلاً عن علاقة الرئيس الأسعد مع آل الصادق في النبطية، وكان لهم سلطة أدبية على كثير من العلماء لارتباطهم مع الرئيس الأسعد، كانوا يخدمونهم في بعض حاجاتهم"[١].

يقول الرئيس نبيه بري: "حول موضوع عدد العلماء، أنشأ فترة الانتخابات ليس في لبنان حوزة تعطي شهادة، فكل الذين يضعون عمامة على رؤوسهم يعتبرون علماء".

١- الاستاذ الصحفي حسين قطيش، مقابلة للباحث معه.

وحدها التحركات تلك الفترة التي مهدت للانتخابات، يقول الشيخ محمود فرحات أول مدير عام المجلس الشيعي والذي أنيطت به إدارة عملية الانتخاب، يقول "كشفنا الاتصالات والزيارات مع المشايخ الذين نعرف أن عندهم شيء من التردد، يوم الانتخاب، أمنا سيارات كي تحملهم إلى الاونيسكو، حتى اكتمل النصاب.

وحول الإتهام بأن عدد العلماء كان قليلاً مما اضطر لجنة الانتخابات أن تسمح لبعض المعممين بالانتخاب كي يكتمل النصاب.

يرفض الشيخ محمود فرحات هذا الاتهام، ويتابع: "جاء قارئ القرآن الشهير سلمان الخليل وعلى رأسه عمامة، فلم أسمح له بالانتخاب، وقد انحصر دوره في افتتاح الجلسة بقراءة القرآن الكريم، وحضر سيد جليل يحترم لعلمه، ولكنه لم يكن معمماً، قيل ذلك يدعى السيد محمد الحسيني من الهرمل، لكن لم أسمح له بالانتخاب أيضاً.

لم يكن هناك تزوير، لأن ليس هناك لائحة منافسة، لقد وجدنا ١١ شيخاً ولم نجد ١٢، فانتظرنا بعض الوقت حتى أتى أحد العلماء وأصبح العدد ١٢ وهو العدد المطلوب لإجراء الانتخاب".

لكن تم التداول تلك الفترة بأن عدد العلماء كان ناقصاً مما اضطر إدارة الانتخاب أن توافق على تصويت سلمان الخليل، والسيد محمد الحسيني، حتى وصل الأمر بالرئيس الأسعد أن يقول: "وقتها سار السيد صبري بك حمادة مع السيد موسى وأحضرا حديثي العهد بالمسؤولية الدينية، كي لا تقول مزيفيين".

وحول ملابسات التحضير للإنتخابات يروي السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين: "أقر مجلس النواب اللجنة التحضيرية، منها القاضي الأول الجعفري والمفتي الجعفري، وكذا نائب، آخر جلسة لم يحضر القاضي محمد زغيب، وحضر المفتي حسين الحسيني.

فقال صبري بك من هؤلاء "الشراشيح"، هؤلاء بينشروا بسلة بيض يقصد العلماء الذين لم يحضروا، فقلت له هؤلاء ليسوا "شراشيح" وهذا الكلام يجعلهم ضدكم وضد السيد موسى، هؤلاء قالوا لي إنهم يقبلون برئاسة السيد موسى، فقال صبري بك إذا هيك أنا أذهب وأقبّل يدهم، والتقيت مع الإمام الصدر وعرض أن يكون أخي السيد نور الدين في الهيئة.

ويتابع السيد شرف الدين روايته للأحداث: "أخبرنا الشيخ محمد زغيب بأنه لم يتفق مع السيد موسى، لأن السيد يريد أن يعين الشيخ سليمان يحفوفي، وأخيراً كتب العلماء الذين ضد السيد موسى أننا نقبّل برئاسة السيد موسى، شرط ان يكون الشيخ حسين الخطيب نائباً له.

وذهبنا جميعاً إلى منزل المفتي حسين الحسيني، وجدنا السيد موسى ومعه السيد عباس أبو الحسن، السيد عباس ثوّر الناس ضدنا.

قال النائب عبد اللطيف الزين، إن جماعة العلماء يريدون التأجيل حتى نهار الأحد المقبل أي أسبوعاً، رحّب السيد موسى بالإقتراح، ورفض السيد عباس أبو الحسن وجماعة السيد.. يتابع السيد شرف الدين: "لقد ثورّوا الناس والعامة ضدنا، أتى أبو جعفر الموسوي رئيس بلدية النبي شيت، وأمسكني بصدري معاتباً ومقاتلاً، وقال لي، أنت تمشي معهم، فأزاحه ولده عني.

اتفقت مع السيد موسى، هو رحّب وجماعته رفضت التأجيل، ومجيء نائب الرئيس الشيخ حسين الخطيب، فطلبت أن أكون أنا الأمين العام للمجلس الشيعي، فوافق السيد موسى، وحذرني أحد آل حماده، بأنهم يخدعونك.

وحول التدخلات يوم الانتخاب لتأمين النصاب يتابع السيد شرف الدين حضرت الانتخابات في مبنى الاونيسكو - بيروت ووجدت الشيخ جعفر المهاجر واخاه الشيخ علي حاضرين وأخبراني بأن صبري حمادة ضغط على والدهما وعليهما للحضور، وأن هناك بعض قراء القرآن والتعزية والمؤذنين في الجوامع، لقد

وضعوا لهم عمامات ويريدونهم أن يصوتوا، ورأيت الشيخ محمد عز الدين، وقال لي لقد جلبني جماعة صبري بك إلى الإنتخاب.

ويختم السيد شرف الدين: "وفي فرز الأصوات تعادل في الأصوات نبيه بري، وعدنان حمادة، وكان قد كلفني صبري بك بالإشراف على عملية الانتخاب، ثم الإتفاق على قبول عدنان حمادة بسبب أنه الأكبر سناً".

وفي ١٣-١-١٩٦٩، تقدم عدد من العلماء بعريضة إلى مجلس النواب، ترفض رفضاً مطلقاً قانون تنظيم الطائفة الشيعية، الذي صدر عن مجلس النواب، وتطالب بتعديله خصوصاً لجهة جعله من رئاسة المجلس بيد أغلبية أعضاء ليسوا من رجال الدين، الأمر الذي يجعل أعلى منصب ديني للطائفة بيد فئة غير دينية، لها صلاحياتها الخاصة، وأبرز الذين وقعوا على العريضة المشايخ، الشيخ حسين الخطيب، عبد الكريم صادق، عبدالله نعمة، محمد حسن فضل الله، علي مهدي ابراهيم، محمد زغيب، جعفر بدر الدين الصايغ[١].

ومن الواضح أن العلماء الذين وقعوا العريضة كانوا أبرز تلك المجموعة، التي ناهضت الإمام في تكوين المجلس، بل كانوا محركي الجوّ العلمائي، وقد كان بعضهم على علاقة وثيقة بدولة الرئيس كامل الأسعد.

وقد جاء في صحف ذلك اليوم بتاريخ ٢٢-٥-١٩٦٩ انتخبت الهيئات الشرعية والتنفيذية أربعين شخصاً بالإجماع، سماحة السيد موسى الصدر رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، المجلس الذي وضعت نواته قبل خمس سنوات، ويتلخص الحدث، ببيان يحدد فيه نقاط أساسية:

١. محاولة التنظيم للطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان.

فللطائفة هذه دور تاريخي، وثقافي، ووطني، ولها دور جغرافي لمرابطة أبناء

١- مسيرة الإمام الصدر، جزء٢- ص٧٢.

الطائفة على الحدود، ولهم أدوار مشرّفة في الإسلام، ولها مشاركات مشهورة في الحوار الإيجابي البناء، مع مختلف الملل والطوائف، خاصة أنهم لم يتخلفوا في مسؤولياتهم الوطنية والقومية، وقيام المغتربين بالدور الطليعي.

وهذا التنظيم سيؤدي إلى تنسيق طاقاتهم وتجنيدها ومنعها من الهدر، وسيعالج الحيف المزمن اللاحق بهم، ويسهل مهمة التوحيد والتنظيم هو طريق التمثيل الصحيح.

ويضيف البيان: سنؤدي ما علينا من واجبات، محاربة الفقر، والجهل، والتخلف، ونطالب بما على السلطة بإصرار، ونعمل لوضع حدّ للفساد الخلقي مع بقية الطوائف.

ونطالب بتحصين الحدود، اجتماعياً، اقتصادياً، تجنيد إجباري، مساعدة المقاومة الفلسطينية فالحاجة ملّحة أن يكون المجلس ملتقى الجميع دون استثناء، وقاسماً مشتركاً، والعمل بالمعارضة الإيجابية في إشارة إلى نواقص القانون.

وفي مقابلة مع الصحفي في جريدة النهار الياس الديري، يقول الإمام، الشيعة لبنانيون بإخلاص ووفاء عميقين، ويؤمنون بالمصير العربي المشترك، ويعتبرون أن المشكلة الأولى لهم مشكلة المطامع الصهيونية[١].

لقد كان التنوع هو السمة الإسلامية في العمل داخل لجان المجلس، يقول دولة الرئيس نبيه بري: "كنت تشعر في اللجان التابعة للمجلس أشخاصاً من أطراف اليمين إلى أطراف اليسار، كان الإمام يريد أن يكون هذا الأمر أمراً إصلاحياً عاماً، لكن تطورت الأمور، حتى أن نواباً كانوا قد وقعوا على وثيقة الإستقالة ما لم تنفذ المطالب، نكصوا بوعودهم، وتهربوا" لكن بعد وقت قصير اعتاد الجميع على وجود المجلس كما يردد الرئيس بري: "أنت صرت قمراً بين الأقمار، الواقع أن الوضع

١- الياس الديري- ملحق النهار، ٨ حزيران ١٩٦٩.

المسيحي لم يكن متشنجاً ضد المجلس، كان السيد موسى يستخدم الطائفة في خدمة الوطن، ولا يستخدم الوطن في خدمة الطائفة"[١].

وقد كان التعبير الأبرز على تعاطف المسيحيين مع إنشاء المجلس زيارة رئيس الجمهورية الأستاذ شارل حلو بتاريخ ٢٩-٥-١٩٦٩ دار الإفتاء الجعفري، وكانت للرئيس كلمة جاء في بعض نقاطها بعد تقديم التهاني للطائفة الإسلامية الشيعة الكريمة بمجلسها الجديد، التجاوب خير من الجواب، وقال أيضاً، أقدم التهاني لسماحتكم عن الثقة الاجماعية التي رفعتكم إلى مركز المسؤولية الكبيرة، والتي تحتلون الآن الذي يمكنكم من رعاية شؤون طائفتكم الكريمة، وتوطيد أواصر المحبة بينها وبين جميع الطوائف اللبنانية في وحدة وطنية مباركة".

ومن تصريح للإمام إثر عملية الانتخاب لجريدة الرقيب البيروتية في ٢-٦-١٩٦٩ "إن الطوائف المختلفة المنظمة منطلقات للتعاون ونوافذ حضارية على مكاسب المليارات من البشر"[٢].

ويتابع الإمام، إننا على استعداد كامل للتلاقي مع جميع المسلمين، لخدمة الإسلام وعلى استعداد كامل للتلاقي مع جميع الطوائف لخدمة الدين والأخلاق والحفاظ على هذا الوطن الغالي.

وفي حديث آخر لجريدة الجريدة في ٢١-٦-١٩٦٩، قال السيد موسى، سيتولى المجلس الشيعي، إلى جانب الرعاية الدينية، والتعليم الديني في المدارس وتنظيم الأوقاف، تنسيق جهود الجميعات، وتحصين أمر بناء الطائفة وتنظيم شؤونهم ورفع مستوياتهم، حتى يكونوا في الحقيقة بمستوى سائر أبناء لبنان، أهدافنا وطنية، مكافحة الأمية، مكافحة التشرد، وتعتبر المجلس منطلقاً جديداً للتعاون مع الطوائف الإسلامية، حول أهداف إسلامية خاصة، وتعاوننا مع الطوائف

١- دولة الرئيس نبيه بري، مقابلة للباحث معه.

٢- الرئيس شارل حلو، جريدة الرقيب ٢-٦-١٩٦٩.

الأخرى حول أهداف دينية وطنية وأخلاقية.

وفي أول بيان بعد انتخابه، طرح مواضيع كان قد رددها في أكثر من مناسبة، لكنها تلك وغيرها ستغدو فيما ثبت بعد ذلك خط الإمام، يقول في ذلك البيان بتاريخ ١١-٦-١٩٦٩ نقلاً عن جريدة الحياة، يقول: "فلنترك الخلافات التقليدية، فلننسى الرواسب الماضية، فلنؤجل إلى ما بعد المحنة جميع نزاعاتنا وحساسياتنا والاعتبارات الحزبية والطبقية والطائفية والإقليمية".

ويتابع البيان: "إن أبناء الطائفة الشيعية بصفتهم مواطنين، على استعداد كامل للتدريب العسكري والانضمام إلى التجنيد الإجباري، وتحمل المشاق لتعزيز الجيش، وتجهيزه بالأسلحة الدفاعية الحديثة، والمشاركة في تحرير الأراضي المقدسة مع الدول العربية الشقيقة، ولدعم المقاومة الفلسطينية، أما المجلس الشيعي الذي أسس حديثاً، فما وجد ليكون فئة جديدة، تزيد في مشكلة وتفرق من جديد بين أبناء وطن واحد.

ويضيف البيان فقرة في عدم استبعاد أية فئة أو جهة، "والمجلس ما وجد أيضاً ليكون بديلاً عن المسؤولين بمختلف مستوياتهم بل ليهيئ أبناءه لأداء دورهم الإيجابي لخدمة الجميع، ولكي يزيد في إيمانهم ووعيهم"، ويتابع البيان: "وجد المجلس ليكون قوة مواطنية ضاغطة تنصح وتراقب وتطالب، وتقوم برأب الصدع ووقف الفسق، وتمنع الإهمال، وتحول دون التفرقة، والطلب من دولة رئيس مجلس النواب والسادة الوزراء والنواب أن يستمروا في المساعي التي بدأوا فيها... طالباً منهم المزيد من اليقظة والإخلاص والتحرك"[١].

تلك الفترة كانت الصحف جميعها تفتح صفحاتها للكتابة عن المجلس ونشاطاته وتوجهاته، وبالمقابل كان الإمام والمجلس على وتيرة متسارعة في الإحاطة بكل العناوين السياسية والاجتماعية، وطرحها عبر تحرك الإمام الاعلامي،

١- الحياة بتاريخ ١١-٦-١٩٦٩.

ومن المحطات الإعلامية المهمة، مذكّرة وجهها المجلس إلى المسؤولين، وقت أتت تحت عنوان: "لبناء شعب" جاء في المذكّرة.

تجاه ما يحيط، بمنطقتنا من أخطار مصيرية، لوجود إسرائيل وأطماعها، والمصالح الإستعمارية، وازدياد التعديات الإسرائيلية، ومواقف الدول الكبرى المائعة تجاه المنطقة، ورغبة في تكريس الأمر الواقع، وتكرار التعديات، والجو النفسي والقلق في الجنوب.

وتضيف المذكرة: وأمام الشعور الوطني النبيل، الذي يجيش في صدور الجنوبيين، باندفاعهم لتوسل سبل الحماية الذاتية، يرى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى التوجه إلى المسؤولين ، مؤكداً:

١. إننا شعب يفهم المواطنية في أرقى مستوياتها، دفع ضريبة الدم.

٢. تدريب أبناء الجنوب للقيام بواجبهم المقدس، وإعدادهم:

أ- حمل السلاح بحيث يستكمل جميع شروطه الفنية.

ب- الدفاع المدني بمختلف القدرات المطلوبة.

ت- بناء الملاجئ وتعميمها.

ث- التركيز على التجنيد الإجباري، تكوين جيش شعبي رديفٍ للجيش.

ج- بذل جميع الإمكانات، التي من شأنها أن ترفع المستوى الاجتماعي لأبناء الجنوب[١].

وراجت تلك الفترة كتابات مؤيدة وأخرى معترضة، لكن اشترك فيها أغلب العاملين في الشأن العام

لكل من العاملين مع الإمام تلك الفترة دوره، كل حسب اختصاصه وتوجيهه

١- جريدة الحياة، مذكرة المجلس الشيعي بتاريخ ٢٤-٩-١٩٦٩.

وقدرته، فمن أوائل الذين استفاد الإمام من معرفتهم، الدكتور محمد شعيتو، بعد إنشاء المجلس احتاج الأمر لجلسات عديدة تنظيمية إدارية، يقول الدكتور شعيتو: "عملنا معاً برعاية الإمام جلستين أسبوعياً في منزلي، لم يرغب أن أترشح للهيئة التنفيذية، أراد الإمام أن يكلفني منذ البداية بالشؤون التنظيمية للمجلس، في كل ما هو إداري ومالي. حيث كنت يومها موظفاً في وزارة المالية برتبة رئيس مصلحة، كنت أعرض على الإمام باستمرار الإحصاءات واعتمادات الموازنة، والاعتمادات المصروفة على التجهيز والإنشاء، وعلى المشاريع كافة وفي مختلف المناطق، وكنت أعرض له الإحصاءات المتعلقة بالموظفين في القطاع العام.

انتقلت بوظيفتي من وزارة المالية إلى التفتيش المركزي، ثم إلى مجلس الخدمة المدنية، وفي الإدارتين كنت أتولى الوظيفتين من الفئة الأولى، وكان الإمام يطلع على المعلومات التي أصل اليها"[١].

بعدما أعلن عن إنشاء المجلس على الورق، والوثائق الرسمية، برزت الحاجة لإيجاد مكان تتم فيه اللقاءات والتشاورات، فقد اتخذ مركز الإفتاء الجعفري الممتاز، والمفتي السيد حسين الحسيني، مقراً مؤقتاً ريثما يتم تدبير المكان الملائم.

ووجد الإمام وجماعته أو فريقه، الذي يعمل بإشرافه مكاناً مناسباً، وقصراً جميلاً في الحازمية، في مكان مميز لجهة هندسته وشكله، وقد كان مهملاً بسبب الورثة، وبسبب أنه كانت تنتشر شائعة يومها عن أن المنزل مسكون بالجن، فضحك الإمام وقال لمحدثه إنه على علاقة جيدة مع الجن، وهناك ودّ بينه وبين الجن عبر معاهدة"[٢].

وهذا يعني أن هذا السبب لم يمنع الإمام وصحبه بالسعي لشراء المنزل

١- الدكتور محمد شعيتو، مقابلة للباحث معه.

٢- الشيخ خليل حسين، مقابلة للباحث معه.

وبسرعة من أصحابه، بعدما سعى لدى كبار المتمولين، لجمع المبلغ الكبير بمقاييس ذلك الزمن.

يومها عرض المتمول السيد علي الجمّال أن يساهم بمبلغ مائة ألف ليرة لبنانية، واشترط أن يسمى قاعة في المجلس باسمه، وبدا أن الإمام يتجه ليرفض المبلغ رفضاً للشرط، لكن تم العمل باقتراح تقدم به بعض الأصدقاء ومنهم الأستاذ حسين قطيش إذ عرض على الإمام الموافقة على هذا المبلغ الكبير يومذاك على أن نعوّض على علي الجمّال، باحتفال شكر في الصحف والمجلات والتلفزيون، واتصل السيد قطيش بالسيد الجمّال فوافق "وأتممنا المبلغ من باقي المتبرعين، وأصبح للمجلس مبنى يليق به، ومن الجدير ذكره أن اختيار مكان المجلس في الحازمية في مكان في عمق المنطقة "الشرقية"، فيما سميت بعد ذلك من تعابير الحرب، في عمق منطقة مسيحية، أي أن المناخ النفسي لم يكن طائفياً أن يختار الشيعة مكان مجلسهم في وسط مسيحي مكاني، حسب تعبيرات الحرب الأهلية، التي درجت بعد قيامها عام ١٩٧٥ فما فوق.

بقيت زيارات الجماهير إلى المجلس محدودة، كانت فقط تلك الفترة مزاراً للشخصيات السياسية والإعلامية، أو تلك التي تعمل في النشاط العام، لكن الجماهير عرفت المجلس معرفة حقيقية ملموسة يوم الإضراب الشهير.

نتائج الانتخابات

وبتاريخ ١٨-٥-١٩٦٩، جرت انتخابات أعضاء الهيئة الشرعية والتنفيذية للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في مقر "الأونيسكو" بيروت.

وقد اختار العلماء لائحة من بينهم بالتزكية وهي تتألف من: الشيخ سليمان آل سليمان، السيد نور الدين نور الدين، الشيخ موسى شرارة، السيد حسين الحسيني، الشيخ سليمان اليحفوفي، السيد محمد باقر ابراهيم، الشيخ خليل ياسين، السيد عباس أبو الحسن، الشيخ عبد الأمير قبلان، السيد علي فضل الله، السيد محسن السبيتي، السيد محمد علي الأمين.

ويشكل أعضاء هذه اللائحة الهيئة الشرعية للمجلس[١].

وجرت انتخابات الهيئة التنفيذية. وبعد عملية الفرز أعلن الرئيس صبري حماده فوز السادة:

الدكتور توفيق مرتضى، الدكتور عباس فرحات، الأستاذ عباس بدر الدين، القاضي زيد الزين، القاضي سميح فياض، المهندس بهيج منصور، القاضي حسن الحاج، أحمد الزوري، المحامي محسن سليم، الدكتور عدنان حيدر، المهندس محمد كنج.

١- سيرة الإمام الصدر، مجلد رقم٢ ص١١٢.

ونال كل من المحامي نبيه بري والأستاذ عدنان حماده ١٦٤ صوتاً، إلا أن اللجنة المشرفة على الانتخابات اعتبرت أن الفائز هو الأستاذ حماده باعتباره أكبر سناً"[1].

١- سيرة الإمام الصدر، مجلد رقم٢ ص١١٣.

اضراب ١٩٧٠

دعا الإمام والمجلس الشيعي اللذان ارتبط اسماهما بتلازم تام، كان الإمام هو المجلس والمجلس هو الإمام تلك الفترة، طالب الإمام بإضراب عام على مستوى لبنان من أجل الجنوب. نهار الأحد الواقع فيه ٢٦-٥-١٩٧٠ ومن عفوية تلك الأيام والتحركات، أذكر التفاصيل الشخصية من الذاكرة يوم الإضراب المحدد، تجمع العشرات أمام حسينية برج البراجنة، الرمل. وبدأ توافد الجماهير إلى أمام الحسينية، وبعد مضي وقت كان لا بد من الإنطلاق باتجاه المجلس، ومغادرة المنطقة وكنت بين العشرات يومذاك، لقد انطلقنا من أمام الحسينية، وباتجاه ساحة عين السكة، أو ساحة عبد الناصر يومها سيراً على الأقدام، وتابعنا من هناك باتجاه الغبيري، مروراً بحارة حريك، وكانت الأعداد تتزايد في أثناء المسيرة، ولم تكن فئة عمرية واحدة تسير أو مهنية معينة، كنت ترى مواطنين ينزلون من أماكن سكنهم أو يتحركون من أحيائهم حتى وصلنا إلى الشارع العريض يومها. التقت تلك الوفود من جنوب خط الغبيري، وتلك الآتية من المناطق والضواحي الشياح الغبيري، والأوزاعي، حي السلم، الليلكي وغيرها، لم يكن هناك وسائل نقل للجماهير، كان السير على الأقدام فكان منظر الآلاف وهي تسير حصراً نحو الحازمية، مشهداً من أجمل تلك المشاهد، في تلك الفترة.

تجمع الناس أمام المجلس، وفي أرجائه وحوله كانت الآلاف غاضبة، لكنها تنتظر كلام الإمام.

وهنا بعض مما قاله الإمام من عبارات بارزة ونقاط ستكون بعد ذلك محطة

سياسية، ثقافية، اجتماعية، منها:

١- "إزاء تحسس الشعب مع الجنوب، فالحكومة أيضاً، أرادات ذلك أم لم ترده"، بدا أن نوعية الخطاب بدأت بالتغير.

٢- "لا كرامة للبنان من دون الجنوب"، "ربط إجباري" لبنان كله إلى جنوبه وعرض الإمام أربع خطوات.

١. إعتماد الطرق السلبية التي بدأت بالاضراب.
٢. القيام بالتظاهرات الصامتة يوم الثلاثاء المقبل.
٣. الشروع في احتلال هذا المقر أولاً "المجلس" ثم الإنتقال إلى المنازل الفارغة والقصور الشامخة، التي بنيت بأيدي الجنوبيين.
٤. سنسد منافذ لبنان البحرية، والجوية، والجبلية والبرية، بكل قوانا ثم نموت[1].

ومما قدمه من المعلومات، التي تشير إلى تقاعس الحكومة والدولة عن نصرة الجنوب أو التطلع إلى حاجاته بعين المسؤولية، أعطى المثل التالي:

"٣٠٠" قرية في الجنوب طلبت الدولة من أهلها أن يؤمنوا الأرض لبناء مدارس فيها، هؤلاء قدموا الأرض، لكن الدولة لم تبن سوى ٤ مدارس، وتحدث عن المستشفيات التي افتتحت كذباً وعلى مصلحة الليطاني، التي استهلكت خلال ١٤ سنة ٢٦٠ مليوناً ولم نضع خريطة واحدة للمشروع وهي تظن أن الناس حمير.."

وأنهى الخطاب وذكر بأنه قد ألقى ٦٠ محاضرة، ١٠ بيانات، ٤ مقابلات صحفية و٦٢٠ مناقشة كلها عن الجنوب ولم يتحرك أحد.

١- عن النهار، ابرز ما جاء في قضية الامام انهاء الاضراب الشهير ١٩٧٠.

وقد ورد في خطابه استدراك بالغ الأهمية، قال: "وقبل أن نصبح لاجئين فليكن الجميع معنا لاجئين"[1].

إن ذلك الخطاب الناري، الذي استمعت إليه، وتفاعلت مع نقاطه آلاف المحرومين الذين وقفوا تحت أشعة الشمس ينتظرون خطاب الإمام. كانت الجماهير منفعله غاضبة، تطلب من الإمام المواقف الأكثر جرأة وواقعية، وتستطيع السير معه في الخطوات الأكثر ثورية، "من نوعية احتلال القصور".

لعلنا ذكرنا أبرز ما أتى في طيات الخطاب، لكن بدأ الناس يعتادون على تعابير، لم يكن الإمام يستعملها قبل ذلك بهذه الحدة، فكلمة السلبيه سوف تتكرر قولاً وفعلاً منذ ذلك التاريخ، وقد كان إعلان احتلال القصور، نذيراً سلبياً لدى الطبقة الحاكمة، فكلمة احتلال نزلت على الجماهير، كانت خطرة بمعنى لو أن الإمام طلب ذلك فعلياً لكانت الناس تتجاوب مع الطرح، والتهديد بسدّ المداخل والمخارج بعد أن عددها وأخبر أن الشيعة يقفون ويقبعون على هذه الحدود والمنافذ، إما أن يقول إننا نموت، فذلك يعني إننا مستعدون لأن نجعل الآخرين يموتون معنا، إن لم يكن قبلنا. أو أنهم سيموتون هم دون أن نموت نحن، وتذكيره بعدد المحاضرات واللقاءات والاعمال الإعلامية التي قام بها، لأنه لن يكرره بعد ذلك التاريخ، وفي الختام دعوة لأن يكون البقية لاجئين ولو في داخل مناطقهم الهانئة والهادئة، لأن تلك الفترة وعندما كانت "إسرائيل" تضرب الجنوب، وتهجر الجنوبيين، كانوا يأتون إلى السكن عند أقاربهم، وفي المدارس الفارغة في أثناء العطل الصيفية وما شابه ذلك، كان القصف من جهة، وحياة السهر في الطرف الآخر. لم يكن يوجد يومها مجتمع يتقاسم الفرح والحزن معاً، كان أحد المواطنين يعيش بين القصف والرعب والتهديد، والآخر يمارس حياته اليومية العادية دون تغيير يذكر في يومياته.

١- النهار ١٩٧٠/٥/٢٧.

ومن أعجب الأمور الإدارية والمتوقعة في لبنان، أن الإمام الصدر عام ١٩٧٤ وفي محاضرة في كلية الطب في الجامعة اليسوعية يقول: "عندما تأسس مجلس الجنوب، سنة ١٩٧٠ لم نجد مخططاً واحداً للجنوب، في كل دوائر الدولة"[١].

١- النهار ١٧-٣-١٩٧٤.

تأسيس مجلس الجنوب

كان تأثير الإضراب عظيماً من جميع النواحي، الرسمية، والشعبية والسياسية والحزبية على السواء. فقد سارعت السلطة أن اتخذت حسب ما نص القانون رقم ٩-٧٠ تاريخ ٢-٦-١٩٧٠، أقر مشروع قانون وضع أفكاره الإمام الصدر، وأقر تحت ضغط التعبئة العامة، وتقضي بإنشاء "مؤسسة عامة تختص بالجنوب مهمتها تلبية حاجات منطقة الجنوب، وتوفير أسباب السلامة والطمأنينة لها، حيث رصد القانون بتاريخ ٢-٦-١٩٧٠ وسنداً له أنشئ مجلس الجنوب، وربط برئاسة مجلس الوزراء. وتخصيص ثلاثين مليون ليرة من موازنة ١٩٧٠ لتلبية حاجاته المستعجلة.

هذه كانت ولادة مجلس الجنوب الرسمية، أما وقد أعرب الرئيس شهاب عن خشيته من عدم التجاوب مع الإضراب، كما عبّر للإمام بعد نجاحه، خصوصاً، أنه كان على مستوى كل لبنان.

يروي الأستاذ محمد شعيتو "أسند إلي مركز مدير مجلس الجنوب لفترة امتدت بين حزيران ١٩٧٠ وآذار ١٩٧٤ أي فترة تأسيس المجلس.

أما حول الولادة فيورد الآتي: "بينما كان الإمام الصدر يخطب بالمتظاهرين من على شرفة مكتبه، ورد في خاطري انشاء مجلس خاص للجنوب، فوضعت اقتراح قانون بسطور قليلة، وعرضت عليه الصيغة، وبعدما استقر في مكتبه فأقرها، وعلى الفور عرض مشروع القانون على النواب الموجودين في مكتبه فوافقوا عليه، وزيلوّه بتواقيعهم، ثم اتصل هاتفياً بالرئيس صبري حماده طالباً منه عرض المشروع على مجلس النواب في اجتماعه المقرر بعد ظهر اليوم نفسه، وهكذا كان

وأقر القانون، وهكذا أنشئ مجلس الجنوب، الذي نص قانونه على تلبية حاجات الجنوب"[1].

وإظهاراً للودّ الذي يكنّه الرئيس حلو للإمام "عرض على الإمام أن تتولى هيئة نصرة الجنوب برئاسة الإمام شؤون مجلس الجنوب، لكن اعتذر الإمام وسماني لإدارة المجلس على أن يرأس مجلس الإدارة وزير التصميم العام".

يتابع الدكتور محمد شعيتو شرحه تفاصيل تلك الأيام على صعيد الأمور الإدارية "عقبات واجهتني في بداية تأسيس مجلس الجنوب، عندما وضعت نصوصه التنظيمية وبرامج أعماله، وطالبت بأمواله، ولولا دعم الإمام ومتابعته، لما كتب للمجلس الحياة، ولكان ولد ميتاً، أو مات بعد أشهر، أو تقلصت مهمته.

وينهي الدكتور شعيتو "لم يكن للإمام مطلب خاص، ولا ميّز بين قرية وأخرى، أو مواطن وآخر، خصوصاً في إدارة مجلس الجنوب.

١- الاستاذ محمد شعيتو، مقابلة للباحث معه.

بعد تأسيس المجلس الشيعي

وعن كيفية العمل بعد صدور القانون، يروي الأستاذ الصحافي حسين قطيش "كان يجمعنا، الهيئة التأسيسية تقريباً ٣٠ شخصية، كنا نجتمع للتناقش بكل الأمور المستجدة والمطروحة للنقاش، قبل اجتماع المجلس الرسمي، كان يسأل عما يجب فعله حول موضوع معيّن، اكتشف في الغد أنه طرح السؤال على غيري من الأخوة"[١].

ويتابع الشيخ محمود فرحات، يوميات تلك الفترة "كتبنا لجميع المجالس الملّية أن يرسلوا لنا النظام الداخلي، الذي يعملون بموجبه، وبعدما اطلعوا على ما عملنا، قالوا، لقد قمتم بالعمل الذي عملنا له منذ خمسين عاماً.

ومن أبرز نشاطات الإمام الفكرية المركزية، بعد إنشاء المجلس أنه قام بمراسلات مع دار الإفتاء ورئيسه الشيخ حسن خالد، حول توحيد الشعائر الإسلامية، بتاريخ ٩-١٠-١٩٦٩، جاء في الكتاب "توحيد الفقه، فالفقه المقارن هو النواة الصالحة لإثبات الوحدة الفقهيه، ولإكتمال وحدة الشريعة، وتذكير بمحاولة والد السيد موسى الصدر، السيد صدر الدين الصدر في كتابه "لواء الحمد" وهو سعي لتوحيد السنة النبوية المطهّرة، وعلى سبيل المثال بعض الأهداف.

١. الأهداف الشرعية المحضة، مثل توحيد الأعياد والشعائر الدينية، وصيغ بعض العبارات كالأذان والجماعة. اقتراح الاعتماد على الطرق العلمية الحديثة، لإكتشاف وجود الهلال، رمضان.

١- الصحافي حسين قطيش، مقابلة للباحث معه.

٢. الأهداف الاجتماعية، مكافحة الأمية، التشرد، رعاية الأيتام، رفع مستوى حياة الكادحين.

ويتابع الكتاب بذكر الأهداف الوطنية، وجوب المشاركة الفعلية لتحرير فلسطين.

حماية لبنان من مطامع الغزو.

واجب دعم المقاومة المقدسة.

التعاون الكامل مع الدول العربية الشقيقة، لمواجهة العدوان وتحصين الجنوب.

وبختام الكتاب ورد العمل على: دعوة إلى تكليف مسؤولين عن دار الإفتاء الإسلامية للتنسيق مع لجان مماثلة في المجلس الشيعي[١].

وأتى جواب الشيخ حسن خالد إلى "الشيخ" موسى الصدر المحترم

"إن استحداث هيئة رسمية الآن كمجلسكم الموقّر، سوف يكون بلا ريب عاملاً مهماً في ترسيخ هذا العمل الخير، على أسس من التنظيم الموحّد"[٢].

عملياً أتى الرد بالتواتر، بأن هناك رغبة لتوحيد الشعائر، لكن بما يخصّ العيد وشهر رمضان، فللعيد بعد سياسي، إذ إن المرجعية في السعودية وهي الجهة التي تعيّن موعد العيد، فسنّة لبنان يعيدون مع السعودية.

وفي مقابلة مع مجلة الجمهور بتاريخ ٤-٦-١٩٧٠، بعد الإضراب الشهير يقول الإمام: "أنا مقتنع بسلبية هذه الأساليب مئة بالمئة. أعتقد أن هذا من صميم مرضاة الله سبحانه وتعالى".

وبعد محاولات من قبل الرئيس الأسعد لأن يضع موظفين من قبله في إدارة

١- جريدة المحرر، ٩-١٠-١٩٦٩.

٢- المحرر، ١٨-١٠-١٩٦٩.

مجلس الجنوب، قال الإمام: "لا أقبل ان تستلم هذا المجلس أياد غير أمينة، وغير مطلّعة، وغير مخلصة"[١].

وأضاف: "حول عرض أن يتولى بنفسه مسؤولية المجلس، قائلاً لست رجل سياسة ولا رجل إدارة وليس لي اقتراح بديل عن النظام القائم، أو عن النظم التي يطالب بها عند مختلف الفئات فأنا رجل دين".

وفي البعد الاجتماعي لكلامه إثر نجاح الإضراب. ويجب اعتبار المواطن المشرّد، الذي شرّد لا عن ذنب أو تقصير اقترفه، وإنما عن ذنب ارتكبته السلطة بحقه"[٢].

وفي مقال للإمام في جريدة النهار بعنوان: "الجنوبي، مسؤول، نعم، لأنه صابر ووديع وموالي".

تقويم الإضراب

يعتبر تاريخ الإضراب الشهير في الشهر الخامس من عام ١٩٧٠ تاريخاً فاصلاً، فيما قبل التاريخ وما بعده، ذلك الإضراب كان إشارة إلى أن الأسلوب السابق لم يعد يجوز، ولم يعد ينفع، على الرغم من أن الإضراب حصل أثناء حكم الرئيس شارل حلو، هو يعتبر من "سلالة" الشهابية، أو نيو الشهابية، وكانت قد أعربت الشهابية عن تفهمها لمطالب الإمام الصدر الاجتماعية، لكن بنية النظام لم تتجاوب مع طروحات الإمام الإنمائية، فبقي التسويف هو سياسة السلطة، مما دفع الإمام لأن يغيّر خطابه المسالم، المهادن ليعطي جرعة أكبر من السلبية، إن ذلك الحد الذي وصل إليه الإمام في خطاب الاضراب لم يعد يتراجع عنه بل أصبح منطلقاً إلى التصعيد المتواتر وخصوصاً مع وصول الرئيس سليمان فرنجية للرئاسة، ووصول الرئيس كامل الأسعد معه إلى الرئاسة الثانية، حيث وصل حتى الحد الأقصى.

١- مجلة الجمهور ٤-٦-١٩٧٠.

٢- مجلة الجمهور ٤-٦-١٩٧٠ بعد الاضراب.

منجزات المجلس نهاية عام ١٩٧١

وفي جردة إنجاز بعد سنة من تكوين المجلس الشيعي ورد في اللائحة:

١. شراء بيت الطائفة الإسلامية الشيعية في الحازمية، وجعله مركزاً لجميع دوائر المجلس.

٢. أهديت إلى المجلس من بلدية الغبيري قطعة أرض في منطقة الجناح مساحتها ١٥ ألف متر مربع، تمهيداً لبناء مستشفى عليها، وقد عرض المجلس المشروع على شركات عالمية، فاعلنت الاستعداد لتمويله وبناء المستشفى وتجهيز (مكان مستشفى الزهراء الحالي).

٣. أسس المجلس قرية نموذجية في منطقة "العمروسية" "الشويفات" مؤلفة من ٤٦ شقة من المساكن الشعبية.

٤. وضع المجلس الأساس للتعليم الديني في المدارس.

٥. قام المجلس بإحصاء الأوقاف، على الرغم من الطعن بصلاحياته "بضغط من الرئيس الأسعد".

٦. بذل المجلس جهداً شاقاً في خدمة الجنوب وتأسيس مجلس الجنوب.

وفي البقاع حيث عادات الثأر والمشاكل الاجتماعية، فقد بذل المجلس جهداً حثيثاً وشاقاً، في سبيل المصالحات ووضع حد لإستمرار عادات الأخذ بالثأر.

٧. بدأ المجلس بوضع الشعائر الدينية، حسب المذهب الجعفري، وهذه الشعائر تمارس الآن في فترة السحور، وأيام الجمعة، والمناسبات الدينية، بنقلها على وسائل الإعلام - الاذاعة - التلفاز.

وقد بذلنا جهداً واسعاً في سبيل توحيد الشعائر وتنسيقها لرفع شأن الإسلام[١].

١- جريدة الحياة ٤-١١-١٩٧١.

هيئة نصرة الجنوب

بعد اعتداءات إسرائيلية متكررة تلك الفترة، وبتاريخ ١٢-٥-١٩٧٠ دخلت القوات الإسرائيلية عدداً من القرى، وقتلت وجرحت العديد من المواطنين، ودمّرت الكثير من المساكن وسببت نزوح حوالي خمسين ألف مواطن من ثلاثين قرية حدودية، إثر ذلك دعا الإمام الصدر الرؤساء الروحيين في الجنوب، لتدارس الأخطار ومعالجة الوضع، فتشكلت بتاريخ ١٥-٥-١٩٧٠ هيئة نصرة الجنوب برئاسة سماحته، وعضوية أصحاب السيادة، المطران أنطونيوس خريش، المطران باسيليوس خوري، المطران يوسف الخوري، المطران جرجيوس حداد، المطران اثناسيوس الشاعر، المطران بولس الخوري، القس ابراهيم داغر، وأصحاب السماحة، الشيخ محمد سليم حمود مفتي صيدا للطائفة السنية، الشيخ أحمد الزين قاضي شرع صيدا، الشيخ رؤوف القادري، مفتي راشيا للطائفة المذكورة، والشيخ نجيب قيس قاضي المذهب الدرزي في حاصبيا، الشيخ سليم جلال الدين، الشيخ علي الفقيه، المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان.

أوردت الصحف اللبنانية البيان التالي، أبرز محطاته: "أيها اللبنانيون... إما أن نكون شعباً مؤهلاً للبقاء أو أن نسحق بين دواليب الزمن، إن الجنوب لفي خطر، إن عضواً في وطنكم اليوم يمشي إليه البتر، وبيدكم وحدكم إنقاذه وعلاقاتكم المستقبلية بعضكم ببعض، كل علاقاتكم، مرتبطة بمواقفكم اليوم.

وإذا بقيتم ترتضون الفوضى والإرتجال، واللامبالاة والغياب في علاقاتكم مع الزمن فلسوف يأخذكم عدو، كل شيء عنده بحساب.

أجل كان هناك تحسسات نبيلة، ومشاركات أخوية من أفراد، ومؤسسات، وطوائف، وكلها لم تعد الأحاسيس النائمة في التمني والمشاركات الراجية في أحلام اليقظة....

أنتم أيها اللبنانيون أناشدكم النجدة، للدفاع عن بقائكم أنتم.

إن نصرة الجنوب، نصرة كل لبنان.

إجعلوا الجنوب بالتفافكم من حوله، يشعر أنه ليس وحده، عندما يعرف كيف يعانق الجنوبي جرحه، وأرضه وعنق بندقيته وعلم بلاده،

١. ونناشد الهيئة، المسؤولين بتنفيذ البرامج والمطالب التي اتفق عليها نواب الجنوب في اجتماعاتهم الأخيرة في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.
٢. جميع اللبنانيين مقيمين ومغتربين بتقديم التبرعات المالية.
٣. أصحاب المؤسسات التجارية، بتقديم المواد الغذائية والسكنية ومواد البناء.
٤. الخبراء بتقديم دراساتهم.
٥. الإعلام والتعرض لمأساة الجنوب.
٦. الجمعيات والمؤسسات العاملة في الجنوب وللجنوب بتنسيق أعمالها.
٧. ممثلي الدول العربية والدول الصديقة عمل اللازم

وامتد عمل الهيئة كل الفترة حتى عقدت الجلسة الأخيرة في البطريركية المارونية بتاريخ أول أيلول ١٩٧٥.

علاقة الإمام الصدر والرئيس كامل الأسعد

يروي السيد جعفر عبدالحسين شرف الدين حكاية اللقاء الأول: "اللقاء الأول بين السيد موسى، والرئيس كامل الأسعد، الذي كان إيجابياً، لم يقبل بعد العناق إلا وأخذ طرف العباءة وقبلها كعادته عند لقاء العلماء".

وبعد اللقاء، قال الأسعد، يقصد السيد موسى: "هذا ليس من العملة المتداولة، يجب أن أنسق معه، هيئته فاهم وقبضاي وذكي"[١].

لكن لم تسر الأمور بالشكل الإيجابي، خصوصاً عندما أدرك الأسعد أن الإمام يتدخل في الصغيرة، كعقد القران، والمصالحات الأسرية الصغيرة، والعائلية الكبيرة، ويتدخل في تحصيل حقوق المواطنين، وفي التوسط لدى الدولة لمطالب إنمائية في أكثر من مكان وخصوصاً في الجنوب.

وشابت العلاقة حساسية شخصية عالية، خصوصاً في موضوع الزيارات المتبادلة. يروي السيد جعفر شرف الدين: "تلك الواقعة التي تكشف نوع الرجلين المختلفين على المستوى النفسي، شعور العزة والكبرياء أو التواضع.

"ذات يوم تم الإتفاق على موعد لزيارة كامل بك للسيد موسى في كيفون، وعندما تأخر عن الوقت قليلاً، غادر الإمام المنزل، ووصلت قبل الرئيس الأسعد بقليل، فلم أجد السيد، وغادرت منزله، واحترت ماذا أفعل فالرئيس الأسعد في طريقة إلى كيفون حسب الإتفاق، فالتقيت في كيفون وفي ساحتها بأحد وجهائها،

١- السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين، مقابلة للباحث معه.

فقلت له: الرئيس الأسعد آت ليزور القرية، أين تستقبله، فقال في منزلي، تحولت زيارة الأسعد من زيارة للسيد موسى إلى زيارة كيفون، ولم يفاتحني الرئيس الأسعد بالأمر مطلقاً، وكأن الزيارة كانت لقرية كيفون وليس لمنزل السيد.

ويتابع السيد شرف الدين: "سألت الإمام يا سيد موسى أنت تحارب كامل الأسعد الإقطاعي، بعبد اللطيف الزين الإقطاعي، وبصبري حماده الإقطاعي".

فأجاب الإمام: "كامل الأسعد ضارب جذور الإقطاعية خمسماية سنة في الأرض، أستعين بهم لأقيم التوازن معه".

يروي الشيخ محمد مهدي شمس الدين بأسف، يقول حول العلاقة بين الإمام والأسعد: "كان الإمام رجلاً أعتقد يغلب عليه طابع المصالحة، ضغطت عليه وأخذته إلى منزل كامل الأسعد، أنا الآن نادم على تلك الزيارة، لأن كامل الأسعد لم يتصرف بنبل".

أما السيد جعفر ع.ح. شرف الدين فيقول، كامل الأسعد إقطاعي بفكره، هو طاغية.

يقول النائب عبد اللطيف الزين: "كان السيد موسى دائماً يدعو إلى وحدة الصف، والآخرون لم يكونوا على قناعة بالأمر".

أما السيد محسن ابراهيم فيقول: "فالإمام يعقد مع الإقطاع السياسي المستضعف الآفل، الذي وجهت إليه أول ضربة أنه كان إقطاع أرض فأصبح إقطاع سياسة، وكان إقطاعاً سياسياً في التراتبية، التي فرضت بالقيادة الأسعدية، التي بدأت تهمشه، فإذا هو إقطاع مستضعف مقابل إقطاع مستقوي".

وهذه العدائية التي أطلقها الرئيس الأسعد ضد الإمام الصدر، وحركته جعلت الحركة الوطنية تعدل نظرتها إليه، يقول السيد ابراهيم: "الخصومة الشرسة التي كان الأسعد يواجه فيها السيد موسى شحنت موقف الحركة الوطنية بزخم تجاوز فيه تحفظات عديدة".

وللسيد حسين بيطار وجهة نظر أخرى: "كان الإقطاع السياسي "كله" معاد بالمراحل الأولى، ويتسَم بالتحفظ، وبعد وقت من عمل الإمام، صار كل رجل سياسي يعادي الإمام، كان ينعكس ذلك على شعبيته، فكانوا يحرصون على الظهور معه في الإحتفالات".

وفي محاولات عديدة لفتح علاقة إيجابية بين الإمام والأسعد، لم تكن تثمر علاقة طبيعية لاختلاف في أصل التوجه لدى الطرفين، لقد قام بخطوات الشيخ محمد مهدي شمس الدين لاقامة علاقة تنسيقية بين الأسعد والمجلس، علق الأسعد".

"وعلماء الدين أو المشايخ لازم يشتغلوا بقضية الصلاة، والصوم والمساجد وإعطاء الإرشاد".

وقد أعرب الإمام عن رأيه في موضوع الإقطاع السياسي لمجلة الدبور في ٢٣-٧-١٩٧١ للصحفية غادة سلهب: "إن النظام الطائفي هو الذي كرّس الإقطاع في لبنان، الإقطاع السياسي إذ إنه يعطي لهذا الإقطاع لون القداسة".

وفي عبارة موجزة معبّرة شاملة، يقول الإمام للصحفي وليد زهر الدين في مجلة كل شيء، بتاريخ ٣٠-٦-١٩٧٣: "المسؤول عن حرمان الطائفة الإسلامية الشيعية هم قادة الشيعة في لبنان سياسياً ودينياً واجتماعياً، وعندما تطورت الامور، فاصبحت السلطة تستعمل كأداة ضد الناس وكما ورد في جريدة "لسان الحال" في ١٧-٣-١٩٧٤ في محاضرة لطلاب الطب في الجامعة اليسوعية، وكان يتكلم عن الجنوب وصعوبة الحياة فيه، يقول "في النهار عندما يحضر الأمن في المنطقة يستعمل، وهذه حقيقة لإرغام الناس على اتباع خط سياسي معيّن، وللتنكيل بالناس لعقائدهم وآرائهم".

وحول موقف آل الخليل، يقول خليل كاظم الخليل: "الفريق السياسي الوحيد،

الذي لم يقدر على التفاهم وإياهم ويتعاون معهم هم آل الأسعد. نحن آل الخليل، رحبنا بالإمام في صور، كنا نعمل سياسية ونريد تعزيز موقع المرجعية في صور، وكان آل الأسعد يتهمونه أنه يعمل في السياسة، ورأيهم أن رجال الدين يجب ألا يتدخلوا في السياسة". وفي تحليله لتدخل الإمام الصدر في العمل السياسي بشكله التفصيلي يقول السفير الخليل: "كان السيد موسى ينافس بيت الخليل، والزين، وبيت عسيران على الخدمات، يعني وبذلك زدنا عدد العائلات السياسية عائلة، هي المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبهذا إذا يريد أن يبقى المجلس الأسلوب الأعلى فريقاً بين فرقاء الساحة السياسية، ما هي الفائدة منه؟

ويتابع السفير الخليل حول نوعية وشكل العلاقة مع المجلس: "عملنا المجلس لخدمة مصالح الطائفة، ليس خدمة لمصلحة مرجع ديني أو رجل دين معيّن، وعندما يصير المجلس فريقاً، يكون فقد معنى وجوده الأساسي والجوهري"[1].

يميز الاستاذ باسم الجسر فيما بين أحمد الأسعد وابنه كامل، كان الإمام يوجه لكامل الأسعد انتقادات كثيرة على تصرفاته، عكس والده أحمد الأسعد، وصبري حماده، حيث كانوا متواضعين وكان عنده عنجهيه"[2].

ويختم الأستاذ المحامي راشد المقدم، حول علاقة الزعماء معه، باختصار على المستوى النفسي: "لا يمكن أن تجلس إلى جانب الإمام الصدر وتبقى ظاهراً". والخلاصة بأن الإقطاع السياسي الشيعي كان ينظر للإمام النظرة ذاتها، هي حيث أنه رجل دين يجب عليه عدم التدخل في الشأن السياسي، كانوا يهادنونه بعض الوقت في بعض المحطات، لكنهم في اللحظة المناسبة عندما شعروا بأن "جماهيرهم" أصبحت جماهيره، بدؤوا يحسبونها من جديد، لكن كان قد فات الأوان، فقد أصبحت جماهير الطائفة جماهير

١- مقابلة مع السفير خليل كاظم الخليل.

٢- الاستاذ باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

مشروعه في لبنان، لذا فقد اتخذ البعض العداء المباشر والحاسم والكامل مثل الرئيس كامل الأسعد، والبعض اتخذ موقفاً موارباً من شخصيته ومشروعه، ومنهم من كان يدعمه دعماً كاملاً فترة تكوين المجلس، وبعد فترة حذر بعض انصاره من شخصية الإمام، مثل الرئيس صبري حماده عندما طالبه السيد علي حمد جعفر بضرورة التفاهم مع الإمام الصدر، فقال له: "السيد رجل خطير يا أبو ياسين"[1].

كنت أرغب أن أجري مقابلة مع الرئيس كامل الأسعد وأسجل له كامل وجهة نظره في الخلاف مع الإمام، لكنه رفض البحث في موضوع الخلاف، ووافق على تسجيل دوره ودور كتلته في إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، لذا قبلت بما طلب ولم أبحث معه شيئاً حول العداء المستحكم مع الإمام. ولو كنت بعد ما أنجزت المقابلة المسجلة حول ظروف إنشاء المجلس، وبعد إقفال آلة التسجيل، قال لي متسائلاً "موسى الصدر لم يكن محبوباً كثيراً في الجنوب، لكن أنتم البعلبكية كنتم تؤلهونه" وكانت فرصة لي أنتظرها منذ عشرات السنين كي أشرح وجهة نظري، وهي وجهة نظر الإمام كوني من أتباعه، شرحت وجهة النظر التي جعلتنا نسير خلف الإمام بكل دقة وموضوعية وإسهاب، لكنه كان أديباً فلم يعلق على حماستي العارمة، بل رحب مودعاً كشخص ودود. لكن في بحثي عن خفايا تلك الفترة، وقعت على وثيقة ورقة مكتوبة بخط الإمام، كانت بحوزة النائب السابق فضل الله دندش، الذي زودني بنسخة عنها تفصح ما كان يجول بعقل الإمام، وما كتبه بخط يده، وما كان قد قرأنه النائب فضل الله دندش. تقول الوثيقة حرفياً:

١. منذ ان قدم مشروع المجلس من قبل ١١ نائباً، عارضه كامل الأسعد وضغط على عضو كتلته السيد جعفر لكي يسحب توقيعه، وعندما جدّ الجدّ حاول أن يتقدم بمشروع آخر على الرغم من انه من قبل بعض المشايخ التابعين له وبتحريضه.

١- السيد علي حمد جعفر، مقابلة للباحث معه.

٢. ثم فرض على زملائه النواب أن يضعوا مشروعاً جديداً ممسوخاً وناقصاً.

٣. وفي لجنة الإدارة والعدل حذف زملاؤه بعض مواد أساسية حول صلاحيات المجلس على المحاكم الشرعية والأوقاف.

٤. ويوم طرح المشروع حاول تجميده ضمن غرفة "الرئيس" حتى إذا اضطر وافق.

٥. صوّت المجلس على المشروع، وصدر المرسوم ثم انتخب هو رئيساً للمجلس "النواب" وكان عليه أن يدعو الهيئة التأسيسية، ولكنه لم يدع حتى سقط عن الرئاسة.

٦. دعا رئيس المجلس صبري بك لإجتماع الهيئة التأسيسية، ولكنه على الرغم من كونه عضواً للهيئة لم يحضر أبداً.

٧. وبعد انتخاب الرئيس والمجلس بدأت المعارضة.

٨. وعندما ترأس المجلس بدأ بتجميد صلاحيات المجلس، وأبقى قرار لجنة الإدارة والعدل مجمداً.

٩. ثم حرّك المشايخ ضده، وحركهم لتجميد نشاطات المجلس الدينية، وبرامج شهر رمضان، ثم في حقل القضاء وحتى... فالصعوبات والعراقيل مستمرة إلى حدّ الإنفجار.

١٠.إنه يريد مجلساً تابعاً له مطبعاً على غرار الموظفين.

١١.إنه يرى نفسه رئيساً زمنياً وروحياً للطائفة، لذلك حاول أن يجعل استقبال المرجع باسمه ويحاول دائماً ان ينفذ مآربه باسم المشايخ، ولذلك يقول حزبه إن على رجل الدين أن يتبنى ما يتبناه النائب، أو رجل السياسة، وعليه أن يرفض أن يتحدث أحد عن الجنوب، وكأنه ملكه وليس من هذا الوطن، إنه سبب حرمان الطائفة، وسبب تمييع قضايا الليطاني ومختلف القضايا.

لأول مرة تشعر الطائفة بوجودها خلال المجلس الشيعي، والطائفة كانت ولم تزل لوجوده بالمرصاد والقوى التي ساهمت في التأسيس، لا تزال تراقب ولا تسمح لأي جهة أن تضرّ بالمجلس وتقضي عليه".

ومما لفت نظري في الوثيقة، تشطيب كلمة بك إلى جانب "صبري بك"، وعندما سألت الرئيس حسين الحسيني عن الأمر، أخبرني بأنه تم الاتفاق بين معارضي الإقطاع السياسي في البقاع وتعاهدوا على عدم مناداة، رجال الإقطاع بأي كلمة تفخيم او تضخيم أو تعظيم لذا حذف النائب فضل الله دندش كلمة "بك" بناءً للاتفاق.

وفي إشارة بالغة الدلالة، يقول الإمام للسيد محمد رضا الحاج: "لا تكونوا كالمثل الإيراني، الطفل الذي يبكي يرغب بلعبة، وعندما يحضرها الأهل يكسّرها، ويعود يبكي عليها. أنتم طالبتم بإنشاء مجلس، حافظوا عليه، ولا تخربوه، وتعودوا للبكاء". كان يقصد الشيعة بشكل عام وأنصاره بالخصوص.

يقول صديق الإمام السيد حبيب الأسمر، الضابط في قيادة الدرك اللبناني: "كان السيد يعمل لتكوين قانون داخلي للمجلس وكان الأسعد قد أوقف هذا المشروع. كان الأسعد يريد أن يكمل المشروع الذي قام به الإمام الصدر، على الرغم من محاولات عديدة مع كامل الأسعد، لم تحل مشكلة المشروع، نصح الإمام بزيارة الرئيس فرنجيه فزاره وكان موقفه مشابهاً لموقف الأسعد"[1].

ويقول الرئيس الأسعد على لسان الشيخ محمود فرحات، مدير عام المجلس الشيعي: "العالم الديني يجب أن يكون مراقباً وشاهداً، لا أن يدخل في زواريب السياسة ودهاليزها"[2].

١- السيد حبيب الاسمر، مقابل للباحث معه.

٢- الشيخ محمود فرحات، مقابلة للباحث معه.

زيارة مصر

أبرز ما قام به الإمام من خطوات بعد تأسيس المجلس الشيعي الأعلى هو زيارة مصر. يروي الدكتور حسين علي اليتيم، وهو من رافق الإمام مع مجموعة أصدقاء إلى مصر: "كل عام كان يعقد في مصر مؤتمر للبحوث الإسلامية، لا يدعى إليه الإمام، وكان يسعى بعض الأوقات كي يدعى فكان يغلق الباب من السفارة المصرية في بيروت "السفير عبد الحميد غالب".

ويتـابع الدكتور يتيم: "كان للأستـاذ زهير عسيران نقيب الصحافة السابق علاقات صحفية في مصر قديمة، ونشأت بينه وبين الصحافي محمد حسنين هيكل علاقة جيدة، يقول عسيران لهيكل لماذا تستثنون دعوة السيد موسى الصدر إلى المؤتمر، فهو إمام ورئيس طائفة، وعالم علاّمة، فقال له يا زهير بك معلوماتنا إنه عميل، أجاب عسيران لنفترض بأنه عميل، أولاً، العميل يجب أن يكون عندكم عليه حجة وبرهان، ثانياً، على فرض أنه عميل، ألا يترك مجال للعودة أم التوبة، طيّب إستوعبوه فاجاب هيكل ما لنا وماله فأجاب عسيران "هل هو أقوى منكم وأنتم تخافونه أن يأتي مصر، وتتركونه في لبنان، ذلك يعني أنه أقوى من جبروت عبد الناصر ومصر. فقال هيكل عاوزنا نجيبه على مصر، فأعطي الأمر للسفارة فأعطيت له فيزا".

يروي الأستاذ زهير عسيران الموضوع، يكتب في مذكراته: "سألني الإمام الصدر إن كنت أرافقه إلى مصر تلبية لدعوة تلقاها لحضور مؤتمر إسلامي عالمي يعقد في القاهرة ذلك عام ١٩٦٨ فرحبت بالفكرة. وأخبرني الإمام أن مسؤولة

السفارة المصرية أغفلت إيصال الدعوة للإمام، وتركتها في السفارة، ولم ترسلها إلى الإمام. لكن أحضرها مندوب الأزهر في السفارة، الشيخ فهيم أبو عبيه، وكان من المعجبين بالإمام، وكان الإمام يبادله هذا الإعجاب والإحترام".

ويتابع الأستاذ عسيران: "تأخرنا عن الوصول في الوقت المحدد لبدء المؤتمر، فجلسنا نحن والإمام في الصفوف الخلفية. لكن علق الإمام على بعض المتكلمين، فأثار الإعجاب، عندها دعي الإمام إلى الجلوس في المقاعد الأمامية"[1].

نعود إلى رواية الدكتور يتيم: "كنت سبقتهم إلى مصر، لحقنا الإمام وزهير عسيران، وأحمد اسماعيل ورجل من آل الجشي، دفع تكاليف الرحلة وهو غير أبو أحمد".

يتابع د. يتيم: "جلنا على الأهرام، جلسنا في الصالون، جلس الإمام وهيكل بمفردهما، بعد ساعات فتح الباب، وخرج عملاق في الطول، فقال هيكل تفضلوا نقوم بجولة على بعض أقسام الأهرام، وكان الكمبيوتر أدخل حديثاً إلى العمل فيها.

وبعدما اتصل هيكل وأخذ موعداً من الرئيس عبد الناصر بعد قليل. وأثناء الجولة وأمام الكمبيوتر سأل الإمام عن هذه الآلة، فقيل له إنك تضع الإسم الذي تريد، فيأتيك الجواب، فقال ضع موسى الصدر مثلاً، فوضع، فكانت النتيجة على الشاشة أن موسى الصدر عميل، عندها تبسم الإمام وقدّم لهيكل سبحته الخاصة قائلاً تفضل هذه من العميل، فأطرق هيكل قليلاً وأجاب الإمام كان ذلك يصحّح بلحظة".

ويروي السيد عسيران: "سافر الإمام مع صحبه إلى مصر، وطلب موعداً لمقابلة عبد الناصر، فبذلت السفارة جهدها، وكذلك فعل الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية أسعد الأسعد، فلم يوفق فتدخلت مع هيكل، فقال لي: من هذا الرجل الزفت، وأقنعته بالمقابلة".

١- زهير عسيران يتذكر، ص ١٤٨.

وقبل ذلك كان الإمام قد لبى دعوة من الأزهر لصلاة وخطبة الجمعة، وسرى السحر بين المؤمنين من كلام خطبة الإمام، فما كان من العامة المصلين، أن هجموا للسلام عليه، والتبّرك منه، فقد مزقت العباءة نتفاً، فهو من سلالة الرسول، وضرب رجال الأمن طوقاً أمنياً حوله، فلم يفلحوا في إبعاد المصلين عنه، لكنهم "لقد قُدّم الإمام على أنه إمام الطائفة الشيعية، إمام المسلمين، سليل الإمام الحسين، وسليل النبي محمد". وأخيراً حملوا السيارة به"[١].

يتابع الأستاذ عسيران في مذكراته: "ذهب الإمام لمقابلة الرئيس عبد الناصر لمدة نصف ساعة، بحسب تحديد الموعد، لكن المقابلة دامت نحو أربع ساعات، خرج بعدها الرئيس يقول وهو يودعه الآن عرفت لماذا هيكل أعجب بك، وأنا كذلك أعجبت والله معك والآن تعود برعاية الله، ومفاتيح مصر كلها أمامك".

وكان السيد عسيران يفعل المستحيل مع إدارة الصحف المصرية كي تنشر خبر وصول الإمام على الأقل، لكن دون جدوى، حكماً يعرف الصحف في مصر، كانت موجهة رسمياً، لكن بعد المقابلة مع عبد الناصر، فتحت الصحف أبوابها وتسابق مندوبوها للحصول منه على حديث.

وحول إمكانية التنسيق بين المذاهب، يرى الإمام "أنه في القاهرة أسهل منه في لبنان" وفي هذا إشاره إلى الوضع الطائفي المتشنج في لبنان.

وأضاف الإمام، "لقد أخذت الموافقة على التقريب بين المذاهب من المراجع العليا في النجف الأشرف".

وفي كلام نادراً ما يقوله الإمام عن شخص، كان للرئيس عبد الناصر الأثر البالغ في شخصية الإمام، بعد تلك الزيارة يقول الإمام: "في الحقيقة يمتاز الرئيس عبد الناصر بقدرة هائلة قلٍّ أن تتوافر في إنسان في قوة الأعصاب وذاكرة لا تبارى وثقافة

١- زهير عسيران بتذكر، ص ١٤٠.

واسعة... وجاذبيه فائقة، تثير عواطف من يجلس إليه حباً واحتراماً وإخلاصاً... وهو مخلص، وصريح، ومؤمن بحتمية انتصار الأمة العربية في معركتها مع إسرائيل"[١].

ويضع الأستاذ باسم الجسر الخلاصة: "وبعد زيارة السيد موسى الصدر لعبد الناصر، تغيرت نظرة مصر، إجتماعه مع عبد الناصر له دور كبير"[٢].

زيارة الإمام لمصر ولعبد الناصر ونجاحها المنقطع النظير، وصلت أصداؤها إلى لبنان والعالم العربي، فلم يعد الإمام يحتاج لوساطات، ومحاضرات، وتوضيحات كثيرة، كي يعرف بخطه ومشروعه، لقد أزالت الزيارة الحدود والسدود من أمامه، لانضمام عشرات الآلاف من الآخرين، الذين كانوا يقفون موقفاً سلبياً منه، وقد زالت الريبة التي شابت الكثير من الأوساط النخبوية والعامة على السواء، وبسلوكه وخطابه المؤيد للفلسطينين وللثورة الفلسطينية، فتحت أمامه قرى بكاملها، فضلاً عن المخيمات، التي وجدت بخطابه وسلوكه المؤيد الأمل بتحسين أوضاعهم وتخفيف ضغط السلطة الأمنية عليهم.

١- جريدة المحرر، ٢١-٣-١٩٧٠.

٢- باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

الإمام الصدر والسلطات

عاصر الإمام الصدر في لبنان رؤساء أربعة على التوالي، اللواء فؤاد شهاب، شارل حلو، سليمان فرنجية، الياس سركيس.

مع مجيء الإمام الصدر إلى لبنان، كان على سدة رئاسة الجمهورية اللبنانية اللواء فؤاد شهاب، تم لقاء أول بينه وبين الإمام الصدر، بحضور النائب فضل الله دندش، وكان شهابياً معروفاً، كان لقاءً جيداً، أعجب كل منهما بالآخر، وكانت نظرة الإمام للرئيس شهاب نظرة إيجابية، انعكس الأمر على أكثر من صعيد، فمثلاً ولأول مرة ينقل عبر الإذاعة إحتفال الغدير، وهو عيد عند الطائفة الشيعية، وكان ذلك بتاريخ ٢٥-٥-١٩٦٢، حيث تكلم الإمام الصدر والشيخ حبيب آل ابراهيم مفتي بعلبك، ود. عدنان حيدر وبطرس ديب مدير عام وزارة الأنباء، والشيخ عبدالله العلايلي.

وفي احتفال آخر في الجنوب ضمن مأدبة أقامها نقولا سالم، بحضور المطران بولس الخوري، مطران صور وفلسطين للطائفة المارونية، والمطران باسيليوس الخوري مطران صيدا ودير القمر للطائفة الكاثوليكية، ومن الملاحظ على ما تم الإتفاق عليه، "اولاً، أن يكون الله الأب الروحي لجميع الطوائف والرئيس شهاب الأب الزمني لجميع اللبنانيين".

يقول المحامي نجيب جمال الدين أحد المقربين من الإمام عن الرئيس شهاب إنه من أفضل رؤساء الجمهورية في لبنان. ويضيف الدكتور عدنان حيدر: لقد كان عنده الكثير من التجرّد، نسبة للزعامات التقليدية، "كنا نأخذ مواعيد معه، ونطالب

بحقوق الطائفة الشيعية"[1].

ويشرح الأستاذ كريم بقرادوني وجهة نظره: "كانت الشهابية واعية حركة التاريخ، واعين إنهم لا يستطيعون مواجهة اليسار بكامل الأسعد، وفي بعلبك بصبري حماده، ولا يستطيعون مواجهة اليسار، والذي خزانه شيعي بقوة مسيحية، هو كان يريد إسقاط اليمين الغبي ويعتبران أن خصمه اللدود اليسار، كان يدافع عن الخصوصية اللبنانية"[2].

أما في النظرة لرئيس الجمهورية شارل حلو، فقد أعطى الإمام الرئيس احتراماً كبيراً، لأنه راهن على أن يحصل على بعض حقوق الشيعة في السلطة، وفي احتفال تكريم لمغتربين في ١٧-٩-١٩٦٨ قال الإمام: واجب الوفاء يقتضي الإشادة برعاية فخامة الرئيس الحلو المعظم، المبادرة النادرة التي بذلها بكل إخلاص فخامة الرئيس شهاب، والشكر لمساهمات وزارة التربية الجليله، ومصلحة الإنعاش الاجتماعي"[3].

إن تخصيص الإمام لهذين المرفقين العامين، يدل على أن الإمام قد شعر بأن السلطة يمكن لها إن قصدت ورغبت أن تجعل بعض المؤسسات تقدّم خدمات للمناطق المحرومة والفئات المحرومة".

لكن" شارل حلو الذي أكمل الشهابية إلى حد ما، حيث تغيّرت الظروف سنة ١٩٦٨ ومنها له علاقة بعقدته النفسية، لأن الشهابيين تغالظوا عليه كثيراً، عملوا من خلفه ومن خلاله، وأصبح عنده ردة فعل عليهم، وكان أقرب بالتعامل مع فؤاد شهاب، لأنه ذهنياً وفاتيكانياً، لعبة الدين والسياسة والقيم، داخل تفكيره كانت علاقة السيد معه طيبه"[4].

١- د. عدنان حيدر، مقابلة للباحث معه.

٢- الاستاذ المحامي كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.

٣- جريدة لسان الحال ١٧-٩-..........

٤- الاستاذ باسم الجسرن مقابلة للباحث معه.

فترة الرئيس فرنجية

وبوصول النائب سليمان فرنجية إلى رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠، وبفارق الصوت الواحد الشهير، كانت مرحلة جديدة كلياً بالنسبة إلى علاقة الطائفة الشيعية بزعامة الإمام الصدر مع السلطة، إذ ساهم الرئيس كامل الأسعد مساهمة فعالة ككتلة الوسط، في إيصال الرئيس فرنجية إلى الرئاسة، وكانت علاقة الأسعد بالإمام تصادمية من الأساس، كون الأسعد ضد تدخل رجال الدين في السياسة، بينما كان الإمام يؤمن بأن صلاة العالم لا تُقبل من دون العمل، والعمل السياسي ضمناً.

فقد كان الرئيس فرنجية جريئاً في مواجهة الإمام، ووصل به الأمر لأن يقول للإمام "اترك السياسة لكامل الأسعد، واهتم أنت بالجوامع كما يروي السيد محسن دلول[١].

لكن يرد الإمام لماذا للبطريرك الحق بالكلام السياسي، وللشيخ حسن خالد الحق نفسه، وليس لي الحق نفسه.

أما نظرة الإمام للرئيس فرنجية فيفصلها الأستاذ كريم بقرادوني وهو أحد المقربين من الإمام.

"كان الإمام يأخذ على الرئيس فرنجية عدم رغبته في الإصلاح، وربط خلافه مع الرئيس حول الدستور، وإصلاح الدستور، وكان يعتبر أن فرنجية لا يضّر بالمسلمين، ولكن أيضاً بالمسيحيين، وبالصيغة اللبنانية. كان يأخذ على سليمان

١- الوزير السيد محسن دلول، مقابلة للباحث معه.

فرنجية التحجّر بل الغباء، وعندما تدهورت علاقته بفرنجية، جرّب أن يقوي علاقته بالبطريرك، ومع الكتائب، ولو كان همّه شيعياً او إسلامياً لكان أدار ظهره.

كان يريد أن تتجاوب الكتائب مع نقطة الإصلاح السياسي، كان مستعداً لتسويق الكتائب وموقفها في الأوساط الشيعية"[١].

أما حول العلاقة بين الشيعة والمسيحيين، فقد كان للإمام وجهة نظر، يتابع الأستاذ بقرادوني: "كان كلام الإمام مع البطريرك يرتكز على أن مسؤولية الحفاظ على لبنان وعلى الموارنة، ما عاد بين يدي الرئيس فرنجية، إستعمل الضغوط على فرنجية، وإصلاح الكتائب، والعلاقة مع الجيش عبر درس مطالب المحرومين، لم ينجح الحوار مع الجيش، لأنه ليس هناك قرار سياسي".

ومن خلال نظرة الإمام لتكامل الأدوار، حتى في ذلك الوقت المبكر من العلاقة، يروي الأستاذ بقرادوني حول هذه النقطة: "كان يعتبر ويربط أن للشيعي دوراً عسكرياً، خط دفاع أول، لكن هذا الشيعي ويجب على الماروني أن يكون حمايته السياسية، هذه نظريته"[٢]. باعتبار أن الطائفة السنية، كانت طائفة المقاومة الفلسطينية والعروبة وعبد الناصر تلك الفترة.

وحول الحوار مع البطريرك، يعتقد الأستاذ بقرادوني، أنه قد فشل، لأن البطريرك لا يستطيع أن يتحرك بلا شمعون، وبيار الجميل، فهم محدودية وقدرة بكركي، لأنها بالنهاية وزن روحي كبير، وأدبي لكن ليس عندها قرار سياسي، القرار السياسي عند الجميل وشمعون، أو الجبهة اللبنانية، وهناك نقطة مهمة جداً في هذا السياق، إذ إن الشيخ بيار الجميل كان لا يفصل ما بين الإمام الصدر والمقاومة والحركة الوطنية"[٣].

١- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.
٢- المصدر نفسه.
٣- المصدر نفسه.

حاول الجميع أرباب السلطة وحاشيتها وأحزابها وكثير من القوى وغيره، الإستفادة من العلاقة مع الإمام، كلٌ فكر كيف يستفيد من قربه من الإمام، كثيرة هي الأشخاص والهيئات ضربت أخماساً بأسداس عن علاقة معه مربحه، لكن لم تكن النتائج كما كانت التوقعات.

فقد كان في شخصية الإمام أبعاد التجاوز لكل ما هو محيط أو هو على احتكاك معه. كان صديقاً للجميع وصادقاً مع الجميع، لكن اخطأ كل من اعتبر أنه قد ضمن الإمام وموقفه، وانطلق بحساباته على هذا الأساس، وفي هذه الحالة يصف الأستاذ بقرادوني الوضع،

"السيد موسى الصدر شكل نقزة جماعية عند كل أهل السلطة، هو كان ممثل التيار الإصلاحي المعارض في كل الأحزاب وكل الطوائف، جميعهم كانوا مجذوبين له، وكنت أنا مجذوباً إليه جذباً مغناطيسياً، أهل السلطة كانوا يخافون من موسى الصدر، لقد كنا أنا وميشال سماحة وبعض الكتائبيين، يدعوننا، صدريين"[١].

أما علاقة الرئيس فرنجية بالسيد موسى الصدر، كانت متوترة منذ البداية، على الرغم من أن الإمام أعطى بعض اللياقات للرئيس، فقد أهدى الإمام الصدر رئيس الجمهورية أول نتاج السجاد العجمي في لبنان وكان سجادة صغيرة، عليها رسم الأرزة وعبارة الرئيس فرنجية المشهورة "وطني دائماً على حق"[٢].

وفي مناسبة أخرى، صرّح الإمام، "فخامة الرئيس الذي نريد أن نرى فيه دائماً أباً للجميع"[٣]. وهو شعار قريب من شعار الرئيس "وطني دائماً على حق".

لكن هذا ما رغب فيه الإمام، لكن الرئيس لم يستطع أن يكون أباً للجميع، لأنه كان على علاقة قديمة وتقليدية مع صائب سلام وكامل الأسعد، "صائب سلام كان

١- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.

٢- صزت العروبة، ٨-٨-١٩٧٢.

٣- جريدة لسان الحال ١٨-٣-١٩٧٣.

يعتقد أن السيد يضعف السنّة، يأخذ مكان السنّة، يسلب السنة مصالحها، وفرنجية عقلية قديمة، وأفكار الإمام الصدر لا تدخل رأسه، وينهي الأستاذ باسم الجسر، نظرة الرئيس فرنجية للبنان نظرة شوفينية لبنانية"[1].

يروي الرئيس حسين الحسيني تفاصيل ودقائق تلك الفترة الأولى من وصول سليمان فرنجية للرئاسة، "بدأ العهد ينتقي أركانه، فكان التعاطي مع كامل الأسعد رئيساً للمجلس، وبوصوله إلى هذا الموقع كانت الآمال معقودة على تنفيذ مشروع الليطاني، ومشاريع أخرى تخص المناطق المحرومة، وبعد انتخاب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى السيد موسى الصدر، ظهر الشعار المطروح هو ألا تتدخل الجهات الروحية في المسائل السياسية.

ويضيف الرئيس الحسيني تطورات تلك الفترة "حكومة تقي الدين الصلح، كانت حكومة متوازنة طائفياً، إعطاء الموارنة نفس عدد السنة وعدد الشيعة، والباقي توزعت على كل الطوائف والمناطق. وحدثت تشكيلات إدارية واسعة ألغت فيه الحكومة هذا الإعتقاد أو التقليد، الذي يقول بتكريس مناصب لطوائف، فأصبحت مباحة لكل الناس، لكن لم تتحقق الحكومة المطالب الإنمائية التي رفعها المجلس"[2].

ووضعنا التعهد، وهو من يأتي وزيراً يتعهد بالاستقالة بعد ٤ أشهر إذا لم تنفذ المطالب. أو أن تقوم الحكومة، بإجراءات جدية، لتنفيذ المطالب، يستقيل من الوزارة، والذين لم يكونوا قد دخلوا الحكومة يتعهدون بعدم الحلول محل الذين استقالوا بعد ٤ أشهر، جرت التشكيلات، ولكن أي من المطالب لم تبحثه الحكومة.

يتابع الرئيس الحسيني تلك الخطوات "عقد الإجتماع المجلس الشيعي، وكان

١- باسم الجسر، مقابله للباحث معه.

٢- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

العدد الكامل ٤٣، كان مع الإمام والاستقالة ٢٦ فريق الأسعد لم يحضر الاجتماع، ولم يكن يشارك في أي اجتماع للمجلس الشيعي، خاصة النواب.

لم يحضر الوزراء: كاظم الخليل، صبري حماده، علي الخليل. إذ إنهم لم يعتبروا أن هذا التعهد له قيمة إلزامية. وحدث الإنقسام بين فريق يطالب الوزراء بالاستقالة، وفريق آخر يطالب بإعطاء فرصة أخرى، وطرح صبري حماده حلاً تعجيزياً، أي استقالة الوزراء والنواب معاً.

وهنا يلفت الرئيس الحسيني النظر لتركيبة المجلس، التي تؤثر على القرارات يقول: "إن تشكيل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى فيه رجال من أقصى اليمين، إلى أقصى اليسار، يمنع المجلس من أن يأخذ قرارات حقيقية وصارمة، ومن هنا أتى التعهد بمثابة إنذار أخير. وتفادياً للخلاف أعطى الإمام فرصة أخرى كتبت استقالتي أنا حسين الحسيني، ووقع عليها كل من النواب محمود عمار وحسين منصور وعبد المولى أمهز ويوسف حمود ووضعناها أمام الإمام، وطرحنا الخلاف على التصويت، فصوّت الإمام أولاً وكان العرف أن يصوَت الرئيس أخيراً، وهذه إشارة للمترددين أن الإمام مع إعطاء فرصة. وكانت النتيجة ١١ صوتاً ضد إعطاء مهل، و١٥ بما فيهم الإمام مع إعطاء فرصة، ونتيجة الإنقسام لم تعد تجتمع بعد ذلك الاجتماع[١]. ينهي حديثه دولة الرئيس الحسيني.

وفي خطوة جديدة بعد فشل الحلول الوسط، التي أعطيت والمهل التي لم تحرز نتيجة، عندها تابع الرئيس الحسيني: "اتجهنا نحو المعارضة، خاصة أن هناك مشاريع اعتمادات الطرق للقرى المحرومة، نقلت هذه الإعتمادات من القرى إلى طرق أرادتها السلطة. عندها أصبح هناك مواجهة حقيقية، نحن عارضنا لتكوين رأي عام ضاغط على الحكومة من أجل أن تقوم بواجبها".

١- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

وذهبت الأمور بالاتجاه السلبي، على أكثر من صعيد، يضيف الرئيس الحسيني "بدأنا بإقامة الندوات واللقاءات والاحتفالات، وبدؤوا بإعاقة الأمر، حتى أن كان الإمام مدعواً لألقاء كلمة في الغازية، في النادي الحسيني، وعند وصولنا تبين لنا أن رئيس البلدية قد أقفل الحسينية، وكان من آل خليفة، لكن الناس اهتاجت، وكسرت قفل الحسينية، ودخلنا وألقى الإمام المحاضرة هناك.

وإثر الحادثة، استقال أعضاء البلدية، فضغط الرئيس الأسعد وأقدمت الحكومة على تعيين مجلس بلدي جديد، بدلاً من المستقيل، من جماعة الأسعد.

وكان يومها وزير الداخلية بهيج تقي الدين، حادثة الغازية سرّعت التحرّك أكثر فأكثر. وأتى بيان المثقفين في ذلك الوقت[1].

١- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

ولاية الياس سركيس

وصل الموظف الياس سركيس إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية، فلم ينس حياته موظفاً في الإدارة ولو من الفئة الأولى، يبدو أن الإمام الصدر كان يرغب بأن يكون في سدة الرئاسة الأولى العميد ريمون إده، فقد دافع عنه دفاعاً جيداً أمام هجوم أحد مسؤولي المخابرات السورية في لبنان.

أما وأنه قد أتى، تعاطى الإمام معه كرئيس قريب، بعكس الرئيس سليمان فرنجية، الذي أظهر العداء للإمام طيلة فترة حكمه، وكون الرئيس سركيس من أنصار الشهابية القدامى، كان يتصف بالمرونة والكياسة في إدارة الحكم. ونتيجة ذلك فقد ترك "المناطق المسيحية" بعهدة الشيخ بشير الجميل، وتسلّمت بقية المناطق منظمة التحرير الفلسطينية، لكن كل ذلك لم ينفع، فقد كانت البلاد في حالة الحرب الأهلية، وكان القصر الجمهوري مهجوراً، إلا من بعض الزائرين، وبعض الموفدين، وخصوصاً من سوريا، الموكلة بإدارة الشأن اللبناني.

لقد كانت حركة الإمام دائبة تلك الفترة، فقد كان محوراً أساسياً للسياسة في لبنان، بل امتد دوره وبجهوده عقد مؤتمري قمة عربية، بفضل حركته في التقريب بين المختلفين، وخصوصاً السعودية، فلسطين، مصر وسوريا. وكان الإمام بلباقته الاجتماعية العالية، يمر كل فترة على القصر الجمهوري، فيضع الرئيس في صورة الوضع السياسي. ويطرح معه بعض المعلومات والافكار والمعطيات، تلك كانت حدود العلاقة.

وثيقة المثقفين

كوّن الإمام الصدر في شخصيته المنفتحة عامل جذب للمثقفين من جميع الفئات، ومسؤولي الأحزاب، والهيئات، والرسميين، والأفراد، والأعمار المختلفة، كل هؤلاء وجدوا في الإمام ضالتهم، من يريد أن يتكلم كان الإمام مصغياً جيداً، وهذا ما عبّر عنه الزعيم كمال جنبلاط، عندما قال للسيد محسن دلول، الإمام "يخيف" وهو صامت أكثر مما "يخيف" وهو يتكلم.

ومن كان يريد الاستماع كان الإمام متحدثاً جيداً.

ومن كان يريد الحوار فهو رجل الحوار الأول. وطيلة فترة عمل الإمام، كان يختزن معارف كبيرة، أسماء وعناوين، وشخصيات، وكان يعطي كل منها حسب مستواها الفكري والعقائدي، والنفسي، والسياسي، والإداري، كل فرد التقى بالإمام ولو للحظات، وجد الإمام له مكاناً وعملاً في مشروعه الكبير.

عندما فكر في تنفيذ حركة المحرومين "تنظيمياً اختار لها مجموعة أسماء إعلامية، ثقافية وسياسية عامة، كانت تلك الكوكبة هيئة معنوية، شارك بعضها أو جلها في وضع بعض النصوص، وناقش البعض في أكثر من نقطة، وكانت وثيقة حركة المحرومين نتاج جهد جماعي كبير، وعرض نتيجة ذلك الجهد على المجموع، فيما يسمى وثيقة المثقفين.

يقول السيد كريم بقرادوني أحد الذين قاموا بجهود جبارة لإنجاز تلك الوثيقة بنهاية تشرين ١٩٧٤ قال لي الإمام بأنه يرغب أن يجمع نخبة بالمجلس الشيعي، مسيحيين ومسلمين، ليعطوا طابعاً لبنانياً لحركة المحرومين، وطلب مني أن أطلب

بعض الأسماء المسيحية الكتائبية، لم يكن سهلاً، توقيع وثيقة تأييد لحركة المحرومين. كان أنصاري في حزب الكتائب ميشال سماحة، صلاح مطر، أنطوان معربس، إبراهيم نجار، وصدر البيان الوثيقة في ١٨-١١-١٩٧٤.

ولم يكن موضوع توقيع الوثيقة أن يمر بلا محاسبة أو مساءلة، "فقد سألني الشيخ بيار الجميل يضيف السيد بقرادوني قائلاً: لماذا توقع على وثيقة المحرومين، لكن السيد جوزف شادر، كان يساعدنا كثيراً في التنظير من الناحية الاجتماعية.

أما السيد باسم الجسر فله وجهة نظر أخرى مكملة "إن السيد موسى عمل لمشروع له قواعد بشرية، أو مشروع قواعد بشرية منها ٢٠٠ شخص من الذين اتصل بهم وكان المشروع سيبدأ بتنفيذه سنة ١٩٧٥، حصلت الحرب وتخرّب المشروع"[١].

أما دولة الرئيس حسين الحسيني، فله رأيه "برزت في صحف تلك الفترة السلطة نفسها في التحدي لهذا التحرك الشعبي، لتوعية الناس إلى خطورة استمرار الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الإنهيار، كنا نتجه لنوعية الناس أكثر فأكثر بإقامة النوادي في كل بلدة، وفي كل مكان وكنا نتوخى أن تصبح هذه النوادي أداة فاعله في عملية الضغط وأتي بيان المثقفين من هذه الحاجة.

ويضيف دولة الرئيس الحسيني: "ان الفكرة التي سادت عند المثقفين، أن هذا الزخم الشعبي الذي أظهره الإمام، والذي ظهر أنه حول الإمام كرمز لهذه المطالب في كل المناطق اللبنانية، شعر المثقفون أن الحريات العامة تتعرض لضغوط حقيقية، بدأت تعقد الاجتماعات في نقابة الصحافة عند تعطيل الصحف، سجن غسان تويني بعد ذهابه إلى الجنوب".

ويختم الرئيس الحسيني "نواة بيان المثقفين كانت شخصيات "الندوة اللبنانية" تدارس الأمر كبار اللبنانيين أمثال المطران جورج خضر والأب يواكيم مبارك.

١- باسم الجسر، مقابلة للبحث معه.

لا يمكن في هذه السطور كتابة أسماء ١٩١ شخصية من الذين وقعوا الوثيقة، بل سنذكر بعضهم وبعضهن والذين استمروا في العمل في الشأن العام، ومن أبرز تلك الأسماء، ميشال أبو جودة، فاروق أبي اللمع، نجيب أبي حيدر، عبد الحميد الأحدب، روجيه إده، ميشال إده، الياس مقدسي الياس، ميشال أسمر، أمين الباشا، أمين البزري، كمال بخعازي، فؤاد البستاني، ليلى بعلبكي، مارون بغدادي، كريم بقرادوني، غسان تويني، جورج جرداق، باسم الجسر، جبران حايك، أنسي الحاج، فايز الحاج شاهين، سامي حريق، هدى الحسيني، بيار حلو، مروان حماده، يوسف الخال، رشا الخالدي، المطران جورج خضر، شوقي خيرالله، عمر محمد الداعوق، سمير دحداح، نديم دكاش، محمد دمشقية، جورج راسي، جانين ربيز، وجيه رضوان، أمين البرت الريحاني، مي الريحاني، عبدالله زخيا، هدى زكار، نقولا سركيس، فؤاد السعد، روجيه سلهب، ميشال سليمان، ميشال سماحة، جورج سمعان، أحمد سويد، بول شاوول، فؤاد شبقلو، رفيق شرف، الأمير عبد العزيز شهاب، نديم شويري، حنان الشيخ، بيار صادق، جوزيف صائغ، سمير صائغ، جواد صيداوي، بهيج طبارة، رياض طبارة، جوزف طراب، ميشال طراد، رياض طه، عبدالله عبد الدايم، محمد العبدالله، سمير عبد الملك، محمد عطالله، عبدالله عيتاني، ريمون عيد، أنطوان غانم، أنطوان غصين، وليد غلمية، أنطوان غندور، شوقي فاخوري، إدمون فخري سمير فرنجية، نزار قباني، جورج قدسي، أديب قدوره، رضا كبريت، أنطوان كرباج، سيمون كرم، يواكيم مبارك، عصام محفوظ، غالب محمصاني، عيسى مخلوف، صلاح مطر، أنطوان معربس، باسم المعلم، كلوفيس مقصود، منى مكي، محمد علي مكي، جمال منصور قاسم منصور، ألبير منصور، وليد منيمنة، خليل نادر، نبيل ناصر، ابراهيم نجار، فؤاد نعيم، أمل نقاش، زكريا نصولى، فايز نصولى، علي هاشم، بيار خليل ورده.

علق الصحافي عبد الهادي محفوظ، بعنوان، مثقفو لبنان وحركة الإمام الصدر جاء فيه: البيان الذي وقعه ١٩١ شخصاً من مثقفي لبنان من مختلف الإتجاهات السياسية

والفكرية لتأييد الحركة التي يقودها الإمام الصدر، يتضمن، للمرة الأولى لدى المثقفين اللبنانيين على اختلاف مواقعهم تطلعاً جدياً، عظيم التفاؤل إلى هذه الحركة التي كما يصفها البيان، إنما هي "حركة شعبية لبنانية ذات أبعاد وطنية عامة، وهي تتطابق كما يقول البيان "مع الرغبة العامة لدى مختلف الفئات اللبنانية في التغيير".

ويضيف الأستاذ محفوظ: "ففي التغيير الممهد للتغيير الجذري، خصوصاً أن هذه الحركة الشيعية المظهر، أخذت تعي أن الطائفة الشيعية هي أقرب إلى الطبقة منها إلى الطائفة، وأن هذه الطبقة بالذات هي الطبقة صاحبة المصلحة في التغيير في الدرجة الأولى، وأنه من الصعب تحقيق التغيير من دون الاعتماد عليها، والأحزاب اليسارية تدرك ذلك، ومن هنا تأكيد البيان، أن الحركة، "تشكل أملاً للنهوض بالوطن، معبرة عن ضمير لبنان ووجدان جميع أبنائه"[١].

وعلق الأستاذ جبران حايك في جريدة لسان الحال ٢٠-١١-١٩٧٤، كتب: "اللبنانيون الذين ينتمون إلى مختلف المناطق والطوائف والاتجاهات الذين وقعوا بيان التأييد لحركة الإمام السيد موسى الصدر، ليسوا وحدهم في الميدان، ولو هم حاولوا جمع تواقيع على طريقة الأحزاب السياسية، لأمكن جمع مئات الألوف لأنه قد وضح للرأي العام أن حركة الإمام الشيعية بمظهرها وبقاعدتها إنما هي حركة شعبية لبنانية، ذات أبعاد وطنية عامة".

ويتابع السيد حايك مقالته: "إنهم "عينه" نموذجية شاءت أن تضم صوتها إلى صوت الإمام، لتشدد على المبادئ التي يسعى إلى تحقيقها، ولتدعو بالقوة المعنوية الملّحة إلى تلبية مطالب الإمام، في سبيل تفادي أخطار اجتماعية رهيبة... ومن يكون الإمام الصدر حتى تلتقي على تأييد حركته النفوس اللبنانية كلها المحبة للسلام والعدل والحق؟".

ويجيب الأستاذ حايك: "إنه الرئيس الديني، الذي ورث أضخم "تركه" من

١- سيرة الإمام السيد موسى الصدر، المجلد عدد٤- ص ٣٥٨.

المشاكل الاجتماعية ليس مسؤولاً عنها مسؤولية مباشرة، أي واحد بمفرده في الجيل الحاضر، وإنما المسؤولية جماعية وتاريخية لأن التخلف الذي يشمل المناطق الحدودية في الجنوب، والشرق، مسؤولة عنه قرون طويلة من الإضطهاد والحكم الجائر... ولكن كل يوم منذ أن أطلق الإمام صرخته، وكل يوم يمر بعد اليوم رتبّ ويرتب مسؤوليات جديدة، واضحة محددة، على كل من يهمل دعوة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، إلى العناية بأمر الطائفة المحرومة، وبجميع المحرومين في لبنان...".

ويتابع السيد حايك: "لأنهم يخشون مع كل لبناني واع أن يؤدي الإهمال أو التجاهل إلى أضرار بل أخطار لا يمكن التنبؤ بها... وأشار إلى محاولة السلطة إلى "إجهاض" الحركة.

أما عن نظرة الإمام للسلطة، فشرحها السيد حسين الموسوي "أبو هشام" "كانت السلطة بنظر السيد موسى سلطة ظالمة، غير عادلة، السلطة مقررة ظلم المواطنين نتيجة تربية وثقافة خطأ، إضافة إلى مفهوم التمييز بين طائفة وأخرى، والمارونية السياسية وما يدور في فلكها من الشيعة، الذين في خدمتها والسنة ومن الفلسطينين، الذين حاولوا أن يستفيدوا منها، عمل السيد موسى على شرح المشكلة بوعي أن حق المحرومين في بطن السلطة والحاكم الظالم.

يتابع السيد الموسوي: "حاول الإمام في أسلوب المطالبة والمناشدة، فلم تفهم السلطة ولم تستجب لطلباته، عندها قال لهم: "السلاح زينة الرجال". حاول الإمام أن يؤسس المجتمع القوي المسلّح في وجه إسرائيل"[١].

وللشيخ شمس الدين شرحه الخاص لعلاقة الإمام الصدر مع السلطة "أثناء ذروة المواجهة مع السلطة أيام كامل الأسعد، كان الإمام يتحدث عن عاشوراء بلهجته وأسلوبه عن الحسين وعن المظالم مع إشارات خفيفة جداً، وطفيفة إلى

١- السيد حسين الموسوي، ابو هشام، مقابلة للباحث معه.

التنظير بالواقع القائم، فالناس لا تفهم، لا يزيد، ولا معاوية، ولا حسين، الناس تفهم وضعها الفعلي، جعل الخطاب السياسي يتكئ على المخزون التراثي، إذ كان الخطاب عن طريق استثارة الذاكرة الدينية العاطفية[1].

إن سلوك الرئيس فرنجية وفريقه في الحكم استقطب العديد من الشخصيات والأحزاب، لجهة المعارضة.

يقول الدكتور ألبير منصور: "تعاوننا مع الإمام في موقف المعارضة من الحكم، الذي تمثل برئيس الجمهورية سليمان فرنجية، وكان التعاون على أساس تشكيل نواة معارضة، مرتبط هذا الأمر بنشاط إنمائي يتعلق بمنطقة بعلبك - الهرمل.

كان هناك مواكبة بين المعارضة وبين الهم الإنمائي والاجتماعي. وأجرى الإمام حواراً معمقاً مع العشائر في مواضيع عدة أبرزها مشكلة الثأر المتأصلة في النفوس والعقول وفي الواقع الاجتماعي منذ فترة الجاهلية، قبل نزول الإسلام، تدرّج الحوار على مراحل، أقنعهم أولاً بفكرة الحوار عند حصول الحوادث، يروي السيد علي حمد جعفر: "وكان الذي توفق به بين العشائر، وأعطوه وعداً بأن الغريم يلاحق من دون سائر أخواته وأبنائه وأقاربه، وأن يعمل على تسليمه للدولة، كي تحاكمه حسب القوانين".

كان ذلك في المراحل الأولى، وفي الثانية عمل على التدخل مع من وقعت معه المشكلة، لإحلال العفو مكان الأخذ بالثأر، فتوفق في حالات كثيرة، وكإجراء فعلي، سعى الإمام في ظل الأوضاع العشائرية للاستفادة من الطاقات الإيجابية فيها، وعقد العديد من الاجتماعات مع وجهاء وممثلي، وفعاليات عائلات كثيرة، مهدّ فيها للتوقيع على وثيقة إجتماعية "ميثاق شرف" تمنع فيه العائلات عن الأخذ بالثأر عشوائياً، كما كان يحصل في بعض الأوقات.

١- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة للباحث معه.

الإمام الصدر والشمال

يقول صديق الإمام المحامي راشد المقدم، كان الإمام يزور الشمال مرة في الأسبوع، كان له علاقة مع آل الغندور، عمل على وحدة أتباع المذهب الجعفري من حيث تحقق لهم ذاتهم وقوتهم وتقريب الطائفة العلوية من الشيعة، رفض علي عيد رئيس حركة الشباب العلوي، والتي كانت تحرّك الشارع، ورفض الإمام الرد على العنف بالعنف، بعدما تعرّض أنصار الإمام من قبل العلويين بالقتل والإهانة، كانت عائلات برجوازية علوية وعائلات عادية تؤيد طرح الإمام في التقريب.

ويوضح الأستاذ خليل حسين الوضع مع العلويين:

أطلق الرئيس حافظ الأسد يد السيد موسى بالعمل مع الطائفة العلوية في الشمال.

كان عندنا الشيخ محمود سلمى كان لي دوراً معهم في تأسيس مسجد الإمام علي في باب التبانة في طرابلس وعرّفت الإمام على رئيس الرابطة الإسلامية العلوية اسمه محمد الشيخ وأخاه المحامي محمود الشيخ وعرّفته على بعض العائلات من آل مكايل، حبوس ودرويش وطرح موضوع وجود الطائفة العلوية في طرابلس سنة ٦٤-١٩٦٥ وتوصلنا إلى تكوين محكمة شرعية جعفرية لأن العلويين كانوا يعانون من صعوبات مع المحاكم السنّية.

الوجود العلوي في طرابلس هو امتداد للوجود العلوي في جبل العلويين ـ الشام، لقد كنت رسول السيد موسى للكثير من القرى العلوية في عكار مثل قرية الدغلة وعين الزيت.

هناك أحـد المشايخ الذي درس الفقه الشيعي اسمـه الشيخ علي عزيز آل إبراهيم، وفي سنة ١٩٧٣ ثم تنصيب الشيخ علي منصور مفتياً جعفرياً في طرابلس.

ومن جهته الشيخ علي منصور يروي:

"وانتخبت عام ١٩٧٣ مفتياً جعفرياً في طرابلس وانتخبت عضواً في الهيئة التشريعية في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وتم ذلك في مركزنا الكبير في طرابلس وأتى الكثير من العلويين من سوريا، طرطوس، حلب، حمص، ودمشق وكان اللقاء في مقهى كبير "المنتزه"، تكلم عدة شخصيات من سنة ومسيحيين وشيعة.

كانت علاقتي بالإمام جيدة جداً عندما يزور طرابلس كنت أرافقه في زياراته مع الشيخ خليل حسين".

وجاء في جريدة "النهار" بتاريخ ٦-٧-٧٣ أقيمت في طرابلس حفلة تنصيب الشيخ علي منصور مفتياً جعفرياً ويصرّح الشيخ علي منصور: إننا من صميم الشيعة الإمامية الجعفرية، وأن مذهبنا هو مذهب الإمام الصادق وديننا هو الإسلام.

وتكلم الشيخ طه الصابونجي نيابة عن مقتي طرابلس وقال: "إن هذا التنصيب هو بشرى ودم نقي في أوردة الدين".

ومن كلمة مفتي طرابلس الشيخ عبد الكريم علي حسن:

إن هذا التنصيب هو خطوة من الخطوات المباركة التي قام بها العلماء بتوجيه من الإمام السيد موسى الصدر.

وجاء في كلمة الإمام الصدر:

إن العلويين والشيعة شركاء في المحنـة لأنهم اضطهدوا كما اضطهد الشيعة، إن هؤلاء المسلمين الملقبين العلويين هم اليوم اخوان الشيعة الذين يسمون في مصطلحات الحاقدين المتاولة، ولن نسمح لأحد بذم فئة كريمة، سوف اترك الإمامة على جماعتي بعد فترة وجيزة ليتأكد الحاقدون أننا لا نفكر في المناصب.

إننا نريد أن نؤدي واجبنا الإسلامي والإنساني والحضاري في لبنان وفي سوريا وتركيا، فنقدم لهم ما يطلبون من خدمات.

عندما نسمع أن هناك نغمات في سوريا وغير سوريا ورغبة في احتكار الإسلام، لا يمكننا إلا أن نتحرك وندافع ونوجه النداء من هذه الحفلة إلى اخواننا العلويين في تركيا مؤكدين تأييدنا لهم، وبنهاية الحفل حث الإمام العلويين على تسلم زمام أمورهم وتشكيل مجلس استشاري وتنظيم شؤون أوقافهم.

أما حول الوجود الشيعي في الشمال فيروي الأستاذ خليل حسين:

كانت دهشة الإمام وسروره بالغين عندما أخبرناه بأن في الشمال يوجد ٥ قرى شيعية، في منطقة الكورة. فقد أسسنا سنة ١٩٦٣ جمعية إنعاش القرى الخمس باسم الجمعية الخيرية لإنعاش القرى الخمس، لمواجهة الحال الصحية ـ الثقافية، الاجتماعية ـ الدينية، الزراعية.

وتعاقدنا مع مصلحة الإنعاش الاجتماعين فأنشأنا مركزين صحي واجتماعي في كل من بنهران وبحبوش مشغل لتعليم الخياطة والاشغال اليدوية والتدبير المنزلي ومركز صحي. والقرى الخمس هي: بنهران، بحبوش، زغرتا المتاولة ـ متريت، ديربلا وعائلة الحاج يوسف منتشرة في رأس مسقا الشمالية وبزيزا.

لم يكن عندنا مساجد في القرى، ساعدنا الإمام على بناء مسجد في قرية بحبوش عام ١٩٦٥ وفي بنهران، وضع الحجر الأساس، السيد موسى وكانت كلمته في المناسبة مهمة، توحيدية، بحضور نواب وفعاليات المنطقة، كما ألقى الإمام محاضرات عدة في بشري، زغرتا، مزيارة، كوسبا الحدث ـ طرابلس.

وألقى محاضرة في كنيسة مار مارون بدعوة من الهيئة الكاثوليكية سنة ٦٥-٦٦، بحضور حشد من رجال الاكليروس والراهبات ورجال طرابلس وكان الحشد كبيراً، امتلأت الطرقات والساحات، وقيل الكثير يومها عن شبهه بالسيد المسيح عليه السلام.

وقد كانت للإمام لقاءات مع الرئيس رشيد كرامي، ورئيس بلدية طرابلس، أكرم عويضة، رئيس غرفة الصناعة والتجارة نجيب بك الملا وآل الغندور، وشخصيات مثل جواد بولس. كان يدعى ويتقبل الدعوات.

ويختم الأستاذ حسين: كنا في المنطقة في حالة تخلف إنمائي مثل بقية المنطقة.

)

الإمام الصدر وبلاد جبيل

يروي السيد منير إبراهيم، أحد الفعاليات الجبيلية:

تحرك الإمام بحيوية في جبيل، أثناء الفتنة، وقبلها بقليل وكان يلقي المحاضرات واللقاءات بمدارس الرهبنة، وبالبطريركية، وبمطرانية جبيل وكان تركيزه على التعايش المسيحي الإسلامي، وكان يركّز على العدل الاجتماعي وعلى الغبن من فريق لفريق.

زارني في منزلي في طورزيا سنة ١٩٧٢، حمله المواطنين مسافة طويلة قبل المنزل ومن كل الطوائف، خوارنة، مطارنة، أساتذة، رؤساء بلديات، أعضاء المجالس الاختيارية، تكلم العديد وكان محور الخطابات التآلف، والمحبة، الوحدة والتعايش. ويتابع السيد ابراهيم:

في جبيل، تجد الماروني، والروم الأرثوذكس، السني، الشيعي، هناك علاقات جيدة، وللعميد ريمون إده آثار إيجابية على التعايش وكان لا يميز في التوظيف بين المسلمين والمسيحيين، لكن ليس هناك مدير عام من منطقة جبيل، كانوا يؤخذوا من الجنوب بأكثرية ٩٩٪.

هناك في جبيل ١٠-١٢ ألف ناخب، شاركوا في الانتخابات الأخيرة، ١٩٨٨ حوالي ٦ آلاف صوت البقية تعيش في بيروت والضواحي.

قصد الإمام جميع القرى الشيعية وغيرها.

اهتم الإمام الصدر بمنطقة جبيل، وأثناء حرب ١٩٧٥ كان يجتمع بفعاليات جبيلية في مركز الإفتاء الجعفري ومكتب الشيخ عبد الأمير قبلان، كان يهتم بالمواطنين الشيعة الباقين في قراهم المعزولة يومذاك ويعمل لتأمين المواد التموينية لهم وحثهم على البقاء، وكان يقوم بالاتصالات سياسية مكثفة كلما توتر الوضع هناك، خصوصاً في الجرد العالي افقا ولاسا وغيرها، كان يعتبر الوجود الشيعي في منطقة جبيل ضروري وأساس في منع التقسيم، في تلك الفترة وكان مع بعض معاونيه في أوتيل آلويت ـ الطيبه، منطقة بعلبك. وأشار إلى السلسلة القريبة، وقال سأمنع التقسيم من هذا الجبل.

موضوع الثأر

أوائل السبعينات، حدثت موجة قتل كبيرة في منطقة بعلبك الهرمل بداعي الثأر، مما حدا بجريدة النهار أن تكتب عن الموضوع بقلم أحد أبرز صحفييها المسرحي عصام محفوظ مقالاً مدوياً، صدر في ملحق النهار، وعلى الغلاف عنوان من قتل ١٨ شخصاً في بعلبك - الهرمل في غضون شهرين تقريباً. وغمز التحقيق يومها من قناة "الشعبة الثانية" وتشجيعها.

في هذا المناخ كتب الإمام الصدر نداء إلى ابناء بعلبك - الهرمل للتخلي عن عادة الثأر نشر في جريدة النهار بتاريخ ١-٧-١٩٧٠.

تساءل الإمام عن سبب تصعيد موجة الأخذ بالثأر، فقد ذكر بالإسم العائلات المتقاتلة عبر بعض أبنائها وحثهم على الجوانب المضيئة في تاريخهم الشخصي والوطني، وبعض صفاتهم الحسنى، وذكر في بعض السطور: "إذا غابت الدولة عنكم، بسبب من ذعر، أو انهارت بسبب من إملاق من أخلاق وإفلاس من رؤيا، فهل تغيبون أنتم عن أنفسكم، عن أمنكم، وسعادتكم، وشرفكم، وإنسانيتكم ومواطنيتكم"[١].

إذا مات القيمون عليكم، فهل تسيبون في مسارب النسيان، والتيه، والمجزرة؟ هل أنتم سفهاء أو صغار، حتى تضيعوا إذا ضاع الحكم؟

وانتهى إلى ملاحظات ثلاثة:

١- مجلدة رقم ٢، ص ٤٥٧.

١. إن كنتم ترمون المال والمتاع فأتيحوا لي فرصة جمعها من كرام أخواتكم[١] من أقاصي الأرض، حتى أضعها بين أيدي الديّات والضحايا، وأرميها حجراً أخيراً، على قبر النزاع والخصومة والهمجية.

٢. وإن كنتم تريدون الحرب، فاعتبروني واحداً منكم، نمشي بمسيرة النداء على دروب القدس، وليسقط منا من يسقط في نهر الدم المقدس.

٣. وإن كنتم تشتهون الدم، لمجرد شهوة الدم، فهل لكم أن تقبلوني أنا الضحية، وتأخذوا الثأر مني وتطفئوا هذه الشهوة بدمي، والله على ما أقول شهيد وينهي نداءه.

أما إن رفضتم الثلاثة، واعتصمتم بقلعة الشيطان، فقد أشهدت ربي أنكم الظالمون ولعلكم تعودون عن ذلك إن شاء الله[٢].

وفي خطوة تاليه للنداء، وجه الشيخ فضل الله دندش دعوة عامة إلى جميع العشائر والعائلات في منطقتي بعلبك الهرمل، حضر الاجتماع جميع رجال الدين من مختلف الطوائف، وذلك بمناسبة مرور سنة على تأسيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى وفي مرجة رأس العين- بعلبك وكان لقاءً تاريخياً ضم ألوفاً من المواطنين، وقد قرأ الإمام الصدر "ميثاق بعلبك" لترك عادة الأخذ بالثأر[٣].

١- مجلدة رقم ٢، ص ٤٥٧.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه ص ٤٦١.

نص "ميثاق بعلبك"

١. كل شخص يرتكب أية جريمة مهما كان نوعها، ومهما كانت دوافعها، نكون بريئين منه ومن عمله، ويكون وحده مسؤولاً عما اقترفت يداه.

٢. إن مرتكب الجريمة كائن من يكون، وإلى أي عشيرة أو عائلة انتمى، يعتبر منبوذاً من الجميع وخاصة من أبناء عشيرته أو عائلته، ويحرم من كل عون أو مساعدة مادية كانت أو معنوية، كما يمتنع الجميع عن إيوائه أو التستر عليه، بل نكون جميعا ضده وحرباً عليه.

٣. يلاحق المجرم شخصياً، ولا يؤخذ بجريرة عمله أي إنسان آخر من أقربائه أو ممن يمت إليه بصلة، مهما كانت درجتها، تكون المسؤولية كاملة على من يطالب بريئاً بذنب مجرم.

٤. كل من يخالف هذه القاعدة أو يشذّ عنها لا يحق لعائلته أو أي من أقربائه مناصرته، أو تأييده، او المطالبة به والمحافظة عليه، بل يكون كل منا ومنهم خصماً له.

تودع نسخة من هذا التعهد لدى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى للمصادقة على مضمونها، وليكن المرجع الأخير والمشرف الرئيس على التنفيذ، بحيث يكون كل منا مطالباً أمامه بهذا العهد في حال وقوع أي انحراف أو نكوص لا سمح الله، وعلى هذا نوقع تحريراً[1].

١- مجلد رقم ٢، ص ٤٦١.

ومما يؤسف له في هذا المجال، على الرغم من كل الجهود، التي قام بها الإمام تلك الفترة، فقد خلق ذلك التحرك أجواء نفسية إيجابية، لكن المشكلة ما زالت مشكلة حتى وقتنا الحاضر، لكن الإمام لم يترك الأمر بل بقي في كل مناسبة يتكلم في الموضوع، ويسعى شخصياً، وهناك مئات حالات جرت من المصالحات، كان الإمام لولبها وراعيها. لكن الإمام لم يتعب من الموضوع، بل حاول تجيير الصفات الإيجابية للعشائر والعائلات وعمل عليها.

وفي مراحل متقدمة، عمل الإمام على قوة العشائر، واستفاد من عناصر الإعتداد بالنفس وبالسطوة والتفاخر بالعدد، وعدد قطع السلاح التي تقتنيها العائلات، مثلما تقتني أي ضرورة منزلية، ولم تكن هذه عادة بعلبكية - بقاعية خاصة، بل كانت عادة متأصلة لبنانية شاملة كل المناطق والطوائف تقريباً، فضلاً عن القوى السياسية الحزبية، التي التفتت بعناية مركزّة للجانب التسليحي والتدريبي.

حاول الإمام توجيه طاقة القوة للعائلة والعشيرة من الشخصي الضيقّ إلى الاجتماع الإنساني، ودفعها في الإتجاه السياسي لنصرة المظلومين والمحرومين في المجتمع، ومن هنا أتت "خطورة" الإمام على الوضع السياسي الإقطاعي الراكد، حيث كان الإقطاع السياسي يقدم فتات الخدمات إلى رموز العشائر والعائلات، ومقابل ذلك كانت الضمانة للتأييد السياسي، والسير في توجهات السلطة والإدارة والابتعاد عن الأحزاب العقائدية، والتي من أبرز خطوطها السياسية الاجتماعية إشاعة الوعي، وتنوير المجتمع، وتفتيح العقول على الأسباب الحقيقية للتخلف والحرمان، والحصول على عناصر القوة المختلفة، بما فيها الاستعداد "الكشفي" العسكري، أسوة بالميليشيات الداعمة للسلطة، كحزبي الكتائب والأحرار اليمينيين.

والجدير ذكره أن مرحلة الإحتلال الفرنسي المباشر للبلاد أظهر صعود تيارات سياسية وأحزاب أبرزها الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي انضوى فيه فئات واسعة من البقاعيين. خصوصاً الهرمل، وشريط القرى الممتد حتى بعلبك، وعمل هذا الحزب قبل الاستقلال وبعده، وبقي هذا المناخ سائداً حتى اغتيال الزعيم

أنطوان سعاده، حيث عرف الحزب بعض الوهن، إذ حاربته السلطات منذ الاحتلال الفرنسي، وعرف أيضاً الحزب الشيوعي وجوداً بين فئات متنورة عدة.

وبداية وجود الأحزاب القومية العربية، انتشرت تلك الأحزاب وأمسى لها أنصار، شكلوا علامة مضيئة، حيث انتشر الوعي، صاحب ذلك سلوك استقامة اجتماعية سياسية، بعيداً عن الإرتزاق والأجر، وأحرزوا نتائج طيبة، وامتدت تلك الفترة حتى بدايات الحرب الأهلية عام ١٩٧٥. وقد كانت حركة وطنية بكل معنى الكلمة، خصوصاً بعد أن رخّص للأحزاب السيد كمال جنبلاط، عندما كان وزيراً للداخلية، أوائل السبعينات، لأن قبل ذلك التاريخ كانت الأحزاب محاربة من السلطة، وتلاحق المنضوين تحت لوائها بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، رغم ذلك لمعت شخصيات واجهت الإقطاع السياسي المتمثل بالسيد صبري حماده، وبعض آل حيدر، أمثال الأستاذ رياض طه، الذي قام بحركة وطنية اجتماعية سياسية بارزة، وكان برفقته مجموعة شبابية متنورة تمركزت في مدينة الهرمل والبقاع.

والجدير ذكره أن الجانب الجيد للشهابية في المجال الإداري الاجتماعي الإنمائي، كان له وجهاً سلبياً على مستوى منطقة البقاع، إذ إنه أوجد وظيفة عسكرية اجتماعية، أوكل إليها إدارة أمور العشائر، للضابط بطرس عبد الساتر، إذ عهد إليه العلاقة مع العشائر، حيث تمحورت تلك العلاقة على تقديم مساعدات بسيطة، رخصة سلاح، مسدس، وغيره تنفيعة في وزارة الأشغال، حفر بعض الآبار وغيره، كانت الوظيفة الفعلية "لمستشار العشائر" ذلك هي ضمان استمرار ولاء تلك العشائر للسلطة، إذ وصل الأمر بفترة الشهابية وما تلاها، إن أصبحت تقريباً كل رموز العشائر والعائلات تحجّ إلى قرية أبلح، حيث يقيم ضابط الأمن "الشعبة الثانية" في الجيش، ولدى ذلك الضابط الحلول الكاملة "لجميع" مشاكل الناس والوجهاء، وفي الفترة تلك لعبت مخابرات الجيش الدور السيئ في إثارة الخلافات العائلية، بل نبش بعضها من التاريخ، ودعم جهة على أخرى كوسيلة ضغط للخضوع لمشيئة السلطة، ولعل الأسس الامنية التي وضعت للسيطرة على المخيمات الفلسطينية الموزعة على

كامل الأرض اللبنانية، من الشمال مروراً ببيروت وضواحيها الشرقية والغربية، إلى الجنوب وصولاً إلى البقاع، تلك الإجراءات كانت شهابية الجذور.

وكانت ذروة السيطرة المخابراتية إبان انتخابات عام ١٩٧٠ حيث سمت الأجهزة الوجيه البيروتي السيد تقي الدين الصلح عن المقعد السني في بعلبك الهرمل، وقد حاز على معظم الأصوات، على الرغم من عدم معرفة الناخبين به معرفة شخصية، وإن عرف اسمه بعض الشخصيات البقاعية يومذاك، لقد حصل على سبعة عشر ألف صوت حسبما أذكر، كل تلك الأصوات كانت دليلاً واضحاً على قوة وسيطرة الأجهزة "على الجماهير" البقاعية، سواء في الانتخابات الفعلية في الصناديق المخصصة للاقتراع، أو في عملية التزوير، التي كانت تتم، وقد حضرت شخصياً تلك الانتخابات، حيث كنت مندوباً لأحد المرشحين "رياض طه" لقد حدثت في أثناء الفرز مفاوضات معي، لاختيار لائحة تضم مرشحي السلطة فقط، وتلغي كل الأصوات التي نالها بقية المرشحين، ورفضي المشروع هو الذي أبطل تلك العملية، وبقيت الأصوات لأصحابها.

عمل الإمام مع العشائر، وكان يتدخل بشكل مباشر وسريع، إثر أي أمر خلافي بين العائلات، يقول السيد حسن مصطفى دندش: "إذا حدث أي إشكال، كان الإمام يحضر فوراً، وكان يطبع الإشكال بطابعه، عنده تجارب كثيرة بأية مشكلة بين العشائر، لم يكن يشعر أحد بأن الإمام كان ضده، على الرغم من أن كثيرين حاولوا أن يستثمروا السيد موسى لعلاقاتهم"[(١)].

يتابع السيد دندش: "حاول الإمام حصر الثأر بالقاتل، لكن حدثت تجاوزات، الحالة العشائرية، إذا لم يرافقها عناية باستمرار من المسؤولين والدولة في فرض القوانين، لا تستقيم الامور، وكان للإمام تأثير كبير، في هذه الأمور على العشائر الشيعية".

١- السيد حسن مصطفى دندش، مقابلة مسجلة للباحث معه.

وكإجراء فعلي عملي، سعى الإمام في ظل التقاتل العشائري والعائلي في منطقة بعلبك الهرمل لتسوية الأوضاع، والاستفادة من الطاقات الايجابية لتلك العائلات والعشائر، فعقد اجتماعات تمهيدية عديدة مع فعاليات عائلية فاعلة عديدة، فارتاح المجتمع من توترات كانت تؤثر على فكرة العيش والعمل وحرية التنقل.

ومن أبرز تلك المحطات السياسية، كانت مهرجانات ثلاثة متتالية، مهرجان بدنايل، مهرجان بعلبك، مهرجان صور، تم فيها عرض عضلات عسكرية مهمة، وكانت الرسالة الأولى والثانية في منطقة البقاع، لما للسلاح علاقة بالمجتمع تاريخياً.

مقدمات الاصطدام

لم يكن الإمام الصدر في تطور موقفه مفاجئاً للسلطة أولاً ولأنصاره ثانياً، فقد تدرج في تثبيت أدبياته الغزيرة، والتي تكاد تكون يومية، بل أكثر من ذلك، فقد كانت مواقف متطورة في اليوم نفسه فبعد الظهر كان في مكان يتكلم، وفي المساء في مكان آخر، لكنه لم يكن مفاجئاً للجميع، بل كان يتدرج حفاظاً على المجتمع اللبناني أولاً والذي تعاطف مع طروحاته بنسبة جيدة، فكان خطابه لهؤلاء يحمل نظام الجرعات، وكذلك فعل مع أنصاره، كان يريدهم التقدم خطوة، خطوة، لأخذ الحقوق من غاصبيها، السلطة وأعوانها من المسؤولين.

فمنذ بداية عام ١٩٧٤ كان الإمام يستعد لنقله فعلية نوعية في تحركه، وكان ينقل معه الجماهير خطوة خطوة، كان يريد أن يرسخ في أذهانهم أسباب الانتفاضة وتوقيعها، وكان يهيئ للاصطدام بالسلطة بالقوة، وكان يعد تلك القوة ويجمعها من أكثر من مكان.

فمن فهمه العميق لبنية السلطة، أدرك أن المشكلة الأساسية تكمن في رئاسة الجمهورية، وفي تاريخها الدموي البعيد تحديداً، فقد أدرك أن المخاطب يجب أن يخاطب بأسلوب يتقنه، ويتفهمه، والمانع الآخر كان في دور رئاسة المجلس النيابي وممثله الرئيس كامل الأسعد الذي كان يكن للإمام وللمجلس العداء الواضح، وعلى أكثر من صعيد، وبرز ذلك في الإعلام والسياسة، فكان خبيراً في توجيه المعركة مع الطرفين معاً، رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس النواب، كل ذلك بالإتكال على الله والنبي وأهل البيت

والتراث العاشورائي، الهائل التأثير من جهة، وفي حياة المعاصرين من الجهة الأخرى.

إذاً عام ١٩٧٤ كان عام الاصطدام، لكن بأسلوب الإمام - ولتوضح الأمر، هناك عدة مواقف أتت متتابعة وبكثافة وشمولية، ذلك يعني أن الإمام قد استعمل العدة كاملة في المواجهة، على الرغم من تلك الفترة، وكانت الرئاسة الأولى والثانية تفعل فعلها في إبعاد الناس عن المجلس الشيعي، وقد عرفت بعض النجاح، فقلّت الوفود القاصدة المجلس، وترددت الشخصيات السياسية في الصعود إلى المجلس، بسبب حرب حقيقية كانت تشّن على أنصار الإمام، حرب وظيفية، خدماتية، متنوعة، لكن الإمام لم ينتظر في المجلس الوفود والشخصيات، بل قصد الجماهير في بيوتها وساحاتها وحسينياتها ومدارسها وكنائسها.

يبدأ الإمام من الأصل يقول: "إن الدين يعتبر أبناء المجتمع الذي يموت فيه الفقير قتلى، فتحملوا مسؤولياتكم". إنها صفعة قوية لأبناء مجتمع يعيشون أقصى حالات الفردية والشخصانية، ليس لها علاقة بأقرب الناس لهم، صفعة ليقول للمتفرّج أنت مسؤول مسؤولية مباشرة.

ويردف، "لقد بقيت هناك أمامنا طريقة وحيدة هي طريقة الضغط"[١] ويهدد بطريقة مختلفة عندما يقول: "لا ننسَ أن نصف الجنوب في بيروت، ونصف البقاع في بيروت، ولا ننسَ أن العاصمة محاطة بالجنوبيين والبقاعيين"[٢].

ويشرح نظام الإمتيازات حتى في الأمور البديهية يقول: "يمكن ملاحظة نوع العقلية، التي تسود الحكم وتوجهه في صورة بسيطة أعطيها، من الشارع الممتد من الحازمية، حتى مستديرة المطار، إذ إن أضواء الفلوريسانت موجودة وسط هذا الشارع، باستثناء الجزء، الذي يمر في منطقة الغبيري"[٣].

١- المحرر البيروتية ١٠-١-١٩٧٦.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

ويضيف في موضوع الامتيازات والفوارق، يقول: "لا يعقل ان يكون متر الأرض في بيروت بعشرة آلاف ليرة، وعشرة آلاف متر في مكان آخر بليرة"[١].

وعن المجلس الشيعي ومجدداً يركز بقوله: "لقد شارك المجلس في كثير من المؤتمرات واللقاءات، التي عقدت هنا، ولا سيما في البلاد العربية، وأوضح كثيراً من الشكوك، التي كانت تحيط بنا، من خلال التاريخ القاسي الصعب"[٢]. وكان يقصد التجني العقائدي والفكري على الشيعة.

ويعود للمجلس الشيعي الإدارة التي اعتبر الإمام وجماهيره بأن الحل سيكون عبره، يقول: "ونتيجة تصادم في آراء النواب عند طرح قانون المجلس، فقد تجمدت صلاحيات المجلس مدة أربع سنوات من عمره"[٣].

ويوضح أكثر فيحدد الجهة المعرقلة بوضوح يقول: "تحول مجلس الجنوب إلى مكتب سياسي، ولمصالح انتخابية، لذا تحوّل إلى وسيلة مهدىء أو مسكّن وكعازل يمنع نقمة الجنوبيين"[٤].

ويعود الإمام إلى البعد الوطني من الأزمة، وبحرقة يقول وبسخرية: "إن لبنان يشترك في الحرب بجنوبه فقط، لأن الجنوب هو الذي يضحي ويعاني ويتحمل، بينما المناطق الأخرى تتفرّج على ما يجري، أسوة بما يفعله المسؤولون"[٥].

يقترب أكثر ويلعب على الوتر الحساس "سنضع نهاية لهذه المأساة، لنجعل أولادنا لا يفكرون بأنهم من الدرجة الثانية او الثالثة في هذا البلد"[٦].

١- مجلد ٤- ص ١٨٢.
٢- المصدر نفسه ص ١٨٦.
٣- المصدر نفسه
٤- مجلد رقم ٤ ص ١٥٢.
٥- مجلد رقم ٤ ص ١٥٦.
٦- الحياة البيروتية مجلد ٤ ص ١٥٧.

ويفضح الدجل السياسي بعبارة، يقول: "عندما يقال إن لبنان يشارك في المعركة، المصيرية ضد إسرائيل يعني يشارك بنا، وليس بمدينة بيروت، ويشارك بحداثا وميس الجبل وشبعا والخيام"[١].

وكان في بعض المرات، يتطرق الإمام للموضوع الشخصي، فكما روى عن أحد اللقاءات مع رئيس الجمهورية سليمان فرنجية، فقد سأله الرئيس من أين أتيت بكلمة الإمام، فأنتم الشيعة لديكم اثني عشر إماماً فقط، فرد الإمام بتهذيب، حتى في هذه الأمور دفعك لتتكلم بها "يقصد الرئيس الأسعد" وفي هذا الجواب يقصد الإمام الاختصار لأن الرئيس لا يمكنه استيعاب شروحات عقائدية معقدة حول الفكر العقائدي الشيعي الإسلامي.

ويورد الإمام كلاماً عن أحد المسؤولين الكبار، لم يسمه للإعلام، يقول ذلك المسؤول: "أعطوا للشيعة حقوقهم، بيبطلوا يكونوا شيعة، ونتخلص من بكائهم" وفي هذا الكلام قمة الازدراء والاحتقار للأشخاص والعقيدة معاً، واستخفاف هائل بالعقيدة وقد سيتها.

لا يبتعد الإمام الصدر عن الحسين عليه السلام والحديث عن كربلاء إلا ليعود إليهما، فالموضوع هو حجر الأساس في البناء يقول: "حاول الحسين أن يجنّد طاقاته كافة فوضع في الميزان وجوده، ولسانه، وفكره، وأهل بيته، رجالاً ونساءً وكل ما يملك، وضعهم في كفة الميزان وكوّن بذلك طاقة كبرى، فجرّت بني أمية وقصورهم وأمراءهم وحكامهم ووسائل إعلامهم وخطباءهم، كل ما يملكون"[٢].

ومن الطبيعي بعد كل تلك المقدمات الفكرية والسياسية والاجتماعية، أن يصل إلى الموضوع الحساس، والأساس والذي أثار الكثير من النقد وهو السلاح، إن شكل الإمام ووسامته، حديثه الحلو الهادئ، يظهر للمراقب أنه يتناقض مع كلمة

١- مجلد رقم ٤ ص ١٥٨.

٢- مجلد رقم ٤- ص ١٦٦.

السلاح، لكن للإمام مفهوم محدد للسلاح، يقول: "إن اقتناء السلاح والتدريب عليه هما اليوم واجبات كاقتناء القرآن بوجه الخطر الصهيوني، فالسلاح هو ضد المعتدي وليس للاعتداء"[١].

لقد حدد وجهة السلاح - الخطر الصهيوني الدائم منذ عام ١٩٤٨ حتى تاريخ قوله ذلك، وسيبقى حتى زوال الإحتلال، لذا وظيفة هذا السلاح والتدريب طويلة جداً، قد تأخذ العمر أو عمرين، وثلاثة كل ذلك يعتمد على مدى الاستعداد واستعداد الآخر العربي، الذي وقع عليه الإعتداء، لكن الإمام يضيف، السلاح ضد المعتدي وليس للاعتداء، وهذه فلسفة أخلاقية لاستعمال السلاح فهو مطلوب في حالة الاعتداء وليس للاعتداء.

إنه يتقدم للوصول إلى النقطة الأثيرة لديه، لقد قال منذ وطئ هذه البلاد أنه آت ليزيل الغبار عن العلم والعلماء، فيشير إلى الجانب المضيء في التاريخ، يقول: "أرجو أن نكون إلى جانب الفترات التاريخية المشرّقة التي مرّت على أبناء هذه الطائفة، والتي سمي أبناؤها على أثرها "الروافض والمخالفين""[٢].

ولا يحصر الموضوع في الطائفة الشيعية في لبنان وتعرضها للمخاطر، فيوسع الدائرة، كي تصل إلى حدود الدول العربية، إذ يقول: "وأمام المحنة الإسرائيلية أن نشعر بالترابط العميق بين مصالح لبنان الوطنية وبين المصلحة العربية في المنطقة"[٣].

ويعود الإمام إلى لبنان، عودة الضرورة إلى الجرح النازف، يقول: "لا أريد ولا نريد لبنان عاجزاً ينتظر الضربات لكي يتجنبها، ويتوقع المشاكل لكي يعالجها، لبنان مهزوزاً، نريد لبنان مبادرةً وقائداً"[٤].

١- مجلد رقم ٤- ص ١٨٧.
٢- مجلد رقم ٤- ص ١٨٨.
٣- مجلد رقم ٤- ص ١٩٠.
٤- مجلد رقم ٤- ص ١٩٧.

مهرجان بدنايل ١٧-٢-١٩٧٤

جهزّ الإمام الصدر وأعوانه ما يقرب من شهرين ونصف كي يقدم أول مهرجان نموذج مختلف عن السابق، اختار البقاع لما لأهله من علاقة وثيقة مع السلاح، تاريخياً يكاد لا يوجد منزل دون قطعة سلاح، أو أكثر، نظراً لعدد الأنفس الساكنة في المنزل، والناس في نوعيتها الفورية والغضبية أقرب للاشتعال من مجتمعات أخرى، الجنوب مثلاً، لقد قال الإمام للبقاعيين الذين استقبلوه في بعلبك، قال لهم: "انتم البقاعيون، سند لإخوانكم أهل الجنوب".

كانت المناسبة، وفاة الإمام زين العابدين بن الحسين (ع). ومن المعروف أنه الإمام السّجاد، ولكثرة سجوده وتعبده، وقد اختص بالأدعية فهو صاحب "الصحيفة السجادية" وقد كان حفظ الإسلام والعقيدة زمنه يتطلب ذلك النوع من العبادة لكن في بدنايل اختلف الأمر.

استقبل الإمام الصدر، عند مدخل البلدة، الطريق العام الرئيسية التي تصل إلى بعلبك. استقبل من قبل الجماهير المحتشدة بإطلاق آلاف العيارات النارية من مختلف الأسلحة، ومن المعروف أن الخط العام الاجتماعي في بدنايل كان الخط الوطني، وكان "فرع الشعبة الثانية" ضعيفاً نسبياً، فعائلة حيدر- سليمان الأساسية عائلة مكتفية، ولا تحتاج إلى رشوة من السلطة، والعائلات الباقية عائلات صادقة جريئة، يميل وضع بعضها إلى التواضع الاقتصادي لكن جميع أهل بدنايل كانوا في الإستقبال والتحق بالمهرجان أبناء قرى قريبة مثل قصرنبا - تمنين التحتا والفوقا، وبيت شاما، وصولاً حتى شمسطار وطاريا. ثم واكبته بشكل تظاهرة مسلحة إلى

النادي الحسيني في البلدة، وهتفت الجماهير "ثوار من ورائك يا إمام" وبالروح والدم نفديك يا إمام.

وعلا صوت أزيز الرصاص بدأ الإمام الصدر خطابه، عن موقعة كربلاء. بدأ الإمام بالكلام: "بعد اليوم لن نشكي ولن نبكي" وفي هذه البداية إلى أسلوب المطالبة بالحقوق السابقة، التي تختصر بالشكوى والبكوة، ويعود إلى الموضوع الإثير لديه، يقولون اسمنا المتاولة، اسمنا ليس المتاولة نحن اسمنا الرافضون المخالفون الثائرون، الخارجون على كل طغيان، الواقفون في وجه كل طغيان من أي جهة أتى، ولو دفعنا ثمن ذلك دمنا وحياتنا[١].

لقد بدأ الإمام يقرّب الوضع لأذهان العامة، ويقارن بواقعة كربلاء، يقول، "لقد وقف الحسينعليه السلام ومعه سبعون شخصاً في وجه الأعداء الكثيرين آنذاك، أما اليوم فنحن أكثر من سبعين وعدونا أقل من ربع العالم"[٢].

ويدخل في تفاصيل أكثر حدّة: "أسطوانة البكاء تزيد هذه الغيمة، لا نريد أن نعيد تاريخ الأتراك ولا الفرنسيين الذين تحكموا ببلادنا، نحن نريد أن نعيد تاريخنا المجيد، تاريخ علي والحسين، تصفيق حاد وزخات من الرصاص"[٣].

ومن الواضح أن ثمة معمرين، كانوا ما يزالون على قيد الحياة في أثناء نهاية العهد التركي، وعهد الاحتلال الفرنسي، وما زالوا على قيد الحياة ويدركون معنى هذا الكلام بوضوح، لقد اشترك بعض المواطنين في الثورة ضد فرنسا، وكانوا الطفّار في المناطق، وخصوصاً جرد بريتال وبعلبك واللبّوة والهرمل وراشيا وزحله وبعض المدن والقرى الأخرى.

يدخل الإمام في أبرز بنود لوائح حقوق المحرومين مباشرة، "خمسون ألفاً من

١- مهرجان بدنايل، النهار ١٧-٢-١٩٧٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

أبناء الجنوب من اللبنانيين ولا يحملون هويات نتيجة للظروف القاسية"[1]. ويزيد "الحرمان أن يولد الشيعي مصنفاً، له وظائف خاصة ومدارس خاصة لا يحق له أن ينظر إلى السادة"[2].

إن هذا الكلام قاس بكل المقاييس، إنه وصف لواقع يدفع الإمام بكل قوته لتغييره، يدخل في روع المستمعين الغاضبين تصنيف الدولة لهم تصنيفاً حقيراً"[3].

ويتابع: "أنظروا إلى وظائف السلك الخارجي، لا يوجد مركز واحد مرموق يشغله واحد من طائفتنا في وزارة الخارجية، إنه يركزّ على هامشية الوجود الشيعي في مجال السلك الدبلوماسي، فهذا المجال معقود لسفراء من الطائفة المارونية الممتازة، ومن تختاره من البيوت السياسية من الطوائف الأخرى، وهذا مثل عندما عين النائب علي عرب في موقع وزير الخارجية، فكانت أن سقطت الحكومة بهذا السبب. فتشوا في أوروبا وفي أميركا، وفي اليابان، وفي الدول المتقدمة ليس هناك سفير شيعي واحد[4].

وحول تدخله الإيجابي لمنع الفتنة في لبنان بين السلطة والفلسطينيين، وهو الموضوع الأثير لديه، يقول: "ما زالت حادثة دخولي تحت النيران في فتنة أيار ونيسان ١٩٧٣ في ذاكرة الكثيرين"[5]. وهذه النقطة فتأكيد الفلسطينيين والقضية الفلسطينية ومحاولة منع الفتنة، ويذكر أن مخيم برج البراجنة قد قصفته الطائرات الحربية، وكل ذلك كان في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

ويعود ليؤكد بأنه ماض فيما قرره مع المخلصين من أتباعه أو الذين ساروا معه، يقول، "لن أسكت بعد الآن، ولو سكتم أنتم أنا لن أسكت، عند ذلك علا

١- مهرجان بدنايل ١٧-٢-١٩٧٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

٤-

٥-

صوت الرصاص والتصفيق، وقال هذا الكلام لأن السلطة كانت تشيّع بأن تحرك الإمام هناك سقف له سوف يصطدم به، فيقف تحركه، وكانت ألسنة السلطة وبعض السياسين تشيّع ذلك الموضوع إثر كل تحرك للإمام، فكان لا بد من ذكر ذلك مع ما بقي هذا الكلام التحدي، الذي يمارسه الإمام، إنه يثير في الجماهير حسّ المسؤولية والرجولة، والوقوف عند الكلام، وعدم التراجع عنه. ويضيف: "نحن نريد لبنان شريفاً كريماً، أما الذي يريد إعادة لبنان إلى زمن الإقطاع والمماليك، فنحن له بالمرصاد"[1]. وكان يقصد رئاسة الجمهورية، ومجلس النواب. وينهي بعبارته: "نرفض جنوب أفريقيا ثانية"[2].

ويعود ليذكر بما يقوم به من خير: "عندما أصابت اليمونة عاصفة ثلجية، كنت أغرق إلى ظهري بالثلوج، فكنت أول الداخلين إليها"[3]. وكانت الحادثة قد جرت عام ١٩٦٨، أتت عاصفة ثلجية واقتعلت منزلين وردمتهما فوق النائمين من سكانهما. فمات كثير من الناس لكن الإمام قصد بعلبك، ومن بعلبك قصد اليمونة برفقة أحد الوجهاء الشيخ محمد علي اليحفوفي وابنه ابراهيم حيث وصلوا إلى دير الأحمر وكان الثلج كثيفاً وقطعت طريق السيارات، ولم تفتح بالجرافات، فما كان من الإمام إلا وتابع سيره مع رفاقه فوق الثلج حتى وصل اليمونة في مسافة تقترب من سبعة كيلومترات، وكان استقبال آل شريف له استقبالاً هستيرياً فاطلقوا الرصاص وغمروه بالمحبة والاحترام، وقد وثقّت الحادثة من قبل السيد ابراهيم اليحفوفي، إذ كان والده الشيخ قد توفاه الأجل، ومن الجهة الأخرى وثقت الحادثة من شقيق الذي قضى في الحادثة السيد حسين عباس شريف. والجدير ذكره عندما ذكرت تلك الحادثة للإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين قال بعد تفكرّ وبإعجاب هذا موسى الصدر؟.

١- احتفال بدنايل ٢٧-٢-١٩٧٢.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

ورداً على الاتهامات، التي كانت تطلقها السلطة هذه فقال: "سمّونا يا حكام ما شئتم، يساراً أم يميناً، نحن علّمنا علي والحسين أن نكون هكذا"[١].

ويضيف نقطة تهم جماهير المحرومين القاطنين الضواحي وخصوصاً برج البراجنة يقول: "بالأمس قصفت طائرات السلطة منطقة الرمل في برج البراجنة وقتل شاب في المنطقة كان يدرس إلى طاولته وحتى الآن لم تعط الحكومة رخصة لإعادة بناء البيت"[٢].

إن كلام الإمام على هذا الموضوع الرئيسي نسبة لسكان برج البراجنة، منطقة الرمل حيث تتداخل منازل البقاعيين والجنوبيين مع منطقة المخيم، وخصوصاً في موضوع "البناء في أملاك الغير" وهي منطقة أصلاً ملك مشاع لبلدية برج البراجنة، وزعت على شخصيات أيام حكم الرئيس كميل شمعون، أعطيت لشخصيات كانت في الحكم، وأن سندات التمليك التي حازوا عليها ليس هناك من اسم للبائع، لا يرى إلا اسم الشاري فقط؟ تم ذلك في فضيحة عقارية كلف بها القاضي محمود البقاعي.

ويضيف الإمام: "يجب ألا يشعر الشيعي بعد اليوم بأنه مصنف من الدرجة الثانية" واسمحوا لي بالقول إن عاشوراء لسنا بعيدين عنها، يجب أن نعيد عاشوراء، أنا والحمد لله لا أخاف، قد لا أكون بطلاً كالحسين، ولكنني جندي متطوع في هذه المسيرة"[٣]. فعندما يقول الإمام أنه لا يخاف من ذلك، يعني أنه يقول للجماهير عليكم أنتم ألا تخافوا". ويضيف: "لا نسمح للحكام بأن يركبوا الشيعة من بيروت، ويعملوا عليهم نواباً في البقاع"[٤]. وفي هذا إشارة إلى نجاح السيد تقي الدين

١- احتفال بدنايل ٢٧-٢-١٩٧٢.

٢- المصدر نفسه.

٣- مجلد رقم ٤، ص ٢٠٢.

٤- مجلد رقم ٤، ص ٢٠١.

الصلح ب ١٧ ألف صوت بقاعي على الرغم من أنه لا يعرفه أحد ممن انتخبوه. إذ أنجحته الشعبة الثانية.

ويوجه خطابه للأجيال الصاعدة: "إذا لم تتحقق مطالبنا، سنعمد إلى انتزاعها، والحق يؤخذ ولا يعطى في هذا البلد".

ويختم، الكلمة التي أقولها إننا نريد تغيير هذا الفصل المخزي، ويختم، أخيراً أنقل إليكم تحيات وعواطف من أخوانكم في الجنوب الصامد، كانت نقطة مركزية في تحركه، ربط الجنوب بالبقاع، نفسياً، شعورياً، عقلياً، حركياً، وطنياً، إقليمياً ولا يترك النقطة الوطنية في تحركه، "وتأكدوا أن جميع الأخوة اللبنانيين والشرفاء في هذا البلد، يؤيدون حقوقكم ومطالبكم". وهذه عبارة ضرورية كي لا يشعر الشيعي بتحركه الطائفي الصرف.

كان احتفال بدنايل، بمثابة رسالة رصاصية وجهت للسلطة، وسلّمت الجماهير المبادرة بإشراف الإمام، وكانت "البروفة" لمهرجان بعلبك، حيث كانت السلطة غائبة عن السمع والنطق والفعل. لكن لم تكن مفاجئة أيضاً بل مهد لها الإمام بخطوات تصعيدية، مختلفة.

بين مهرجان بدنايل ومهرجان بعلبك ما يقرب من الشهر تماماً، عمل الإمام على تأكيد تحركه وتقدمه وكان تركيزه على النقاط الاجتماعية الإنمائية التي تهم الناس والمواطنين دون طائفتهم، كان هدفه اطمئنان الفئات الأخرى لمطالب الطائفة الشيعية، وعدم تخوفهم والاستمرار بنهجه، الذي أصبح محفوظاً عن ظهر قلب، لمن كان يتابعه في تحركاته وخطاباته، فقد باتت مفرداته متداولة، أذكر عام ١٩٧٥ أن التقيت مع مجموعة من شباب الشيخ قبلان عيسى الخوري، في عيناتا - البقاع. لقد تكلمت من جملة من تكلموا من الشباب الموجودين، ولم أذكر كلمة الإمام الصدر على لساني لكن قلت اللغة السياسية التي يتكلم فيها، وعندما بادر الشيخ للرد على كلام الحضور توجه لي بالكلام كأحد مؤيدي الإمام الصدر، وحركة المحرومين.

مسألة بناء المدارس كانت واحدة من مفرداته السياسية الإنمائية، يقول قالوا سجلوا أراضيكم باسم وزارة التربية حتى نبني مدارس، وقمنا بالتسجيل وماذا حصل؟.. كان المشروع لخمس سنوات ينتهي في ١٩٧٠ كان المطلوب أن يبنى في الجنوب ٨٦ مدرسة، نعم بني نصف مدرسة في القليعة - مرجعيون؟[١].

وفي قرية جبشيت، وكانت قرية مؤثرة في منطقة الجنوب، قال في خطاب له في حسينيتها - عبارة بالغة الأهمية والخطورة والتحريض، قال: "إنهم يعتبرون الناس حشرات، يعتبرونهم حيوانات، ويطلبون منا الدعم والتأييد"؟[٢].

ويتابع: "هل تعرفوا أو تصدقوا أن ليس لمشروع الليطاني خرائط، والله ما في خرائط كله كذب وتضليل"[٣].

وبالنسبة إلى تصرف المسؤولين نحونا فإننا لسنا الحائط الواطي، وآخر من يرضى ليس في هذه المعركة حل وسط، ليس هناك متفرّج، هذه المعركة، معركة الحق والباطل، وكل من يسكت يكون كالذين خذلوا الحسين وعلي"[٤].

وحول الأمور المطلبية يبحث أمور بناء مستشفى يقول: "أتانا عرض روسي جيد، وعدت إيران بتمويل المشروع، ونظراً لظروف سياسية امتنعت إيران عن التنفيذ، وإن لم يكن هناك من تبرعات، فسأنقل سجادتي ومكتبي إلى أرض بئر حسن، وهناك أجلس وأصلي وأجمع التبرعات"[٥].

وحول العلاقة مع الأسعد فقد كان لها حيزٌ: "أنا اعتبر نفسي طالب حق، رأي إنسان يقف في وجه الحق أو يحاول ظلم الناس أحاول أن أتجنبه قدر المستطاع،

١- مجلد رقم ٤، ص ٣٠٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه.

٥- مجلد رقم ٤ ، ص ٣١١.

فإذا اعتبر نفسه خصماً، فهو حر، لكنني لا أحمل أي حقد بالنسبة إلى الرئيس الأسعد أو غيره من زعماء الشيعة"[1].

وحول الموضوع الفلسطيني، يقول: "أنا أدعو المسؤولين أن لا يتخذوا أية خطوة إلا بالتعاون الكامل مع الأخوة الفلسطينين"[2].

ومن خصوصية الإمام أن له في كل مقام مقال، ففي محاضرة في دير المخلص الشوف في ٣-٣-١٩٧٤ موضوعها "الجنوب منطقة من لبنان".

فمن العنوان المحاضرة يفهم الفرد بأن السلطة تتعاطى مع الجنوب كأنه ليس من لبنان، على صعيد الإنماء أو منطقة تابعة للإحتلال الإسرائيلي مثلاُ، حيث طائراته تملأ سماءه وقصفه يطاول كل القرى والدساكر.

في هذه المحاضرة تكلم عن مجد فينيقيا، وتصدير الحرف وتحضير الأطراف الأخرى من البحر المتوسط، وتكلم عن بطليموس مؤسس الرياضيات، وهو الكتاب الأكثر انتشاراً بعد الكتب المقدسة، وتكلم عن المسيح، الذي بارك لبنان عبر جنوبه، فحضر إلى صور، وتحدث عن شواطئها ومر على قانا الجليل وعرس قانا الجليل"[3].

ينتقل الإمام ليحاضر ويصلي في العديسة، يقول: "شعرت وأنا أحاضر في مسجد العديسة أن العدو يسمعني، وأنني في بيت بلا سقف، المؤمن لا يشعر بأنه محمي في الجنوب، يتعرض في ليله ونهاره للاعتداء الإسرائيلي.

ويعطي لمحة تاريخية، عما عمل العدو وعما قمنا به نحن "السلطة والمجتمع معاً".

١- مجلد رقم ٤، ص ٢١٢

٢- المصدر نفسه.

٣- النهار ٤-٣-١٩٧٤.

منذ ١٩٤٨ أقام الأعداء "الكيبوتز" على حدود لبنان، محميات، فماذا أقمنا نحن، إن قوة قليلة جداً تتمكن من الوقوف في وجه قوة كبيرة، لكن الأمن يستعمل في التنكيل بالناس، وبالمناسبة حمل شركة الريجي مسؤولية احتكار التبغ، واستغلال المزارع، وخاطب المسؤولين: "نريد خيراً لكم ونشفق عليكم، أسلوبكم هذا حفر للقبور، فنحن صوتنا صوت الضمير، فمن لا يسمع، علينا أن نسمعه بالقوة.

وحول علاقته مع قوى اليسار، يقول: "أنا لست ممن يصنفون الناس بين اليسار واليمين والخط المستقيم، أنا أوجه ندائي للمساعدة إلى جميع الفئات يمينية، أو يسارية، ولا أمتنع إطلاقاً من التعاون مع أية فئة لبنانية في سبيل تحقيق الهدف المشترك"(١).

وحول الوضع في الجنوب، يقول: "ولعلي لا أبالغ إذا قلت أن لا أثر، لسلطة في الجنوب، لا وجود لها بعد العصر. ولا خير لها في الصباح، إذ إن الدوريات موجودة وهي مختصرة في النهار، حتى الساعة الرابعة"(٢).

ويعود إلى مجلس الجنوب الذي لم يغادره: "ففي الوقت الذي صرف مجلس الجنوب حوالي ٢٥ مليون ليرة في بعض المشاريع. فقد حرم الجنوب من حصته في الموازنة العامة المخصصة للتنمية في وزارة الأشغال والموارد، والتربية، والزراعة، التي تبلغ ٩٤٨ مليون ليرة"(٣).

وينتقل الإمام من الحديث عن مجلس الجنوب إلى الحديث عن استراتيجية إسرائيل في الجنوب، يقول: "إن إسرائيل إلى جانب مطامعها التوسيعية، تهتم بمنطقة العرقوب لسببين أساسيين.

أولهما: أنها إذا تركت مرتفعات الجولان وسيطرت على العرقوب، فقد أفقدت

١- مجلد رقم ٤، ص ٢١٢.

٢- مجلد رقم ٤ ص ٢١٩.

٣- المصدر نفسه.

سوريا أهمية المرتفعات الإستراتيجية واقتربت من قلب سوريا، وتمكنت من القرب إلى معاقل سورية، حيث يسهل عليها شق الجيوش السورية.

وثانيها: أن العرقوب منابع المياه في المنطقة، ومكان الروافد الغنية، أضف إلى ذلك ما يقال مؤخراً حول مناجم ومن جملتها البترول، وقد قيل إن عروضاً دولية قدمت بهذا الخصوص"[١].

وحول الدفاع عن الجنوب يعود ليؤكد مقولة ثبتت صحتها بعد مضي ٣٢ عاماً على قوله، في مواجهات المقاومة الإسلامية عام ٢٠٠٦ ضد العدو الاسرائيلي.

يروي الإمام ما قاله له أحد رؤساء الجمهوريات في مقابلة خاصة عن "بعثة عسكرية فرنسية درست أوضاع لبنان ووضعت تقريراً يفيد أن الوضع الجغرافي في الجنوب، وفي الحدود المتاخمة، تساعد للدفاع عدة ايام إذا كانت هناك حرب، وكانت لدينا بعض الأسلحة الخفيفة والصواريخ. ويختم الإمام، أؤكد لكم أن عدم قدرة الدفاع عن الوطن هي أسطورة، أتت عن تكرار ذلك القول ولا أساس له من الصحة"[٢].

ولمزيد من الإيضاح لرؤية شاملة لما يحدث في المنطقة، يقول: "الخطة التي هي من وضع أميركي يهودي تفيد بقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وأراضي أخرى، يجعلها كحزام أمني حول إسرائيل تشمل قطاع غزة، الضفة الغربية، هضاب من الجولان، بعض سهل الحولة وجنوب لبنان، وستكون هذه المنطقة حزاماً أمنياً وحزاماً لتصريف منتوجات إسرائيل لبلدان الداخل"[٣].

ويؤكد الإمام ما كان قد أكده أكثر من مرّة أي علاقته الإيجابية مع الأحزاب الوطنية ويقول: "فأنا ألتقي مع كل الذين يعملون على إنصاف المحرومين

١- مجلد رقم ٤، ص ٢٢١.

٢- مجلد رقم ٤، ص ٣٢٣.

٣- مجلد رقم ٤، ص ٣٢٥.

والمسروقين، وينهي مبادرته بجملة أمست أبرز شعاراته المشهورة، وهذه خصوصية "سأكون ضمير هذا الشعب، وأصرخ في وجه المسؤولين أقض مضاجعهم ما دام هناك محروم أو قطعة أرض مهملة"[1].

في غضون شهر من الزمن ما بين مهرجان بدنايل وصولاً إلى مهرجان بعلبك كان الإمام قد تكلم وبوضوح في كل العناوين الإستراتيجية الداخلية والخارجية أو أهمها.

١- مجلد رقم ٤، ص ٢٢٦.

مهرجان بعلبك

إن كل من اشترك في التحضير لمهرجان بعلبك، كان في الوقت عينه يؤسس البدايات التنظيمية لحركة المحرومين وأمل، أفواج المقاومة اللبنانية. عن معرفة وقصد أم عن مصادفة، قامت ورشة في كل القرى لإنجاح المهرجان، لم يقتصر الأمر على الشباب يومذاك، قد يكون عنصر الشباب هو المحرّك الأساس لكن الناس كل الجماهير أو المواطنين كانوا في صلب التحرك، فلكل قرية قصتها في التحرّك ورموزها. لكن كانت مناطق وقرى متحمسة وجدت من يقود التحرك وأخرى كانت بنفس درجة الحماسة مع قلة تنظيم، إذا كان أغلب التحرك يتخذ طابع العفوية والحماسة للإمام وطروحاته، وتحدياً للسلطة بكل رموزها.

نهار المهرجان كانت الساحة للناس، واختفت السلطة بكل أشكالها ورموزها وعناوينها.

يروي السيد موّفق بيضون بعضاً من الصورة، ومن زاوية معينة "عملنا على تنظيم مهرجان بعلبك، بدأت العمل مع الموظفين في مزرعتي في قرية جنتا شرقي قرية النبي شيت - استأجرنا سيارة جيب وبعض السيارات والبيك آب والشاحنات الصغيرة، ذهبنا إلى بيروت واستعرنا مدفعين رشاش مضاد للطائرات على أساس التجربة، لأن لم يكن معنا المال الكافي، نزلت على عين المريسة في بيروت، واستأجرنا اثنين من الذين يجيدون ضرب الديناميت واشترينا ٣٠ كيلو ديناميت. وطلعنا على بعلبك قبل المهرجان بيوم، ويوم المهرجان انطلقنا من جنتا بموكب لا يتعدى ٧ سيارات، وصلنا إلى مشارف قرية النبي شيت، صار الشباب يطلقون النار

ويفجرون الديناميت، طلعت الناس من البيوت، وصلنا حتى ساحة النبي شيت، كان الكثير من أهاليها في انتظارنا، وكان الأخ حسين الموسوي، "أبو هشام" على رأس المتحمسين والداعين للمهرجان، وكان يحمل المكبّر للصوت ويدعو للمهرجان. مررنا حتى سرعين الفوقا، والقرية مؤلفة من عائلتي شومان وعبدالله، كان آل العبدالله على علاقة جيدة مع الرئيس فرنجية، لم يتجاوبوا الإ قلة، فوقفنا قرب الجامعة الأميركية - حوش سنيد، ركبت الناس بالترلات، طلعنا ببعض السيارات إلى الخضر، بريتال، حورتعلا، وعندما وصل موكب الإمام سرنا معه"[١].

ومن جهته السيد زكريا حمزة يروي بعض تفاصيل تلك الفترة، يقول "اجتمعنا كمجموعة، السيد حسين الموسوي "أبو هشام"، علي مسيلب، عباس طليس، عباس المنيني حسين حيدر شكر، أبو علي جعفر الموسوي، حسين عبيد، جمعنا بعض المال من بعضنا، وقمنا بتأمين الكراسي، أذكر كانت حصة كل شخص من الدفع مبلغ ٩٥ ليرة لبنانية، وكانت بقيمة نصف الراتب الشهري، استأجرنا الكراسي الناقصة في المقهى، ودفعنا إيجار بعض السيارات التي ستنقل بعض الناس، أول مرة يظهر السلاح بهذه الكثافة، من نوع الدوشكا الهاون - مدفعية ١٠٦"[٢].

يتابع السيد حمزة وقائع النهار: "توزعنا على مرجة رأس العين، لتأمين الأمن، وقمنا بتعيين مسجد رأس الحسين، قرب مرجة رأس العين، مركز انطلاق وتلاق لتبادل المعلومات لغياب الأجهزة، يومها السلاح تأمن من الأهالي، لأن طبيعة أهالي المنطقة يقتنون السلاح في منازلهم".

ومن جهة أخرى، برزت محطة أخرى إذ إن الوفود التي أتت من قرى الغرب، بدنايل، قصرنبا، شمسطار، كانت على الطريق.

قبل أن يصلوا إلى مفرق قرية بريتال، تقدم الأهالي حتى حدود قرية طليا

١- السيد موفق بيضون، مقابلة للباحث معه.

٢- السيد زكريا حمزة، مقابلة للباحث معه.

المحاذية، استقبلوا الإمام وسار مع الجماهير وكان الرصاص يلعلع في السماء وكان عنصر الشباب يرافقه ويواكبه حتى مفرق بريتال حيث أقيم سرادق للاستقبال وشرب القهوة، كان كبار القوم ينتظرون الإمام وتابعوا معه إلى بعلبك.

يقول السيد مهدي زين من قرية شمسطار: "قبل المهرجان ونهاره، تجمعنا من عدة قرى في بيت شاما وكانت الناس تحمل السلاح"[١].

وقبيل المهرجان، قبل ليلة، زار الإمام الصدر صديقه أحد ضباط الدرك السيد حبيب الأسمر، يقول الصديق الأسمر: "مرّ على منزلي في شتورا قبل المهرجان وكان حانقاً على كامل الأسعد لأنه عرقل القانون المتعلق بالمجلس.

يروي السيد حسين الموسوي "أبو هشام" ذكرياته عن ذلك النهار والفترة: "إن الجمعية الثقافية الاجتماعية في بعلبك والتي تجمع بين صفوفها الجزارّ والمدرس، والتاجر. السيد موسى لا يملك المال، كنا ندفع كل حسب قدرته لأجل إنجاح التحرّك"[٢].

يضيف السيد الموسوي: "جلسنا قبل المهرجان، وفكرنا بإنجاحه، رتّبنا الميكروفون ومولد الكهرباء لقناعتنا أن الدولة ستقطع التيار، عن مكان المهرجان، رتبنا الاحتياطات الأمنية، حاول جماعة الدولة أن يشوشوا على المهرجان، جماعة الأحزاب كذلك الفلسطينيون أيضاً. كان مع بعضهم السلاح أطلقوا الرصاص أثناء إلقاء الإمام كلمته، كان عملاً تطوعياً، كانت الناس مهيئة من خلال لقاءات السيد الكثيرة معهم، ومن خلال ارتباطهم مع المجلس وزيارة السيد لقراهم"[٣].

١- السيد مهدي زين، مقابلة للباحث معه.

٢- السيد حسين الموسوي "ابو هشام" مقابلة للباحث معه.

٣- المصدر نفسه.

وحول دور السلطة يؤكد السيد الموسوي: "كانت السلطة تستعمل أسلوب التخويف، لكن لم يوقف أحد بسبب تأييده الإمام"[1].

حملت الجماهير بعض الشعارات منها: "نعم للإمام الثائر"، "لا للمتزيفين في بؤر الخيانة"، "نعم للصمود في وجه الطغيان" "لا للاستسلام والعمالة"، "نعم لوحدة الصف والكلمة"، "نعم للنضال لا للإقطاع السياسي" والإقليمية" تعني الجنوب البقاع "لا تنتظروا الدموع في مآقينا، انتظروا السلاح بين أسناننا وأيدينا"[2].

وتعطي جريدة النهار ذلك اليوم صورة الاستقبال، كتبت: "أكثر من عشرة آلاف قطعة سلاح من مختلف الأنواع، قدرت الجماهير ب ٧٥ ألفاً بمناسبة ذكرى أربعين الحسين(ع)".

وصلت الوفود إلى مرجة رأس العين "محوربة" مطلقة الأناشيد الحماسية كل العشائر الدنادشة، الجعافرة، آل ناصر الدين، آل أمهز، آل علو، آل طليس، الحسيني، ياغي، حيدر، الرفاعي وسواهم. كذلك أتت وفود من بيروت والجنوب.

تتابع النهار: "جلس السادة النواب حسين الحسيني، ألبير منصور، صبحي ياغي، عبدالمولى أمهز، والسادة النقيب رياض طه، خطار حيدر، محمد عباس ياغي، محمد دعاس زعيتر، الشيخ سليمان يحفوفي، دندش دندش، فضل الله دندش، وأحد زعماء آل جعفر وسواهم.

يبدأ الشيخ محمد يعقوب مقدماً الإمام، وقد بات الشيخ من أبرز المقربين من الإمام بعد فترة جفاء قصيرة في البداية، حيث رافق الإمام في أغلب جولاته وتحركاته وكان له الدور الأبرز في العلاقة مع قادة الفصائل الفلسطينية، وأغلب قادة أحزاب الحركة الوطنية، فضلاً عن العلاقة مع جيش لبنان العربي وجيش

١- السيد حسين الموسوي "ابو هشام" مقابلة للباحث معه.

٢- من جريدة النهار ١٨-٣-١٩٧٤.

الطلائع، ولاحقاً مع قيادة قوات الردع العربية، التي غدت بعد فترة قوات سورية خالصة.

وقد كان يملك جرأة استثنائية "ومونة" على قادة الفصائل، وخصوصاً على أبو عمار شخصياً، إلى ذلك كان خطيباً مفوهاً، ولعل أبرز كلامه الذي غدا شعاراً من شعارات حركة المحرومين، أي "التقاء المحرومين من أرضهم، والمحرومين في ارضهم، كناية عن الفلسطينيين والشيعة في لبنان.

ومما قاله الشيخ يعقوب: "نرفض أن يكون هناك لبنانان، نريده واحداً، وحده بين مسلمين ومسيحيين وما إن أعلن الشيخ يعقوب أن الصدر سيلقي كلمته حتى أمطرت الأرض رصاصاً، ظل الرصاص ينطلق والإمام الصدر يقف على المنصّة ينتظر الهدوء، عشرون دقيقة مضت وكان الرصاص لا ينفك يتزايد، عندها بدأ الإمام قوله: "سأقول كلاماً أكثر إيلاماً من الرصاص... فاسمعوا".

يبدأ الإمام بلائحة المطالب، يبدأ بالماء، يقول: "منذ ١٣٣٥ عاماً، كانت مياه رأس العين تروي السهل وتوجد السدود واليوم ان ٤٠٪ منها تذهب هدراً وتغور في الأرض، مشروع عيون أرغش في إمكانية لإرواء ٢٧ ضيعة، لكن هذه القرى لا تستفيد بقطرة ماء، مع أن المشروع جاهز والاعتمادات مرصودة منذ ١٩٦٣، ومشروع سد العاصي- القاع - الهرمل منذ ١٩٦٣ وعاد للموضوع الأثير لديه.

أنتم يا أبناء بعلبك سند لأبناء الجنوب وحماة ظهورهم وأخوانهم في السراء والضراء، سرقوا الليطاني ٣٠٠ مليون متر مكعب، الآن يريدون سرقة ٦٠ مليون أخرى لبيروت، لماذا لا يجلبون المياه لبيروت من نهري إبراهيم وبيروت.

وفي منطقتكم في الجنوب، والشمال، آلاف المواطنين لا يسمح لهم بحمل الهوية اللبنانية"[١]. وتابع الكلام بملف المياه والمشاريع التي لا تنفذ ويصل متر

١- جريدة النهار ١٨-٣-١٩٧٤.

الأرض في بيروت إلى ١٠ آلاف ليرة، وفي بعلبك ١٠ قروش، ١٢٠٠ طفل متشرد في شوارع بيروت ١١٠٠ منهم من الشيعة، هل يقبل الحسين. في حوادث أيار بين السلطة والفلسطينيين، قصفت الرمل العالي بالصواريخ، لم يعوضوا على الضحايا حتى الآن.

ووصل إلى الموضوع الأساس، مخاطباً الناس: "أنا أطلب منكم إنشاء مخيمات للتدريب، مخيمات في البقاع والجنوب وأنا سأتدرب معكم، نريد أن نربي جيلاً يتمكن من حمل السلاح بيد والمنجل باليد الأخرى".

وأكد "هذا المهرجان هو الكلمة الفصل في موقفنا" وتابع "عمال وطلاب ومدارس وأساتذة يضربون فتهّب الدولة، وتجمع لجنة لتحاورهم، الطائفة الشيعية بعرضها وطولها ومن يساندها من اللبنانيين الشرفاء تصرخ وتستنجد من زمان ولا من مجيب، ولا من محاور، ولا من حديث جدي".

وحول دور السلطة يقول: "بدأوا يشككون، بدأ إعلامهم الرسمي يقول إن هذه الحركة وراءها دول أجنبية، قلت لهم أعطوني مطالب الطائفة وخذوا استقالتي.

وحول دور بعض العلماء الذين في صف السلطة، يقول: "أخذوا إلى جانبهم بعض العلماء، ترهيباً أو ترغيباً".

ويكمل في إصرار: "نموت ولن نتراجع عن حقوقنا، اللبنانيون لم ينسوا أيار كيف كنت انتقل من سوريا إلى شارع صبرا إلى قيادة الجيش، وأتعرض للموت في كل ساعة حتى أوفر دماء الأطفال وأخفف من الصدام، هذا الحشد هو موقف الشعب، الذي يجب أن يخضع أمامه الحكام.

وأعطى موعداً مع الجماهير في لقاءات ومهرجانات في الشمال، الجنوب، الهرمل وبيروت، وعددّ بعض الخطوات التصعيدية السلبية، وقال: "سأصوم معتكفاً في أحد المساجد" وفي لهجة عاطفية شعورية، قال: "سأبقى طول عمري جزءاً من ضمير هذا البلد، أصرّخ في وجوههم، وأقض مضاجعهم، ووصل إلى التعبير الأثير

لديه والذي أصبح من أبرز الشعارات تلك الفترة، "الساكت عن الحق شيطان أخرس".

وتوعد السلطة قائلاً ولى عهد الموالاة: "وتوجه للجماهير: "مكاني بينكم، عرشي قلبكم، قوتي يدكم، حارسي عيونكم، مشاريعي تنفذ بواسطتكم، عدوي عدوكم، يدي يدكم، لا أستبدل بكم أحداً في الدنيا". وينبه ويعظ، "سوف لن نخرج عن اتزاننا في نضالنا، خشيه انفلات الوضع.

وعاد ليؤكد "سأبقى في خدمة لبنان وخدمة الوطن، هو مش ملك أحد واحد وانتقل إلى نقطة مركزية".

أحلف بالله العظيم أن لا أساوم من أجل الرئاسة، ولا من أجل ألف رئاسة، "المجلس الشيعي، هذه أشياء تحت أقدامكم. وأنتم تحلفون ألا تخضعوا للتشكيك ولا للتضليل، لأن التضليل سيتعاظم حافظوا على وعيكم واستمروا في هذا الخط.

وأمام الجماهير وصل إلى القسم الشهير "نحلف بالله العظيم، وبالنبي الكريم، وبشرف الإنسانية، نحلف بالله العظيم أن تستمر في طريق مطالب حقوق الطائفة الشيعية. لا تراجع، لا مساومة، وسنقف مع كل مظلوم، ومع كل ضعيف هذا ميثاقنا وشرفنا ودمنا وعرقنا ومستقبل أولادنا، سنبقى على الخط، وسنوحد جهودنا وننسّق مواقعنا، إلى أن تتحقق الأهداف أو نموت شهداء. وانفجر الرصاص من كل الأسلحة ودوت أصوات القنابل(١)".

لقد كان مهرجان بعلبك كما أراده الإمام، "هو الكلمة الفصل في موقفنا". وفي الإطار التنظيمي الذي ظهر في الإعداد للمهرجان، فقد كان أولياً لكنه كان بذرة صغيرة أنبتت سنابل بعد حين.

يقول السيد زكريا حمزة: "بعد مهرجان بعلبك عقد اجتماع تقويم ما حدث

١- النهار ١٨-٣-١٩٧٤.

نهار الاحتفال فكان اتجاه المجتمعين، أن الحاجة للتنظيم أصبحت ضرورية، وأن القسم الذي قيل في المهرجان هو شكل من أشكال التنظيم"[١].

ومن الواضح أن القسم في المفهوم الديني التزام، تفصيلي وارتباط وجداني عميق، فقد نقل الإمام القسم من الأمور البسيطة اليومية المتداولة إلى الأمور الوطنية الكبيرة، فالقسم الحزبي العادي له من الإحترام والقدسية لمن يقوم به الشيء الكثير فكيف إذا ارتبط القسم بالله تعالى.

وحول المهرجانات الأساسية التي أقامها الإمام في سياق تحركه، يقول الفنان الرسام رفيق شرف، "كانت نوعاً من الاستقطاب البديل لتعزيز ثقته بالطائفة، كان يملك خطاباً واحداً لنا وللآخرين، كان هناك لغز اسمه إيران نهضوية اجتماعية، ولبنانية"[٢]،

وحول المهرجان يقول السيد محمد سعيد الخنساء، أبو سعيد: "في مهرجان بعلبك رجال السياسة في البقاع، كانوا معه، ونحن شاركنا بأشخاصنا"[٣].

أحدث المهرجان المسلّح في بعلبك تأويلات كثيرة، منها المؤيدة، ومنها الرافضة، لكن كان مقال الأستاذ غسان تويني كان الأكمل لجهة رؤية المشكلة وحجمها وفهمها بأبعادها الكلية.

وحول تقديره العالي لدور الجماهير وصمودها يقول إثر مهرجان بعلبك: "الحقيقة إن الذين اجتمعوا في بعلبك، مئة ألف، أكثر أو أقل، الناس لبّوا رغم المخاطر، وتحدّوا كل الدنيا أيام طغيان سليمان فرنجية، طغيان أزلامه في المناطق المختلفة كان يشكل مشكلة طويلة عريضة"[٤].

١- السيد ذكريا حمزة، مقابلة للباحث معه.

٢- الفنان رفيق شرف، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٣- السيد محمد سعيد الخنساء، ابو سعيد، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٤- مسيرة الإمام مجلد رقم ١٢، ص ١٠٩.

تأثيرات المهرجان

في مقال افتتاحي في "النهار" كتب رئيس تحريرها الأستاذ غسان تويني مقالاً بالغ الأهمية، جاء فيه: "إلى أين، لبنان؟

إلى أين نظامه، إلى أين الديمقراطية؟ أسئلة كان يمكن أن ينطلق المراقب في محاولة الإجابة عنها من مناقشات المجلس حول الموازنة، وقد كانت مناسبة أمام أكثر من نائب لإطلاق التحذيرات، من هنا وهناك وهنالك، واحد ليتحدث عن الانهيار، وآخر عن الإنفجار، وما بين هذا وذاك حديث متكرر عن خطر الثورة من أبعد الناس عنها.

لكن حديث المجالس شيء وشيء آخر حديث الثورة عن نفسها... خصوصاً عندما تتجلبب الثورة بالرداء الذي كان لها أمس في بعلبك - الهرمل.

إذ ماذا غير الثورة كان هناك؟

"نظام" والأسلحة مشروعة، أقوى من أسلحة النظام وأفعل؟

"ديمقراطية" والزعماء يقسمون، أمام الله والشعب، بانتزاع حقوق جماعتهم بالقوة إذا لزم الأمر؟

ان تراه نظامنا الديمقراطي لا يفهم غير هذه اللغة، يتلهى بمحاكمة الأقلام ومعاقبة حملتها، إلى ما أن يهب حملة المسدسات والبنادق والرشاشات"[١].

والمدافع نعم المدافع رافعين أصوات المطالبة بحقوقهم غير آبهين لقانون

١- مقال الاستاذ غسان تويني في جريدة النهار بتاريخ ١٨-٣-١٩٧٤.

الدولة، ساخرين منها بنسبة ما سخِرت هي منهم، يردون التحدي تحدياً، ويقيمون قبالة العنف عنفاً وأقوى؟

نعم، تلك هي الثورة، ولو لم يطلق رصاصها إلا صوب السماء، تصفيقاً لكلام إمام جعل خدمة الإنسان وحقوقه وحرياته من خدمة الله والصلاة له...

تلك هي الثورة وليس أغرب ما فيها أنها ثورة الشيعة. بل لعله من قدر الشيعة، في عصر الطوائف، ان تكون طليعة ثورة الجميع، جميع المناطق والطوائف وجميع الطبقات..

أوليس الشيعة طائفة المأساة؟

أولم ترهق المأساة حسهم، عبر العصور، فاكتسبت نفوسهم شفافية لقضية الحقوق السليبة والحريات الضائعة، كما اكتسبت عقولهم انفتاحاً على التقدم وتوقاً إليه لا يحدّ، فضلاً عن طاقة على الاحتمال: احتمال الظلم، ثم احتمال التضحيات في سبيل التخلص منه والنضال ضد أهله.

ثم إن الشيعة في لبنان أصبحت، بالتعابير الاقتصادية الاجتماعية الحديثة "بروليتاريا الأرض" الوحيدة أي الطبقة الأكثر استسلاماً في ظاهرها والأكثر ثورية في باطنها... مثلهم في مجتمع متخلف غير مصّنع بعد، مثل الطبقة التي قامت بثورة الصين، حين كان يبدو أن النظام الاجتماعي هناك مؤبد والقضايا المطروحة من النوع السياسي الوطني، الذي يفسّر الانشغال به في الطبقات الحاكمة، كظاهرة من ظواهر الترف الفكري.

والخطورة كل الخطورة في "ثورة الشيعة" هي هذا بالذات أنها تجاوزت القضايا "الوطنية" والسياسية التقليدية، قضايا لبنانية لبنان وقوميته وعروبته ودستوره ونظامه، لتتحوّل إلى ما هو أعمق جذوراً وأكثر اتصالاً بحاجات الإنسان الحياتية، إلى القضية الاجتماعية والاقتصادية، قضية الحرمان والظلم، قضية الأرض والحقيقة، الأرض التي يطلب منها الإنسان أن تطعمه فيجوع، وأن تسقيه فيعطش، ثم تطلب هي من الإنسان أن يحميها، فيعجز عن حمايتها أرضاً وبيتاً عجزه عن حماية نفسه.

وهنا يكمن سر تجاوز "ثورة الشيعة" الخطر الطائفي وتخطيها إياه.. هي ثورة طائفة ولكنها ليست ثورة طائفية، ليست ثورة طائفة على طائفة بل لعلها تصبح ثورة طائفة باسم سائر الطوائف، كذلك ومن أجلها جميعاً: ثورة الطائفة الثائرة لأنها تلك التي كانت الأكثر حرماناً... ليس همها أن تحكم، لأن الحكم للجميع، إنما همها ألا يكون الحكم ظلماً كله، ظلماً لها ولسواها.

والأن، مرة أخرى، إلى أين؟

في إطار التحليل الاقتصادي الإجتماعي الطائفي يكتسب كلام النائب "البورجوازي" الماروني، الذي تحدث في المجلس عن الثورة أبعاداً جديدة خطيرة، إن النظام اللبناني كانت قاعدته الطبقة المتوسطة، وإن هذه في طريق الزوال، لأن الأغنياء يزدادون ثروة وغنى، والفقراء يزدادون فقراً وعدداً كذلك.

حيال ذلك، ماذا تفعل الدولة؟

مثل الذي تفعله حيال... الأسلحة المرتفعة في وجهها.. وهي تقدر على مكافحة الفقر، ولا هي تقدر على مكافحة التسلح، بل لعلها تزيد في هذا وذلك، ظناً منها أن هذا قد يحميها من ذاك، فإذا بهما قد يتحدان ضدها وعلى أكثر من جبهة، في زي إجرام حيناً، وفي زي ثورة أحياناً، وأفجع ما في الأمر أن الدولة هي التي تهيء الفاجعة لنفسها، ولو جهلت وما أكثر ما تجهل...

فعنفها هو الذي يوّلد العنف ضدها.

وعسفها يحرّض على العسف بها.

أما تقاسمها والأبناء والأصهار والأحباء والخلاّن، فعالم الحكم وأسلوبه، فهو بالذات ما يجعل حلالاً أن يتهافت الناس عليها لتقاسم أشلائها غداً، عندما لا يبقى منها ومن نظامها غير الأشلاء... تفوح فوقها روائح البخور وقد عبقت، هي كذلك ككلام الحكام.

غسان تويني

مهرجان صور ـ تمهيد

لا تصل المدة الفاصلة ما بين تاريخ مهرجان بعلبك ١٧-٣-١٩٧٤ ومهرجان صور ٥-٥-١٩٧٤ إلى خمسين يوماً، لم تكن تلك الفترة فارغة، فالوحدة الزمنية الأساسية للإمام أعتقد بأنها كانت الثانية، والدقيقة وليست الأيام والأسابيع، فقد علق يوماً على كلام الإمامعليه السلام، "من تساوى يوماه فهو مغبون" بجملة من "تساوت ساعتاه فهو مغبون، خصوصاً في هذه الأيام".

بعد مهرجان بعلبك كتبت "الحوادث" المجلة البيروتية، في تاريخ ٢٢-٣-١٩٧٤ "لقد شعر زعماء منطقة بعلبك الهرمل أن القواعد الشعبية، التي يعتمدون عليها للوصول إلى المقاعد النيابية، قد أصبحت بين يدي الإمام الصدر، ولم يعد أمامهم خيار إلا أن يلحقوا بالتيار قبل أن يتجاوز زعامتهم".

وبعد أيام وفي مناسبة غذاء على شرفه أقيم في قرية صديقين - الجنوب، رداً على كلام صحف بأن الإمام يتآمر مع دولة أجنبية يمينيه، ثم مع دولة يسارية يقول: "أنا متآمر على الذين يأكلون حقوقنا، أعطونا حقوقنا حتى نسكت"[١].

وفي واحدة من تجلياته التاريخية فعلاً، يقول: "أنا معكم، إن مشيتم معي طلبتم التاريخ، وإن سكتم سكت فيكم التاريخ".

وتوجه للحضور قائلاً: "الذي يخدمكم اخدموه، والذي يدير لكم ظهره اطردوه"[٢].

١- مجلد رقم ٤- ص ٢٥١.

٢- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٢.

وقد سُئل الإمام لماذا لم يتحرك سياسياً أيام حكم الرئيس فؤاد شهاب، فقال: "أيام فؤاد شهاب كنتُ شيخاً في صور، ولم أكن رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى، في عهد شارل حلو دعونا إلى إضراب تجاوب معه كل لبنان، يومها بقيت الحكومة سبعة أشهر حتى تشكلت، والرئيس فرنجية قال: "في أول عهده أن الجنوب ابنه المريض يجب إشفاؤه واستبشرنا بالخير حتى يئسنا"[1].

والنشاط الأبرز للإمام تلك الفترة، إحتفال أقيم في المسجد العمري الكبير في صيدا القديمة، بتاريخ ٤-٤-١٩٧٤ "حيث استقبلته الجماهير بالهتافات، وزخات الرصاص من رشاشات وأسلحة ثقيلة وديناميت وكانت الدعوة من النائب معروف سعد"[2].

يوضح الإمام الإيمان بمفهومه الحركي في عبارته: "فنحن لو اكتفينا بالصلاة وتجاهلنا مشاكل الناس لما كان عندهم أعزّ منا، لكانوا حطوّنا على الرأس، يعتبروننا ديكوراً على الحيطان، لوحات فنية، إن هذه الأمور ليست من سيرة رسول الله، "ونحن من أتباع الرسول" ويعلن، وأمام الآلاف، حقيقة.

أنا بعدما أكلت كف... لكنني أنتظر، بعدما ضربت بالرصاص...

لكنني انتظر، بعدما جرحت جبهتي... لكنني أنتظر"[3].

ويصل ليقول الكلمة الأساسية والمعبّرة، والتي ستغدو من أبرز شعارات تلك الفترة، وما تلاها من أعوام.

"خذوا زينتكم عند كل مسجد، وزينة الرجال السلاح". ونحن مع هذه الزينة ومع حمل السلاح.

ومن صفات الإمام الخطابية، أنه يتكلم ثقافة بحتة، حتى مع الجماهير، وفي

١- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٢.

٢- مجلد رقم٤- ص ٢٥٣.

٣- مجلد رقم٤، ص ٢٥٤.

المهرجانات، التي تجمع الآلاف، لقد طرح في هذا المهرجان كلمة المحراب، يعني الحرب ضد الشيطان، وأتبعها الساكت عن الحق شيطان أخرس، ويقول "يريدون مسح جوخ، مش قادر أمسح جوخ"[(١)].

وبما أنه يتكلم في صيدا، عاصمة الجنوب، يعطيها الدور الريادي الأساسي، ليس هي بوابة الجنوب فقط، بل هي أبعد وأشمل. إذ يقول "نحن في قلب الجنوب، في صيدا، نريده أن يكون منيعاً، صخرة تتحطم عليها أحلام إسرائيل، وتكون نواة تحرير فلسطين، طليعة المحاربين ضد اسرائيل، الجنوب حربة ضد إسرائيل، وقاعدة لتحرير الأرض المقدسة، لا نريده هزيلاً مثل اليوم، أو في شكل دويلات، نريده جنوباً متمسكاً بلبنان، مرتبطاً بهذه الأمة، موحداً مع العرب، رأس حربة لهم، لا جنوباً هزيلاً مفصولاً، بل نريده جنوباً مانعاً سنحاول أن نتبع سيرة رسول الله في الجنوب"[(٢)].

وأهمية مهرجان صيدا أنه تكلم فيه ممثل بعثة الأزهر الخطيب المفوّه الشيخ فهيم بوعبيه، ومن أبرز ما قاله الشيخ بوعبيه: "ما عمامة السيد موسى الصدر السوداء، وعمامتي البيضاء، إلا مثل سواد العين وبياضها، ممتزج بعضها ببعض، مكمّل بعضها لبعض، كلنا أتباع محمد، لا تفرقة بين مذهب ومذهب، نحن مع السيد موسى في قوله إن المسلم لا يمكن، أن يكون ديكوراً يروق للعين، ولا يمكنه أن يبادل الآخرة بحطام الدنيا، ولا يمكنه أن يحرر الإنسان من القيود، ومن مآسيه، وتعرية الظالمين مما يستترون به"[(٣)].

وتكلم في المهرجان نفسه رئيس الأوقاف الإسلامية في صيدا، الشيخ سليم سوسان، تطرق الشيخ سوسان إلى قطع الكهرباء عن المسجد في أثناء الاحتفال.

١- مجلد رقم ٤- ث ٢٥٤.
٢- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٥.
٣- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٦.

قال: "نحن نحتفل بعيد المولد النبوي الشريف، بالكهرباء ومن دونها، لأننا نستنير بنور محمد، ونهتدي به، ونستضيء بإشراقاته لا بنور الدولة، وأصواتنا أصوات الحق، لن تصل إلى خارج المسجد فحسب، بل إنها تصل إلى السماء"[١].

وبنهاية الإحتفال قال صاحب الدعوة الزعيم الوطني، معروف سعد "إننا نؤيد خطوات الإمام الصدر، في مطالبه حتى النهاية"[٢].

وتابع الإمام تحركه فأقيم له محاضرة في نادي خريجي جامعة بيروت العربية ١١-٤-١٩٧٤ فالإمام يعطي الحضور المستوى الذين هم عليه، فمثلاً يعطي الأرقام والإحصاءات، وتكون جرعة العاطفة أقل في كلامه، يقول في تلك المحاضرة: "لقد بيع في بيروت متر مربع واحد من الأرض بخمس وعشرين ألف ليرة، ويباع بسهولة في البقاع وفي عكار متر الأرض بخمسة وعشرين قرشاً، والأراضي معروفة لمن يريد أن يشتريها، يعني التفاوت في أقل من مئة كيلومتر، مئة ألف مرة"[٣].

ويتابع الإمام في تقديم إحصاءات تساعد المثقفين أن يأخذوا دورهم في المجتمع متسلحين بالعلم عبر أرقام، يورد: "نسبة الأمية في بيروت من السكان الأصليين، نسبة العمال النازحين إلى بيروت، نسبة الأمية في بيروت هذه (١.٣٪) ومقابل ذلك نسبة الأمية في عكار (٧٦٪) وفي الهرمل (٥٣٪)، ونسبة الأمية في الجنوب، المناطق الحدودية (٣٧٪)"[٤].

وكان الإمام في خطاباته يشعر المستمع بالمسؤولية، ولا يتركه في الموقع الحيادي، يقول لنخبة الجامعات العربية، حول موضوع الحريات.

"هناك حريات الإعتداء على الخطباء، على رجال الدين، بواسطة عصابات

١- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٧.

٢- المجلد رقم ٤ ص ٢٥٧.

٣- مجلد رقم ٤ ص ٢٦٢.

٤- المصدر نفسه.

مسلحة، تغزو وتلوح أمام سمع المسؤولين، وبصرهم، وبعد ذلك يقولون لماذا يلغى قانون الطوارئ، إذا ألغينا قانون الطوارئ، من يتمكن أن يحمي العصابات المسلّحة من غضبة الناس، من غضبة أهلنا"[1].

وكان للإمام علاقة ما بالفلسفة، كان يستعملها في بعض المواضيع، وحسب مستوى الذين يتكلم معهم.

ففي بداية المحاضرة مع خريجي الجامعة العربية، يتطرق إلى كلمة عاصمة، "كلمة العاصمة، تستعمل في مواضيع، يسمى العاصم بمعنى الماء الطاهر بذاته، والمطّهر لغيره، العاصم والعاصمة، ما يحفظ نفسه ويحفظ غيره، والمدينة العاصمة، تعني المدينة التي تحفظ نفسها، وتحفظ غيرها وتعصم غيرها"[2].

يقول هذا في العاصمة وهو أكثر من يعلم بأن العاصمة لا تلتفت إلى الأطراف البعيدة، كعكار والجنوب والهرمل، بل تلتفت إلى من يسكن في الضواحي، كي لا نقول إنها تحتقرهم، بنظرتها وسلوكها معاً.

ويعود الإمام إلى الضاحية، وتحديداً إلى برج البراجنة، الضاحية التي كان لها النصيب الكبير من زيارات الإمام، وحضور احتفالاتها ومهرجاناتها، وعاشورائها وحتى في مآتمها، ها هو الإمام يحضر في حسينية البرج في الذكرى الأولى لاستشهاد الأخوين موسى ويوسف ناصر، اللذين استشهدا في العاشر من نيسان ١٩٧٣ في عملية كومندوس إسرائيلي في بيروت، ومن المعروف أن حضور تلك الاحتفالات في الحسينية، كان يجمع تقريباً كل الذين كانوا متابعين للإمام وتحركاته، وقد أصبحوا من أنصاره وأنصار خطه، وقد غدوا بأغلبهم في أصل تكوين حركة المحرومين، ولأنه في هذا المناخ يقول الكلام "الكبير" وكان الاحتفال بتاريخ ١٥-٤-١٩٧٤.

١- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٩.

٢- المصدر نفسه.

ويتابع الإمام نقده "للمسؤولين الذين كلفناهم الدفاع عنا، نائمون في فراشهم، وقاطنون في بيوتهم"[1].

يعود الإمام إلى الجنوب حيث الموضوع المركزي في كل كلامه وهمه. يقول: "لقد شاهدت يوم أمس بالذات وأنا في ميس الجبل الطائرات الإسرائيلية الأميركية الفانتوم، التي تمر من عندنا ومن أرضنا لكي تضرب إخواننا في الجولان، مرّت على فاصل مئة أو مئة وخمسين متراً، فروعت الأولاد والنساء"[2]

ويصل الإمام إلى القرار الجريء، فهو في عرينه، وبين أهله وجنوده يقول: "سوف نؤسس جيشاً في داخل هذا البلد، لكي ندافع عن اللبنانيين، ونحمي حدود لبنان ونحمي جنوب لبنان، ونحمي شواطئ لبنان، هذا هو البديل عن الكلمات، ويتابع الإمام "لا نريد ولن نرضى أن ننتظر حتى تُحتل أرضنا، وبعد ذلك نؤسس المقاومة لاستعادة الأرض المحتلة"[3].

إلى تلك الفترة الزمنية، كان الإمام لم يقل بوضوح، كان يقترب من الموضوع، كل احتفال وكل لقاء، وكل خطاب، كان يتقرّب من الموضوع، كان يقترب من القول الفصل، حتى قال: "سوف نؤسس جيشاً في داخل هذا البلد".

كان قد قطع مسافات طويلة في التحرك السياسي المطلبي، ولم يسمع المسؤولون كلامه، بقوا على وتيرتهم في التحرك ورد الفعل الميّت عمليا، لذا تقدم بوضوح أكبر لإفهام من يجب أن يفهم الأمور، إلى أي مآل ذاهبه.

وفي جملة من الجمل المؤثرة والمعبّرة، التي يقولها، واحدة قالها في ذكرى الأديب أنطوان قازان، صديقه، وهي رد غير مباشر على مقولات لبنانية حول درجة التعلق فيه. يقول "إن الوطن يتطلب منا الحب والتفاني في سبيله لا عبادته".

١- مجلد رقم ٤ ص ٢٥٩.
٢- المصدر نفسه.
٣- المصدر نفسه.

وقبل يومين من مهرجان صور، نشر الصحافي جبران حايك في لسان الحال البيروتية بتاريخ ٤-٥-١٩٧٤.

عنوان المقال "إفتحوا الحوار مع الإمام موسى الصدر".

يكتب حايك: "ماذا فعلت الدولة بمطالب الطائفة الشيعية، التي يهدد إهمالها بتعكير صفو الأمن في المستقبل القريب".

إن مجموع المشاكل والمتاعب والمصاعب، التي تعانيها الطائفة الشيعية، يفوق ما تعانيه أي طائفة أو أي مجموعة بشرية أخرى في لبنان".

ويصل الصحافي حايك إلى لبّ الموضوع، يقول: "بل إن استهتار الدولة وإهمالها وسكوتها هي التي تبرز للجانب الآخر اللجوء إلى العنف، ولماذا تتركهم الدولة، إذن يصلون إلى الطريق المسدود"[١].

وبكلام الصحافي حايك، تكون المرحلة الفاصلة بين مهرجان بعلبك ومهرجان صور قد انتهت.

إن الإجراءات الأولية البسيطة، التي مهدت لمهرجان بعلبك، عادت إلى البروز، والعمل في التهيئة العفوية، إلى جانب بعض التخطيط، ثمة فارق إجتماعي أساسي بين مجتمع الجنوب ومجتمع البقاع ألا وهو عادة اقتناء السلاح، تلك العادة تكاد تكون متأصلة في البقاع، لظروف تاريخية سياسية اجتماعية متشابكة، يكاد لا يخلو منزل في البقاع من قطعة سلاح، إن لم يكن أكثر، وقد شاعت فترة مقولة تعبّر عن عادة مجتمعيه، كان يقال بدل كم "لديك من أولاد يقال، كم لديك من البنادق".

ذلك لا يعني أن السلاح في الجنوب كان غائباً كلياً، بل على العكس، كان يقتنيه من له رخصة من السلطة باقتنائه، ذلك يعني أن الإقطاع السياسي كان يؤمن لأتباعه السلاح ورخصته معاً، بينما كانت عموم الناس محرومة من هذا الإمتياز، بل

١- مجلد رقم ٤- ص ٢٧٦.

كان رجل الإقطاع السياسي والمدعوم، يتظاهر بحمل المسدس تحت ثيابه، ويظهر في الأعراس والمناسبات الاجتماعية، بل ويستعمل كذلك. الأمر الذي جعل المهتمين بتدبير الأمور اللجوء إلى أساليب مختلفة عن تلك التي قاموا بها قبيل مهرجان بعلبك وفي موعده.

وقائع مهرجان صور
١٥ ايار ١٩٧٤

يروي السيد موّفق بيضون وقائع تحضيرات المهرجان قبيل موعده، يقول: "بعد مهرجان بعلبك، تعرفنا إلى مجموعة من أنصار الإمام، وصرنا نجتمع مع بعضنا البعض والتهيئة لمهرجان صور. طلبنا من الأخوان من عنده سلاح "كلاشن" أن يجلبه على شرط أن يستلمه في صور، مع ذخيرته، وكانت الحصيلة أن جمعنا ٢٢ قطعة سلاح، فكّرت أنا وأبو يحي "زكريا حمزة"، في كيفية نقلهم إلى صور، فتم الإتفاق على الشكل التالي، استأجرنا سيارة تشبه سيارة نائب، وزوّرنا لوحتها الزرقاء العائدة لها، وركبت في السيارة، على أنني النائب المذكور، وكانت الطريقة الوحيدة لنقلها إلى صور، وضعنا الذخيرة بسيارة سبور ثانية فيها آنسات، عندما وصلنا إلى صور، كانت قوى السلطة تقمع الناس، عندما علمت بالسلاح والذخيرة تحررت وتحركت عاطفتها، وصلنا إلى صور، وإلى المؤسسة في البرج الشمالي[(١)].

يتابع السيد بيضون الرواية: "كان للجيش ١٤ حاجزاً، ولولا سيارة "النائب" لما استطعنا الوصول، كانت معنويات الشباب ضعيفة، وعندما وصلنا وبدأنا توزيع السلاح على أصحابه البقاعيين، الذين وافونا إلى صور ووحدهم بسيارات عادية.

إثر ذلك ارتفعت المعنويات عند الجنوبيين، وكانوا يخبئون السلاح فأظهروه.

١- السيد موّفق بيضون، مقابلة مسجلة للباحث معه.

يتابع وقائع تلك الفترة دولة الرئيس نبيه بري يقول: "كان مهرجان صور المفصل الأساسي، الذي كان بينه "الإمام" وبين السلطة، تحاورنا أنا والأستاذ المحامي أحمد قبيسي مع مخابرات الجيش، حول سير الاحتفال بلا أسلحة، وتسهيل السير، وتم الاتفاق أن أقوم أنا بتعريف الإمام، والإمام يتكلم، وتتفرق الناس، ذهبت أنا أقود السيارة والإمام في المقعد الأمامي، المرافق أبو علي يونس يجلس إلى الخلف، وصلنا حتى خلده، كان صف السيارات المتوقفة أمام الحاجز على مسافة من ٤٠٠ حتى ٥٠٠ متراً، حاولت "الدوبلة" التجاوز، فلم يقبل الإمام، وعندما وصلنا ورآنا الضابط أراد أن يدعنا نمر، طلب الإمام مني أن أقف، وقال مخاطباً الضابط، "يا ابني مش هيك الاتفاق، دعوا الناس تمر"، وصلنا إلى صور، وتركت الإمام يرتاح عند إبراهيم عرب، وطلعت إلى المؤسسة، اشترينا الديناميت، وسُمعت أصوات في الليل مثل المدافع. لكن السلطة وأعوانها رشت المسامير في الطرقات، رماهم أحد الأشخاص من آل حيدر، محسوب على الرئيس كامل الأسعد، والدكتور شمران، تكفل بتنظيف الطريق من المسامير، وقدمت الإمام بالكلام العالي"[1].

ومن جهته السيد زكريا حمزة "أبو يحي" يروي من وجهته ما حدث من تحضيرات، يقول "قبل مهرجان صور أرسل الدكتور مصطفى شمران شخصاً من صور، ومن المؤسسة المهنية قائلاً إن السيد موسى يريد أن يقيم احتفالاً في صور وكان المناخ السياسي في صور معادياً للإمام، آل الأسعد، وآل الخليل وأنصار السيد كانوا خائفين، وأعتقد بأن هذا الكلام قد قيل قبل ٣٦ ساعة من موعد المهرجان، والتقينا بسرعة المجموعة، وكان معنا موفّق بيضون، وكان متحمساً للإمام، تناقشنا في وسيلة إنجاح المهرجان بأية وسيلة، وقررنا النزول إلى صور، كانت قصة السلاح ونقله وحمله عملية صعبة، خاصة في الجنوب وصور، إذ إن هناك الجيش وآل الخليل، وآل الأسعد وأنصارها، ولديهم قبضايات وكانت الناس خائفة،

١- دولة الرئيس نبيه بري، مقابلة للباحث معه.

يتابع السيد زكريا حمزة: "قررنا أن نأخذ السلاح ونذهب إلى صور وكانت الحواجز الأمنية للجيش اللبناني كثيرة.

خطرت فكرة تزوير لوحة مجلس نيابي ووضعها على سيارة فيها السلاح بطريق عادي، كمدنيين وأحضرنا سيارة مرسيدس وضعنا فيها ٢٩ كلاشن رشاش، ورشاش ٢٤-٢٩ فرنسي، واستأجرنا ٦ سيارات لنقل الشباب مدنياً، وركبت أنا إلى جانب السائق، وجلس أحدهم إلى الخلف على أساس أنه النائب وكان السائق شقيق زوجة الشيخ محمد يعقوب، الأخ محمد حيدر.

يتابع السيد حمزة وقائع تلك الليلة: "وصلنا صور عشية الاحتفال، وكان الخوف كاملاً، لا منصّة ولا كراسي، ذهبنا إلى المؤسسة، سلّمنا السلاح إلى الشباب الذين أتوا من البقاع، أوقفنا الشباب في صف واحد وأطلقوا الرصاص مجتمعين في وقت واحد، وأطلق كل واحد ٣٠ طلقة دفعة واحدة، ٣٠ رشاش أطلق ٣٠ طلقة في تلة البرج الشمالي في ملعب المؤسسة المشرفة على صور، البص، وسارت الأخبار أتوا البعلبكيين، وبدأت تتجمّع الناس، وفي غضون ساعات تجمع الألوف من الناس، أخبرنا الدكتور شمران إن لم يشعر الناس هنا بالقوة، يمكن ألا يتشجعوا بالحضور إلى المهرجان"[١].

ويورد الأستاذ زكريا حمزة بعض التفاصيل: "طلبنا من الشباب، أن يتوزعوا، كل أربعة أشخاص بسيارة وبسلاحهم، وأن يجولوا على طرقات صور ومروا من امام ثكنة صور، وعلى منطقة البص وأوصيناهم: تظهروا القوة حتى إذا اضطررتم للأذية فقوموا بها، حتى يطمئن الصديق، ويخاف العدو، ولم يحدث حادث بإذن الله، وفي الليل وضعنا المنصّة والكراسي.

وكان جماعة الدولة والأسعد قد قاموا برش المسامير ليلة المهرجان على

١- الاستاذ ذكريا حمزة، مقابلة للباحث معه.

طريق صور الدولية لإعاقة وصول المهرجان، قام الدكتور شمران بإحضار جرّار زراعي، وربط إلى خلفه قطع كبيرة من شجر السرو، ونظف الطرقات من المسامير"[1].

ويتابع السيد موفق بيضون بعض التفاصيل: "كانت هذه أول مسؤولية لي، وخرج الشباب وأقاموا حاجزاً على مفرق المؤسسة، عدت إلى بيروت وكنت متفق مع أهالي قرى النبي شيت وجنتا - يحفوفا - وقسم من سرعين، تجمعنا في بيروت، ونزلنا إلى صور في موكب واحد، في منطقة الغازية اهتموا بالمهرجان، والفئات الأخرى رمت المسامير على الطرقات لتعطيل عجلات السيارات وعرقلة الوصول إلى المهرجان"

يتابع السيد موفق بيضون: "طلب السيد موسى منا ألا يظهر السلاح في صور، خاصة أن وجود السلاح في الجنوب أقل عدداً من بعلبك - الهرمل - وجود السلاح في المنازل في البقاع ظاهرة عادية وخاصة منذ ثورة ١٩٥٨. وقد حضر من الوجهاء والنواب، آل الخليل، الذين كانوا مع المهرجان ١٠٠٪ إلى جانب عبد اللطيف الزين ومحمد صفي الدين ورفيق شاهين"[2].

ومن جهته السفير السابق خليل كاظم الخليل يؤكد أن "جماعة الأسعد يهددون ويتوعدون الراغبين في حضور المهرجان، وكانوا مسلحين وليلة المهرجان ألقوا المسامير على الطرقات، جماعة الأسعد وكان على رأسهم شخص من آل حيدر كان من القبضايات الكبار كان رئيس الزمرة، بعد ذلك تصادم مع جماعتنا في صور، وقبل المهرجان بأيام، لكننا وضعنا للإمام أقواس النصر، لأن جماعة الأسعد أزالوا بعض أقواس النصر في الليل"[3].

١- السيد ذكريا حمزة "ابو يحي" مقابلة للباحث معه.

٢- السيد موفق بيضون، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٣- السفير خليل كاظم الخليل، مقابلة للباحث معه.

ويضيف سعاده السفير الخليل، تفاصيل نهار المهرجان، يقول: "حاول جماعة الأسعد أن يمنعوا المهرجان، أرسلنا جماعتنا رافقوا السيد موسى إلى المهرجان، ودخل بيتنا قبل وصوله فترافقنا سوية، أمسك بي من جهة، وأمسك بعمي ناظم من الجهة الأخرى، ونجح المهرجان، تصدينا لأخصامه، ووقفنا مع السيد".

أما عن أجواء المهرجان، فقد كتبت جريدة "النهار"، والتي كانت تلك الفترة متابعة ومرافقة لتحركات الإمام، لأنها كانت متعاطفة مع طروحاته، وكانت من جهة أخرى على خلاف مع السلطة، تنتقد في صفحاتها، وبالمقابل ضيقت السلطة على الجريدة بسبب مواقفها، اتصلت بشركات الإعلان للضغط عليها للإبتعاد عن النشر في النهار كنوع من المحاربة الاقتصادية والسياسية، وكما أيدت "النهار" الإمام في تحركاته أيد الإمام النهار في بيان صحفي، وكان العنوان: "لن أقف متفرجاً على ذلك الضغط، الذي تتعرض له جريدة النهار خصوصاً بعدما تخلى الإعلام الرسمي عن دوره المسؤول الذي يفترض فيه أن يكون لجميع المواطنين، وقدمت هذه الجريدة خدمات كبرى إلى الجنوب المهدد، وإلى المظلومين في هذا الوطن"[١].

مقدمة "النهار" عن المهرجان المدخل المعبّر عن حجم وأهمية وخطورة المهرجان. جاء فيها: "صور المدينة التي قاومت الغزاة، عبر التاريخ، وأقفلت أبوابها في وجههم، فتحت أمس ذراعيها، وضمت إلى صدرها زحفاً بشرياً، قلما شهد لبنان مثله.

يوم أمس الأحد، كان يوماً مشهوداً، وفود شعبية من كل أقضية الجنوب، وصلت منذ الثامنة صباحاً إلى مدخل المدينة الشمالي، وفود مسلحة بالرشاشات، ونسوة يطلقن الزغاريد، ولاعبو سيف وترس، اصطفوا على جانبي الكورنيش، بين محلة البص ووسط المدينة.

١- مجلد رقم ٤- ص ٢٩٢.

كلما وصل وفد إحدى القرى، أو المدن، كان يستقبل تحت أقواس النصر، بإطلاق زخات من الرصاص متقطعة متناغمة.

وفي إحدى الباحات الرئيسية، تجمع النواب والشخصيات، النائب حسين الحسيني وصل مع عدد كبير من مؤيديه المسلحين، والنائب السابق محمد صفي الدين، حضر وأنصاره، كذلك النائب السابق معروف سعد، وحضر الأخوة الزين، عبد اللطيف، عبد المجيد، وعبد الكريم، وضجت أرجاء المدينة بالرصاص الغزير، وبأصوات انفجارات الديناميت التي كانت تلقى فوق البحر.

الوزير السابق جعفر شرف الدين استقبل أيضاً بإطلاق زخات من الرصاص، وكذلك سعيد فواز، وعلي بزي، الذي جاء مع موكب ضخم من أنصاره، وفضل الله دندش، وطعان دندش، استقبلا بالرصاص والديناميت، وكذلك آل ناصر الدين، وآل زعيتر، وسائر وفود بقاعية"[١].

وتعذر وصول السيارات إلى أبعد من منطقة البص، التي تبعد كيلومترين، عن مكان الاحتفال، وقد افترش الكثيرون الأرض تعباً.

وفي العاشرة والنصف أطل الإمام الصدر على منطقة البص آتياً من مؤسسة البر والإحسان القريبة من هناك، وقد ترجل من سيارته رافضاً أن يحملها الناس، الجميع يريد أن يلمسه، عمامته وقعت عن رأسه مراراً لم تصل إلى الأرض لأن كل من حوله كان يتهافت على التقاطها وتقبيلها...

كانت تدوي أصوات الديناميت، ويتزايد إطلاق الرصاص، والشيخ محمد يعقوب يدعو باسم الله وباسم الإمام الصدر، إلى الكف عن إطلاق النار... ولكن لم يكن هناك من يسمع...

تأخر وصول موكب الإمام، مسافة كيلومتر قطعها في ساعة ونصف الساعة،

١- جزء من مقدمة النهار، مجلد رقم ٤- ص ٢٧٧.

كلما اقترب من مكان المهرجان انضم المحتشدون إلى موكبه، وازداد إطلاق الرصاص...

وصل الإمام، وتعالت أصوات المحتشدين الذين زاد عددهم على عشرات الآلوف "الله أكبر... بالدم بالروح نفديك يا إمام".

وجلس الإمام على إحدى درجات السلّم المؤدية إلى المنصة، وحوله بعض أشقاء الوزير كاظم الخليل وأبنائه، استراح عشر دقائق ألقى خلالها المحامي نجيب جمال الدين قصيدة، ولما سمع الجميع، الإمام الصدر سيتكلم إليكم، دوّت الانفجارات وانطلق الرصاص بغزارة رهيبة"[١].

أبرز النقاط التي وردت في خطاب الإمام الصدر في المهرجان: "البداية، بعد البسملة، "أيها الأخوة المؤمنون، أيها الأخوات والأخوة أيها الأبطال، با أبناء الجنوب الصامد، يا أبناء من هاجر اليوم، وزحف إلى أرض المعركة، لكي يؤكد وقوفه مع أبناء هذه المنطقة في ساعة المحنة، ساعة المحنة مع العدو، وساعة المحنة مع ذوي القربى وظلمه أشد وآلم"[٢].

منذ البداية حدد أن الحضور هم أبطال، وحدد العدو الإسرائيلي أزلام حدد العدو الداخلي، أي الإقطاع، وكانت الذكرى ذكرى فاطمة الزهراء، التي عملت لنفسها كما قال لها أبوها النبي ﷺ"يا فاطمة! اعملي لنفسك، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً" وفي هذه النقطة مدرسة في الاتكال على النفس، والمجاهدة والمصابرة.

إذاً بلوغ فاطمة (ع) هذا الشأن الكبير، لأجل عملها وسعيها، لا لأجل أنها بنت الرسول، وهذا منطق الحق، إذ لا امتياز ولا تمييز بين البشر، كلكم لآدم وآدم من تراب" ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات (١٣).

١- من مقدمة النهار يوم مهرجان صور، مجلد رقم٤- ص ٢٧٨.

٢- من خطاب الامام في مهرجان صور، مجلد رقم ٤- ص ٢٧٩.

فالإنسان لا يمكن أن يحفظ كرامته، ولا حرمه، ولا عرضه، ولامقدساته الدينية، إلا بالعمل، وبالنهاية بالشهادة".

أولئك الذين يفكرون، بأن الوطن يحفظ بالصالونات أو بالتصريحات أو بالوعود أو بالاجتماعات في القصور، أولئك الذين يفكرون أن الحدود تحفظ بالوعود، وبالكلمات، وإن الكرامات تصان بالألقاب والاجتماعات، تكذبهم فاطمة، ويكذبهم محمد (ص)، بقوله يا فاطمة...

وعندما حاول أحدهم وضع شمسية فوق رأس الإمام لاتقاء حرارة الشمس، قال كل الناس في الشمس، أنا تحت الظل؟ مش معقول اتركوه لغيري، اتركوا الراحة للتنابل والكسالى، (نحن ما بدنا قواص يا جماعة، لأنه إسمع يا حبيب اسمع، أمس طوال الليل كان في مسامير على الطرق واعتداءات، عندما تعودون سوف يعتدون عليكم. خذوا الخراطيش للدفاع "الذخيرة"" فهمتم. لا تقوصوا وفروا الرصاص).

رفع الإمام كيس المسامير، وقال الشباب جاؤوا بها في نصف الليل، طريق الجهاد الشائك، نحن لها بإذن الله. كان هناك اعتداءات وإطلاق نار على زجاج السيارات، وكذب، وتدجيل، وتشويش، وهذا جمعكم يؤكد أنكم تحررتم من عقدة الخوف، من عقدة الإقطاع، من عقدة سيطرة الأوهام احفظوا رصاصكم إلى أن ترجعوا لقراكم، يمكن خفافيش الليل الجبناء، الذين لا يقدرون أن يبرزوا بالنهار، (شرفوا أنا بينكم، قوصوني... طولوا بالكم، ... العصابة المأجورة أجبن من أن تقوص بالنهار، الرصاص الحي حرام إطلاقه الآن، هذا يجب أن تتركه لصدر العدو، العدو الخارجي والعدو الداخلي).

وخاطب الجماهير،

ما بدنا أوصياء، ما بدنا نخاف، تحررنا رغم جميع الوسائل، وذكر بقضية شائعة الإمرأة في صور، وقال من ذلك اليوم تأسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، من ذلك اليوم فُضت مضاجع الطغاة، فراحوا يتآمرون، بشكل او بآخر.

وبدأنا المسيرة،

تحية لبنان وتحية الشيعة، إليك يا مدينة صور ومرجعيون وأبناء بنت جبيل، والنبطية والزهراني وأبناء صيدا، وجزين الذين حضروا هذا المهرجان، على الرغم من الموانع، نحنُ جميعاً إلى الجنوب الصامد، إلى أهل البقاع، أبناء بعلبك الهرمل، الذين اجتمعوا معاً قبل أربعين يوماً، يوم مهرجان بعلبك، وأقسمنا معاً، حلفنا يمين الشرف على متابعة المسير، فما وجدنا إلا التمييع.

وخاطب السلطة،

إذا لم تلبونا في المطالب، نضطر إلى ترتيب آخر، إلى إقامة مهرجان كبير في قلب العاصمة، والجواب لماذا نتحدث بصوت عنيف؟

وجاء العهد الجديد "عهد فرنجية" علقنا الآمال، وقلنا سندخل كشيعة إلى حقوقنا ومشاريعنا، سنصل كمحرومين إلى كرامتنا؟.

وذَكر بأن لبنان ذو القرنين، قرن الحزام البائس، والمناطق المحرومة، الحزام المحيط، حول بيروت، منطقة الكرنتينا، حي السلم، برج البراجنة، برج حمود، سن الفيل، النهر، الدكوانة، تل الزعتر، وجديدة المتن حزام حول بيروت، حزام الشقاء، هذا هو القرن الأول.

والقرن الثاني، حول هذا الوطن، نقول للسلطة يا جماعة، الحدود هي التي تحفظ العاصمة، وحول العاصمة هي التي تحفظ الوطن. إجعلوا هاتين المنطقتين، مناطق عامرة، لأن وطننا في خطر، جراء الانفجار بين المناطق المختلفة.

ويؤكد على أن "القضية ليست قضية طائفية، ليست قضية الشيعة، من سوء حظ هذه الطائفة، أنها تعيش غالباً في الحدود من هذه العاصمة، فإذا تجاهلتم، وإذا لم تعالجوا هذين القرنين، اللذين يجب أن يحفظاكم ويكونا سهاماً في صدور عدوكم، سينقلبان إلى قصوركم، وإلى قلوبكم وصدوركم. فكما في بعلبك لا يوجد مدرسة واحدة حكومية، وفي صور، لا يوجد بناء حكومي واحد لمدرسة حكومية.

مجلس الجنوب يبني مدرسة هنا على البص، جمدوا البناء، لماذا؟ لأن أموال مجلس الجنوب لازم تصرف في سبيل الفتك والإرهاب والإرخاء والإغراء، أموال الناس، ملايين الناس، خصصت لكي تقدم للمحرومين والمنكوبين، تعرفون، حتى الآن لم يدفعوا تعويضات البيوت المهدمة.

قلنا لهم لا تصنفوا الناس، لا تصنفوا بين الناس، لا تميزوا بين الطوائف، وذكر بالتشكيلات، وحرمان الطائفة من وظائف من كل الفئات، "حقوقنا غير واصلة".

أيها السياسيون الجبناء، مروا الجيش يدافع، يستميت، وأمام الجماهير قال المعلومة التي كان قد أوردها في إحدى مقابلاته السياسية.

يقول: لجنة عسكر فرنسية، سنة ثمانية وستين، وضعت خطة دفاعية، واعتبرت أن لبنان بإمكانه أن يدافع عن الجنوب مع وجود صواريخ، ودبابات خفيفة.

ويتساءل خطة دفاعية؟ قلنا لكم: هؤلاء المسلحون والمسلحون الآخرون اجمعوهم، خذوهم وضبّوهم في الحرس الوطني في الميليشيا الوطنية، وحدة مدربة، قلت لهم أنا الشيخ مستعد أن أروح أموت على الحدود، حتى تحفظ كرامتنا، العدوّ يتربص بنا، الأوضاع تتطور، والمنطقة على أبواب الإنفجار، هناك أخطار في المساومات العالمية على الجنوب، متى تقدمون مشروع خدمة العلم؟ لا فائدة، لا أقبل أن أكون أنا عظيم، ووطني يكون ذليلاً، لا أقبل أن تكون بيروت والشمال والبقاع قبل الجنوب أجواؤها تهتك كل يوم من الطائرات الإسرائيلية، الطائرات الإسرائيلية تخرق أجواءنا وتضرب إخواناً لنا مجاهدين في سوريا، تطعنهم في الظهر، ذل لا يمكن لأحد أن يصبر عليه، رايحه جايي ما حاربوا إسرائيل بقدر ما حاربوا هذا المهرجان، في هذين اليومين لماذا؟ لأن هذا المهرجان سوف يكشفهم، سوف يؤكد أن شعب الجنوب متحرر، لا يباع ولا يشترى.

المكتومون يا جماعة في سبع قرى لبنانية حسب الإتفاقيات، هونين وصلحا، تبريخا، قدس، مالكيه، إبل القمح، هذه القرى لبنانية، سجلاتهم ما تزال في صور،

حوالي العشرة أخذوا الجنسية والباقون؟ أبداً. فكل الذين أخذوا الجنسية دفعوا حقها.

بالبقاع مجموعة من العشائر، لبنانيون أقحاح، منذ ألف سنة وأكثر، ليس لهم هويات في وادي خالد في عكار، مجموعات كبيرة بدون هويات.

ما بدنا نخرق التوازن الطائفي في لبنان، حطوا مقابلهم من تريدون، نحن نريد بقاء لبنان.

ويورد الإمام فضائح مشروع الليطاني، قالوا خصصوا مئة وواحد وتسعين مليون ليرة من الموازنة العامة، وخلال عشر سنوات، حتى ينفذوا المشروع، أسألهم هذه المرحلة الأولى، باقي المرحلة الثانية، لا يعرفون، لأنه لا يوجد مرحلة ثانية.

وعلى لسان مسؤول رسمي يقول الليطاني لا يمكن أن ينفذ، لا جهاز، لا خريطة لا دراسة، ويورد الرقم التالي حول المياه.

في لبنان عشر مليارات متر مكعب من المياه، يستعمل منها أربعماية وخمسين مليون متر مكعب فقط.

وسنتعاون مع جميع المواطنين لكي نصّحح الوضع، بالرفق أولاً وبالقوة ثانياً. ويحدد، قوتنا في صوتنا، في ضميرنا في إخلاصنا وصفاء رؤيتنا.

وكرر مع الجماهير القسم الذي جرى في نهاية مهرجان بعلبك، وحقوق جميع المحرومين[١].

ويختم، عهد الكلام قد انتهى، اليمين "القسم" قد قطع، علينا الطريق، وقد زاد القسم على قسم بعلبك في الأدبيات مثل،

نقسم بجمال لبنان، وجباله، بجنوبه، وشرقه وشماله.

١- من خطاب مهرجان صور، مجلد رقم ٤- ص ٢٨٨.

ولخص مطالباته، نريد إنقاذ البلد من الزمرة، التي تتحكم في هذا البلد، نريد إنقاذ البلد من الذين اعتبروا الوطن مزرعة، يسرقون وينهبون، البلد يتعرض للإنفجار، فليسمعوا أو ليعوا!

وأرسل أمام الجماهير التحية للجيش السوري البطل، الذين يحاربون بكل بطولة، وتحية إلى المجاهدين، داخل الأراضي المحتلة، وفي خارج الأراضي المحتلة، تحياتنا للجنود المجهولين في صفوف جيشنا، الذين يعانون حرمانا وصعوبة بالغة، وراتباً متواضعاً، منهم لا يريدون الشر لنا، نحن نقدر ظروفهم، بإذن الله سندافع عن حقوقهم وعن كرامتهم.

لنا عدو واحد، الشيطان وجنود الشيطان، طغاة الأرض، الذين يريدون أن يتحكموا في الناس أولئك الذين حكموا لعشرات السنوات دون أن يبنوا مدرسة، أو يعمروا مسجداً، أو يضعوا حجراً في بناء أو ميتم، أولئك جنود الشيطان. وعد بإقامة مهرجان في بيروت، ويختم خلاصة أن الجنوب حر، يعبّر عن إرادته.

وفي مقابلة لجريدة الدايلي ستار البيروتية بتاريخ ٢-٦-١٩٧٤ يقول: "إن ايماني بالله واهتمامي بالمعذبين هو واحد لا يفترقان"[١].

ويورد الإمام تفسيراً لموقع الجنوب، ملفت في عمقه بقول: الجنوب هو من أهم المناطق في لبنان، لأنه الخط الفاصل بين بلد يتجاهل القانون الدولي، ويتغذى يومياً بالطائفية، وبين بلد تتمتع فيه الديانات الثلاث بالحقوق ذاتها"[٢]. وحول فكرة التدريب، واقتناء السلاح، يقول: "إذا كانت "سويسرا" بلداً محايداً، فلماذا رغم ذلك تحافظ على جيش قوي، لماذا لا يفعل لبنان ذلك.

وحول عادة "التطبير" في عاشوراء أي ضرب الجسد بالسلاسل، يقول: "أنا لا

١- مجلدر رقم ٤، ص ٣٠٣.

٢- المصدر نفسه.

اؤمن بضرب جسد أحد دون أي سبب"[١] وحول الإشاعات حوله يقول "صنفّت أولاً على أنني يميني، والآن يساري، ولا أعرف ماذا سيكون اللون في المستقبل نحن مؤيدون للشعب"[٢].

وحول عدم الاهتمام بالمطالب السكنية يقول: " الحكومة ورئيسها لا يريدان إلا هدم البلد وفساده وانهياره.

وحول معاناة الجماهير في حضورها مهرجان صور، يقول الإمام: "ليلة احتفال صور، تعرفون "قديش صار في تلفونات للرفاق، هددوهم بالموت، ١٤٠ كيلو مسامير ألقوا على الطرقات، حتى تتعطل دواليب السيارات، أذاعوا أنه سيحصل مجزرة دموية والدم سيصير للركب"[٣].

١- مجلد رقم٤، ص ٣٠٤.

٢- مجلد رقم٤، ص ٣٠٥.

٣- مجلد رقم ١٢، ص ٩٧.

معركة الانتخابات الفرعية ـ النبطية

وبتاريخ ٨-١٢-١٩٧٤، حصلت معركة طاحنة، يقول النائب عبد اللطيف الزين، كان الرئيس الأسعد قد عاد لرئاسة المجلس مع مجيء فرنجية ١٩٧٠ خاصة وأنه لم يكن بين الرئيس فرنجية والسيد موسى الصدر علاقة حميمة، وكانت مواجهة، حيث رشحّ الرئيس كامل الأسعد السيد كامل علي أحمد، ومرشح السيد موسى، ونحن معه السيد رفيق شاهين، يتابع النائب عبد اللطيف الزين:

"كان هناك مرشحون آخرون مثل سميح عسيران، عماد جابر، وانسحب عسيران قبل ساعات عديدة من بداية عملية التصويت، وبقي رفيق شاهين مرشحاً وحيداً، ضد مرشح الرئيس الأسعد، انتصر رفيق شاهين، وكانت التساؤلات كيف يخسر الرئيس الأسعد في النبطية، بوجوده في رئاسة المجلس النيابي ودعم السلطة من رئيس الجمهورية، ورئاسة مجلس الوزراء، وكان يومها الرئيس رشيد الصلح"[١].

ويتابع السيد محسن دلول في الموضوع نفسه: "عندما انتصر السيد موسى الصدر في معركة الانتخابات الفرعية - النبطية وانتصر برفيق شاهين ضد كامل علي أحمد مرشح الأسعد، يعني أن حركة شيعية تحررت من كل الماضي ومن كل الرواسب والترسبات، عندما صرت ترى الشباب الشيعي في قرى، يتكلمون في السياسة بأفق بعيد، والفضل في هذا يعود للسيد موسى الصدر". يتابع السيد دلول رأيه:

١- النائب عبد اللطيف الزين، مقابلة للباحث معه.

"تحرر الشيعي وأصبح يناقش المسيحي والدرزي والسني، في الماضي هناك انغلاق، والخوف منه كان أن يأتي ويكرّس هذا الانغلاق فإذ به ينفتح"[1].

ويضيف السفير خليل كاظم الخليل: أيدنا رفيق شاهين في المعركة، ساعدنا في تأمين الأصوات، كنّا فعلياً وراء معركته، نظمناها، وتدخلنا ووقفنا إلى جانبه"[2].

ويؤكد الرئيس حسين الحسيني: "لم نرغب أن يترشح رسمياً أحدٌ من حركة المحرومين، أيدنا رفيق شاهين، وعملنا لتأمين انسحاب سميح عسيران، خضنا معركة ضارية، اشترك فيها كل لبنان، كانت معركة بين تيارين، تيار السلطة وتيار المحرومين"[3].

١- مقابلة مسجلة مع السيد محسن دلول.

٢- السفير خليل كاظم الخليل- مقابلة للباحث معه.

٣- الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.



حركة فتيان علي

في العام التالي على نكسة ١٩٦٧ أنشأ المحامي صلاح الخليل من صور، جمعية باسم "حركة فتيان علي" اتخذت شعاراً لها سيف "ذو الفقار".

ويعرف من الاسم أن هذه الجمعية أو الحركة موجهة للشباب الشيعي، وكان في الجنوب تلك الفترة وفي منطقة صور تحديداً حراك سياسي حزبي نشط، تمحور حول حركة القوميين العرب، وحزبي الشيوعي والبعث العربي الاشتراكي وقد فسرت تلك الخطوة التنظيمية كنوع من محاولات إبعاد الشباب الشيعي عن اليسار، واحتوائهم تحت عنوان طائفي، ولو اتخذ في البداية شكل تجمع لأنصار آل الخليل على رغم انضواء السياسي الجنوبي النائب كاظم الخليل تحت لواء الشمعونية وكان أساسياً في قراراتها وتحركاتها في لبنان، إلى درجة أنه يعزى إليه مع الصحفي غسان تويني، تكوين الحلف الثلاثي عام ١٩٦٨ المكوّن من شمعون - الجميل - إده.

انتقلت "فتيان علي" من الجنوب إلى بيروت واستقرت في برج حمود - النبعة حيث التجمع البشري الأكثر حيوية وكثافة للشيعة في الضواحي الشرقية للعاصمة.

يقول المرجع السيد محمد حسين فضل الله:

"كانت حركة "فتيان علي" تتحرك من مواقع محلية، أكثر منها مواقع عامة، انطلقت عندما كان يواجه الشيعة بعض المشاكل في النبعة، كانت تجمعاً شبابياً يحاول أن يولد العصبية الشيعية، التي واجهت التحديات التي كانت توجه للشيعة

من خلال الأوضاع الموجودة في برج حمود مع الأرمن، أو غيرهم من خلال وضع الفلسطينيين أو غيرهم[١].

ومن جملة نشاطات "الحركة" يومذاك إقامة بعض الحفلات الرياضية والفنية، الغنائية، بقصد زيادة الدخل المالي، وقد برز في تلك الفترة بين عامي ١٩٧٣- ١٩٧٦ أحد "قبضايات" الشيعة في المنطقة ويدعى أحمد صفوان "أبو علي" فترأس الحركة، ونتيجة طلب العديد من عناصرها من الإمام رعاية ما، عمد إلى انتداب الموظف في المجلس الشيعي الأستاذ أنيس سويدان، والذي كان يملك خبرة تنظيمية سابقة، للدخول في الجمعية، واجتذابها إلى خط الإمام والمجلس[٢].

وبعد نجاح عملية الاحتواء، عانى المسؤولون في الحركة من سلبيات تنظيمية، وارتجال في المواقف والسلوك، فعُقد الاجتماع السنوي للتنظيم في مبنى المجلس في الحازمية، واتخذ قرار إجماعي بتحويل "حركة فتيان علي" إلى "جبهة المجاهدين المستقلين"[٣].

ومع إطلالة الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ تمركز شباب "حركة فتيان علي" إلى جانب بقية الأحزاب اليسارية والفصائل الفلسطينية والوطنية في منطقة الشياح، شارع أسعد الأسعد، المواجهة لمنطقة عين الرمانة، حيث وقع الاحتكاك الأول مع الكتائب والأحزاب اليمينية المسيحية المختلفة والجيش.

وحمل السلاح "الشيعي" المنظم لأول مرة في مرحلة "الجولات" أو حرب السنتين ٧٥-٧٦. وقد كانت غالبية المنضوين في صفوفها عمالاً في بلدية بيروت وبرج حمود، وفي المطاعم والمقاهي وبعض أصحاب المهن الحرة البسيطة،

١- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.

٢- وقد عملت شخصياً في هذا التنظيم بناء على توجيه مباشر من الإمام في منتصف عام ١٩٧٤، الباحث.

٣- اشتركت شخصياً في تلك "الورشة".

المعلمين والطلاب، والعديد من العاطلين عن العمل.

لقد كانت أدبيات "حركة فتيان علي" والتي انتقل اسمها إلى "جبهة المجاهدين المستقلين" تلك الفترة أدبيات حركة المحرومين نفسها، وقد كنت مسؤولاً عن التنظيم في "الحركة - الجبهة" وقد كانت فترة الفوران العاطفي والتنظيمي، وكان الحراك محموماً لدى الشباب، حيث كنا نوزع البيانات "الثورية" في الضاحية وبيروت، ونكتب بعض المواقف السياسية في الصحف، وشخصياً كنت قد كتبت مقالاً في جريدة المحرر يومذاك رداً على الشيخ بيار الجميل، الذي كان له تصريح يومي - قال في أحد التصريحات، "إننا نتقاتل من غير أن نعلم لماذا"؟ فكتبت رداً عليه وفندّت فيه أسباب قتالنا، وإثر نشر المقال، الذي نشر باسمي مع صفتي التنظيمية، فقد اتصل الشيخ بيار بالإمام شاكياً ردي، فرد الإمام هؤلاء يفكرون ويكتبون فردوا عليهم في الصحف.

ومن حوادث الفترة أننا كنا نتدرب على أيدي مسؤولين فلسطينين من "فتح"، أخذوا شهرة واسعة في التدريب، أمثال "ابو العبد" وكان مدرباً ورياضياً خبيراً، له شوارب معقوفه إلى الاعلى. ولقد أعطونا بعض الأسلحة الخفيفة، وأذكر من عفوية تلك الفترة، أنه وفي عز الحرب في بيروت، وخصوصاً على محور عين الرمانة - الشياح. أخذنا ثماني قطع سلاح، نوعها طومسون أو بورسعيد، ولم يعطنا الفلسطينيون القذائف لهذا النوع من الأسلحة، وفوجئت بالمسؤول الأول الأخ أنيس سويدان بأن طلب مني أنا المسؤول التنظيمي أن أنقل السلاح إلى الجنوب، إلى قرية كفركلا، حيث كان عندنا مجموعة من الشباب على رأسهم شاب متحمس مثقف اسمه علي جهجاه، لقد نقلت السلاح في سيارة الوالد، وأنا ليس لدي خبرة في نقل الأسلحة، رغم أنني من "بريتال" أخذت الأسلحة في السيارة، وقد أخفينا الرشاشات بطريقة بدائية مضحكة، إذ إننا وضعناهم تحت موضع الأرجل في السيارة، وكان برفقتي الأخ نصرت سليمان حيدر من بدنايل، وقد كان معنا في التنظيم، والطريف في الامر، أننا وصلنا إلى كفركلا، وسلمنا الشباب السلاح، وقد

رافقني بعض شباب التنظيم إلى ساحة البلدة، في طريق العودة، وقال لي أحدهم وكان لا يبلغ الخامسة عشرة من عمره، طالباً مني في المرّة المقبلة أن نحضر لهم إن أمكن حربة الرشاش، وهي عبارة عن نصل معدني حاد، وأردف عن سبب حاجته بأن الإسرائيلين يأتون إلى وادي كفركلا، ومن الممكن أن نصطدم معهم بالسلاح الأبيض، وصودف ذلك النهار، وفي عودتنا عرفنا من الدامور أنه كان يوم السبت الأسود. يوم قتل بشير الجميّل وأتباعه، مجازر بالجملة، ورميت جثث تحت الجسور وعلى المفارق، إنه يوم "مشهور" لليمين اللبناني المسيحي، وكان الهدف تنظيف المناطق الشرقية من المسلمين واليساريين المعادين للكتائب والأحرار، وبقية التنظيمات المسيحية الطابع.

ومن المعروف أنه عندما تكونت بوادر التنظيم لحركة المحرومين كان أعضاء هذا التنظيم ينخرطون كل في منطقته وبيئته بحركة المحرومين بشكل طبيعي.

حادثة اللقاء مع ابو عمار

في بداية الحرب الأهلية ١٩٧٥ وأعتقد في فترة الجولات، أي حرب السنتين، كنا مع فرقاء عدة كمقاتلين في الشياح، مقابل مقاتلي عين الرمانة، وفي صباح يوم خاطبني الأخ أنيس سويدان قائلاً: لقد قرر مجموع الفرقاء المقاتلة في الشياح، أعتقد كانت التسمية "القوات المشتركة" القيام بزيارة الأخ أبو عمار لبحث الوضع الميداني- على أساس أن أكون والأخ أنيس ممثلي تنظيمنا - فرفضت الذهاب قائلاً: إنني أعرف ماذا سيقول لنا، الصبر والحيطة قدر الإمكان، يومها لم أكن معجباً بياسر عرفات من القادة الفلسطينين، بل كنت معجباً بالدكتور جورج حبش وتنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كنت أحسه أكثر صدقاً، وأكثر جذرية، ولو أنه يقود تنظيماً عقائدياً لا أنسق معه، بل الإمام الصدر قرر التنسيق مع فتح، ومع أبو عمار المهم، حاولت التملّص من أن أكون في عداد الوفد، لكن وأخيراً وجدت نفسي مع مجموعة، ما يقارب من عشرة مسؤولين عن منطقة الشياح، بينهم أنا وأنيس سويدان نمثل الإمام الصدر، والبقية يمثلون الفرقاء على الأرض.

دخلنا إلى مكتب أبو عمار وكان نصيبي أن أكون في مقدمة الوفد، وقفنا في ثلاثة صفوف تقريباً، وكان يجلس هو متوسطاً المكتب، إلى يمينه أبو حسن سلامة، وأبو إياد وإلى يساره أبو عدنان وتوفيق الصفدي، وعلى مكتبه ما يقرب من ستة هواتف ثابتة.

بدأت الجلسة ونحن في وضعية الوقوف، قال أبو عمار، يا أخ أبو عدنان وأعتقد بأنه كان يمثل القيادة العامة، اقرأ للشباب "أي نحن" محضر جلسة لجنة

الإرتباط، وهي لجنة مكونة من الجيش اللبناني، ومن ممثلي القوات اليمينية كتائب وتوابعها، ومن قيادة التنظيمات الفلسطينية، والأحزاب المتحالفة معها.

فبدأ أبو عدنان تلاوة محضر الجلسة أمامه، واعتقد أنه عندما وصل إلى البند الثالث تقريباً، قال يتم الإتفاق على وقف إطلاق النار الساعة الخامسة عشرة، أي الثالثة بعد الظهر، والجدير ذكره تلك الآونة أن منطقة الشياح تعرضت لعدة أيام متتالية لقصف من مصفحات الدرك اللبناني، المتمركزة بين عين الرمانة - الشياح وعلى خط التماس، وقد وقعت قذيفة أمام فرن وذهب ضحايا، وجرحى وعندما مررت أمام الفرن تأثرت تأثراً بالغاً، وكانت إمكانياتنا التسليحية لجهة الذخائر متواضعة جداً.

وتدخلت ودون إذن ووجهت كلامي لأبو عدنان، الذي يقرأ، وقلت: إذا أتت الساعة ١٥ ولم يوقف القصف ماذا سيحدث؟ فتمهل أبو عدنان قليلاً ونظر إلى أبو عمار وقال بعد لأي، نعود ونجتمع ونحدد موعداً آخر لوقف القصف، فعاودت السؤال: إذا أتى الوقت الجديد ولم يوقف القصف ماذا سيحصل؟ وفي هذه اللحظة تدخل أبو عمار موجهاً كلامه لي والشر يتطاير من عينيه وقال بحدة وبصوت عال: إذا، إذا، إذا، إذا، أنت رجل عسكري؟ فلم أجبه، ونظر إلى أبو عدنان وأعطاه إشارة كي يتابع وعندما هم أبو عدنان بالمتابعة، أوقفته وقلت موجهاً كلامي لأبو عمار: آت من الشياح، والناس تموت، وتقتل ووزير الداخلية كميل شمعون يقول إن المصفحات سوف ترمي "بكله" قذيفة في أي اتجاه يطلق منه النار وهي ترمي كل "الكلل" القذائف على الشياح، وليس على عين الرمانة، ليس للشياح مشكلة مع الدولة، لقد أحصينا في شارع أسعد الأسعد فقط ما يقرب من مائتي شخص في الشعبة الثانية، يتعاونون مع مخابرات الجيش.

إن الشياح تعاقب على موقفها من المقاومة الفلسطينية، قالت نعم للمقاومة وتحاسب، أنا أريد أن أعرف كيف تنظرون أنتم إلى الذين يموتون ويقتلون في الشياح بسبب موقفهم.

وتابعت، أنتم تقولون إن الوقت المحدد لوقف إطلاق النار هو الساعة المحددة المعينة، نحن مقتنعون بأن الحرب لن تقف، ومن الممكن أن تستمر عشرين عاماً لأن هدفها ضرب المقاومة الفلسطينية، والحرب على أعوانها وأنصارها في المناطق اللبنانية والجماهير اللبنانية.

وعندما توقفت عن الكلام، وقد قلته بحدّة، تغيرّ أسلوب أبو عمار "التقريعي" الذي استعمله قبل دقائق. تحوّل إلى واعظ وبأخوّة وأبوّة. قال علينا أن نستعد للمعركة يا حبيبي، علينا التدريب الدائم، البارحة أخبروني بأن أحد الضباط، لم يصب المصفحة ثلاث قذائف ب ٧، هذا الضابط يجب أن أسجنه. وأمام الجميع اتصل بالهاتف، بأحدهم، لم نعرف من هو، قائلاً يا دولة الرئيس أنا لم أعد أحتمل ماذا يحصل، الناس تسبني في الشارع تقول عني كذا وكذا شتيمة، أتمنى عليك أن تضع المسؤولين عند مسؤولياتهم، أنا لم أعد أحتمل وإن تابعوا سيرهم، ومن الممكن أن أذهب إلى سوريا وهم يعلمون ماذا يعني أن أذهب إلى سوريا؟ وأنهى حديثه الهاتفي، وتوجه صوبي بلفتة أبوية قائلاً: تعالى أقبلك على رأسك، فتقدمت منه، وأمام جميع الحضور والقادة، طبع قبلة على رأسي، وسلمنا عليهم وغادرنا إلى الشياح.

أبرز مغزى من هذا اللقاء أن القناعة عند بعض قادة المقاومة ومنهم هاني الحسن، أن من الممكن أن تقف الحرب بعد فك اعتصام الإمام الصدر في مسجد العاملية، كما قال السيد محسن ابراهيم. وفي الدرجة الثانية من مغزى اللقاء، أن أسلوب التعاطي مع "الأنصار" غير محترم، فالوفد استمع لأبو عمار وهو في حالة الوقوف، وثانياً أسلوب القمع الذي بدأ به أبو عمار رداً على تساؤلي الطبيعي والمشروع، ثالثاً الأسلوب الذي استعمله بعد الاستماع إلى وجهة نظري، ومن المعروف أن أبو عمار كان يومها داهية العصر، في حركته وقدرته.

مقتل معروف سعد

كان مقتل النائب السيد معروف سعد في ٦-٣-١٩٧٥، محطة أساسية في تاريخ الحرب الأهلية اللبنانية، بل الشرارة الأولى، فإن إطلاق النار عليه بواسطة جندي في الجيش اللبناني جعل الإمام يشّن حملة عارمة ضد الجيش، وصل به الأمر إلى أن يقول، ولعله الكلام الأول من حجمه ووزنه، ضد المؤسسة العسكرية.

"قالوا للجيش رتب الملفات، لمّع الأحذية، فخّم المكاتب، أُقتل معروف سعد، واهرب من وجه إسرائيل"[١].

وقال في مناسبة أخرى: "منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧، كانت الاعتداءات الإسرائيلية تضرب وتهين، ولم يهبّ الجيش اللبناني يوماً لنجدتهم"[٢].

بعد شهر كانت مجزرة عين الرمانة، بتاريخ ١٣-٤-١٩٧٥، إذ أطلق مسلحون الرصاص على حافلة نقل فلسطينيين، عائدين إلى مخيم تل الزعتر، من منطقة الأونيسكو، فأردتهم جميعاً، شكلت المجزرة تلك الشرارة الثانية للحرب.

١- خطاب الإمام بذكرى معروف سعد.

٢- مجلة ماغازين، ٥-٧-١٩٧٧.

انتخابات المجلس الثانية

وبتاريخ ١٠ و١١-٥- ١٩٧٥ تم انتخاب الهيئة التنفيذية للمجلس الإسلامي الشعي الأعلى، وفاز كل من السادة:

زيد الزين، عاصم قانصو، سميح فيّاض، محمد علي صادق، محسن دلول، محمد دقيق، محمد ياسين، حسين حمدان، محمد شعيتو، سرحان سرحان، عدنان حيدر، معين عسيران.

وفاز عن الهيئة الشرعية السادة الآتية أسماؤهم:

الشيخ عبد الأمير قبلان، السيد محمد علي الأمين، الشيخ عبد الله نعمة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، السيد هاشم معروف، الشيخ حسين الخطيب، الشيخ نجيب سويدان، السيد علي مهدي ابراهيم، الشيخ حسن عواد، الشيخ محمد زغيب، باعتبار أنه تساوى بالأصوات مع الشيخ عبد الحليم الزين إلا أنه الأكبر سناً[١].

١- سيرة الإمام موسى الصدر، مجلد رقم ٥، ص٢٩٩.

اعتصام العاملية

وإثر تطور الأحداث التي اتخذت الطابع الطائفي، وفي ٢٧-٦-١٩٧٥ قرر الإمام الصدر القيام باعتصام في مسجد العاملية رأس النبع - بيروت، وكانت وسيلة سلمية ضاغطة لوقف الحرب، والاحتكام إلى العقل والحوار والوطنية، واعتراضاً على قصف الشياح من قبل مصفحات قوى الأمن الداخلي وكان يومها على رأس وزارة الداخلية الرئيس كميل شمعون، يقول الإمام في أثناء الاعتصام:

"لقد دنسوا أرض الوطن، فلجأت إلى بيت الله مستمداً منه القوة والعون"[١].

وأيد خطوة الإمام تلك المفتي الشيخ حسن خالد فقال: "أخذ الخطوة بعدما راى ما رآه، وسمع ما سمعه، من قتل وتهديد وتشريد في الشياح".

وقد زار الإمام في العاملية الشخصيات والقوى السياسية كافة، وأيدت خطوة الاعتصام، وقال في أثناء الاعتصام: "مئة وخمسون قنبلة من المدافع الثقيلة ألقيت على الشياح، إن القضية تجاوزت كل حد، لو كنت أملك سلاحاً، لكنت أروح وأحارب، أدافع مع الشباب، كنا نفكر أن السلطة تحمينا، تبين أن السلطة تهجم علينا"[٢].

وأشار إلى تمويه وكذب، حيث "مصفحات الجيش الوطني غيروا لونها، نحن نعرف ذلك وركز أكثر على دور المصفحات، يقول الإمام:

١- عن النهار ٢٨-٦-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رق ٦ ص ١١٨.

المصفحات والدبابات التي اشتريت بأموال الشعب، والتي قدمت إلى الجيش اللبناني، تقدمه لكي يدافع عن الجنوب أمام إسرائيل، تقصف النساء والأطفال في الشياح ما كنا نتخيل ذلك.

ويعود لختم نقطة من أهم النقاط في مسيرة الإمام السلمية لكن إلى حدود.

يقول الإمام: بعد الآن خلينا نشوف بدل الدرس، والصلاة والمحراب والشغل والتجارة، أيضاً نبحث عن كلاشنكوف، وهاون، ومصفحة، وملالات، اما الآن فنحن غير موافقين"[1].

يقول السيد كمال جنبلاط موجهاً كلامه إلى الإمام:

"إن شاء الله يكون اعتصامكم هو آخر سيف في حل العقدة يا سماحة الإمام، لأن هنالك عقداً، يجب أن نشهر السيف للدفاع عن منطقة الشياح، التي تحملت عدوان السلطة، وصمدت، أي الاعتصام على طريقة غاندي أو على طريقة الإمام علي بشهر السيف"[2].

يقول السيد محسن ابراهيم:

في أثناء الاعتصام، أنا كنت مع ٣-٤ إخوان في الحركة الوطنية، تولوا المساهمة في الإخراج اللازم لإنهاء الاعتصام، لأن الاعتصام حقق أغراضه ولم يعد الاستمرار فيه حتى تقف الحرب، لأن الحرب لن تقف، رتبنا اللقاء والمشاورات مع رشيد كرامي، والأستاذ عبد الحليم خدّام، وكمال جنبلاط، وكنتُ إلى توفيق سلطان وجورج حاوي، رتبنا الوفد الوزاري والمناشدة في العاملية أن يفك اعتصامه[3].

وللسيد ابراهيم وجهة نظر ينقلها عن المسؤول الفلسطيني هاني الحسن، يقول:

١-

٢- جريدة النهار، حزيران ١٩٧٥.

٣- السيد محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

هاني الحسن، فترة الاعتصام، اعتبر أن الحرب سوف تقف ويكون السيد موسى بطلاً.

وعلى أثر قيام مسلحين من بلدة النبي عثمان وعرسال والعين في البقاع، بهجوم على بلدة القاع مطالبين أهلها بتسليم أسلحتهم، وإقفال بيت الكتائب، وجه الإمام الصدر النداء التالي، وأعلن إنهاء الاعتصام.

"إنني أقول لكم كل طلقة تطلق على دير الأحمر، أو القاع، أو شليفا، إنما تطلق على بيتي، وعلى قلبي، وعلى أولادي، ومحرابي ومنبري"[1].

١- ٢-٧-١٩٧٥.

انفجار عين البنيّة

وبتاريخ ٥-٧-١٩٧٥، انفجر لغم مضاد للآليات بمجموعة من الشباب، في حقل تدريب في منطقة عين البنية - بريتال قضاء بعلبك، كانوا يتدربون على الألغام المضادة للدبابات، بإشراف خبير من المقاومة الفلسطينية، وفي اليوم التالي، عقد الإمام مؤتمراً صحفياً أعلن فيه ولادة أفواج المقاومة اللبنانية أمل، وأعلنت الثورة الفلسطينية أن الذين قضوا في انفجار اللغم شهداء الثورة، وناشد الإمام الشباب اللبناني في كل منطقة وفي كل طائفة، لا سيما المحرومين منهم، ناشدهم جميعاً، أن ينخرطوا في أفواج المقاومة اللبنانية[١].

لقد علّق الأب يواكيم مبارك على الحادث، قائلاً للإمام: "الدم الزكي، الذي أريق كان صبغة الله، لقد كنت إمام المحرومين، وأصبحت اليوم بعد الدم الذي أريق إمام المجاهدين[٢].

اتخذ مهرجان شهيد أمل، في الأونيسكو في ٢٤-٥-١٩٧٦، بعداً إستراتيجياً، لعلاقة الشيعة مع القضية الفلسطينية، إذ قال الإمام بما يشبه النبوءة مخاطباً أبا عمار "يوم تقف وحدك يتآمر عليك الشرق والغرب، ستجدنا معك، فنحن حماة المقاومة، ومانعو التقسيم، وسنتقدم لطعن العدو الصهيوني ساعة أردت، اعلم يا أبا عمار أن شرف القدس، يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين"[٣].

١- ٦-٧-١٩٧٥.

٢- ١٣-٧-١٩٧٥.

٣- جريدة النهار، ٢٥-٥-١٩٧٦.

يرد أبو عمار "إن فتح وأمل هما فتح لهذه الأمة، وأمل لهذه الأرض التي يقولون عنها محررة"[١].

ويوضح الرجل الثاني في منظمة فتح "أبو إياد" حول السلاح ودوره "جئنا بالسلاح من أجل أن نحرر كل شبر من أرض فلسطين، وليس من أجل أن نستخدمه في عين الرمانة أو سواها، لكننا اضطررنا أن نستخدمه مكرهين، للدفاع عن أنفسنا وعن الحركة الوطنية"[٢].

وفي غمرة الحرب لا ينفك الإمام متابعاً حملته على نظام الامتيازات، فيقول:

"وبعد غد سنرى وطناً فيه مليونا وطن، ومليونا اتجاه، ومليونا مصلحة، ومليونا قائد، ومليونا مسلح، ومليونا عصابة، ومليونا أيديولوجية، ومليونا فرقة، كل هذه الانقسامات نتيجة بُعد الطموح عن قادتنا"[٣]، الأمر الذي يعطي أهمية كبرى لدور القادة، المسؤولين عن البلاد، لكنه يرسم الدور لجماهير المحرومين بـ:

"رفض دائم لأولئك الذين تجاهلونا وجمدوا مشاريعنا وأهملوا الليطاني، واولئك عندما كنا نطالب بزيادة أسعار التبغ في النبطية، يقتلوننا، وأولئك الذين أرادوا احتكار البحر (شركة بروتيين للصيد البحري في لبنان يملكها الرئيس شمعون)، بعدما احتكروا البر، لن ننحني أمامهم"[٤].

ويظهر الاختلاف والتناقض في النظرة لدور لبنان مع الآخرين، أبناء النظام الحقيقيين، حيث يرد على الرئيس رشيد الصلح، الذي قال: إن لبنان "دولة سياحة"، يجيب الإمام "إن قدر لبنان أن يكون دولة محاربة، لا دولة سياحة"[٥].

١- جريدة النهار، ٢٥-٥-١٩٧٦.

٢- المرجع نفسه، ٤-٥-١٩٧٥.

٣- مسير الإمام الصدر، مجلد رقم٥، ص ٣١٤.

٤- جريدة النهار ٢٦-٣-١٩٧٥.

٥- المرجع السابق، ١١-١٢-١٩٧٤.

لم يكن الإمام الصدر رافضاً كلياً للنظام في لبنان، كان يدرك خصوصية لبنان، تركيبة الشعب فيه، لذا لم يصل إلى حد الدعوة إلى نسف النظام برمته، بل كان على الدوام يريده عادلاً، إنمائياً، متوازناً، لديه إمكانات العيش، آخذاً بعين الاعتبار فئات الشعب المختلفة، والقواسم المشتركة الدائمة، وتجديد نصوص دستوره، كي يصلح للعيش والاستمرار، فيصّر في غير مناسبة على، "إبقاء الرئاسة اللبنانية للمسيحيين عموماً، وللموارنة على الأخص، مع الحرص على تطوير المؤسسات الأخرى وعدم تجميدها"[1].

وحول موقف الشيعة من تركيبة النظام الطائفي ومكانتهم فيه، يعلن الإمام: :لن نشكو بعد اليوم، ولن نبكي، الذين يريدون منا الخنوع والاستسلام ومسح الجوخ، لن نرضى بهذا الدور"، بل يقرر دور آخر، فيقول:

"يا أبناء فلسطين، علمتونا أن المناشدات والدراسات والمحاضرات، والكتابة في الصحف لا تنفع، ولا تحفظ أرضنا وكرامتنا، شيء واحد يجب أن يضاف إلى التفكير هو السلاح والرصاص، والبنادق والموت"[2].

١- إذاعة مونتي كارلو، ٧-٨-١٩٧٥.

٢- جريدة النهار، ١١-١-١٩٧٥.

نشوء حركة ـ أمل

لا يمكن للمؤرخ أن يضع تاريخاً محدداً لإنشاء حركة المحرومين- أمل، فهناك تواريخ عديدة فثمة من يربط إعلانها بالانفجار في معسكر التدريب في عين البنية - بريتال قضاء بعلبك ١٩٧٥، لكن هذا ليس تاريخ التأسيس الذي هو عملية معقدة مترابطة عبر سنين عديدة، فكل فرد كان يلتقي الإمام كان الإمام يضع له مكاناً في مشروعه المزمع إنشاؤه، وكانت الأمور تتبلور أكثر فأكثر مع تطور الظروف السياسية في البلاد، ونضوج الأفكار التنظيمية، وكانت الحاجة للتنظيم تلاحق الإمام كلما أوغل في التحرك، وتشعبت علاقاته ومسؤولياته. كان الإمام يتدخل في حياة الناس الخاصة من قضايا الطلاق والزواج والزكاة والحج والإشراف المباشر على فتاوى متنوعة، مروراً بالاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية وتحدياتها ومتابعة التدخل لدى مؤسسات الدولة وأجهزتها، لمساعدة إنمائية طوراً واجتماعية طوراً آخر، وصولاً إلى إقامة المهرجانات واللقاءات السياسية والدبلوماسية والزيارات، والمصالحات العائلية، والاهتمام بأمور المواطنين مقيمين ومهاجرين. وفي عزّ الضغط والإرهاق، وهرباً من ضجيج السياسة، كان يطلب من أحد معاونيه دعوة الشيخ محمد نجيب زهر الدين لإقامة مجلس عزاء حسيني، في مبنى المجلس أو يقوم بزيارة لجرود الهرمل، ليفتتح مسجداً صغيراً بحجمه، ويخطب بالجماهير ويثورهم على الأوضاع السياسية.

لقد اعتبرت الأدبيات السياسية والدينية والاجتماعية للإمام الصدر، منذ حضوره إلى لبنان أواخر عام ١٩٥٩، كلها مقدمات موضوعية لتكوين حركة

المحرومين بعد ذلك (أفواج أمل) المقاومة اللبنانية.

"لكن بذرة نواة الحركة" يمكن ان تكون قد وضعت في التربة في أيار عام ١٩٧٠، أي يوم إنشاء مجلس الجنوب"[١].

كان السيد مقبولاً من الوجوه الشبابية والثقافية والفكرية التي تبنت مشروعه ودافعت عنه بقوة، كنا نأخذ الدروس الثقافية من الإمام في مبنى المجلس في الحازمية[٢].

"لم أكن منظماً في حزب، ولم يكن عندي تجربة حزبية".

هذا ما قاله الإمام في أكثر من مكان، وكان ضد العمل بالتنظيمات الفوقية، ويعطي مثالاً على ذلك تجربة الرئيس جمال عبد الناصر والاتحاد الاشتراكي العربي.

يقول الإمام:

"إن التنظيم الذي يوفر المال للناس، أو المجد أو الشهرة، أو الإعلام للناس هو من أنواع التنظيم الفوقي، أو التنظيم الذي يوفر السلاح للناس، فجميع هذه التنظيمات التي لا تجتذب الإنسان لأهداف إيديولوجية تكون فوقية"[٣].

"حركة السيد موسى الصدر علّمت الحركات الإسلامية، كيف تعمل في الشارع، والانتقال من حركة المسجد إلى حركة الجماهير، وكيفية استقطاب الناس سواء الذين عندهم مطالب، أو الملتزمون بالرسالة والدين"[٤].

لكن عندما صمم الإمام على رعاية الحركة قال:

"هذه الطائفة هي كنانة لكل الأحزاب، يعني مخزون سلاح".

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١١٨.

٢- السيد شفيق الموسوي، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٣- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٢١.

٤- محمد سعيد الخنساء، مقابلة مسجلة للباحث معه.

"الشرط الأساسي في تحركنا، أن نذوب في الجماعة، وأن نتحرر من فرديتنا، من أنانيتنا، من عائليتنا، من عشائريتنا، من فئويتنا، من مصالحنا، من هذه الآلهة الأرضية، حتى نتمكن من أن نذوب في حركة تنسجم مع الإيمان بالله والعالم العادل الحي، المدرك اللامتناهي، وعند ذلك يتحول كل فرد منا إلى طاقة أبدية في سبيل تحويل المجتمع وتغيير المجتمع"[1].

لقد غدت لائحة مطالب المحرومين، والتي حفظتها عن ظهر قلب الجماهير، حيث كانت تتلى في كل لقاء ومهرجان، البرنامج السياسي، فقد اجتمع الناس حولها، وأمست لغة حركة المحرومين، وخصوصاً بعدما وقّعت على وثيقة المحرومين مجموعة كبيرة من أبرز المثقفين في لبنان (١٩١ شخصية من جميع الطوائف والاتجاهات). وكان محورها مطالب اجتماعية، إنمائية، سياسية جامعة. ويؤكد الإمام:

"نحن حركة، وليس مؤسسة، حركتنا ليست حركة النخبة، وللنخبة، حركتنا محاولة لتنظيم شعبنا، شعبنا المحروم، شيعة أو غير شيعة، مسلمين أو غير مسلمين".

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٤٩.

ميثاق حركة المحرومين

وهنا بعض ما جاء في الميثاق:

١. الإيمان بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي

الإيمان بالإنسان، بوجوده، بحريته، بكرامته،

الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله.

١. أما تراثنا العظيم في لبنان وفي الشرق كله الحافل بالتجارب الإنسانية الناجحة، المشرف بالبطولات والتضحيات، الزاخر بالحضارة والقيم.

٢. الاستفادة من التجارب في أقطار الأرض مع الاحتفاظ بالأصالة.

٣. تؤمن بالحضارة الكاملة للمواطن وتحارب أنواع الظلم كافة - استبداد - إقطاع وتسلط وتصنيف المواطنيين. نظام الطائفية السياسية لم يعط نتيجة إيجابية.

٤. ترفض الحركة الظلم الاقتصادي - إحتكار، وتحول المواطن إلى المستهلك ضد حصر النشاطات الإقتصادية في أعمال الربا والتحول للإنتاج العالمي.

٥. حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وسلامة أراضي الوطن، وتحارب الإستعمار ولا تصور المواطنية الحقة بدون الجنوب.

٦. فلسطين، في قلب الحركة وعقلها، والسعي لتحريرها والوقوف إلى جانب

شعبها وصيانة مقاومتها، وتشكل الصهيونية الخطر الفعلي والمستقبلي على لبنان. وترى في تعايش الطوائف في لبنان تحدياً دائماً لإسرائيل.

٧. إنها ليست عملاً خيرياً ولا حركة طائفية ولا موعظة ونصحاً، ولا تهدف إلى تحقيق مكاسب فئوية، إنها حركة المحرومين جميعاً حركة اللبناني نحو الأفضل.

ومن الملاحظ ورود "عروبة لبنان" في الميثاق ربما يسبب كثرة الطروحات السياسية، لبنان عربي، أم فينيقي أو غيره.

الحرب الأهلية ١٩٧٥

يفسّر الإمام الحرب الأهلية "نسخة ١٩٧٥" بأن "الحرمان كوّن أرضية الإنفجار"، بهذا يكون قد قدّم البعد الداخلي وسلوك أصحاب دولة الامتيازات على البعد الخارجي، وقد أطلق عليها تسمية "أزمة ذي القرنين" إن الصراع الذي حدث بين طرفين طرف ميليشيات وأحزاب مسيحية تسلحت بقوة السلطة وأخذت حتى الدبابات منها، وفي مراحل لاحقة استعانت بإسرائيل، والطرف الآخر، الأحزاب اليسارية والمسلمون الذين استعانوا بالفلسطينيين وبالجيران السوريين. وبعد الاصطدام بين ميليشيا اليمين المسيحي والمخيمات الفلسطينية يقول الإمام[١]:

"نقلنا المعركة إلى مناطقنا كي يصير الصراع لبنانياً - لبنانياً، وليس لبنانياً فلسطينياً، حفاظاً على قدسية القضية".

ويعرج على التدخل السوري الذي تم بناء على نداء صادر عن قمة عرمون - منزل المفتي خالد، حيث اجتمعت فيه القوى والفعاليات الإسلامية إلى الرئيس حافظ الأسد[٢].

في البداية دعا الإمام الصدر مؤيديه "المحرومين" إلى عدم التورط في الصراع المسلح والاكتفاء بالدفاع عن النفس.

لكن لم يطل هذا الموقف، إذ سرعان ما حدثت مجزرة "حارة الغوارنة قرب

١- محاضرة للإمام، بعنوان الحرمان سبب الانفجار.

٢- ١٨-١١-١٩٧٥.

انطلياس" ضاحية بيروت الشمالية، حيث دخلت ميليشيات الكتائب حياً فقيراً معدماً، وقتلت وخطفت كلّ سكان الحارة، وهم من الطائفة الشيعية.

يقول الإمام:

"إن مقتل خمسة أشخاص على أيدي مجهولين لا يتطلب قتل ١٥٠ بريئاً شيعياً فقيراً"[١].

في المراحل الأولى للحرب، أي حرب السنتين، وفي أثناء مرحلة "الجولات" كان مبنى المجلس في الحازمية محطة أو مكاناً يجتمع فيه المخطوفون من الطرفين الذين كانوا يعودون إلى أهلهم عبر لجان تهدئة كوّنها الإمام، كانت تتصل من جهة "بالكتائب" والأحزاب اليمينية ومن الجهة الأخرى تتصل بالمقاومة الفلسطينية ومنظماتها والأحزاب التابعة لها، ويتم تبادل المخطوفين، وتعيدهم إلى أهلهم.

يقول الإمام:

"نحن يشرّفنا أنّ أيدينا لم تتلطخ بدماء المواطنين، وأننا لم نكن السبب في تفجير الحرب الأهلية"[٢].

وعن ظروف الدفاع يقول الإمام:

"لم نكن نحن من فتح النار على أحد، فتحوا علينا النار وصبرنا وفاوضنا ودعونا إلى المصالحة "وطنشنا" وفي النهاية قاتلنا دفاعاً لا أكثر"[٣].

وعندما انقسم الجيش اللبناني، وتكون "جيش لبنان العربي" بقيادة الملازم أول أحمد الخطيب، ولم يوافق الإمام على الخطوة، وأعاد الإمام على مسامع قائده رأيه، "بأنه أول من يكفر بالدولة الشيعية والجيش الشيعي، إذ لا فرق موضوعياً بين دولة

١- ١٩-١٢-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٠١.

٣- المرجع نفسه.

مارونية، والدولة الشيعية"[1].

وأيد "جيش الطلائع" في البقاع، وعمل على إبقاء العناصر والضباط المسيحيين فيه من أبناء المنطقة.

وبعد تصعيد الحرب الأهلية بفتح جبهة حرب الجبل بضغط من السيد كمال جنبلاط والفلسطينين وقد كان الهدف منها إحداث النصر العسكري الحاسم لإخضاع المسيحيين وفرض "شروط العروبة" عليهم. يقول الإمام:

"معركة الجبل عام ١٩٧٦ كانت خطيئة كبرى"[2] وكانت استغاثة المسيحيين للتدخل السوري، فقد كان الإمام مع حصر الاشتباكات في مكانها ومحاولة إطفاء النار حيث تندلع وإذا به يُفاجأ بانتشار المعركة في الجبل وتوسّع دائرتها، وكانت تلك الحرب نقطة ساخنة في التناقض السوري - الفلسطيني، يقول الإمام: "شعرت بحساسية لدى السوريين بعد تصعيد القتال في جبل لبنان"[3].

وقد برزت الخلافات واضحة عندما طرحت الحركة الوطنية فكرة "الإدارة المدنية" لإدارة الشأن العام الخدماتي والإنمائي، ومن الجهة الأخرى عارض الإمام أيضاً ما قام به يومها الشيخ بشير الجميل من مشروع "حكومة الظل" فاعتبر كلتي الحالتين خطراً على وحدة البلاد والمؤسسات فقد كان يعتقد بضرورة إحياء إدارات الدولة عينها لتسيير أمور الناس، بالموظفين الرسميين فقط، وظهر تباين واضح في موضوع "عزل الكتائب" إذ إن الإمام لم يوافق على طرح الزعيم كمال جنبلاط والحركة الوطنية، معتبراً ذلك الشعار سيجعل المسيحيين يلتفون حول الكتائب.

وعندما حصلت مشكلة منطقة "النبعة" وما رافقها من تهجير في ١٤-٦-١٩٧٦

١- المرجع نفسه، ص ١٠٠.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٤٠.

٣- جريدة النهار، ٢٨-٤-١٩٧٦.

رفض الإمام أن يسكن الشيعية الذين أخرجوا من "النبعة" في أي مكان أو قرى، كانت للمواطنين المسيحيين مثل الدامور وغيرها، وقد كان سعيداً بعدما نجحت مساعيه مع السوريين والكتائب والجبهة اللبنانية بعودة أهلها إليها عبر أول قافلة في ٣٠-٨-١٩٧٦.

توطين، تقسيم

تكاد كلمة التوطين ووجهها الآخر التقسيم تمثل الهاجس الأساس في مسيرة الإمام الصدر ونشاطه ودوره، كان يعتبر أن ثمة جهات دولية وعربية إلى جانب فئة من الفلسطينيين، قد تكون استسهلت البقاء في لبنان بنظرة قاصرة ومؤيدة من بعض الفئات اللبنانية، كي يضاف العدد الفلسطيني إلى فئة فتزيد الغلبة داخل تركيبة النظام في لبنان، فكان تحذيره الدائم من مغبة هذا الطرح الخطير، ويكاد لا يخلو خطاب له من ذكر التوطين، يقول: "عيشنا دون القدس - ذل وموت"[(١)].

وفي مكان آخر يقول:

"نرفض مشروع استيطان الفلسطينيين في لبنان، لأنه مشروع بيغن رئيس وزراء العدو"[(٢)].

وعلى الجبهة الآخرى، تكاد كلمة تقسيم أن تقاسمه حياته وأفكاره ونشاطه، فقد قال بحمل السلاح لمنع التقسيم، بل لضرب التقسيم.

يقول الإمام:

"إن تقسيم لبنان أمر مستحيل، لكن تحطيمه أمر ممكن، وبتحطيمه تتحطم قضية فلسطين ولبنان"[(٣)].

---

١ - ١٨-٨-١٩٧٤.

٢- المرجع نفسه.

٣- ٦-٧-١٩٧٥.

ويتجاوز مفهوم التقسيم حيث هو مريح لفئات مؤقتاً، لكنه مضرّ بشكل إستراتيجي للبنان ودوره وتاريخه ورسالته فيقول:

"يتكلمون على تقسيم لبنان، لبنان الذي يشكل بحد ذاته عالماً صغيراً، وواحة نموذجية، للعلاقات الإنسانية في العالم، هذا الوطن، واحة لنجاح تجربة التعايش بين المسلمين- والمسيحيين"[1].

كان يعتبر أن دعاة التقسيم يفكرون بحدود ضيقة، إنهم يختارون منطقة صغيرة، نظيفة من المواطنين المسلمين الآخرين، منطقة صافية من الذين يختلفون معهم في بعض القضايا، ينغلقون على أنفسهم، ويبنون جمهوريتهم الفاضلة المزعومة، يتخلصون من كل ما هو حولهم بشرياً وجغرافياً واجتماعياً، ويرفض الإمام ذلك، ويقدم مقولته الشهيرة: "لبنان أصغر من أن يقسّم وأكبر من أن يبتلع".

إن موقع الشيعة في لبنان وتوزعهم الجغرافي في كل المحافظات، جعلهم يتمسكون بكل لبنان، وفي هذا المجال يقول:

"نحن نطعن من الجهتين، من هناك يضربوننا في (حارة الغوارنة - انطلياس) وفي (المسلخ - الكرنتينا) ومن هنا في الدامور[2] بعدما سقطت بأيدي القوات المشتركة اليسارية - الفلسطينية، أصبحت كميناً لأبناء حركة أمل في أثناء التوترات الأمنية مع المقاومة".

ونصل إلى المقولة الأشهر والأهم، وقد جاهر بها طيلة سنوات الحرب فيقول:

"دولة مارونية، يعني إسرائيل ثانية، مرتبطة كمخلب القط بالاستعمار، ليس فقط دولة مارونية، حتى تكوين الدولة الشيعية في هذه المنطقة أو الدولة السنية، أو الدرزية إذا تكونت في هذه المناطق، هذه كلها إسرائيليات مهما كان شعارها"[3].

١- ١٧-١-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٠١.

٣- المرجع نفسه، ص ٣.

ويختصر حرب ١٩٧٥ قائلاً:

"إنها مؤامرة دولية- إسرائيلية للانتقام من لبنان، ولضرب العرب، ولضرب صيغة التعايش، مؤامرة أميركية لترويض سوريا والمقاومة الفلسطينية، الرافضتين لمشروع كيسنجر"[١].

ويوجه النقد القاسي لطرفي الحرب فيقول:

"في اليوم الذي يتّهم العالم الصهيونية ويعتبرها حركة عنصرية مرفوضة، يحاول البعض الموزع بين اقصى اليمين وأقصى اليسار أن يجعل من الطوائف اللبنانية عنصريات جديدة"[٢].

وبين التعريب والتدويل كان للإمام موقف.

إذا فشل التعريب، فسوف نجد أنفسنا أمام تدويل القضية، وسنجد أرض الوطن مسرحاً لصراع العمالقة[٣].

ولم يكتف باتهام العناصر الداخلية والأدوات في الأزمة، بل امتد إلى الخلفيات. وفي ذلك يقول:

"كثيرة هي الاسلحة والأموال والإعلام والتحريض كانت تأتي من العالم العربي وليس من إسرائيل وأميركا فقط وغيرهما"[٤].

ويتقدم الرد في جرأته ودقته وخطورة كلامه الأكيد فيقول:

"أنا أعتقد أن الأسلحة التي كانت تأتي إلى صور، صيدا وجونيه وطرابلس في أيام الحرب اللبنانية القذرة، كانت بعلم إسرائيل ورضاها، إسرائيل كانت مسيطرة على الحرب،

١- المرجع نفسه، ص ٢٣١.

٢- جريدة النهار ١٥-١١-١٩٧٥.

٣- المرجع نفسه، ١٤-٦-١٩٧٦.

٤- ١١-١-١٩٧٧.

وتراقب بواسطة وسائلها وعملائها في الجبهتين، لها عملاء في الجبهة اللبنانية، ولها عملاء في الحركة الوطنية، ولها عملاء في المقاومة الفلسطينية وبواسطة عملائها كانت تراقب التوازن في السلاح، فإذا ازداد السلاح عند الجبهة اللبنانية تحوّل باخرة إلى صور وصيدا والعكس بالعكس حتى تستمر الحرب القذرة في لبنان"[١].

وفي ثنايا خطابه طيلة فترة الحرب، كان يطرح الحلول ويطورها، فعن مشكلة السلاح بين أيدي الشعب اللبناني يقول:

يجب نزع السلاح من اللبنانيين، وهذا عن طريق تشكيل حرس شعبي يضم المليشيات، ويتم التدريب ويبقى السلاح في المنازل، ويسلم للشاب الذي هو عنصر في الحرس الشعبي ساعة الحاجة"[٢].

ويكرر دعوته لإقتناء السلاح، كاقتناء القرآن، إضافة إلى شعاره الأشهر "السلاح زينة الرجال".

وكان يقول: إذا لم تقف الحرب هذه السنة عام ١٩٧٥، فستستمر مثل فيتنام ٢٥ عاما[٣].

ويحدد سبب الانحراف في لبنان والمشاكل فيقول:

"إننا نزعنا من لبنان بعده القومي، يعني، نحن العرب قوم واحد، هذا لا أحد يقدر على إنكاره، لأن لغتنا واحدة، تاريخنا واحد، ديننا واحد على الأغلب، أماكننا واحدة، آلامنا واحدة، فنحن عائلة واحدة من المحيط إلى الخليج"[٤].

ويطرح الإمام أمام اللبنانيين تسلسلاً منطقياً للحل والمشكلة معاً.

يقول: نحن أمام عدة طرق:

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٢٨٤.

٢- المرجع نفسه، ص ١٥٩.

٣- الدكتور فؤاد البستاني، مقابلة مسجلة للباحث معه.

٤- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٧٩.

١. أن نقسم لبنان بلداً للمسلمين وبلداً للمسيحيين، معنى ذلك أننا خلقنا إسرائيل ثانية.

٢. أن نصفيهم، يعني ننهيهم، أو هم ينهوننا ـ لا أعتقد أن هذا ممكن ليبقى التعايش.

نريد لبنان واحداً نتعايش فيه، هذا قدرنا في نظام جيد، في نظام مؤمن، في نظام متطور، بكلام آخر بلد واحد.

نريد عروبة لبنان، يكفينا نفاق لبنان ذو وجه عربي، هيك وهيك، تعودنا النفاق هل نحن خصم إسرائيل، أم لا، ما معنى هدنة، على طول نفاق مشترك، هذا بلد عربي، وخلص، ونحتاج لبناء مجتمع جد، مجتمع صحيح ليس مجتمع نفاق، مجتمع رفاه واسترخاء لا"[١].

ويصل الإمام إلى حسم الأمر،

"نحن أمام مسؤولية تاريخية، بعد ألف سنة سيبقى الجنوب عربياً وقبل ألف سنة كان الجنوب عربياً"[٢].

ويختم في واحدة من إشراقاته الشهيرة:

"هل تطوعنا نحن اللبنانيين، ومعنا الفلسطينيون، مدة سنتين لحرب شنتها الصهيونية على المدنية، في أقذر وأذكى حرب في التاريخ، لتجعل العالم الذي اتهمها بالعنصرية على أبواب عهد جديد، يسمى "العهد الاسرائيلي" ولد في لبنان ليزحف على العالم كله، مروراً بالعالم العربي، ثم بإفريقيا وأوروبا، حتى يصل إلى الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة الأميركية"[٣].

١- المصدر نفسه، ص ٥٠.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٨٤.

٣- النهار، ٢-٧-١٩٧٧.

ورقة العمل الشيعية

بتاريخ ١١-٥-١٩٧٧ أطلق المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى مبادرة "ورقة العمل"[١].

وكان المدخل

"في مقابل ما يطرح من الأفكار وما يتخذ من المواقف، من قبل مختلف الهيئات والتجمعات الطائفية والسياسية في سبيل بناء لبنان الجديد.

أبرز بنود النص:

"إن الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان، التي نعتز بكونها من أرسخ دعائم كيانه، والتي بذلت خلال المحنة المأساة كل ما بوسعها لصيانة وحدته وسلامة أراضيه وبقائه ضمن واقعه العربي".

ويأتي في النص

"إن الجسم اللبناني، كان قد فقد مناعته الطبيعية، وأمسى عرضه لجميع المضاعفات.

ويعلن:

- في هوية لبنان ونظامه.

تجدد الطائفة الإسلامية الشيعية إيمانها بلبنان الواحد الموّحد:

١. وطناً نهائياً بحدوده الحاضرة سيداً حراً مستقلاً.

٢. عربياً في محيطه وواقعه ومصيره، يلتزم التزاماً كلياً بالقضايا العربية المصيرية وفي طليعتها قضية فلسطين.

١- مجلد رقم٨ ص ٢٨٥.

- منفتحاً على العالم بأسره.

- جمهورية ديمقراطية برلمانية.

ويرد في النص:

- إن الطائفة ترفض رفضاً باتاً أي صورة من صور التقسيم، وترحب بأي صيغة للامركزية الإدارية،
- أي شكل من أشكال التوطين مرفوض رفضاً قاطعاً.
- رفض جر لبنان إلى أي محور عربي أو دولي.
- رفض أي تحجير الصيغة، برفض الامتيازات الفئوية ورفض الغبن.
- رفض أي تسوية بين الفرقاء على حساب الوطن ولو مؤقتة.
- رفض تلك النقاط لأنها نقاط شبه قنابل موقوته.

في السياسة:

١. إلغاء الطائفية السياسية في جميع مرافق الحياة العامة.

٢. اعتماد الاستفتاء الشعبي في القضايا المصيرية.

٣. تشكيل المجلس الاقتصادي الاجتماعي أو مجلس الشيوخ او كليهما.

١. تعديل قانون الانتخابات النيابية على أساس جعل لبنان كله دائرة انتخابية واحدة، كي يصبح النائب فعلاً نائب الأمة جمعاء"[١].

في تطبيق مبدأ فصل السلطات كان أبرز مواده:

١. فصل الوزارة عن النيابة.

٢. انتخاب رئيس المجلس ومكتبه لمدة أربع سنوات.

٣. انتخاب رئيس الوزراء من قبل المجلس النيابي واشتراكه بعد ذلك مع رئيس الجمهورية بتأليف الحكومة.

١- مجلد رقم٨ ص ٢٨٨.

- تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء أو الوزراء بصورة واضحة.
- استقلال القضاء استقلالاً تاماً قاطعاً، بحيث يكون مجلس القضاء الأعلى هو المهيمن الفعلي الأول والأخير على شؤون القضاء.
- حل جميع الميليشيات والتنظيمات المسلحة وتجميع سلاحها[1].

واوردت الورقة اقتراحات بشأن عناوين مختلفة شملت:

١. الإدارة.

٢. الدفاع الوطني- والأمن الداخلي.

٣. الثقافة.

٤. التربية والتعليم.

٥. في الإعلام.

٦. اجتماعياً.

٧. اقتصادياً.

وقد قام بوضع الوثيقة الإمام نفسه، الرئيس حسين الحسيني، الوزير جعفر شرف الدين وراجع النص لغوياً الدكتور سليم حيدر.

اعتبرت ورقة العمل هذه وجهة نظر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بهيئته الشرعية والتنفيذية، وكونت يومها محور نقاش سياسي إداري واسع شمل كل القوى السياسية والحزبية في البلاد.

أهمية هذه "الورقة" أنها وضعت عام ١٩٧٧ وتلمست مدى جدِّيتها وموضوعيتها ودقتها، فأغلب بنودها وردت حرفياً أو بالروحية من اتفاقية الطائف عام ١٩٨٩ ودخلت في صلب الدستور اللبناني.

١- المرجع نفسه، ص ٢٨٩.

شخصيته

"الهدوء، القوة، وجهه مميز، بدماثة عميقة، يبدو أنه أتى من المجهول، من خلال موهبته الخارقة، أرغم أخصامه وأصدقاءه على حدّ سواء على توفر إحترام قدرته على الإستبصار ـ مصداقيته لم تكن أبداً موضع شك، إتصالاته الشخصية كانت طقساً من طقوس الإغراء، عندما يفتح لك الباب، يتواضع ويدعوك لدخول مكتب متواضع، أو صالون عادي لأي المنازل التي آوته"[1].

هذا ما كتبه الصحافي الأبرز في زمانه الأستاذ غسان تويني. تعتبر شخصية الإمام من أهم عناصر الجذب مع المحيط، ولعبت الدور الكبير في حياته العملية.

كنت واحداً ممن سحرتهم شخصية الإمام عندما التقيته وجهاً لوجه لأول مرة، كان يجلس على كرسي يحاضر في قاعة المجلس - الحازمية وعندما انتهى من المحاضرة تقدمت منه، وتكلمت معه في موضوع مقابلة لمجلة مدرسية، أعتقد بأنه كان ذلك منتصف عام ١٩٧١ وعندما فرغت من الكلام والاستماع إلى رده، شعرت بأنني وفي أثناء كلامي معه كنت أمسّد له ياقة جبته من الأعلى إلى الأسفل دون انتباه.

كان لشخصية الإمام سواء في الشكل أم المحتوى، الأثر الكبير على من تسنى له أن يلتقيه. لذا لعبت شخصيته الدور الهام في إعجاب الناس به، ومن جميع الفئات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعمرية.

شخصيه مميزه منذ الطفولة، على ما يقول الأهل، عندما كان اللهو من طبيعة

١- غسان تويني، حرب الآخرين، دار سرجون كلود لاتيه، باريس ط ١٩٨٥، ص ٨٧.

العمر، يرجع أترابه إليه عندما يتشاجرون على موضوع أو رأي، فقد كان "تحكيم آقا موسى" ضرورة لفض النزاع.

كان يتفرسّ في الوجوه رغم حداثة سنه، كان اختصاصياً في الأسئلة، لمعلميه في المدرسة الفيضية، مما كوّن لبعض الاساتذة إحراجاً ما، إلى حد أن بعض الأساتذة طلبوا من إدارتهم إعفاءهم من تدريسه، وامتدت الأسئلة إلى درجة أنه تمنى لو أن هناك وسيلة ما يلتقي بالنبي الأعظم ليطرح عليه بعض الأسئلة[١].

رافقته الأسئلة حتى مرحلة الشباب لدرجة ان متعة بعض العلماء كانت حضورهم مجالس المباحثة في حضرة المجتهدين يكون نجمها الإمام، حدث هذا في قم والنجف.

لم يكن عنده وقت فراغ، بمواعيد وبلا مواعيد، حركته دائمة، وعندما كنا نأخذ عليه قلة النوم كان يقول:

"ما دام أنا حي لازم أتحرك، عندما أموت انام".

ويردف مغبون من تساوت ساعتاه وليس يوماه، كان يخطط ويترك مجالاً لإبداع معاونيه، كان دافئ اللسان، كان لا يحب المبالغة في الإعجاب ويقول،

"يا ويله من تتغيّر ظروفه، وتتغير نظرة الناس إليه، كان عنده أصدقاءً "انجبارية" فقراء يصلّون خلفه، كان يزورهم في منازلهم، ويسأل عن أخبارهم، ويطمئن على أوضاعهم، أما الذين يعرف أنهم ضده أو ليسوا معه، كان يتصل بهم ويعرب عن رغبته بزيارتهم.

لم يعرف لسحر شخصيته حدوداً، هكذا كان شعور الرؤساء الكبار وكذلك كان شعور البسطاء من الناس.

يقول الإمام: "إن العلاقات التي كانت بيني وبين الناس في لبنان، نتجت عن

١- الإمام الصدر، ربيب القرآن، حسين شرف الدين.

جهود مضنية عن السير مئة ألف كيلو متر في السنة، في كل المناطق، وعن أكثر من ٦٧ محاضرة في السنة"[١].

أعطاه الرئيس جمال عبد الناصر مفاتيح مصر كلها، وأعطاه الفلسطينيون من سكان مخيم الجليل في بعلبك مفاتيح بيوتهم الصدأة في فلسطين وخريطتها، علقوها على صدره وأعطته الأئمة (ع) مفاتيح تاريخهم المشرق، وباب العلم والسلوك.

لكل منّا "موسى صدره".

يقول الإمام: "الحركة السياسية، أية حركة، في بدايتها، تكون ثورية، مغامرة، مقتحمة شجاعه، وبعد أن تنجح، تفكر في الاستقرار، ترتب علاقة مع جهة أو جهات، كي تحفظ رأسها، وتموت عندما تنتهي أنفاس المؤسسين" كثيراً ما ينطبق هذا التوصيف على الحركات وعلى الإنسان معاً، لكن لن يطبّق على الإمام".

لم يفكر يوماً أن يحفظ رأسه، ولا مرّة في حياته، بل وعلى العكس وضع رأسه في مواجهة الظلم وأهله، وجيوشه، وجواسيسه، بقي مثل الحركة في بدايتها، مغامر، مقتحم، شجاع كل الوقت.

سلوكه اقتحامي كله، لم يكن حيادياً أبداً، كان طرفاً، واضحاً جلياً، لم يعرف الهدوء والسكينة، إلا في حالات الصلاة والدعاء والإنصات إلى تلاوة القرآن الكريم والمجالس الحسينية، حتى ذلك السكون، لم يكن سكوتاً ميتاً، بل سكون التأمل والتفكر.

يروي الأستاذ عبد الهادي محفوظ رئيس المجلس الوطني للإعلام.

"كنت مع الإمام في مدينة صور، وفي استراحة ليلية في مؤسسة البرج الشمالي المهنية، فإذا به غارق في التأمل وكان يتصبب عرقاً، فوجئت بالوضع وسألته عن الأمر فقال لي، "المؤمن يستطيع أن يرى قلبه ألواناً".

١- الصحفي وليد زهر الدين، مجلة كل شيء ٣٠-٣-١٩٧٣.

أحد الأخوة، عمل مع الإمام في الجمعية في صور، وتقاعد ثم مرض، عرف الإمام بوضعه، اتصل بالمسؤولين عن الجميعة قائلاً، عمل معنا وعايشنا ووقع، لا يجوز أن نشبع وهو يجوع، ودعا المسؤول لإعادة صرف راتبه شهرياً.

كان يبحث عن نماذج معينة كأعوان له في عمله، يدرس وضعهم، يسأل، يراقب عندما يختار.

أحد أصدقائه أحب مسيحية ورغب في الزواج منها، رفض أخوه، تدخل الإمام وأقنعه وتم الزواج.

يتكلم بهدوء، ولا يأخذ قراراً إذا كان غاضباً، ولكنه ينفس غضبه "بالإيراني" كان يؤمن بكلام الإمام علي عليه السلام.

"إذا خفت أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أصعب من الوقوع فيه".

كان حذراً، لم يكن متهوراً، لم يكن يخاف كان جريئاً على حذر، كان يردد الحديث النبوي الشريف.

من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإذا لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان.

أعتقد بأنه لم يصل مرة في عمره إلى أضعف الإيمان، فقد بقي في منطقة أقوى الإيمان، لذا نراه يغير بيده الطاهرة.

مرة كان ورفاقه يجلسون على درج مدينة الزهراء خلدة، مبنى الجامعة الإسلامية حالياً، قذف أحد الأخوة المدخنين عقب سيجارته على الدرج النظيف، قام الإمام بنفسه إلى عقب السيجارة، أخذه عن الأرض ووضعه في منفضه كبيرة موضوعه إلى جانب أحد أعمدة المدخل، وأكمل حديثه مع الأخوة.

وفي أثناء زيارة لأحد معارفه، من سياد الهرمل، وجد صورة صاحب المنزل مع جماعة في استقبال الملك حسين في مطار بيروت، بعد مجزرة الأردن فقال "إن

الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلّة".

فقام صاحب المنزل على الفور وكسّر الصورة.

في طريق فرعي إلى مؤسسة جبل عامل المهنية، أمر سائق سيارته بالتوقف، ترك عباءته جانباً، ونزل من السيارة وقام بنزع شجرة مغروسة حديثاً على الطريق ورماها داخل حديقة أحد جيران المؤسسة الذي رغب بزيادة مساحة حديقته على حساب الطريق العام، غير عابئ باعتراض الموظفين في المشروع، لم يقبل الإمام تدخل أحد مرافقيه خشية استسهال انتقام الجار منه، جرى كل ذلك أمام الناس والجيران حادثة بسيطة أخرى:

كان الإمام يسير مع رفاقه من معهد الدراسات الإسلامية في صور إلى نادي الإمام الصادق وأمام السينما وجد شخصاً خشبياً على الرصيف مما يعيق حركة مرور الناس، فما كان منه إلا ونزع الشخص الخشبي وحطمه وعندما حاول أحد الشباب مساعدته في تكسيره، رفض خشية انتقام صاحب السينما منه[١].

وفي مناسبة أخرى لها دلالتها الحاسمة.

كان الإمام يلبي دعوة إلى إفطار رمضاني في منزل الأستاذ محسن دلول وكان الأستاذ دلول يسكن في منطقة الزيدانية - بيروت وكان بين الحضور الزعيم كمال جنبلاط، وعند حلول الغروب أذن المؤذن، فقال جنبلاط، أنتم تتأخرون ربع ساعة، كي تفطروا.

فقال الإمام للأستاذ دلول، يجب أن تتماشي مع المنطقة التي تسكنها، لا أعتقد أن الشيخ حسن خالد سيذهب إلى جهنم، يجب ألا يكون عندك روم المشاكسة أو المخالفة[٢].

وفي طريقه لإلقاء محاضرة في "القبيات" قرية مسيحية في عكار، عرّج على

١- عبد الحليم خضرا، مقابلة للباحث معه.

٢- الاستاذ محسن دلول، مقابلة للباحث معه.

آل جعفر في منطقة الهرمل، فعرضوا عليه طعام الغداء، فاعتذر وقال إذا كنت أتنجس منهم، فلا قيمة للكلام هناك، أتكلم عندهم وآكل عندهم[1].

أحد الأخوان من صور، كان مريضاً وكان يقرأ في كتاب دعاء وفيه طلسم للشفاء، وفيما هو يقرأ أمام المؤمنين في النادي، تقدم الإمام وأمام الناس وأخذ الكتاب ومزّق الصفحة التي تحوي هذا الطلسم وقال هذه مخالفة للمعتقدات[2].

يروي السيد محمد الغروي، وكان حديث الوصول إلى لبنان من النجف، "كنتُ والإمام في سيارة وعند مرورنا بقرية في الجبل في أثناء الصيف رأيت نساء يلبسن ثياباً قصيرة فتعجبت وسألت الإمام، فقال عندما تعود للنجف قل للعلماء، إلى متى تقرأون الأصول والفقه، إلى متى تتركوا الناس، يجب أن يهيئوا أنفسهم لهذه الأمور[3].

كان يتابع المجريات السياسية أولا بأول، يروي الأستاذ عبدالله موسى مرة كان الإمام عائداً من الخارج تكلمت معه من برج المطار، سألني عن الوضع في لبنان، أخبرته عن قضية المعلمين، فطلب مني تحضير المنصة لأنه سيتكلم في الموضوع[4].

كانت حافظته قوية، إذا كلفك بقضية لا ينساها، يبقى يسأل عنها حتى تتحقق، يحفظ غيباً الكثير من أرقام الهاتف الخاصة بمن حوله[5].

يقول الشاعر جورج غريب:

لقد حفظ مقدمة نثرية شعرية طويلة عنه، قلتها قبل سنة وعندما التقيته بمناسبة محاضرة، تلاها حرفياً[6].

١- السيد حسن مصطفى طعان دندش، مقابلة للباحث معه.

٢- السيد محمد الغروي، مقابلة للباحث معه.

٣- المصدر نفسه.

٤- الاستاذ عبدالله موسى، مقابلة للباحث معه.

٥- الاستاذ حسين بيطار، مقابلة للباجث معه.

٦- الشاعر جورج غريب، مقابلة للباحث معه.

يقول الشاعر نجيب جمال الدين: ولأكثر من ثلاث ساعات متتالية تلا الإمام شعر الشاعر الفارسي المعاصر شهريار وخاصة من ديوانه العظيم "ملحمة الليل" وكان يقارن بين ليله وليل غيره من الشعراء، كان الإمام ينقل شعره من الفارسية إلى العربية مباشرة[1].

يروي القاضي أديب علاّم:

زارنا في معهد القضاء الأعلى وألقى محاضرة، كان تأثيره عظيماً كواحد من خبراء القانون، فترك موجة إعجاب كبيرة بين القضاة والحقوقيين".

يقول الدكتور حسين كنعان:

كان يتصل ليلاً، في الحادية عشرة، يسألني عن آخر كتاب قرأته ويناقش في محتوى الكتاب وكان يفرض علي قراءة الكتب المهمة باللغة الأجنبية كان يتدخل في البنية المنطقية للكتاب، كان يمتاز بعقل أكاديمي منهجي[2].

يقول دولة الرئيس نبيه بري: كان عالماً في اللاهوت المقارن، محاضرته في هيئة النضال - البربير عن وجود الله كانت استثنائية في دقتها، ومستواها وعمقها الفلسفي[3].

يقول الفنان الرسام الأستاذ رفيق شرف:

"كان يدهشني كيف يرى الأشياء، رجل يمتلك ثقافة وإحساس بالجمال، والتعبيرية الفكرية، والثقافية مذهلة، عنده غنى داخلي، وغنى روحي، وكأنك أمام رجل دين، عالم وفيلسوف، وشاعر رومانسي جداً، كان يصف الأشياء وكأنه مبدع، كان فناناً بالقوة، كان يصف لنا الإيمان عبر ملاحظة عظمة الطبيعة، وعناصرها الزهور، الشمس الحشرات، الحيوانات، المخلوقات، يتحسس عظمة الخالق"[4].

يقول السيد حسين شرف الدين في كتابه عن الإمام الصدر ربيب القرآن:

١- الشاعر نجيب جمال الدين، مقابلة للباحث معه.

٢- الدكتور حسين كنعان، مقابلة للباحث معه.

٣- د. الرئيس نبيه بري، مقابلة للباحث معه.

٤- الفنان الرسام رفيق شرف، مقابلة للباحث معه.

لقد شجع ابن اخته صادق طباطبائي على البحث عن أصل النغم الشرقي، وكان رأيه أن هذا النغم له صورة الحرمان والظلم، حتى في الموسيقى كان يبحث عن المعنى[1].

يقول الأستاذ محسن ابراهيم: شخصية السيد تحسن توظيف ما لديها من آراء وأفكار ومواقف، في زيادة التعامل مع الآخرين[2].

أما السيد حبيب صادق فيقول:

"كان يتحلى بصفات الإستعداد لقبول الآخر، الرأي المخالف، لم أسمع وأقول للتاريخ على الإطلاق بأن السيد موسى الصدر قد وجه لنا نقداً، وحاشا أن أقول قد وجه لنا تجريحاً، كما يحصل في أيامنا الراهنة". "لم يترك مكاناً مرّ به إلا وترك بصمات وآثاراً عليه، تشعر وكأن الإمام لك وحدك، كان كثير التواضع حتى تشعر وكأنه يتعلم منك في جوانب معينة، ويتشارك معك في إيجاد فكرة مشتركة والحقيقة تكون الفكرة من عنده، لكنه يشعرك أنها مشتركة، بينك وبينه، فتشعر بحميمية خاصة في علاقتك معه"[3]. هذا ما قاله المحامي الأستاذ راشد المقدم عن شخصية الإمام.

يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين:

"كان من الرجال الذين يعون بشكل دقيق وحساس، قيمة التواصل مع أبسط المستويات في الحال الشعبية، يمكن للبعض أن ينظر إلى السيد على أنه رجل صالونات، وأنه كان يستخدم الحالة الشعبية لأهدافه، أنا أشهد أن السيد ربما كان رجل صالونات، ولكنه في الوقت عينه كان صادقاً بعلاقاته مع المستويات الشعبية، وكان يعتبر رجل مسجد ناجح في تعاطيه مع رواد المسجد، الذين كانوا في ذلك الحين ليسوا كما هم الآن، منهم نخب طالبية مثقفة كانوا ينتمون إلى الفئة الشعبية الأمية الساذجة في الغالب، فكان يألفهم، ويجلس معهم، وكانت ليالي شهر رمضان

١- السيد حسين شرف الدين، الإمام الصدر، ربيب القرآن.

٢- الاستاذ محسن ابراهيم.

٣- الاستاذ راشد المقدم، مقابلة للباحث معه.

في مساجد صور، والحسينيات ليالي مميزة عنده[1].

يقول المطران جورج خضر:

"إنه شخصية عظيمة موهوبة جداً، كثيرة المواهب والمطلّة، كان متوازناً إذ يستطيع أن يؤدي سلوكه إلى صداقات حقيقية، مع فئات على اختلاف مشاربها، كان دقيقاً في كلامه كما يجب. إن السياسة عنده غير منفصلة عن حب الناس، إنه أقرب ما يكون إلى رجل عمل منه إلى رجل أكاديمي. الأشياء العلمية موجهة عنده للعمل ولنهضة قومه ولسلام أهلي حقيقي"[2].

يقول الأستاذ كريم بقرادوني:

كان يعتقد أن الإنسان عنده قدرة داخلية روحانية وسطوه روحانية[3]. كان يملك "كاريزما"، من الصعوبة أن تلتقي به ولا تحبه[4]، ويملك قوة غريبة، نفسية، لا أحد يخرج من مجلسه غاضباً[5].

يقول السيد المرجع محمد حسين فضل الله:

"كان يتحدث عن البابا بشكل بعيد عما هو مألوف بالأسلوب التقليدي بالحديث عن شخصية خارج الدين، كان يملك أخلاقاً أعلى من واقع الأخلاق الواقعية التي تجتذب الآخرين، بحيث يكون لها فعل السحر في نفوسهم"[6].

لم تكن تعنيه المظاهر وليس للمال شأن لديه، أكثر من مرة رأيت قميصه مهترئاً، كان يعتقد بالتعاضد الاسلامي، كان يردد "ارحم عزيز قوم ذل". "أحبه رجال المال لاهدافهم، كان يأخذ منهم ويعطي الفقير". قال الأستاذ راشد المقدم:

١- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مقابلة مسجلة للباحث معه.
٢- المطران جورج خضر، مقابلة للباحث معه.
٣- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.
٤- الدكتور فؤاد بستاني، مقابلة للباحث معه.
٥- النائب السابق بيار حلو، مقابلة للباحث معه.
٦- المرجع السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.

عندما سأله السيد محمد الغروي، لماذا لا يكون لك منزل خاص؟

أجاب الإمام: كل منازل جبل عامل منازلي.

وعندما غادر الإمام إلى ليبيا ولم يعد، لم يكن باسمه الشخصي أو لعائلته منزل، سكنوا في منزل لأحد أصدقائه المعروفين، ومن هذا المنظور، هل أعطى الإمام المثل الإيجابي للعلماء والقادة والكوادر: أم المثل السلبي، هل ساروا على دربه في الزهد، أم ساروا عكسه في طريق تكديس المال؟ ولعل علاقته بالمال آتية من مدرسة والده، وكان رئيس حوزة قم، حيث كان يوزع سهم الإمام عبر وسطائه وكان يشترط ألا يقولوا عن مصدر الأموال، أم من حياته الشخصية، حيث لم ير سجادة في منزل أهله حسبما قال الشاعر نجيب جمال الدين.

واختلطت شخصية الإمام بحركته، لذا يصعب التمييز بينهما، ونرى الأستاذ محسن إبراهيم يقول:

"فحركة السيد موسى ككل الحركات الواسعة، هي تيارات شتى، ومواقف شتى، وآراء واجتهادات شتى، وبالتالي كان فيها شخصيات، السيد موسى يرفدها على قاعدة لكل مقام مقال".

وحول العلاقة المعقدة مع الإمام وحركته، يتابع الاستاذ محسن ابراهيم:

أذكر هاتين المحطتين لأن هاتين المحطتين كان يظهر أن دخلت العلاقة مرحلة، شئنا أم أبينا، أياً كانت علمانيتنا، المركب صار فيه كل القوى، وبالنسبة للسيد موسى الصدر أياً كانت موجبات هذه الحركة وخصوصيتها، لم يعد، بمستطاعه أن يكون خارج دائرة هذا الاستقطاب مواقف موضع خلاف، رفض الإدارة المدنية، حصل خلاف وكان ممثله السيد حسين الحسيني، كنا معه في المجلس الشيعي، وكان معنا في الحركة الوطنية، نحن وإياه ينطبق عليها مثل الخلاف، لا يفسد للودّ قضية، وهذا تكوين ضمن الموقع العام[1].

وكانت أيضاً النظرة له مختلفة من زاوية أخرى. يقول الأستاذ المحامي راشد المقدم:

١- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

"في تلك الفترة كان يمثل بالنسبة إلى المسلمين إمكانية التوازن مع البطريركية المارونية"[1].

ومن زوايا شخصيته، "أنه أتى بعدد كبير من الإيرانيين، مجموعة هاربين من حكم الشاه، ذهبت بهم إلى أصحابنا في الأرز، للمكوث عدة أيام يخططون فيها لعملهم".

أما المطران جورج خضر فيرى الصورة أوضح وأشمل، يقول، إنه أي الإمام يريد إبراز الشيعة تاريخياً وإخراجهم من قوقعة اللاسياسة، إلى العمل السياسي الاجتماعي لرفاههم، وتقدمهم، والانخراط الكامل في الكيان اللبناني، إلى جانب هذا، كان يتوق طبعاً إلى تحرك شيعي عالمي، أسهم في تشييع بعض العلويين في طرابلس، وبعض النصريين، وذهب بعض علمائهم إلى النجف ودرسوا، وبثوا الدعوة الشيعية في الجبل العلوي، طبعاً التصور، يتابع المطران خضر.

إذا تشيعوا ونزلوا غرب حمص، لأن الطريق ذاهبة من الجنوب البقاع الغربي - القاع - إلى تخوم حمص، إلى انطاكية، حيث هناك شيعة إلى جنوب تركيا يسمونهم علويين، وامتداداً إلى العراق وإيران. عنده الوحي لرسالة الإسلام الشيعي في العالم"[2].

وحول موقفه من الحرب في لبنان ١٩٧٥، يقول الدكتور ألبير منصور، هناك محطة مهمة لعلاقتي مع الصدر تمثلت بالمحاولات المستميتة لوقف الحرب.

ويورد الشيخ محمود فرحات:

عملنا في المجلس كي يكون مركزاً عالمياً للتشيع، وكان للمجلس علاقات مع أفغانستان - باكستان - ومراسلات.

ويورد الشيخ فرحات أيضاً:

لقد سأله الأخ عبد الحليم خضرا لماذا لا تقيم تنظيماً عسكرياً وميليشيا،

١- الاستاذ راشد المقدم، مقابلة للباحث معه.

٢- المطران جورج خضر، مقابلة للباحث معه.

فأجابه الإمام، أنا لا أريد العنف، نحن نريد أن نعمل تياراً لبنانياً، تشترك فيه الطوائف لرفع الحرمان عن الناس.

ويقول دولة الرئيس رشيد الصلح: شخصية الإمام الكبيرة، التي تعتبر وجودها في لبنان كان أمراً مفيداً للبنان ولجميع اللبنانيين[1].

ويقول صديق الإمام الضابط في الدرك اللبناني حبيب الأسمر:

"يقول الإمام، لو بقي مسيحي واحد يجب أن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية مسيحي، نحن نريد أن تبقى صورته مسيحية، أنا أوافق عليه حتى يبقى الرابط بين الدول الإسلامية والغرب، بواسطة هذه الدولة العربية المسيحية[2].

أما المحامي الأستاذ كريم بقرادوني فيقول، قال لي الإمام "لا يمكن أن نظل عندنا وطن بالإعارة، الأمن مستعار والاقتصاد مستعار، الأمن سوري، الاقتصاد سعودي، وهناك صراع بين الأمن والاقتصاد، يتابع الأستاذ بقرادوني:

"موسى الصدر صالح الشيعة مع النظام اللبناني - حرك عصبية لبنانية حقيقية عند الشيعي وهذه العصبية التي تترجم الآن بالشهادة في الجنوب، أقول لولا الإمام الصدر لما كان الشيعي اليوم من بناة الدولة، أدخل إلى عقل الشيعي فكرة المقاومة - فكر الدولة.

ويتابع "موسى الصدر، كانت الرهبنة ترتاب منه وتخافه، الآن هناك تسويق صورته - صورة الشيعي الذي نريد، أو الذي يجب أن يكون، أو الشيعي اللبناني أصبح جسر ثقة، كل من ينتمي إلى فكر موسى الصدر، ملفت عنده اللبنانية، هوية حقيقية، يعني اللبناني قبل العربي، واللبناني قبل الفلسطيني واللبناني قبل السوري[3].

١- الرئيس رشيد الصلح، مقابلة للباحث معه.

٢- الضابط حبيب الاسمر، مقابلة للباحث معه.

٣- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.

وحول اختلاف الناس والمواطنين والنخبة، في تحديد دور له، يقول، "أيام المستقبل، سنكشف أنه ليس هناك في لبنان أحد يقدر أن يحدد لي دوراً، أنا دوري محدد من الله سبحانه وتعالى ومن تاريخ وطني وديني ومذهبي وسيبقى، إن الذي يحدد لي دوري هو أكبر من العهد والأوطان"[١].

وحول خيبة أمل من انتظروا الإستفادة منه ومن الحركة، يقول الإمام "غضب النافذون والوجهاء والسياسيون والشخصيات والأغنياء وكبار العائلات زُعلوا" واعتبروا خيبة أمل في هذه الطائفة وفي هذه الحركة".

أما السيد محمد حسن الأمين، فله وجهة نظر أخرى، ننقلها يقول: إن السيد موسى باني بشكل أساسي هذه النهضة السياسية، المنفتحة لشيعة المشاركة في القرار الفعلي الحيوي، أنا أعرف اللبنانية، هي أسلوب النظام في الدفاع عن نفسه، عندما يواجه أزمات ومفارق كبيرة، أدرك السيد موسى الأمر، كان يسبح ضد الحرب، الحرب قتلت موسى الصدر شخصية مثل السيد موسى، لم يحتملها النظام الطائفي. لم يكن يريد الإمام الصدر، هذا الوضع الحاضر للشيعة، ويتابع السيد الأمين: الوضع الشيعي استقام ضمن الضغوط الطائفية، وأعطيت مكافآت للأشخاص وللقوى التي ساهمت في ترويض الوضع الشيعي وتدجينه، كوّن السيد موسى المجلس الشيعي وحركة أمل، لكنه ليس حاضراً لا في الحركة ولا في المجلس.

السيد موسى، والكلام للعلامة الأمين، سارع إلى إطلاق ما يسمى بحركة المحرومين، لأنه عرف أن النظام الطائفي الذي تجاوب معه لا يستوعب مشكلة الشيعة، يستوعب كم برجوازي شيعي، يريدون أن يعينوا مدراء "عامين"، ورؤساء مصالح، يريدون أن يعينوا وزراء[٢].

وحول علمه يقول آية الله آذري قمي:

١- الصحافي وليد زهر الدين، مجلة كل شي، تاريخ ٣٠-٦-١٩٧٣.
٢- العلامة السيد محمد حسن الأمين.

لقد كان مجتهداً، والمجتهد الذي يملك القدرة على استخراج المسائل من المدارك والمصادر، وقد امتلك هذه القوة، وقد كان بيانه ومحاججاته واضحة، ملفته للنظر، بالإضافة إلى اطلاع على العلوم المختلفة غير الحوزوية، إلى جانب دراسته عند آية الله دامادا، درس كتاب الزكاة عند الإمام الخميني قدس سره، كما درس بحث الخارج عند آية الله الخوئي، كما درس الأسفار عند آية الله الطبطبائي، كما درس قسماً منها عند السيد محمد باقر الصدر أيضاً[١].

ومن صفاته الشخصية المؤثرة

كان يطلب من معاونية في العمل، أن يقولوا لا[٢]، كانوا مسحورين بحضوره، ومعرفته، وعلمه، وأسلوبه ولياقته، وأمام هالته، وتأثيرها الحتمي، كان بعض ممن يحضرون الجلسة يتجنبون النقاش والتعليق، كان يحثهم على قولا كلمة لا.

إنه في هذا السلوك يسير عكس سير سائر الزعماء، لأن أغلبهم يتحينون الفرص لمعاقبة من يقول لا، سواء مباشرة أم بعد حين فكلمة لا في مجالس الحكام، تخرج صاحبها من المجلس، ومن العمل في الدائرة وفي الحزب، وقد تصل به إذا كانت "لا" ثابتة وقوية، وعلى مسائل مصيرية، تكاد تخرجه من الحياة.

كان يحب الأولاد أن تحضر دروسه ولقاءاته، ففي واحدة حدثت أمامي في حسينية برج البراجنه - الرمل، كان في الحسينية في أيام عاشوراء، لقد حضر قبل الموعد بقليل كانت الحسينية تمتلئ شيئاً فشيئاً، فإذ بمجموعة أولاد يحدثون جلبة، داخل الحسينية إلى جانب المدخل، فقام أحد مسؤولي الجمعية بإخراج الأولاد من الحسينية، فإذ بالإمام يتدخل ويبقي الأولاد، مشترطاً عليهم الهدوء والاستماع.

وحول علاقة شخصيته بمشروعه ورؤيته، يقول الأستاذ باسم الجسر، حرص

١- آية الله الاردبيلي

٢- السيد سلمان امون- صور- مقابلة للباحث معه.

السيد موسى على أن يكون مشروعه للطائفة الشيعية، ومشروعه للبنان، مستقلاً عن كل ما يجري في اللعبة، كل هذه النزاعات العربية كان يرفضها، لكن وجوده كان عقبة بوجه الجميع، برأيي أن السيد ومشروعه لم يكن داخل أي مشروع من المشاريع العربية أو الخارجية التي كانت تتصارع في لبنان"[١].

ويظهر في هذه الحالة، وهل هذا جزءٌ من سبب تغيبه عن الساحة؟ ويتابع الأستاذ الجسر ذكريات تلك الفترة واهتمام الإمام: عندما كنا نجتمع مع بعض الأثرياء كان يلاحظ الفرق بين أوضاع المحرومين في لبنان وبين بعض المستويات المعيشية، كنت ألاحظه ينتبه لهذا الشيء في كل الأماكن، وكأنه يقارن لكنه بغير حقد[٢].

ويتابع الأستاذ الجسر حول نوع اهتمام الإمام:

"في خلوة باريس، سألني عن جبل لبنان، وعن العائلات، مثلاً لحود وعن الخلافات والصراع بين الكتلة الوطنية والدستورية، وعن الحياة اللبنانية، كان حريصاً على المعرفة، معرفة كل شيء، لا يهتم بالأمور السطحية، والشكلية، يدقق بالمعلومات الدفينة، كان عنده البعد والاستشراف.

وحول تقديمه الدين بصورة حضارية مناسبة مقرونه بالعلم، يقول الأستاذ الجسر: أعطى دوره الديني قماشة جديدة، تجذب الولاء والثقة لأبناء الشيعة والمسلمين، كذلك كان يطل على الغرب، ويفرض احترامه، لأن الخطاب الإسلامي كوّن أكبر مشكلاتنا، كنا بحاجة لخطاب يتوجه للغرب، على مستوى حضارتهم وعلمهم ومستواهم الفكري، من غير أن تخرج على المبادئ والأصول الإسلامية، هو إلى حد ما كان عنده هذه المقدرة[٣].

١- الاستاذ باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

٢- الاستاذ باسم الجسر، مقابلة للباحث معه.

٣- المصدر نفسه

من يجرؤ

في ١٤- ٩- ١٩٧٤ عقد في مبنى المجلس ـ الحازمية، اجتماعاً لأعضاء الهيئة العامة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. وبعدما عرض الدكتور أحمد زروي أبرز المنجزات، منذ تأسيس المجلس ٢٩ ايار عام ١٩٦٩ حتى أيلول ١٩٧٤، ألقى الإمام كلمة جامعة جاء في نهايتها.

"إنكم تعرفوني بالتفصيل ولعلكم تشاهدون شقائي وجهدي ومواصلة ليلي بالنهار، ولعلكم تعرفون، أنني لا أملك قطعة أرض ولا عرق شجرة ولا قرشاً في المصارف، بل سيرثني أولادي بديون ومسؤوليات جمة"

من يجرؤ في هذا الوقت وهذا العصر، أن يقول هذا القول، بل من تجرأ في كل العصور.

لعل جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال ما يشبهه حين كنس بيت المال وهو خليفة وقال: "يا دنيا غرّي غيري أبي تعرّضتِ أم إلي تشوقت، هيهات، هيهات، قد طلقتكِ ثلاثاً ولا رجعة لي فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير.

خطابه

يمثل خطاب الإمام جزءاً أساسياً من شخصيته، فقيه يطل على الناس، فمن خطابه تستطيع الولوج إلى شخصيته، فتراه واضحاً، في علمه وأدبه وأخلاقه، وصفاته، وميزانه الدقيق، الذي به يزن الأمور، كل كلمة لها دلالة، بل كل حرف، درجة حرارة الخطاب تحددها دقة وحراجة الوضع. ففي اليوم الواحد كان يتكلم في أكثر من مكان، لكل مقام مقال، لكن خطابه واحدٌ في جميع الأمكنة، لكن لكل مكان خصوصية، لكل مستمعين خصوصية، يدخل إلى الكلام يغرف من بحر لا ينضب، كل العلوم التي اختزنها فترة الدراسة في قم أم النجف، كانت معيناً له في لبنان، إلى جانب معرفته الوثيقة بالساحة اللبنانية، وتناقضاتها وتشعباتها، جرّبت في إحدى المرات تلخيص محاضرته التي ألقاها في الندوة اللبنانية، لم أستطع، فكلامه المكتوب عمارة متكاملة ليس عنده كلام في الفراغ.

يتكون خطاب الإمام من عناصر عدة:

المناسبة: وقد تكون دينية، وطنية، أعياد، محاضرة، ذكرى وغيره، عادة تكون المناسبة نافذة يدخل منها إلى الموضوع، وفي صلب الموضوع، يورد الإمام إحصائيات، ونسب، حتى للجماهير يورد الأسلوب العلمي، الذي يحاكي العصر، ودرجة المعرفة، منذ البداية يعلن الموضوع مباشرة، إنه يهدف إلى إقناع السامعين بوجهة نظره، تدريجياً يتقدم خطوة خطوة، يحيط بالموضوع من عدة جوانب، يصوَب على نقطة، يريد ترسيخها، ينتقل إلى أخرى مساعدة، ويأتي دور المواقف، الموقف هو الأساس، يحلل سياسة لكنه في خدمة الموضوع والموقف، عندما

تخرج من محاضرته، تكون مليئاً بخطابه وعناصره العديدة، وموقفه، ومقتنعاً بدقة مقاصده، كان يقود الجماهير بخطابه، يقودهم إلى مقصده، والذي بعد الخطاب، أصبح مقصدهم.

خطابه في الجوامع والحسينيات، يطغى عليه النص القرآني، وخط أهل البيت (ع) مدرسة عاشوراء جاهزه في كل الأوقات جاهزة في كل مفرداتها القديمة والمعاصرة، والنبرة الخصوصية، التي ترفع من وضع الحدث المحصور في زمانه، إلى أن يمس حدثاً يتنقل عبر العصور، وصولاً إلى وقت الخطاب، في حديث الإمام لأحد معاونيه، عندما تأزمت العلاقة في أثناء ولاية الرئيس سليمان فرنجية، ودولة الرئيس الأسعد، وبعد محاصرة المجلس والإمام، قال لأحد معاونية متوعداً: آتية عاشوراء بعد أيام وستعرف الناس من هو يزيد وأتباعه.

خطاب المدارس والجامعات، يغلب عليه روح الثقافة، وعلى المستوى الفكري، بالإضافة إلى معطيات المعلومات والإحصاءات، ووقائع سياسية صادمة، والحث على أخذ الموقف.

محاضرته عشية الحرب الأهلية ١٩٧٥، في كلية الحقوق - الجامعة اليسوعية الأشرفية - وكنت بين الحضور. جلس الطلاب والأساتذه في الممرات، كانت القاعة ممتلئة، كانت الحماسة مرتفعة وفاجأ الحضور بقوله "اتحداكم أن تأخذوا موقفاً، لقد احتلت إسرائيل في عديسة الجنوب منطقة، وضمتها بالشريط الشائك.

وفي خطابه في العاملية، أيام عاشوراء قبيل سفره إلى ليبيا بثلاثة أشهر. خطاب كان درجة انفعاله عاليه، لقد تكلم عن أحاسيس الكون والعلاقة مع التراث الحسيني الثائر.

أعتقد أن محاضرتي "الندوة اللبنانية" كانتا من أعمق ما كتب الإمام، نظراً لأهمية الحضور، إذ كانت الطبقة الحاكمة، والنخبة المثقفة التابعة لها، في عداد حضور محاضرات الندوة.

محاضرة في مكتب جبهة النضال - البربير، كانت غاية في الدقة والفلسفة،

وقد كنت بين الحضور وكانت عن وجود الله، لقد حضر أغلب كوادر أمل قبيل تكوينها.

كان خطابه السياسي موحداً، عناوين موحدة، معروفة، امتيازات - تسلط، فساد - حرمان، إقصاء - إهمال مناطق نائية.

خطاب الكبوشية، غاية في الدقة والإنسانية، أصل الكون واحد والأديان واحدة، توحيدي من نوع خاص وفي "دار الفن والأدب" شارع بشارة الخوري كلام عن العمل والعمال في عيد العمال، نخبة من الحضور، ومن أجمل المناظر ذلك الزمن أن ترى الصحافي غسان تويني يجلس في آخر الصفوف، يستمع ويناقش الإمام.

يقول الأستاذ كريم بقرادوني عن خطابه:

لم يكن عنده خطابين، خاص وعام، عنده خطاب واحد ويترك الظلال، أنه لاعب ماهر، لا يكشف كل أوراقه، كان يترك دائماً ورقة ما مخفية عن اللعبة، ما يسميه الظلال.

فلسفياً لم يكن عنده، فكرين، خطابه كان متنوعاً، ويصعد وينزل ويتلاءم، كان عنده فن الخطابه، كيف يستغل المناسبة والفرصة، ليوصل الرسالة، كان عنده يقظة حول اللحظة، يعني يلتقط اللحظات ويعطيها، ويستعمل الخطاب الملائم لها.

كان عنده فكر متجانس واحد ممسك فكرياً أبداً عليه[1]".

عام ١٩٧٥ وفي أثناء احتفال تأبيني في قرية جبشيت، لأحد أوائل الشهداء من آل حرب، وقد كنت شخصياً بين الحضور، تعاقب كل من الإمامين شمس الدين والصدر على الكلام، إلى جانب خطباء آخرين، جاء في بعض خطاب الإمام الشيخ شمس الدين موجهاً لومه للسلطة قائلاً: "هناك عشرات الآلاف من المواطنين اللبنانيين، يستجدون الهوية اللبنانية، كان يقصد أهالي القرى السبع المحتلة من قبل

١- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.

العدو الإسرائيلي بالإضافة إلى مكتومي القيد، في أكثر من منطقة في لبنان، وكانت تلك مفرده من مفردات الأدبيات السياسية لحركة المحرومين يومذاك.

أما الإمام السيد فقد استهل خطابه بالثناء على علم وفكر الإمام شمس الدين. وحدد:

"لن نستجدي الهوية، بل سننتزعها من حلق السلطة ومن قلب السلطة، هذا حقنا وسنأخذه بالقوة".

إنه الإمام الذي أعطى السلطة فرصة، امتدت خمسة عشر عاماً، لتصحيح الأخطاء فرفضت، انتقل إلى الأسلوب الآخر "الذي لا تفهم غيره".

هو نفسه الإمام يقول لوفد مزراعي التبغ الذين قاموا بزيارته في نادي الإمام الصادق عام ١٩٧٥ يشكون إدارة الريجي في تصنيف المزارعين لا تصنيف التبغ، يقول لهم:

إذا أرادوا فتح مراكز التسليم هذا الأسبوع... إكسروها.

وتراه في مكان آخر يوصي السيد حسين الموسوي، أبو هشام في البدايات.

"عليك كسر الزجاج، إضرب على الزجاج، إعمل ضجة، إعمل أزمة، بدّك تعرف، بهذا الهدوء لا يمكن أن تحصل على شيء".

والسؤال كيف ذلك الرجل يحض على العنف، كيف له أن يبكي بكاءً مراً، عندما يستعيد حديث أخيه رضا عن أمه المريضة.

نصوصه مميزة كلها، مثلاً يكتب.

الإنسان: خليفة الله في الأرض، أعطيت له مفاتيح الكون، وعلم الأسباب والأسماء، وسجدت له الملائكة، وسخرّت القوى الكونية كلها، والطريق الوحيد إلى المقام المنشود، مقام خلافة الله في الأرض، تبديل القوة بالفعل.

في بدايات حضوره إلى لبنان وفي مقابلة صحيفة أتي فيها:

"إن مهمتي الدينية بالذات، تهدف أول ما تهدف في لبنان إلى رفع مستوى

الحياة الاجتماعية بصورة عامة، إلى رفع مستوى الثقافة الدينية عند المسلمين، بصورة خاصة، لأني اعتقد بأنه لا يمكن رفع المستوى الديني ما دامت الحياة الاجتماعية على ما هي عليه.

لن أقصر دعوتي على المؤمنين العاكفين في المساجد، بل سأتجاوزها إلى إلقاء الخطب والمحاضرات في النوادي والمدارس.

ومن الأهداف السعي إلى تجديد النظام، حتى يقوم بصالح الناس وهديهم[1].

إن الكلام عن "تجديد النظام" في عام ١٩٦١ كان كلاماً جديداً على علماء الدين.

ثوري في نصوصه وخطابه ولنرى:

نحن أساتذة الفداء، نغرق في عجول الذهب، ومداميك العمار، وأشبار العقار، نعيش على هامش المنطقة، ونحن أهلها، ننظر إليها كما ينظر الأيتام إلى أكف اللئام[2].

وفي نداء بث من التلفاز اللبناني عام ١٩٧٠ يقول الإمام منتقداً نظام الامتيازات جاء فيه "إذا كنا نجد في التاريخ أو في بعض الأفكار المتحفيّة، نجد لبنان الجبل، أو لبنان المتصرفيات والأقاليم".

فكما عرف الإمام كيف يخاطب الأفراد والمجتمع والجمعيات والنوادي وغيرها، فقد عرف أيضاً مخاطبة القرى، ففي زيارته بريتال، بعيد مهرجان بعلبك عام ١٩٧٤، اصطف أهالي القرية بسلاحهم وعلى مسافة طويلة، يرغبون باستقبال الإمام والسلام عليه، وعندما اجتمعوا في حسينية البلدة خاطبهم بعبارات الرجولة والإقدام ووصفهم مثل أبطال قريش".

عبارة صغيرة كان لها الأثر الكبير في تزخيم موقف أهالي بريتال الإيجابي من الإمام وخطه، وتحركاته المطلبية والمقاومة، إلى درجة أن خصصت بريتال في

١- الصحفي محمد قره علي، الحياة ٢٢-١٢-١٩٦١.

٢- غسان همداني، من روائع اقوال الإمام ص ١٨.

جبانتها حيزاً واسعاً لقبور الشهداء، مع العدو الإسرائيلي والتكفيري لاحقاً، تضم الآن العشرات منهم.

وحول وحدة لبنان الطبيعية يقول:

الدفاع عن شتلة التبغ في تلال عاملة، هو الدفاع عن الداليه والتفاحة في أعالي المتن والشوف وحول سيدة لبنان في جونية[١].

وحول الوطنية الصافية يقول:

لا نسمح للفكر الصهيوني والنازي أو التعايش، أو العنصري أن ينمو في وطننا، كما لا نسمح للفكر العنصري الجديد المتلبس بغطاء بعض الأحزاب أن ينتشر بين أبنائنا[٢].

وحول العلاقة مع إسرائيل بحدها الأدنى أو الأعلى.

"إن كل قطرة من أدوية إسرائيل، هي سم زعاف"

يسمم أجسامنا وأجسام أولادنا، إن كل من يذهب إلى مستوصفاتها، إنما يذهب إلى وكر الأفاعي[٣]. وعن أميركا قال جملة مختصرة، "أميركا لعبة الصهيونية العالمية".

وحول مفهوم السلاح بين أيدي المجتمع.

السلاح ضد العدو زينة الرجال، ولا سلاح عندما يستعمل في الإحتفالات لأنه يتحوّل آنذاك إلى عادات وطقوس لتكريم أو حزن فيفقد معناه[٤].

وحول النقد الإجتماعي الجذري لمصلحة المحرومين، يقول:

١- غسان همداني، من روائع اقول الإمام ص ٢٨.

٢- غسان همداني، روائع اقوال الإمام ص ٣١.

٣- غسان همداني، من روائع اقوال الإمام ص ١٠١.

٤- غسان همداني، من روائع اقوال الإمام ص ١٠٩.

نرفض أن يدخل صفوف طائفتنا رجال صغار، لا يملكون سوى ثمن البترول، والدس والذهب، وليذهب المأجورون، ولو لبسوا لفّات وسموا أنفسهم أئمة[١].

وضع الإمام في خطابه، مفردة التقسيم، كركيزة أساسية للرفض، يقول:

"إنني ملتزم بمقتضى إيماني بوطني وإيماني بديني ومذهبي أن أمنع التقسيم بقوة السلاح وأن لا أسكت عن ذلك، حتى لو استدعى حياتي وحياة غيري"[٢].

وحول علاقة الجغرافيا بالإنسان ومدى تأثير ذلك، يقول الإمام "قرب لبنان من البحر، المناخ المعتدل سلامة الجسد، لبنان ذو واقع حضاري، تتكون الحضارة من مختلف الحضارات المتنوعة، وثقافات متعددة، وتيارات فكرية متنوعة، مما يجعل لبنان ملتقى أو معرضاً أو نوافد حضارية، تعكس على لبنان تجارب ملايين ومليارات البشر"[٣].

وحول النتيجة يوضح الإمام:

"ومن الممكن أن تستغل الألوان والمجموعات للعزل والإنفصال، ويمكن أن تستغل كمنطلقات للتعاون، والشرط الأساسي للتعاون وجود الإحترام المتبادل".

لكن يفسر الخطر الأساسي على لبنان، يتابع:

"هو الخطر الداخلي، خطر الإنقسام وهو يحصل نتيجة للتحقير، وعدم الإحترام والاحتقار للوطنية، تصنيف الناس"[٤].

يقول الدكتور فؤاد البستاني، قبل أن يقرأ الخطاب في احتفال ما كان يقرأ لنا ويسألنا رأينا فيه وهل هناك نقص أو زيادة.

لقد اعتاد الإمام في خطابه الدمج بين الثقافي والسياسي يقول:

١- المصدر نفسه، ص ٣٢.

٢- المصدر نفسه، ص ٧٧.

٣- عادل مالك، جريدة الجريدة، ٢١-٦-٦٩.

٤- عادل مالك، جريدة الجريدة، ٢١-٦-٦٩.

"كل بيت للفساد يعتبر خلية للعدو في داخل البلد".

إنه ارتباط العمالة بالفساد، وضرورة الحفاظ على الأخلاق في المحل الأول.

يقول: "التدين هو التفتح على الآخرين".

ويحض على أن "العلم أفضل ثروة، ومن يتأخر فيه لا يحق له العيش في هذا العالم".

وفي الجانب الفكري للإمام لغة خاصة، مثلاً، يقول:

"إن الصيام والصلاة، والعيد ليست طقوساً وتقاليد مفروضة، تقدمها تكريماً لله، وتؤديها ضرائب للغيب، بل إنها محركات ودوافع تجدد قوة الإندفاع في الحياة الصحيحة، وتصحيح الإنحراف والخطأ في السلوك الإنساني"[(١)].

وحول الإيمان بالله بالمعنى الواقعي العملي يقول:

وهذا الإيمان بالله يزعجهم، ويحاولون التشكيك فيه، ووضعه في قفص الإتهام، ثم يبرزون بعض التعاليم الدينية بصورة سطحية، وطفولية، ويضمون إليه سخافات بعض الكتاب السابقين، وفكاهات الأدباء المعاصرين ويخرجون مسرحيات زائفة يتهمون الدين بها، ويحاكمونه غيابياً[(٢)].

وحول حضارة الإسلام والاشتراك مع الآخر، يقول الإمام وقد حصل في أواخر القرن الهجري الأول، وأوائل القرن الثاني، شيء من ذلك "التلاقح" عندما التقى المجتمع الإسلامي الحديث. بالمجتمعات العالمية، التي كانت وريثة الحضارات اليونانية، والإسكندرانية، والكلدانية، والفارسية، والهندية، وغيرها، حيث ترجمت معطيات تلك الحضارات، وأدخلها العلماء المسلمون بدقة متناهية، ضمن الهيكل الإسلامي العام، ثم طوروها وأثروها وقدموها بدورهم للعالم[(٣)].

١- جريدة الجريدة ص ١٠-١٢-١٩٦٩.

٢- نداء من تلفزيون لبنان ٢٩-١-١٩٧٠.

٣- مجلة المجاهد ١٢-٨-١٩٧٣ الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي.

ويعود الإمام إلى عاشوراء التي لم يغادرها، يقول في قرية ياطر - الجنوب: "المطلوب عدم الإكتفاء بهذه الاحتفالات لئلا تتحول إلى طقوس ومراسم شكلية متحجرة، يختفي وراءها المذنبون ويطهّر الطغاة ذمتهم أمام الشعب بحجة حضورهم المآتم، ولئلا يصبح البكاء والمشاركة في المآتم، بديلاً عن العمل، وتنفيساً للغضب الثائر، والاحتجاج البناء"[١].

وحول الحج، له رؤية، يقول:

فخاتم النبيين، صنع من العيد، هجرة خالصة لله، ترجمها في الحج إلى بيت الله، فما الحج إلا هذا السفر عن "الأنا" للقائه "الهو/ لتفرغ الأنا فيها وتملأها ب "هو"، نسافر إليه فنترك الدار والعقار، ونهجر الراحة، ثم نطوف حول البيت العتيق، ونهرول بين الصفا والمروة، أي نضحي بالوقار والزهو[٢].

كان الإمام موهوباً في اختيار الآيات القرآنية المناسبة، يخاطب أهل الجنوب، ويقول: استمعوا إلى قوله تعالى يخاطبكم:

باسمه تعالى

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون، ان كنتم مؤمنين، ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذكم شهداء والله لا يحب الظالمين، وليمحصّ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾.

وفي تحديد آخر، على غير عادة المألوف، يقول:

"فالله يعبد في محراب المسجد، وفي محلات السوق وفي مكاتب الإدارة، وفي حقول المزرعة، والجهاد في سبيل الله بالمحافظة على سلامة البلاد بالكدّ

١- النهار، خطبة عاشوراء في ياطر، ٣-٢-١٩٧٤.
٢- النهار- ٥-٢-١٩٧١، رسالة الاضحى.

للعيال، وبحسن التبعّل للزوجة، وتربية الأولاد، ويعتبر من يقتل دفاعاً عن ماله شهيداً، كالمدافع عن دينه"[١].

ويصل إلى الموضوع الأثير لديه، عبر رؤية شاملة للشيعة ولفكرهم ودورهم في المجتمع، يقول:

"ثورة الشيعة ليست لأنفسهم، كما لم تكن ثورتهم التاريخية إلا لأمتهم".

ويورد في الحياة عام ١٩٧٣، ما يلي: ليس في العالم شعب كبير وشعب صغير، بل شعباً يريد الحياة، وشعب لا يريدها، والذي يجب أن تفكر فيه هو كيف نصنع المجتمع البطل، فقد مضى زمن الرجل البطل، فلنتحول من الأبطال الأفراد إلى أبطال المجتمع، ويتابع: أمنيتي تحويل النظام الطائفي في لبنان إلى نظام ديموقراطي، يعتمد على الكفاءات، ولا أقول نظاماً علمانياً، لأن بين الطائفة والعلمنة النظام المتدين.

وعام ١٩٧٤ جاء في جريدة البيرق: "لقد خلقوا القلق وعدم الثقة، واختلقوا عنواناً اسمه "الوحدة الوطنية" وهم جميعاً تجار من مسيحيين ومسلمين من طائفة واحدة هي طائفة الشيطان".

١- الإمام موسى الصدر، منبر ومحراب ص ٨١.

العلاقة مع الفلسطينّيين

لم تثبت العلاقة بين الإمام و"أمل" المحرومين، وبين قادة الفصائل الفلسطينية على حال، فمن الوجهة المبدئية كانت علاقة ممتازة، فخطب الإمام ومنذ البداية حتى لحظة جريمة إخفائه، كانت مضيئة على الدوام، يقول:

"لا نقبل ببقاء شبر من أرض فلسطين تحت الإحتلال الإسرائيلي"[1].

ومن هذا المدخل نستطيع أن ندرك مدى تأثير هذه العلاقة في قيام حركة المحرومين، وخياراتها وأبعادها، حتى إنَّ ميثاق الحركة اعتبر قضية الشعب الفلسطيني في عقلها وقلبها.

ويضيف في هذا السياق قائلاً:

"إيماننا بالمقاومة إيمان تاريخي يتجاوز قضية الجنوب وإسرائيل، تاريخياً بعد ألف سنة سيقال هناك مقاومة، وسنسأل ماذا كان موقف الشيعة؟ وماذا كان موقف المحرومين؟ وماذا كان موقف هذه المنطقة؟ العلاقة أكثر من إستراتيجية، بالرغم من سيطرة اليسار، على المقاومة، فالمقاومة لنا قبل أن تكون لهم"[2].

وللزعيم كمال جنبلاط موقف مشابه في هذا الموضوع إذ كان يقول:

"سيذكرنا التاريخ بسطرين إذا أنشأنا نظاماً إشتراكياً في لبنان، لكنه سيلعننا آلاف السنين إذا سكتنا على ذبح المقاومة الفلسطينية".

١- ١٢-٨-١٩٧٣.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٣٣.

هذا من جهة المبدأ، الفكر العقائدي، أما عملياً وعلى الأرض، فقد مرت العلاقة بحالات وئام وحالات خصام، وصلت حتى الاصطدام. لعلّ الصراع للسيطرة على الأرض، كان السبب الأساسي للخلاف، فالجنوب معقل الفلسطينيين، وأرض عمليات المنظمات، هو في الوقت نفسه مكان تجمّع كبير لأبناء الطائفة الشيعية، هناك تداخل كبير بين أماكن سكن الشيعة، ووجود المخيمات في الجنوب، والبقاع، والضواحي الشرقية، والغربية، تداخل بشري اقتصادي - اجتماعي كبير.

ففي الوقت الذي كان يدعو فيه أبو عمار لعلاقة جيدة مع الإمام وأمل، كان يسار فتح "أبو صالح" و"أبو موسى" يهاجمان الإمام على المنابر، وكذلك فعل قادة التنظيمات اليسارية.

رغم ذلك يقول الإمام:

"نحن نعتبر "فتح" شقيقة متلاحمة، توأماً إذا صحّ التعبير، توأماً نحميه حتى ولو لم ير ذلك، ندافع عنه حتى ولو تهجّم علينا[١]".

لكنه ومن ناحية المبدأ فقد ركزّ الإمام على أصل المشكلة، فقد قال بعد هزيمة ١٩٦٧، "إسرائيل ثكنة اليهود وحلفائهم في العالم".

"وفي بداية الحرب الأهلية ١٩٧٥، كانت المواجهات تتم بين المخيمات، ومحيطها المسيحي بقيادة أحزاب اليمين، نحن نقلنا المعارك إلى مناطقنا في الشياح، الليلكي، العمروسية، وغيرها، كي لا تكون المواجهات لبنانية - فلسطينية فقط"[٢].

مثلت فتح حاضنة لأمل، حاضنة تدريب وتسلح بعض الشيء، كما مثلت سوريا حاضنة أخرى، وكان هاجس الإمام في الأساس منع التناقض بين المنطقين السوري والفلسطيني، وعمل جاهداً لإجراء الحوار المباشر، ووقف التوتر والنزاع والقتال.

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٢٤٢.

٢- الإمام الصدر.

لكن الإمام لم يحمّل الفلسطينيين فقط مسؤولية الأزمة اللبنانية فيقول:

"بدأت المؤامرة، بعوامل لبنانية، ثم كبرت حتى خرجت على قدرة اللبنانيين وعلى قدرة الفلسطينيين"[1].

وفي مراحل متقدمة، أو بعد تطور الوضع العسكري، حدثت إشكالات أمنية عديدة، فرفع صوت بالدعوة إلى التعُقل، وكان يهدِّئ النفوس والأعصاب:

"نحن نقول النضال واجب، وقضية فلسطين في عقلنا وقلبنا، واستعادة أراضي فلسطين واجبنا، وهذا ميثاقنا، وهكذا نرى أن العمل العفوي في جنوب لبنان خطأ كبير، يضرهم ولا ينفعهم ويعرّض أرضنا للخطر، إنطلاقاً من هذه النقطة، نحن في بحث مكثّف مع المقاومة الفلسطينية مباشرة، وبواسطة الرئيس سركيس، والسلطات الرسمية، وبواسطة السوريين، وبواسطة التجمع الإسلامي"[2].

وحول العلاقة مع الفلسطينيين، يقول الأستاذ محسن ابراهيم، "لا شيء من دون أبو عمار، هو راعي كل العلاقات على قاعدة رعاية أبو عمار ممثلة بأبو جهاد وهاني الحسن، الذين كانوا يرجحون الأهمية الخاصة لدور الإمام موسى الصدر، وحركته ويقدمون الإمام في ظل الوضع اللبناني كعون ثمين للمقاومة، مقابل رأي آخر، أنه السيد الصدر، لا يستوي هذا الحليف مع ذاك الحليف، حليفنا الأساسي الأول هو الذي يقاتل معنا أي الحركة الوطنية، خاصة بعدما سمي هزيمة المشروع الوطني في حرب ٧٦ واقترابنا الحثيث من اجتياح ١٩٨٢".

ويتابع السيد ابراهيم:

"الإمام الصدر كان مع المؤسسة الفلسطينية ممثلة بفتح، كان هناك انفتاح وتعاون حقيقي، إذ في أفواج المقاومة اللبنانية أمل ولدت وجزء من حواضنها

١- مجلة الحوادث، ٢٤-١٢-١٩٧٦.

٢- ١٣-٤-١٩٧٨.

فلسطينية، فكر أبو عمّار أن تبقى العلاقة مع السيد موسى إحدى أماكن الأمان القادمة بعد مرحلة الخلاف مع سوريا[١].

أما صديق الإمام المحامي راشد المقدم، وكانت معرفته من الداخل، يقول: "لعب الشيخ محمد يعقوب دور ضابط ارتباط مع الثورة الفلسطينية، وعن الإمام يقول، لاحظت أن لا الإغراء ولا التهديد يؤثران فيه، عندما يكون معتقداً بموقف، تألم في الفترة الفلسطينية لأنه أصيب بخيبات أمل كبيرة، نتيجة الكذب الذي مورس تجاهه، ونتيجة عدم الجدية، أمام الخطر، الذي كان يراه آتياً نحوهم، لا يتشدد بكلامه، كان يقول: الله يصلحه أبو عمار، هذا الرجل، الوثوق فيه صعب"[٢].

أما صديق الإمام الآخر الأستاذ كريم بقرادوني فله وجهة نظر أخرى يقول: "أكد الإمام تحفظاته تجاه الفلسطينيين، كان يحمّل الفلسطينيين، جزءاً كبيراً من المسؤولية تجاه الوضع في الجنوب، كان يقول لي، مسؤولية الفلسطينين بتدهور الوضع في الجنوب ٤٠٪ وإسرائيل ٦٠٪ وكان يعتبر أن الثورة الفلسطينية تحولت إلى مقاومة مسلحة، والآن تفتش عن سلطة سياسية على أساس أن السلاح يجلب المال والمال يجلب الإعلام، والسلاح والمال والإعلام يجلبوا السلطة، كان يطالب المقاومة أن تعود ثورة وليست سلطة"[٣].

ويتابع الإمام الصدر لمجلة كل شيء حول الموضوع الفلسطيني: "العلاقة بين سلطات نظامية وبين حركة مقاومة، لا ينفع فيها اتفاق جامد، بل هي بحاجة إلى حوار دائم، وهذا قدر لبنان".

هناك فئات من المقاومة، لها قواعد عقائدية تتنافى مع النظام الحالي في لبنان، وقد قلت لأحد قادة هذه الفئات، بحضور القيادة العامة.

١- الاستاذ محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.
٢- الاستاذ راشد المقدم- مقابلة للباحث معه.
٣- الاستاذ كريم بقرادوني مقابلة للباحث معه.

"لك أن تعتقد ما تشاء، لكن ليس لك أن تنفذ ما تعتقده على الأرض اللبنانية، وإنما تنفذ ذلك على أرض فلسطين".

إنه كلام صاحب الأرض مع من حلّ ضيفاً عليها.

وعلى الجبهة الأخرى يقول السفير خليل كاظم الخليل:

"اختلفنا مع الإمام عندما أخذ الموقف المندفع كلياً مع الفلسطينيين"[١].

ويقول باسم الجسر: "الإمام الصدر فكرياً ووجدانياً ودينياً وسياسياً من غير الممكن أن يكون ضد الحركة الفلسطينية، لكن لم يكن موافقاً معهم على العمل الثوري في لبنان، وبعد انفجار عين البنية" قال لي أنا كنت ضد "أمل" أن يحملوا السلاح، لكن أتوا لي قائلين، الفلسطينيون يوزعون السلاح والشيوعيون يوزعونه والأحزاب اليمينية اللبنانية توزعه، وإسرائيل وسوريا فسمحت لهم.

وقبيل زيارة الإمام الرسمية المشؤومة إلى ليبيا وصلت الأمور إلى حدود الاحتقان الكبير، ووصلت المرارة في موقف الإمام لأن يقول:

"المقاومة الفلسطينية تنظر إلى مصلحتها مئة بالمئة، والمقاومة الفلسطينية جالسة على أرض وتضرب أرضاً أخرى، هي تضرب وأنا أُضرب، أقول للقادة تضربون ونحن ندفع الثمن من جيبنا، ألا تقولون أننا وأنتم واحد، تضرب من بيتي وتهرب، ثم بيتي يُضرب. هذا ظلم... ما عندي وسيلة إسعاف ملجأ..."[٢].

ويتكلم على الواقع فيقول:

"في المقاومة الفلسطينية لكل بلد عربي فريق يمّوله لمصالحه الخاصة، هناك الفريق العراقي، الليبي، السعودي الخ"[٣].

١- السفير خليل كاظم الخليل، مقابلة للباحث معه.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٩٨.

٣- المرجع نفسه.

العلاقة مع سوريا

يقول الإمام: "سوريا امتداد للإرادة الوطنية اللبنانية، فسوريا الدولة العربية الوحيدة المحيطة بنا من الشرق والشمال، فيما البحر من الغرب ومن الجنوب "إسرائيل".

فالإرادة الوطنية اللبنانية هي إرادة العروبة، إرادة التطوير، إرادة المواجهة مع إسرائيل، هذه الإرادة من دون التعاون مع سوريا صعبة التحقق"[1].

وبخصوص الدخول السوري إلى لبنان عام ١٩٧٦ يورد الإمام: "كنا مجتمعين في دارة مالك سلام في إطار اجتماعات القمة الإسلامية، شرح السيد كمال جنبلاط للحضور خطة السلطة، والجبهة اللبنانية والميليشيات، لاحتلال بيروت الغربية، وطلب المجتمعون الاستنجاد بالرئيس السوري وكنت أحد المتكلمين مع الرئيس، ودخل الجيش السوري تحت اسم جيش التحرير الفلسطيني، وبعد ثلاثة أيام سقطت الدامور.." [2].

وعندما تغيّرت الموازين العسكرية بعد فترة، قامت قيادات مسيحية، بينهم الشيخ بيار الجميل بالطلب نفسه من الرئيس الأسد بالتدخل العسكري خشية الغلبة العسكرية لفئة.

يقول الإمام مثنياً على الموقف السوري:

"نحن في لبنان رأينا بأنه لا يجوز قهر فئة، لأن هذا معناه التقسيم، وإذا قهرت

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٢١.

٢- المرجع نفسه، ص ١٣٢.

فئةً فئةً أخرى وغلبتها- يعني عمّقنا الجرح، ولو بعد مائة سنة، الفئة المقهورة سترجع وتنتقم"[١].

وبشأن تلازم العلاقة بين سوريا والمقاومة الفلسطينية يقول:

"إننا نعتقد أن الإنفصال والإنشقاق والتصادم، بين سوريا والمقاومة الفلسطينية، تحت أي ظرف، وبأي شكل، وبأي صورة، خطر عليهما، لا نقبله، وسنبذل الجهد في سبيل عدم وقوعه. نحن بدأنا بهذا الشيء منذ بداية المبادرة حتى الآن، إن الإنسان الذي يجد حمايته عبر البحار، وفي البلاد البعيدة، هذا الإنسان يتمنى أن يحصل شقاق بين سوريا والمقاومة الفلسطينية، يتمنى أن يتخلّص منهما معاً"[٢].

وعندما تقدمت القوات السورية، وحدث الاصطدام مع المقاومة الفلسطينية، والأحزاب اليسارية، قال الإمام عبارته الشهيرة والتي اعتبرت يومذاك جرأة أدبية نادرة إذ خاطب جيش الرئيس الأسد "عُد إلى حدود الاطمئنان الفلسطيني"[٣].

وفي الوقت عينه ناشد سوريا:

"الترفع عن الإساءات والاستفزازات التي تحصل ضدها، وأن تحاول فتح الحوار مع المقاومة، ومع فتح بالذات"[٤].

ويثمّن دور سوريا إذ "ساهمت بشكل كبير في منع التقسيم"[٥].

ويركّز على أن "الإنفصال خطر على المقاومة الفلسطينية وعلى سوريا وعلى الحركة الوطنية وعلى كل شيء"[٦].

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٣٣.

٢- المرجع نفسه، ص ١٥٠.

٣- المرجع نفسه، ص ١٣٢.

٤- ريفير دي ليبان، ١٠-٤-١٩٧٨.

٥- المرجع نفسه.

٦- المرجع نفسه.

إيران

كانت علاقة الإمام الصدر جيدة مع المرجعية الدينية، فقد أجاز له الإمام البروجردي الانتقال إلى لبنان، وانفجرت علاقته مع سلطة الشاه، عندما أخذ الأخير المواقف المتعارضة مع قضايا العرب، والمسلمين، وخاصة قضية فلسطين، إلى جانب حكمه الشعب الإيراني بالحديد والنار.

يقول الإمام: "علماء الدين في طليعة المناضلين ضد طغيان الحكم الإيراني، وهناك الكثير منهم في السجون الآن، والآخرون مبعدون"[١].

ويعطي الأمثلة على تحرّك الجماهير المؤمنة وسلوك السلطة، ومن ذلك اجتماع آلاف الإيرانيين خلال حرب تشرين ١٩٧٣ وإعلانهم التأييد للعرب، لكن الصحف الإيرانية كتبت أن الاجتماع عقد للدعاء للشاه"[٢].

وقد بلغ التوتر أقصاه عندما أقام الإمام احتفالاً تأبينياً للمفكر الدكتور علي شريعتي، وثارت ثائرة السفارة، سفارة الشاه في بيروت، وتبّرع كميل شمعون (وزير الداخلية) بالهجوم على الإمام، والاحتفال، وكان قد نزع من الإمام جوازه الإيراني، بسبب مواقفه السياسية المعارضة، يقول الإمام بعد سحب الجواز "والله والله سنسحب العرش من تحت رجلي الشاه الطاغية"[٣].

١- جريدة المحرر، ٢٨-١-١٩٧٤.

٢- المرجع نفسه.

٣- زهير عسيران يتذكر، ص ١٤٢.

ويتابع الإمام قائلاً:

"لا شك إن النظام الإيراني له أوضاعه وأحواله. يمكن أن اللبنانيين يعتبرون في هذا اليوم، أنه ليس لهم علاقة بهذا القسم لكن نحن كنا نقول أن المخابرات الإيرانية تحاول تمزيق الطائفة الشيعية. كل جمعية خيرية تتصل بهم يرحبون بها، ويدفعون لها، ويدعونها إلى زيارة إيران، ويحرّضونها على المجلس الشيعي، والحركة والسيد موسى"[١].

ويكمل في إيضاح هذه القضية:

"يقولون لهم، نساعدكم، حاضرون، شرط أن تعلنوا غضبكم، وعدم رضاكم على السيد موسى، وعلى المجلس الشيعي"[٢].

ويعطي الأمثلة على ذلك:

"اتصالاتهم ببعض المشايخ وتحريضهم، اتصالاتهم ببعض السياسيين وتحريضهم، اتصالاتهم بالجبهة اللبنانية بالإضافة إلى المساعدات العسكرية والمالية، وتحريض الجبهة اللبنانية عليّ أنا"[٣].

ويوضح معاناته في هذا السبيل فيقول:

"صبرت سبعة أشهر، ثمانية أشهر، صبرت ربما يخجلون، ربما يسكتون ويتركوننا، السكوت والنُبل لا ينفع معهم، فعلينا أن نتهجم عليهم وأتحمل كافة المسؤوليات بالهجوم"[٤].

ويعلن بوضوح الموقف المطلوب من الشيعة:

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٢٤٢.

٢- المرجع نفسه.

٣- المرجع نفسه.

٤- المرجع نفسه.

"نحن نريد أن يكون الشيعة رجالاً، أن لا يستسلموا، أن لا يخضعوا، ألا يشعروا بأنه لا حياة لهم إلا إذا كانوا مرتبطين بقوة سياسية في المنطقة، وفي العالم، أنا أرفض ولو بقيت وحدي"[١].

ويعطي للآخرين الخيار في قرارهم:

"إذا كان الإخوان في المناطق الأخرى، يرغبون في أن يعيشوا بكسب رضا أميركا، وإسرائيل، وإيران، والجبهة اللبنانية، وزعامات، هم أحرار لكن نحن نرفض"[٢].

ويعود إلى لبّ الموضوع فيقول:

"إننا نؤكد احترامنا وتقديرنا لإيران الشعب، ونعتز بالعلاقات الروحية والثقافية العريقة، التي تربطنا بأبنائه الأماجد الطيبين، لكن لا يمكننا أن نسمح بتدخل مخابرات الشاه في شؤوننا الداخلية، ولا بارتباط الطائفة الشيعية بعجلة السياسة الإيرانية، في المنطقة"[٣].

ولم يقصِّر الإمام في خدمة العلم والعلماء "إذ إنَّه وبتاريخ ٦-٧-١٩٦٣ أمضى الإمام الصدر خمسة أيام في روما في ضيافة الفاتيكان، بدعوة رسمية، وقد جهد الإمام حتى نقل إلى قداسة البابا بولس السادس قضية اعتقال الإمام الخميني في إيران، وشرح للبابا موقف العلماء، وموقف السلطة، طالباً منه التدخل لدى الشاه"[٤].

ويورد بعض ملامح الصراع في إيران تلك الفترة بقوله:

"خاض زعماء الدين في إيران وفي طليعتهم الإمام الخميني، معارك عنيفة من

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٣٣.

٢- المرجع نفسه.

٣- جريدة النهار، ١٧-٥-١٩٧٨.

٤- نقلاً عن "الشيعة على المفترق أو موسى الصدر"، نجيب جمال الدين.

أجل تصحيح الإتجاه السياسي الاجتماعي في إيران، كما أن الإمام الخميني مبعد الآن في النجف الأشرف"[١].

يروي الشيخ محمود فرحات، فوجئت في سنة ١٩٧٤ عندما قرأت في جريدة المحرر هجوماً على إيران، فسألت الإمام، أيام السفير الإيراني منصور قدر، فقال الإمام: "منصور قدر عنده عقلية مخابرات، يريد أن يشتغل فينا شغل المخابرات، ويريدنا أن نكون جزيرة لهم، ونحن اللبنانيين، كلهم عرب وواضحة عروبتهم، وبعد ذلك محيطنا عربي، إذا كانوا يريدوننا أصدقاء لإيران، نحن مستعدين، أما أن نكون تبع وعملاء نتلون بلونهم، هذا مرفوض. وهذا يعني أننا لن نتوافق معهم مطلقاً.

وفي أثناء التحضيرات للثورة الإسلامية في إيران، بقيادة الإمام الخميني، كان الإمام الصدر والمجلس حلقة أساسية من حلقات التحضيرات، والإعداد، ويشهد على ذلك آلاف من العلماء، والكوادر، والمسؤولين الذين مروا في لبنان، وحظوا برعاية تامة من الإمام، وممن هم حوله، وهذا ثابت في تاريخ الثورة الإسلامية في إيران.

١- ١٩٧٤.

العلاقة الإسلامية

من الشهور الأولى له في لبنان، أجرى الإمام الصدر، إتصالاً بدار الفتوى للتعارف والتنسيق، ساهم في الاتصالات شخصيات شيعية بيروتية، واستمرت العلاقة إيجابية طيلة الفترة، التي تلت، كان يشترك في جميع الدعوات، التي كانت تقدم له، وبالمقابل كان يدعو دار الفتوى للاشتراك، في أغلب نشاطاته الإسلامية، من مناسبات دينية ووطنية، وفي الوقت نفسه ارتبط بعلاقة وثيقة جداً، لم تنقطع مع ممثل الأزهر الشريف الشيخ فهيم بوعبيه، فأدبيات الإمام الصدر ومذكراته واحتفالاته كانت تشهد وتلحظ حضوراً وكلاماً، ومواقف لممثل الأزهر في لبنان. إلى جانب الحضور الطاغي، والبهي للشيخ عبدالله العلايلي، فقد كان نجم المنابر.

كانت المناسبات الوطنية والدينية العامة مناسبة للقاء والتشاور، وخصوصاً في المراحل والمفاصل التاريخية، وبعد وفاة المفتي الشيخ علايا تابع الإمام هذه مع الشيخ حسن خالد وكانت جيدة"[١].

يقول الإمام:

"ومنذ تأسيس المجلس وهو أول مؤسسة رسمية، بدأنا بالرحلات والاتصالات، والإعلام والمشاركة، في المؤتمرات، والتعاون الوثيق هنا في لبنان، مع

١- مقابلة مسجلة، مع الاستاذ باسم الجسر.

أركان الطائفة الإسلامية السنية"[1].

ولم يتخلف الإمام عن تلبية أي دعوة من دعوات القمم الروحية الإسلامية، التي جمعته بالشيخ حسن خالد والشيخ محمد ابو شقرا شيخ عقل الطائفة الدرزية، وقام بتنسيق الجهود مع ممثلي الهيئات والجمعيات الإسلامية.

رافق حركة الإمام الصدر في لبنان الكثير من التساؤل، والتأويل والأحكام، فلعل فئة فسرّت الأمر بطريقتها، يقول الأستاذ المحامي راشد المقدم أحد أصدقاء الإمام:

"بعض القوى السياسية الأخرى، كانت مرتاحة لبروز توازن سني- شيعي، فلم يشعروا إلا وقد أصبح الإمام السيد موسى يشكل توازناً مسيحياً - مسلماً فبدأوا يعرقلون تحركه، ويحاولون تفشيله"[2].

ويضيف السيد حسين الموسوي (أبو هشام):

"كانت المارونية السياسية تهيمن على البلد، وتريد مصفِّقين حولها من المسلمين والمسيحيين، خصوصاً الأرثوذكس والكاثوليك وقد كانوا مهمَّشين. فكروا باستمالة السيد موسى لجانبهم يعيِّنون له موظفاً هنا، يعطونه موقعاً معيَّنا، ترخيصاً لجمعية ما. هناك بعض المسيحيين المتنوِّرين أيدّوا السيد لخصاله، من منطلق نظيف وشريف وطني وإنساني، لكن كمارونية سياسية رحَّبوا به على أساس أن يستفيدوا منه بمواجهة الآخرين السُّنة. ياسر عرفات - المفتي، ومعهما كمال جنبلاط واليسار، رحبّوا به أيضاً، لكن عندما ظهر أن السيد لا يمكن استيعابه عاد الذين أيدوه لمحاربته، ومن فتح عليه عاد وأقفل، لم يعد مقبولاً

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٦٨.

٢- المحامي راشد مقدم، مقابلة للباحث معه.

لديهم، عندما لمسوا أن لديه مشروعه الخاص الإسلامي الشيعي الوطني العربي"[1].

أما الإمام فيقول:

"الوحدة الوطنية يجب ألا تعني كما يعتقد البعض ذوبان الجناح المسلم في الجناح المسيحي، ولا ذوبان الجناح المسيحي في الجناح المسلم، بل يعني أن يظل المسيحي على مسيحيته مئة بالمئة ويمد يداً مخلصة إلى أخيه المسلم، وأن يظل المسلم مسلماً مئة بالمئة ويمد يداً مخلصة إلى أخيه المسيحي، فإن ذلك يكون أجدى وأنفع"[2].

وعلى المستوى الخارجي، لبّى الإمام الصدر، جميع الدعوات، لحضور المؤتمرات الإسلامية، التي كانت تعقد في العالم العربي والإسلامي، وخصوصاً في القاهرة، الجزائر، الرباط.

فقد شارك في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية الخامس، وما تلاه، وقد أظهر اهتماماً خاصاً بموضوع التقريب بين المذاهب، وأسهم بحيوية في أعماله وكتب رسالة خاصة في:

توحيد الشعائر الدينية والمظاهر في أقطار العالم الإسلامي، كالأعياد وصيغة الآذان، ومظاهر الجماعة، وبعض مناسك الحج[3].

ويشرح الإمام للإعلام، أن لا خلاف على القضايا الأساسية السياسية، خصوصاً "عروبة لبنان والموقف من العدو الإسرائيلي".

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم١، ص ٣٤٢.

٢- السيد حسين الموسوي، مقابلة للباحث معه.

٣- مجلة روز اليوسف المصرية، ٢٠-٣-١٩٧٠.

وبخصوص التنسيق بين المذاهب، كان الإمام قد حصل على دعم للمضي في هذا الموضوع، من مراجع النجف الأشرف الكبار.

ولكنه يعلن حينذاك:

"أنه وجد إمكانية للحوار في القاهرة، أكثر منها في لبنان"[١].

وعلى هامش انعقاد المؤتمر السادس لمجمع البحوث العلمية الإسلامية في القاهرة، قد انتخب الإمام عضواً دائماً في هيئته العليا. قام الإمام حينئذٍ بزيارة الجبهة في السويس، وصلى بمسجد الشهداء هناك، وقال مخاطباً الضباط والجنود الأبطال:

"إنكم تعيدون إلى الإسلام ركنه الأساسي، وهو الجهاد، فقد مرّت علينا قرون عديدة. لم نحارب فيها، ففقدنا عز الدين، وكرامة الإسلام"[٢].

وعرف عن الإمام علاقاته مع مفكرين إسلاميين كثر، لكن كان يميز الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، فقد نصح كوادر أمل وشبابها بالإقبال على قراءة كتبه باعتباره مرجعاً فكرياً مهمّاً.

ويوجز الإمام موضوعه الأخير "التقريب بين المذاهب".

فيورد:

أن لا خلاف في الأصول بين المذاهب الإسلامية، إنما هناك تمايز في الفقه، جميع الشعائر موحدة بين المسلمين جملة وتفصيلاً والينابيع واحدة، يقول في هذا السياق:

١- مجلة المصور المصرية، ٥-٣-١٩٧٠.

٢- مجلة المصور المصرية، ٥-٣-١٩٧٠.

القرآن الكريم - السنة النبوية المطهَّرة - إجماع الأمة - وحتى العقل، إن دعوة التقريب انطلقت من القاهرة ونجحت، لكن يجب طرح قضايا معاصرة مثل الشباب - المرأة - الغرب - العمال - الثروة المعدنية[١].

١- مجلة المصور المصرية، ٥-٣-١٩٧٠.

التعايش اللبناني

منذ البداية كانت علاقة الإمام الصدر مع المسيحيين علاقة تبادلية في الاحترام والتقدير والتفاهم، منذ مرحلة صور الجنوب لم يترك الإمام أياً من الرؤساء الروحيّين، إلا وأقام معه اتصالاً إيجابياً. يختصر هذه الحالة صديق الإمام البطريرك أنطونيوس خريش، فيقول:

"سماحة الإمام ليس غريباً عن الطائفة المارونية، فالموارنة رهباناً وراهبات وجمعيات يدعونه لسماع أحاديثه، والاستمتاع بما وهبه الله من ذكاء وإحساس وعطف نحو الفقير، والمسكين والبائس"[١].

ويعرب الإمام عن شعوره ورأيه في الموضوع، فيقول:

"لكن شعوري تجاه المسيحيين عموماً والموارنة خصوصاً لم يتغير في أي لحظة من حياتي، وبقيت منسجماً مع نفسي، ومع مبادئي، وكان شعوراً عميقاً بالإحترام والتقدير، حتّى أولئك الذين يختلفون معي في الرأي السياسي"[٢].

كان الإمام يعمل ضد الحلف الثلاثي، الذي تكوّن سنة ٦٨ من الجميّل، إده، شمعون، ففكر بعلاقات مع شخصيات مسيحية، منهم هنري فرعون، فرنجية، بيار حلو، فريد سرحال، كان يفتش عن رجال سياسة معتدلين مقابل المتطرفين"[٣]. على

١- ١٦-٣-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم٤، ص ٣٠.

٣- الاستاذ خليل حسين، مقابلة للباحث معه.

الرغم من العلاقة الإيجابية، التي كانت مع العميد ريمون إده، ولكنه حاول إقامة علاقات مع الجميل، وشمعون، كانت جيدة ولكن بحدود.

وتعاطف الإمام مع المطران غريغوار حداد، وطروحاته إلى درجة أنه قبل مسؤولية "الحركة الاجتماعية" في الجنوب، إن موقف المطران المؤيد للفقراء، جعل الإمام يتماهى معه، ويؤيده، ويدعمه في تحركه، ويحضر في مناسباته، كان المطران يمثل الوجه الإنساني للمسيح، نصير المظلومين والمهتمين في المجتمع.

كانت علاقات جيدة مع المسيحيين، طوائف وجمعيات، وكهنة، وأحزاباً وشخصيات، لكن التجربة الأكمل، كانت من خلال "الندوة اللبنانية" ومحاضراتها ولقاءاتها ونشاطاتها.

الندوة اللبنانية

"إن الصديق السيد موسى الصدر زعيم روحي موّجه، ثم هو قائد فكري بنّاء، إنه مشبع بالتراث الإسلامي وابن القرن العشرين الفاعل في وقت معاً"[1].

بهذه السطور قدم السيد ميشال أسمر الإمام الصدر كمحاضر في "الندوة اللبنانية"، ولعلها النافذة الأجمل والأرقى التي أطل الإمام منها على الوجه المشرق للمجتمع في لبنان، والتنوع الطائفي، وفكرة العيش المشترك، فقد كانت محاضرات الندوة مختبراً لعرض الأفكار التوحيدية، إنها تبحث عن المشترك في الإنسان اللبناني، والتراث اللبناني معاً، إنها مرحلة احتكاك الرجال والعقول، وبالأبعاد الإنسانية الشاملة. بالرغم من أن البعض كان يرى في الندوة اللبنانية مكاناً لاستمالة بعض المثقفين من المسلمين للقبول بلبنان ذي ثقافة مسيحية وسياسة ملحقة بالغرب.

كانت محاولات تأسيس لغة حوار مشترك وأرض لقاء.

تكلم الإمام في محاضرات الندوة لأول مرة عام ١٩٦٤ بعنوان مرجع الشيعة الأول، يحج إلى مكة، أفكار وتأملات. وقد كانت مناسبة لشرح المفردات الشيعية، وكانت المحاضرة الثانية عام ١٩٦٥ "الإسلام وثقافة القرن العشرين" وكانت مناسبة لشرح الفكر الإسلامي والفلسفي العام. أمّا فهم الشريك فضرورة، وقد خلقت تلك الجلسات علاقة صادقة عقلية، روحية، اجتماعية راقية.

يقول الدكتور فؤاد البستاني المقرب من الإمام:

١- جريدة الحياة البيرونية ٧-٤-١٩٦٤.

"كنا نزور أوروبا ونقيم في الأديرة، كان الإمام يعظ الراهبات والرهبان، وفي وقت الراحة، كنا نجلس في فيء الأشجار، نناقش الأمور، أذكر البعض، كنا جبران حايك، أحمد قبيسي، ميشال أسمر، الأب يواكيم مبارك، بيار حلو، باسم الجسر"[١]. وكل يوم يذهب ويعظ بعد قداس الراهبات ويترجم الأب مبارك.

يقول المطران جورج خضر:

"يقدّمني الإمام "معلمي في المسيحية" كان منفتحاً لمعرفة المسيحية، كان تقرّبه وطنياً، اجتماعياً، إنسانياً، وظن الذين جذبهم، أن الشيعة يندمجون في النظام اللبناني، وأنهم لن يظلوا القوى الرافضة".

شخصياً آمنت بأنه إن كانت الشيعة هي الطبقة المحرومة، فليكن تحرير لبنان من الظلم على يدهم"[٢].

ويبادله الإمام الصدر الإحترام والإعجاب، إذ يقول:

أرى المطران جورج خضر أخاً ومرشداً وواعظاً ومعلماً[٣].

يقول المطران خضر: الإمام موسى كان مع تعليم الأديان المقارنة، بالهدوء الأكاديمي.

لقد كانت عظة الإمام في كنيسة الكبوشية بمنزلة تتويج العلاقة الإيجابية في ١٩-٢-١٩٧٥.

"هذا حدث يحصل للمرة الأولى في تاريخ الكثلكة، يجتمع في الكنيسة مؤمنون لسماع كلمة الله من مرجع ديني غير كاثوليكي. ولا يقابل ذلك بالإعجاب فحسب بل التأمل الطويل، ومن الطبيعي أن يكون موطن الحدث هو لبنان، بلد اللقاء والأخوة والتوحيد"[٤].

١- الطبيب فؤاد البستاني، مقابلة مسجلة مع الباحث.

٢- المطران جورج خضر، مقابله مسجلة للباحث معه.

٣- جريدة النهار، ١-٤-١٩٧٥.

٤- جريدة النهار، ١-٤-١٩٧٥.

بهذه الروحية العالية، قدَّم فخامة الرئيس اللبناني شارل حلو الإمام موسى الصدر، لإلقاء عظته في كنيسة كاتدرائية مار لويس اللاتينية للآباء الكبوشيين في بيروت، لعله التكريم المتبادل الأرقى للإمام والكنيسة معاً، من الكنيسة للإمام، إذ طلبت منه وهو العالم المسلم إلقاء، عظة الصوم في كنيسة كان "لا يسمح" لغير الكاثوليكي من الطوائف المسيحية أن يلقي بمثلها[1] وكان تكريماً من الإمام لكنيسة أن "صلى الإمام في (عظته) في الكنيسة، وتصرف فيها كمن يتصرف في المسجد، وفي خطبة الجامع أنه بيت الله هنا وهناك، ومؤمنون هنا وهناك.

يردد الإمام "كانت الأديان واحدة، تهفو إلى غاية واحدة".

كان الحضور في الكنيسة "أكثرية" رجال الحكم في لبنان، وأكثرية رجال اقتصاده، وأبرز مثقفيه، كانوا النخبة، خاطبهم فنقل الطائفة، التي تغلي بكل أنواع الغليان، غليان العدد، غليان المحرومين، غليان الدور المقموع. لكن كل ذلك الغليان التاريخي الحسيني، لم يأت إلى الكنيسة، إلا بثياب النبي باسم "السيد المسيح عيسى بن مريم، رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه" الذي يقول: "لا، لا يجتمع حب الله مع كره الإنسان"[2].

ويتبعه بقول النبي الأمي الأكرم،

"ما آمن بالله واليوم الآخر، من بات شبعاناً وجاره جائع".

إنها وحدة الأديان والأنبياء، ووصايا الأنبياء، لأن المنبع واحد، وهو خير الإنسان، وكأنه يقول للحضور، لن تكونوا مسيحيين إلا إذا تركتم نظام الامتيازات، والتصنيف، ميزان الحكم في لبنان، كلمة واحدة تكفي.

لم يبدأ من الفكر، بدأ من الجغرافيا، فكان اللقاء، لبنان بلد الإنسان، "لبنان وطن المضطهدين ومأمن الخائفين"[3].

١- مازحني سيادة المطران خضر، طلبوا من الإمام الكلام في حين لا يسمحون لنا بأن نلقي مثلها، الباحث.

٢- جريدة النهار، ١٩-٢-١٩٧٥.

٣- جريدة النهار، ١-٤-١٩٧٥.

يصل الإمام إلى الوطنية، وهي حجر الأساس العملي، وعندما تتطرّف قيد شعرة، تصل إلى العنصرية، وهي شرك، فالعبادة لله، والوطن للعيش، عندما تدخل العنصرية على الوطن، تخف درجة الإيمان، لأنها تشرك مع الله إلهاً آخر، وفي تعدد الآلهة ضياع التوحيد، وتجزؤ الإنسان، إلى وحدات متنافرة متضاربة.

يذكر الإمام المؤمنين:

"فالوطنية أيضاً بالرغم من كونها أشرف الأحاسيس، عندما تتحول إلى الوطنية العنصرية، يكاد المرء يحس بأنه يعبد وطنه من دون الله"[1].

وينهي الإمام بخلاصة تليق بالمكان والمناسبة والحضور معاً.

"علينا أن نحفظ إنسان لبنان، كل إنسانه وطاقاته، لا بعضها، الجنوب والأماكن الأخرى، أمانات يجب أن تحفظ بأمر من الله ومن الوطن"[2].

"علينا نعني نحن وأنتم، أن كل إنسانه يعني حفظ المترفين إلى جانب المحرومين، والطاقات تعني الكفاءات اللبنانية، التي كان النظام يصنفها ويصنف أصحابها".

يصل إلى الجنوب وهو حجر الأساس في الوطن والأماكن والأخرى مثل مناطق عكار - بعلبك أن تكون مثل الأرز، وبيروت وجبل لبنان، تحفظ كلها بأمر من الله والوطن.

وصلت رسالة المحرومين إلى المؤمنين في مناخ الصوم، بكل صدق وحرارة، ووضوح، بلغة الإيمان والحب، وليس الحقد عملاً بالمنطوق القرآني.

باسمه تعالى: "أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن".

وحول البعد الاجتماعي لحركة الإمام، يقول النائب الأستاذ بيار حلو:

١- جريدة النهار، ١٩-٢-١٩٧٥.

٢- المرجع نفسه.

"كان يطالب الدولة كي تبقي ابن البقاع في البقاع، ويضع مسؤولية التوتر على السلطة، ويحدّد السياسة الغبية، بأنها كانت خلف غياب الدولة عن المناطق المحرومة"[١].

بخصوص دور الصدق في تمتين العلاقة، يقول الدكتور ألبير منصور:

"كان الإمام في موقع التصدي للنهج الطائفي، وقُبل الإمام في الشارع المسيحي، لأنه ولأول مرة يسمع رجل دين مسلم بأهميته، يعلن خطاب انفتاح، وقبول الآخر، كان محط إعجاب عند المستنيرين المسيحيين، وكان هذا موقفاً دينياً شرعياً، كانوا يشعرون أنه ليس للمجاملات"[٢].

وعن نوعية العلاقة أي ربط الإمام الصدر بالمسيحيين، يقول الأستاذ كريم بقرادوني:

"الإمام الصدر كان مؤثّراً، عند كافة طبقات المسيحيين من البرجوازية العليا حتى عامة الناس كانوا نظرياً متجاوبين مع الإمام، ما عدا القيادات كانت مقررة ألا تسمعه"[٣].

لكن هذا التحليل الواقعي لم يمنع أن يقول الشيخ بيار الجميل في جلسة حوار مع الإمام، عام ١٩٧٣:

"ليس غريباً إذا اجتمعنا مع رجل مخلص للبنان، مثل السيد موسى الصدر، الذي يمثل حجراً من أعظم حجارة لبنان"[٤].

ويلتقي أيضاً مع الإمام الصدر العميد ريمون إده، الذي يقول: "إذا فصلنا المسيحي عن المسلم فإننا نقيم إسرائيل ثانية"[٥].

وعلى المستوى الميداني قرن القول بالفعل، لم يقبل الإمام بأي حالة فرزاً سكانياً، كان يصر على المواطنين من الطائفة الشيعية، الذين يقطنون المناطق، التي

١- السيد بيار حلو، مقابلة للباحث معه.

٢- الدكتور البير منصور، مقابلة للباحث معه.

٣- الاستاذ كريم بقرادوني، مقابلة للباحث معه.

٤- جريدة النهار، ٥-٦-١٩٧٣.

٥- المرجع نفسه، ٢-٩-١٩٧٥.

كانت تحت سيطرة أحزاب الجبهة اللبنانية، ألا يغادروا، ولو عاشوا تحت التهديد، كسكان منطقة جبيل.

كذلك فعل وبمثابرة ونفس طويل ولم يقبل أن يحتل المهجرون أيَ منازل لآخرين من طوائف أخرى، في أماكن أخرى يقول:

"لا أتمنى على أحد أن يفعل ذلك، خصوصاً أبنائي من أبناء النبعة، رأس الدكوانة تل الزعتر، بياقوت، رويسات الجديدة - يجب أن يعودوا إلى مساكنهم بأي ثمن، وعليهم بالتالي أن يتحملوا بعودتهم مسؤولية إحباط مؤامرة التقسيم"[١].

لم يكن الإمام الصدر يخطط للطائفة الشيعية فقط، فقد كانت رؤيته الشاملة تجعله يحدد دوراً للآخرين، كل الآخرين، من موقع المواطنية، والمصير المشترك، فلننظر هذا النص، ولعله سبق إعلان السينودس من أجل لبنان بثلث قرن تقريباً، بخصوص دور المسيحيين في لبنان.

يقول الإمام:

"رسالة المسيحيين العرب أن يكونوا أمة واحدة مع المسلمين العرب، أن يكونوا معهم في وحدة لبنان، كونهم عرباً فإنهم يستوعبون الحضارة الشرقية، وينقلونها إلى أوروبا، وكونهم مسيحيين، فإنهم ينقلون حضارة الغرب إلى الشرق، هم الحوار وأداته ورسله، وهم رسل لخلق الحوار والتكامل بين الإسلام والمسيحية، بين الشرق والغرب، وبين العرب وأوروبا، إنهم أمناء على القدس في قبلتهم، لذلك فرسالتهم هي في وحدة هذا الوطن"[٢].

١- ٢٨-٤-١٩٧٦.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٩٥.

العلاقة مع أحزاب الحركة الوطنية

بالرغم من قول الإمام:

"لست معقداً لا من اليمين ولا من اليسار، فأنا أسير على الصراط المستقيم"[1]، لكنه لم يستطع إلا أن يميز بين الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية، فكثيرة هي المساحات المشتركة مع الأحزاب اليسارية، وفي ذلك يقول:

"إن للحركة وقادتها بين دعاة العلمنة أصدقاء وطنيين ومخلصين، كما أن بين الأحزاب الوطنية التي تنادي بالعلمنة حلفاء للحركة"[2].

ويوضح الصورة من الوجهة المبدئية، فيقول:

"الشباب والأحزاب، نعتبرهم أفضل من الذين هاجروا للتجارة والعمل، أو الذين هربوا، وأفضل مرتين من الذين استسلموا، نحترمهم ولو خطأنا أحزابهم وأهدافهم"[3].

يعود في مكان آخر، فينتقد الأحزاب السياسية بشكل عام:

"الأحزاب السياسية تروَّضت في هذا المجتمع، فتحوَّلت إلى زعامات جديدة، واضطرت بسبب التعقيدات الموجودة في المجتمع، إلى استعمال الأساليب والوسائل نفسها المتعارفة لدى الإقطاعيين. يأخذون منحاً تعليمية لجماعتهم، يرعون

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٩٨.

٢- جريدة النهار، ٢٤-٥-١٩٧٦.

٣- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ٩٧.

مصالح عناصرهم، يتحالفون مع الخصوم ومع الشيطان حتى ينجحوا، يتحالفون مع الإقطاع حتى يصبحوا نواباً"[1].

ولم يكتفِ بنقد الحركة اليسارية داخل لبنان، بل تجاوز ذلك ليقدّم الوضع على صورة أشمل وأوسع. يقول:

"بعد نصف قرن من تجربة الثورات العالمية الماركسية، ومشتقاتها العربية، يتبيَّن بصورة موضوعية، أنّ هذه التجارب لا تتناسب مع أرضنا وتاريخنا، ولا تحوّل إنساننا إلى ثائر حقيقي بالمعنى الصحيح"[2].

لكن يبقى الإمام رابطاً ما بين تلك الأحزاب وحركة المحرومين، فيقول:

"حركة المحرومين، التي نسميها ضرورة للقوى التقدمية، فهي تحوّل القوى الدينية، إلى قوى فاعلة، إلى قوة إيجابية"[3].

لكن الإمام يبقي منطقة للتنافس مع تلك الأحزاب، فيقول:

أكثر معاناتنا كانت مع الأسف مع حلفائنا، مع الأحزاب اليسارية، لماذا؟ لأن السبب أننا وضعنا يدنا على المسائل الأساسية، يعني لمسنا المحنة[4].

هذه كانت الوضعية على المستوى السياسي، لكن على المستوى الواقعي، أي على الأرض، فكانت العلاقة مع الأحزاب، تتحسن إن تحسَّنت علاقة الحركة مع الفصائل الفلسطينية، وهذه العلاقة كانت إلى حدٍّ ما محكومة بالعلاقة فيما بين القيادة السورية، والقيادة الفلسطينية. كلّ تحسن ينعكس، وكل مؤثِّر ينعكس، تباين في وجهات نظر، أم تناقض وصولاً إلى الاشتباك السياسي فالعسكري.

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٢.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٩.

٣- المرجع نفسه، ص ٤٩.

٤- المرجع نفسه، ص٤٩.

لكن في الجنوب كانت العلاقة أكثر حيوية، تصل إلى حد التحالف.

وبرز ذلك في معركة الانتخابات الفرعية عام ١٩٧٤ في النبطية حيث فاز المرشح رفيق شاهين بدعم من الإمام وأنصار الحركة الوطنية، على مرشح الرئيس كامل الأسعد السيد كامل علي أحمد.

لكن العلاقة التكاملية ظهرت في أثناء انعقاد المجلس الشيعي، بهيئته العامة، لانتخاب قيادة جديدة عام ١٩٧٥ حيث فاز ٧ أعضاء من "اليسار" من أصل ١٢ عضواً للهيئة التنفيذية.

وقد فاز عاصم قانصو، محسن دلول، محمد علي صادق، د. محمد دقيق، حسين حمدان، سرحان سرحان، القاضي زيد الدين وهم وجوه يسارية معروفة.

وقد كان حدثاً بارزاً يومذاك، إذ أقبل الإمام الصدر على جماعة اليسار، طالباً منهم العمل بنشاط لإحداث نهضة داخل المجلس.

لكن الملفت والطريف، أن قيادة اليسار أوضحوا في قولهم: "رغبتنا ديمقراطياً أن نلغي المجلس"[١].

يورد السيد محسن ابراهيم لنوعية العلاقة، التي كانت قائمة بين الطرفين، وبالتالي بين الإمام الصدر والزعيم كمال جنبلاط.

"الفرق بين كمال جنبلاط والسيد موسى الصدر، فالسيد رجل دين مُسيس، يبشر بأن موقفه، رسالته، مهمته، دوره أنه إلى اللحظة الأخيرة، يكون في قطار الساعين إلى منع الحرب بأي ثمن"[٢].

"بينما كمال جنبلاط السياسي، صاحب التاريخ والممارسة إلى آخره، حسم أنه لم يعد أمامه الآن إلا أن يكون في القطار، الذي يحشد القوى القادرة على أن تجعل

١- السيد حبيب صادق، مقابلة مسجلة مع الباحث.

٢- السيد محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

"الحرب من عدة أطراف".

كانت هناك جدلية العلاقة بين السيد موسى والمجلس الشيعي، وكمال جنبلاط والحركة الوطنية في ظل التركيبة، فأصبحت أوضح في الاختلافات، وأوضح في الاتفاقات، أحياناً تراها تحالفية، وأحياناً تستطيع اعتبارها صراعية[١].

ويوضح السيد ابراهيم الخلاف الاستراتيجي، بخصوص النظرتين إلى الجنوب.

"كنا أقرب لمنطق إباحة الساحة اللبنانية عموماً، والجنوب خصوصاً، للعمل الفلسطيني، بينما الإمام كان يرى بنظّارات الجنوب، ما يُرى وما لا يُرى"[٢].

يوضح دولة الرئيس حسين الحسيني نوع العلاقة فيقول:

بداية الأمر تعاطفت الحركة الوطنية مع تحركنا، وظهر نوع من خوف الحركة الوطنية على مواقعها، وضع الجنوب، والتعبير عنه كان محتكراً من قبل الحركة الوطنية، التي شكلت حلفاً حقيقياً مع المقاومة الفلسطينية مع تعاظم حركتها، فكان موقفهم التحفظ بدقة انقطاع العلاقة. في مهرجان صور شاركت الحركة الوطنية، وتعاطفت بحذر المقاومة الفلسطينية[٣].

وبعد ١٩٧٥ انضمت أمل إلى لقاء الأحزاب والهيئات الوطنية، "ونحن كحركة وطنية - يضيف السيد محسن ابراهيم - شاركنا في اجتماعات المجلس الشيعي و"أمل" كانت معنا في رئاسة كمال جنبلاط، ونحن كنا في المجلس الشيعي، في رئاسة السيد موسى"[٤].

١- السيد محسن ابراهيم،ة مقابلة للباحث معه.

٢- المرجع نفسه.

٣- دولة الرئيس حسين الحسيني، مقابلة للباحث معه.

٤- السيد محسن ابراهيم، مقابلة للباحث معه.

الإمام الصدر والعرب

ويحدد الإمام تلك الفترة عام ١٩٧٧ هناك أربع دول ساعدت حركة المحرومين:

١. سوريا، ساعدتنا على الرغم من أننا لسنا في "الجبهة القومية التقدمية" لسنا محوراً.

٢. منظمة التحرير الفلسطينية، حيث أمنت مخيماً تدريبياً.

ويضيف: تقدر خدمات الثورة الفلسطينية، ونحن قدمنا الكثير للثورة، الجنوبيون يعرفون تماماً هذه المحاولات، التي كانت قبل تحركنا، برقيات ورؤساء البلديات، ومظاهرات في حاصبيا - راشيا الفخار - كلكم تذكرون التحركات، لأجل التخلص من المقاومة الفلسطينية.

١. الكويت: الذي سمح لشعبه وبعض رفقائنا هناك، بأن يمولوا حركة أمل، تمويلاً متواضعاً، التمويل الذي حصل نتيجة للشهداء، لضرورة التنظيم وبعض المتفرغين، وأتت المساعدات طبعاً بعلم الحكام.

٢. الجزائر: التي تساعدنا وتحمينا، وتدفع لنا ليس مالاً، بل موقفاً سياسياً، ودعماً سياسياً، وتأمل بمساعدات منح طلابية للدراسة.

وكانت ثمة علاقة إيجابية للإمام مع "الأمير عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، الملك الراحل للسعودية.

"علينا أن نفهم ونغيّر الواقع العربي تجاه الشيعة، لأن القوة في لبنان تتعدّل نتيجة للضغط العربي، ومع الأسف الشيعة لم يكن عندهم عنصر ضغط عربي، فالعالم العربي كان بأكثريته ينظر ويشك لسلامة موقع الشيعة، وهذا نتيجة الدّس

والتضليل، يجب ألا نشعر بأيِّ حساسية إطلاقاً، يجب أن توضح الصورة"[1].

ويختار موضوع الجنوب باباً للحوار والتأييد والعلاقة، فيقول:

"نحدد أهدافنا مع الدول العربية، بمقدار عطائهم للجنوب، من يحمي الجنوب، من يقف مع الجنوب، ومن يمنع إسرائيل للاعتداء على الجنوب بماله، ببتروله، أو بعلاقاته وبإعلامه، بسياسته الدولية فنحن نعتبره حليفاً وصديقاً لحركة المحرومين"[2].

"ومن المعروف أن الأقلية، التي لا توالي الحكم، تعتبر أقلية معارضة، لكن الشيعة في لبنان كانوا ملتزمين القضية القومية"[3].

ويؤكد قائلاً:

"بأن تيار حركة المحرومين، وأيديولوجيتها، كانا وسيبقيان في لبنان"[4].

أما عن الشيعة في العالم العربي، فيورد الإمام المقولة الشهيرة، والتي ستغدو بعد سنوات أبرز وصايا الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

"إن الشيعة هناك شانهم في ذلك شأن الشيعة في كل مكان، متمسكون بأوطانهم، مؤمنون بعروبتهم، ويدافعون عن بلادهم، ويسعون لبنائها وعزتهم"[5].

وحول القومية العربية يقول:

"ليس تبني القومية العربية متنافياً مع الإسلام، أو مع ميثاق الحركة، حتى نقف في حرجٍ ونقول، هذا هدف آخر، أو تكتيك آخر أبداً، هذا واقع، أنا بيتي ليس محصوراً بخمسة أمتار، ولا بعشرة آلاف كلم، أنا وطني، وبيتي ممتدان من المحيط إلى الخليج، نعتقد ان الوحدة العربية هدف لنا".

١- مسيرة الإمام الصدر مجلد رقم١٢، ص ٢٥.

٢- المرجع نفسه.

٣- روز اليوسف ٢٣-٥-١٩-١٩٧٧.

٤- جريدة النهار، ١٦-١٠-١٩٧٦.

٥- جريدة المحرر، ٢٨-١-١٩٧٤.

وفي أكثر من مناسبة، دافع عن انتصار العرب في عام ١٩٧٣ فقال:

"في حرب ١٩٧٣ أسطورة العدو قد تحطمت، وأتبعها بالعبارة الأشهر، "إسرائيل يجب أن تزول من الوجود"[١].

لكنه سخر من المحللين والباحثين، الذين يعتبرون أن الحرب كانت تمثيلية، مسرحية للصلح مع إسرائيل، بل يصل إلى نتيجة بالغة الدقة حيث يقول:

"هذه الحرب هي في الواقع ليست فقط عبوراً مكانياً، بل عبوراً نفسياً"[٢].

ولأنه لا يقبل خلاف رفيقي السلاح، وعنصري الإنتصار الأساسيين في حرب رمضان ١٩٧٣، عمل عام ١٩٧٦ جاهداً لمصالحة القاهرة، دمشق، ويربط ذلك التحرك، الذي قام به على أساس أنّ السلام في لبنان، لا تقل أبداً في الأهمية عن ضرورة الانتصار في حرب ضد إسرائيل، بل إنّ سلام لبنان أفضل وجوه الحرب مع إسرائيل"(٣).

فكما عمل الإمام على إصلاح خط دمشق - القاهرة، بشكل أساسي، عمل أيضاً على خط دمشق - الرياض، فيقول:

"إن للسعودية دوراً رئيساً في تسوية الأزمة اللبنانية، وقد أصبحت الملجأ الأخير بالنسبة إلى العرب، بسبب مواقفها غير المنحازة"[٤].

في الأزمة اللبنانية، كل الأطراف حافظوا على علاقات جيدة مع السعودية، لأنّ انحياز المملكة لأي من الطرفين، كان سيجعلها تخسر نصف اللبنانيين في حدّه الأدنى، وتخسر دورها في الحوار والوسطية، مما يعرضها لأخطار من يقف مع طرف ضد الآخر.

لقد أنتجت تلك الاتصالات المكثفة، التي قام بها الإمام عقد مؤتمر قمة عربية

١- مسيرة الإمام، مجلد رقم١٢، ص ٩٥.

٢- جريدة المحرر، ١٨-١٠-١٩٧٦.

٣- جريدة النهار، ١٦-٩-١٩٧٦.

٤- ريفير دي ليبان، ١٠-٦-١٩٧٥.

عام ١٩٧٦ في القاهرة، لبحث الأزمة اللبنانية، جمع فيه قيادات السعودية، الكويت، سوريا، مصر، لبنان وفلسطين.

وفي ذلك ربط وُحكم لما يجري في لبنان، وما يجري في المنطقة، فلم يستسلم الإمام للأقدار تسيّر الأمور، بل تدخل بالرغم من معرفته صعوبة المهام، التي يقوم بها، وكانت أحلامه كبيرة، كالجهد الذي يبذله، لكنه يعتقد أن الانقسامات العربية، لعبت دوراً حاسماً في الأزمة اللبنانية، بدءاً من التآمر الإسرائيلي، والسيناريو الكيسنجري، وموافقة القوتين العظميين"[1].

وبخصوص ازدواجية الموقف العربي من الموضوع الفلسطيني يورد الإمام:

"قادة العالم العربي، لا يريدون، ولا يحبون، ولا يشجعون العمل الفدائي، لكن ألسنتهم مثل السيف، للدفاع عن العمل الفدائي، أنا كنت جالساً مع رئيس - ملك عربي، قال:

"إن الفلسطينيين (المقاومة الفلسطينية) هم أسوأ خلق الله، وفي الوقت نفسه، كانت الصحف على طاولته، كل الصحف في بلده، مكتوب فيها تأييد المقاومة، أكثر بكثير مما كتبته، وتكتبه السفير أو المحرر أيام الأزمة"[2].

وعلى صعيد العلاقة مع الرؤساء، يقول: "عرفت كل القادة العرب، لكن أكثر زعيم عربي نال إعجابي، هو بلا شك الرئيس جمال عبد الناصر، فهو أحد أبطال هذه الأمة الكبار، رجل كان عملاقاً، وناشطاً، وواعياً، وذكياً، عرفته شخصياً رجلاً لا كالرجال، كان يعمل بقوة، اكتسب جماهير هذه الأمة، من أقصاها إلى أقصاها، واكتسب آمال الشعوب، في العالم الثالث، والحركات التحررية في العالم".

١- ريفير دي ليبان، ١٠-٦-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٢٧.

التوحيدي

كان الإمام الصدر توحيدياً بامتياز، شملت توحيديته كل شيء، من حوله، وما حوله، فلنسمعه يعبر عن ذلك في قوله:

"ذلك الإيمان، الذي يجعلنا نؤمن بأن الله في قلب المؤمن، وأن قلب المؤمن عرش الرحمن، ذلك الإيمان، الذي يربطنا بعقل الكون، وبقلب الكون، وبإرادة الكون، وأحاسيس الكون. ذلك الإيمان الذي رسم لنا تاريخنا المشرق، ويرسم لنا بإذن الله مستقبلنا المشرق"[(١)].

نستطيع اعتبار الإمام في هذا النص "مواطناً كونياً" بكل معنى الكلمة.

ويورد في بداية نص عظة الصوم في كنيسة الكبوشية، الفكرة التوحيدية التالية:

"كانت الأديان، واحدة، تهفو إلى غاية واحدة، لأن البدء، الذي هو الله واحد، والهدف هو الإنسان واحد، والمصير الذي هو هذا الكون واحد"[(٢)].

ينتقل بتوحيدية إلى المستوى الإسلامي فيقول:

"الإسلام دين واحد، المسلمون أمة واحدة، نبيهم واحد، قرآنهم واحد، قبلتهم واحدة. كل أحكامهم واحدة، وإن كان هناك تفاوت في الآراء والرؤية، فالفرق ليس دينياً بين السنة، والشيعة، نحن أمة واحدة"[(٣)].

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٧٥، عام ١٩٧٨.

٢- من عظة الكبوشية ١٦-٢-١٩٧٥.

٣- جريدة النهار، ١-٤-١٩٧٥.

ويعطي الإمام الصدر للبنان بُعْدَ الإرادة الإلهية، والذي أوصله إلى أعلى درجات الإنتماء والضرورة، حيث يقول:

"أراد الله للبنان أن يكون رائداً فإذا لم يكن رائداً سقط"[١].

لقد ربط الإمام سقوط لبنان بتخلِّيه عن دوره الريادي، ويعود ليحدد أكثر، أحد أبرز أسباب سقوطه، فيقول:

"إن هذه التجربة الإنسانية في لبنان، هي أعظم من رجالنا السياسيين الحقيرين، وأكبر بكثير من سياسيينا الأقزام، الذين لا يفهمون معنى الوطن، وكأنه شركة تجارية من شركاتهم، التي تنبع كل يوم فقراً"[٢]

لكنه، ومن مرارة الواقع، يرى الضوء المشرق عبر شخصيات لبنانية حضارية، مثل رجل الخير السيد عارف النكدي، فيقول فيه:

"أراد الله ألاّ يحول الزمان والمكان وحتى الموت، حاجزاً في سبيل العمل، فكنت كذلك، وعند ذلك، كنت بمستوى رسالة ربك"[٣].

يقول عنه السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين، ولعله من أوائل اللبنانيين، الذين تعرفوا إلى الإمام:

"عقله توحيدي، كان لبنانياً مسلماً مسيحياً فعلياً"[٤].

وحتى عندما كان يستشهد ليدعم موضوعه، كان يختار المعنى الإنساني، فيقول:

يقول الرسول الأكرم:

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ٥، ص ٣١٤.

٢- ١٥-١١-١٩٧٥.

٣- في يوم تكريم السيد عارف النكدي، ٢٦-٥-١٩٧٥.

٤- السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين، مقابلة للباحث معه.

"ولو أن عبداً مؤمناً قامت قيامته، وبيده غرسة، لغرسها قبل أن يموت"[1].

إنه الإيمان بالمعنى الإنساني الذي لا يحدّ.

أخبرني سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي، أنه في أثناء دراسته في النجف الأشرف، وزياراته للبنان، قام بنقل بعض الرسائل، بين المجدّد المرجع السيد محمد باقر الصدر، والإمام موسى الصدر.

قال له السيد محمد باقر الصدر:

"أنتم شيعة لبنان، تعتبرون السيد موسى الصدر، أمل المسلمين الشيعة في لبنان، إننا نعتبره أمل المسلمين في العالم".

ويقول الإمام الخميني قدّس سره:

"كان السيد موسى الصدر ابناً من أبنائي".

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٩٨.

نبوءة الإمام والعميد

يذكّرني تحرّك الإمام الصدر بتحرك المطران مبارك، أيام الانتداب وأيام الاستقلال"[1].

هذا ما قاله العميد ريمون إده، الذي عرف بالجرأة والنظافة والعقلانية في حياته السياسية، لم يشترك في الحرب الأهلية إلى جانب شريكيه في الحلف الثلاثي الزعيمين: الجميّل وشمعون، بل رفض مشاركة أي من محازبيه في الحرب، وعندما بدأت عمليات تصفية المناوئين في المناطق الشرقية، كان عليه أن يغادر لبنان بعد عدة عمليات فاشلة لاغتياله، يقول العميد إثر جوله له في أميركا، وأوروبا شرحت للإمام:

أن هناك "مؤامرة إسرائيلية تنفذّ ضدَ لبنان أولاً، وضدّ سوريا فيما بعد، وضدّ العراق، وأن عدم مبالاة واشنطن، يشجِّع إسرائيل على استعمال الطيران ضدّ لبنان"[2].

يقابله الإمام الصدر فيقول:

"العهد الإسرائيلي" ولد في لبنان ليزحف على العالم كله/ مروراً بالعالم العربي، ثم أفريقيا حتى يصل إلى الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة"[3] في أحد

١- جريدة النهار، ٢٨-١-١٩٧٤.

٢- المرجع نفسه، ١٧-١-١٩٧٦.

٣- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٤٠.

التعبيرات المتطرّفه عن هذا المنطق. نشرت جريدة القوات المسلحة الاميركية في عدد حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ تقريراً بعنوان: "حدود الدم" تضمن خريطة جديدة للشرق الأوسط الكبير، على أساس أن الحدود الحالية لدول المنطقة أهدرت حقوق الأقليات، وعليه فإن الحاجة ملحة إلى إعادة ترسيم الحدود، على أسس طائفية واثنية بشكل عام، صرف ومن هنا، يقترح التقرير أن يذهب جزء من شمال العراق إلى ما يسمى دولة "كردستان الكبرى"، التي تتشكل من كركوك وجزء من الموصل وخانقين وديالي، ومع أجزاء من تركيا وإيران وسوريا وأرمينيا وأذربيجان، ويدخل جنوب العراق في تشكيل دولة شيعية مع كل من شرقي السعودية، وغربي إيران، بينما يدخل وسط العراق مع سوريا، وجزء من جنوب غربي باكستان، وجنوب شرقي إيران في تكوين دولة سنية"[١].

هل كانت نبوءة العميد والإمام من النوع نفسه، لقد صدقت على الإتحاد السوفياتي والعراق، وهل البقية تأتي؟ يومها كان الضباب الكثيف يمنع كامل الرؤية. كان مقرراً إعلان دولة طائفية ما اولاً، في لبنان إثر الحرب الأهلية ١٩٧٥، حددت بعض ملامحها "ما بين الجسرين المدفون وكفرشيما، وحدد مطارها "حالات". وتكرّ السّبحة، ورسمت حدود دويلة ثانية في الوسط. تبدأ من الدامور على ساحل المتوسط، صعوداً إلى الجبل، وصولاً إلى حاصبيا وراشيا، على أن تهدى إليها كمكافأة منطقة الجولان السوري المحتل، في مراحل لاحقة، مشروع دويلة درزية، سرّبتها دوائر صهيونية، لتسويقها في عواصم القرار.

لكن تأخر ذلك بسبب رفض أغلب اللبنانيين، وهل إعلان الدولة الكردية عام ٢٠٠٦ إثر الإحتلال الأميركي للعراق، بداية الغيث؟ وهل سيكون العراق مختبراً لتجربة "العصر الإسرائيلي" والتي يحذّر الإمام الصدر منها، ومن آثارها "دولة درزية،

١- Ralph Peters "Blood Borders: How a Better Middle East Would look" Armed Forces Jarnal June2006.

مارونية، شيعية كلها إسرائيليات".

واليوم وبعد حرب تموز ٢٠٠٦ هل سيكون إعلان الدولة الطائفية الثانية من لبنان، أم الرابعة، باعتبار الثانية والثالثة ستولدان حكماً في العراق، والسودان، أم أنهما في طريق الولادة، أو ينقص الإعلان فقط منتظراً الظروف على الأرض، أي عمليات تطهير جماعية لجماعات من غير أبناء الطائفة، الطائفة- الدولة.

واليوم وبعد "ثورات الربيع العربي" ماذا حصل؟

تعاني الدول العربية حالات انقسام، وحرب أهلية حادة، وصراعات مذهبية، إثنية، قومية، طائفية، عشائرية وغيره.

لقد تحقق العهد الإسرائيلي في أكثر من مكان عربي، والأمور سائرة ليربح في جولات أخرى بإشراف دولي إقليمي واضح.

يخرج عن هذا السياق لبنان وفلسطين فلهما من يحميهما حتى الآن.

جنبلاط

"عندما تجلس مع رجال الدين الشيعة، تحس أنك أمام نمط آخر من رجال الدين، لا علاقة له بما تشاهده لدى سائر الطوائف، إسلامية أم غير إسلامية"[١]. إنهم يشرقطون ذكاء.

هذا ما قاله الزعيم كمال جنبلاط، أكثر السياسيين اللبنانيين ثقافة، ومعرفة، وعلماً.

لعله الاجتهاد، الذي يدعو الإمام الصدر إلى أن يقول في مطلع الستينات: آت لأزيل الغبار عن الدين.

كلمة "الغبار" أثارت الكثير من الغبار في الواقع في تلك الفترة.

يقول الشيخ محمود فرحات مدير عام المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وأحد أبرز أصدقاء الإمام الصدر ومعاونيه:

"كان الجمود يلف الوضع الديني في لبنان، بينما في الفترة نفسها كان الوضع في إيران متحركاً، هناك تشكيلات، وهيئات، وكتابات، ومجلات، ومؤسسات تتفاعل مع الاتجاه العالمي للعلم، أول طرح في لبنان، كان طرح الإمام الصدر، نزع الغبار يعني غبار الجمود"[٢].

١- السيد محسن ابراهيم نقلاً عن الزعيم جنبلاط، مقابلة مسجلة مع الباحث.

٢- الشيخ محمود فرحات، مقابلة للباحث معه.

وبعدما نقل جبل المرجعية بالإبرة طيلة ستين عاماً، وعانى ما عاناه من مناكفات بعض "المعممين" يقول المرجع السيد محمد حسين فضل الله:

"نشعر بأننا كنا مخطئين، عندما كنا نلاحظ عليه كلمة الغبار عن العلم"[1].

وعندما نوقش الإمام بحدّة ومزايدة في أحد المؤتمرات الحركية عن "إسلامية" الحركة، أصر على إيمانيتها، فقال:

"الإسلام كما يفهمه موسى الصدر" ويعتذر تواضعاً عن ذكر الكلمة.

يروي المطران جورج خضر:

"كنا مرة عند الأستاذ حسن صعب، ودخل الإمام المنزل متأخراً قليلاً عن موعد الإجتماع، فطلب مني أن أدله إلى مكان الماء من أجل الوضوء، وفيما تجاوز الباب الخارجي بخطوتين، قال لي أنا أريد دولة إسلامية.

قلت له إذاً انقطع الحوار بيني وبينك.

قال لا أريد دولة إسلامية في لبنان، بل في العالم خارج لبنان[2].

وإزاء كل ما أثير حوله في مواضيع عديدة شملت نواحي حياته كلها خطه، نهجه، أفكاره، دوره، حدوده، علاقاته، أجاب الجميع:

"لا أحد يقدر أن يحدد لي دوراً، دوري محدد من الله سبحانه وتعالى ومن تاريخ وطني وديني ومذهبي، وسيبقى، إن الذي يحدد لي دوري أكبر من العهد والأوطان"[3].

١- السيد محمد حسين فضل الله، مقابلة للباحث معه.

٢- سيادة المطران جورج خضر، مقابلة للباحث معه.

٣- مجلة كل شيء ٣٠-٦-١٩٧٣.

هيكل

"هذا الرجل من القلائل في العالم العربي، الذين يعرفون ماذا يريدون، وإلى أين سيصلون، عنده نظرة شاملة إلى الأمور"[1].

هذا ما قاله شاهد العصر، ورفيق عبد الناصر، الصحافي الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الإمام الصدر.

يقول الإمام الصدر:

"إننا نعتقد أن الانفصال والانشقاق والتصادم بين سوريا، والمقاومة الفلسطينية، تحت أي ظرف، وبأي شكل، وبأي صورة، خطر عليها، لا نقبله، وسنبذل الجهد في سبيل منع وقوعه"[2].

هل كان يعلم الإمام خطورة الصدام يومها، خطورة انفصال القرار الموحد بينهما، كي تربح "إسرائيل" على كل منهما منفرداً، وتضرب كل قوة على حدة سياسياً وعسكرياً؟ هل كان يحدس بأن تلك العلاقة المتوترة السلبية، بين قوتين عربيتين "متجاورتين" للكيان الصهيوني خطر عليهما معاً؟ بل سينعكس سلباً على الطائفة الشيعية في لبنان، لأن للشيعة وجهاً فلسطينياً، ووجهاً آخر سورياً، فضلاً عن الوجه اللبناني، لذا كان يصر لمنع ذلك الصدام، بكل ما أوتي من قوة وجهد.

١- جريدة النهار، ١٦-١-١٩٧٥.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٧٥.

أفي قوله التالي حدسٌ أم مصادفة؟

"ربما أن التأثير الأهم أصبح للسعودية، مع "سوريا طبعاً"، فكان يجب توجيه الجهود باتجاه محور سوريا - السعودية خصوصاً، وأن لهذين البلدين تأثيراً من جهة في منظمة التحرير الفلسطينية، ومن الأخرى في بعض القوى العظمى، ما يعطيهما دوراً أساسياً في إعادة الأمن والتوازن بين القوى السياسية عندنا"[١].

مضى على قول الإمام هذا ما يقرب ثلث قرن، وكأن الوضع السياسي اليوم في لبنان لم يتغير مطلقاً عن السابق، هل ما زال هذا الكلام صحيحاً اليوم؟ وهل لتلك الحرارة، التي قال فيها هذا الرأي علاقة بإحساس ما بالخطر الحقيقي المصيري على لبنان، والشيعة، وسوريا، والسعودية، معاً كي يصرّ عليه؟ وهل كان يعتقد أننا كشيعة، سندفع ثمن الافتراق السياسي الكبير بين الدولتين، بحرب داخليه أهلية، ولو لم تتخذ التحالفات الطائفية نفسها كما في عام ١٩٧٥؟.

يقول الإمام:

"نحن نتجنب التمحور، نتجنب أن ندخل في علاقتنا مع دولة ضد دولة"[٢].

هل كان يعلم الإمام أن ذلك يبعدنا عن الخطر، وأن لا نذهب "فرق عملة"، في صراع على النفوذ بين دولتين، فوق أرض لبنان؟ ما يلوح الآن فوق سماء لبنان وأرضه، صراع ضار، لا يبقي ولا يذر، أكثر خطورة من حرب ١٩٧٥. إن الإنقسام ليس طائفياً بل سياسياً، ويبقى السؤال الأهم هل سيتقابل "السعودي" و"السوري" في لبنان، بالحديد والنار، والدم، وستكون الذريعة لسحب سلاح المقاومة، الذي هدد إسرائيل؟ إنها أسئلة، والزمن يجيب عنها.

وأخيراً، هل كان يعلم ويستشرف عندما قال:

١- مجلة ريفير دي ليبان، ١٠-٦-١٩٧٨.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ١٥٦.

"خذ علماً يا أبا عمار أنَّ شرف القدس يأبي أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين"[1].

هل كان يعلم وبما يشبه النبوءة أنه وبعد ثلث قرن من قوله، ستوجد قوة "حماس" و"الجهاد الإسلامي" يتصدران النضال الفلسطيني ضد المحتل الصهيوني؟.

قال الإمام عام ١٩٧٥ "سندافع بأسناننا، وأظفارنا وبنادقنا الصغيرة للذود عن أرضنا"[2].

هل كان يعلم أننا وفي عام ٢٠٠٦ سنمنع بالقوة الإسرائيلي من دخول أرضنا؟ تلك التي كان يدخلها عبر دبابات في الماضي كأنها في نزهة؟ وأننا سنطور أسلوب دفاعنا، وأسناننا وأظفارنا، وبنادقنا الصغيرة، بإضافة صواريخنا الطويلة، التي تصل إلى حيفا، وتل أبيب؟ وكل فلسطين المحتلة.

١- مهرجان الأونيسكو، تموز ١٩٧٦.

٢- جريدة النهار ١٤-١-١٩٧٥.

الخطف

عندما خطف الإمام الصدر مع رفيقيه، الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين، عندما خطف وغيّب في ليبيا - القذافي بوساطة بومدين الجزائر، وضغط نائب رئيس عربي، اعتقد قادة النظام العربي الرسمي المسؤولون عن الجريمة، أن خطف الأب، سيجزع الأبناء ويفرقهم أيدي سبأ، فيتركون خط أبيهم ذي الشوكة، وتعود الشيعة أقلية. كما قال الإمام:

"فقد كان المطلوب من الشيعة، أن تلعب دور الأقلية، وأن تقف مع الجبهة اللبنانية في وجه المقاومة"[1].

وأن لا يعتبروا العودة إلى الجنوب مطلباً وطنياً، ليس من أجل سلامة العيش وتوفير لقمة العيش فقط، بل بإفراغ الجنوب البشري، مقدمة لتنفيذ مطامع إسرائيلية (مستوطنات) ومطامع طائفية "كوريدورات" ومطامع عربية (مشروع بيغن للاستيطان)"[2] "لأن بعض أهداف المحنة اللبنانية، كانت تحضير المنطقة كلها نفسياً ومادياً، لفرض أنواع السلام"[3] "لأن العرب كلهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، سائرون باتجاه السلام، وموقفهم موحد مع السلام الأميركي إمّا مرحليّا وإمّا استراتيجياً، ولكن هذا لا يعني أن لا خلافات صغيرة، وأين يريدون تنفيذ هذه الخلافات الصغيرة، على الحائط الواطي، حسب تعبيرنا اللبناني، يعني في

١- ٣٠-٨-١٩٧٨.

٢- ريفير دي ليبان، ١٠-٦-١٩٧٥.

٣- جريدة البيرق، ١٧-١-١٩٧٨.

الجنوب"[١] ومن الممكن أن "تكون إسرائيل تريد جعل جنوب لبنان جيباً لجميع فلسطينيي الخارج، وهو جيب يمكن لجيشها ضبطه بسهولة، مقابل هذا التنازل، يمكن للإسرائيليين طلب الاحتفاظ بقطاع غزة، الذي يرتدي بالنسبة إليهم طابعاً استراتيجياً مهماً"[٢].

هل كان يعلم الإمام أن "الحائط الواطي" الجنوب، سيكون صخرة الصمود ذات يوم؟ وسيعيد للعرب مجدهم وعزتهم؟

١- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٢١٦.

٢- المرجع نفسه، ص ١٥٨.

الثورة

ليس هناك من يختصر الإمام، استثنائية الرجل، إن شيعة لبنان جميعاً في خطة اليوم.

حركة أمل - حزب الله، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ونائب رئيسه الشيخ عبد الأمير قبلان، ان خط السيد موسى الصدر، وخط السيد محمد حسين فضل الله، هما خط واحد، لأنهما أخذا من فكر واحد، وقرأا في كتاب واحد.

هو الذي أدخل النظام اللبناني إلى الشيعة، وأدخل الشيعة إلى النظام اللبناني، أدخلهم وهم يحملون فكرهم "فكره" الثوري، ورؤيتهم "رؤيته" بخصوص وظيفة لبنان الجديدة.

يقول الإمام: "نحن نحلم، اليوم، إننا سنقلب كل هذا الكون، لماذا لا؟"

تكاد تختصر هذه العبارة، كل موسى الصدر.

لكن لنحاول أن نقدم تفسيراً افتراضياً جزئياً، لا املك إمكانية الجزم به.

١. قيلت هذه العبارة قبل قيام الثورة الإسلامية في إيران بخمس سنوات، فهل قيام الثورة كان جزءاً من الحلم؟

٢. هل إطلاق المقاومة ضد إسرائيل، في مرحلة حركة أمل، ومرحلة المقاومة المؤمنة، ومقاومة الفلسطينيين والأحزاب الوطنية، وصولاً إلى كمالها في مرحلة المقاومة الإسلامية، جزءٌ من الصورة؟

٣. هل قيام مقاومة العراق بعد الإحتلال الأميركي له جزءٌ منها؟

٤. هل انتفاضة الشعب الفلسطيني، و"تخصيص الانتصار بالإيمان" ودور غزة فيها، دور الإنتفاضة في الضفة جزءٌ من الصورة؟

٥. هل التنسيق بين إيران الثورة والنظام السوري، وقوى الرفض الفلسطينية، جزء منها؟ ولعله فاتني ذكر أجزاء أخرى مفترضة، في أماكن كثيرة من العالم، مثل تركيا، أفغانستان، باكستان وغيرها.

الأسئلة المقلقة

"والله أنا كابن علي، وابن هذا الوطن، لو أراد اليهودي أن يشفق عليَّ، لرفضتُ الحياة، وفضّلت الموت، لا نريد شفقة ولا رحمة، لا من إسرائيل ولا من أميركا، ولا من بلد آخر، كنا سادة العالم، وسنكون سادة العالم"[1].

أهمية نصوص الإمام الصدر أنها واضحة، فاضحة، نصوصه "الهادئة" العقلانية، ونصوصه الهادرة "الاستشهادية" بالأخص، فهي ليست حمّالة أوجه، فلا يمكن لأي فرد أو هيئة، أو دولة، أن تتخذ من نصوصه مادة للتخاذل، والخور والانزواء، في الزوايا الباردة المظلمة، فإسلامه حركي بامتياز، لكن إن فكرت الجماعة أو الأفراد بالثورة، فسيجدون حتماً آلاف النصوص.

يقول: "نسعى في سبيل خدمة رفقائنا، وبالتالي في سبيل استلام الحكم، ومن خلال الحكم نخدم الشعب"[2].

لا يمكن أن يكون تفسير هذه العبارة على أساس "أننا" كشيعة نسعى لاستلام الحكم، لأن هذا مستحيل بكل المعايير، ومعاييره تحديداً، بل كمحرومين من جميع الطوائف، لذا يقول صديقه النائب السابق بيار حلو:

"الحرب خربت مشروع الإمام"[3].

في حالات الخطر والصعوبة، كان الإمام يردد عبارة، "ولو كنت وحدي" وهو

١- الإمام الصدر، عام ١٩٧٥، برج البراجنة.

٢- مسيرة الإمام الصدر، مجلد رقم ١٢، ص ٤٩.

٣- النائب السابق الاستاذ بيار حلو، مقابلة للباحث معه.

يعرف أنه ليس وحده، لكن كان يحب التذكير بصعوبة "طريق الهدى" ويوصينا بَنهْيِهِ "لا تستوحشوا طريق الهدى لقلة أهله".

لكنني أراه سعيداً، عندما يعرف أن "تهمة" التشيّع، تلصق بالمجاهد الفلسطيني، يبتسم ابتسامته الساحرة نفسها ويقول:

هذا هو التشيع، إنه صفة وليس مذهباً، كما قلت من زمان.

وتشع ابتسامته أكثر، عندما يسمع "تهمة" اليمين العنصري التاريخي في لبنان وأصدقاءه الجدد بأن طرح المقاومة اليوم، يمثل ويماثل فترة خمسينات عبد الناصر الثورية.

السؤال، هل حمّل الإمام شيعة لبنان ما لا طاقة لهم به؟ وحمّل وطنهم أكثر مما يحتمل؟ يجوز أن يكونوا قد اعتادوا التحمّل، وهذا قدرهم كما كان قدر لبنان، أن يكون دولة محاربة، لا دولة سياحة فقط، بسبب "الجارة" على الحدود الجنوبية، وهذه وظيفة جديدة للبنان.

لقد أخذ الشيعة إلى الحرب، بينما السلطات العربية راجعة من غير حرب، بل راجعة لإيقافها، والسؤال، هل ستوقفها بالقوة أم بالحسنى؟ بالفتنة الطائفية، أم بالقرارات الدولية؟ أم بالتلازم بين الإثنتين؟

لنفترض أن نصف اللبنانيين لديهم القناعة والعزم على خط طريق جديد للبنان، يختصر بـ"قوة لبنان في قوته" خط دولة تحترم نفسها، وشعب يستحق العيش بكرامة...

فماذا عن نصف اللبنانيين الآخر، تقريباً، الذين يعتبرون أن وظيفة لبنان، أن يكون دولة سياحة فقط، مع كل مستلزماتها الفنية من تطبيع وحسن جوار وسلام؟ كيف يمكن التوفيق بين المنطقين والوضعين، وبالتالي بين اللبنانيين، خصوصاً بعدما التحق النظام اللبناني ممثلاً بالحريرية[1] وورثة المارونية[2]

١- الحريرية "السنّية السياسية" نظرية حكم اميركية الجذور تعتمد الأكثرية في حكم الاقلية.
٢- "المارونية السياسية"، نظرية حكم فرنسية الجذور تعتمد الأقلية في حكم الأكثرية.

السياسية بالنظام العــربي الرسمي السعودي تحــديداً، ووقع تحت وصاية "الإعتدال" المباشر؟ وما هي الإجراءات العملية لإلحاقه بمنظومة "الشرق الأوسط الجديد" كما أعلنته الآنسة كوندي، ورسمه قبلها شمعون بيريز؟ ويبرز السؤال الأساسي، ماذا ستحمل الحقبة السعودية من "فنون" في إدارة لبنان واللبنانيين؟ سؤال كبير برسم اللبنانيين جميعاً.

لائحة بأسماء الشخصيات التي قابلها الباحث، وجاء الترتيب حسب تاريخ إجراء المقابلات المسجلة:

١- السيد محمد حسين فضل الله
٢- السيد محمد الغروي
٣- الشيخ محمود فرحات
٤- الإمام محمد مهدي شمس الدين
٥- المحامي نجيب جمال الدين
٦- المقرئ حسن بيضون
٧- الأستاذ محسن ابراهيم
٨- الدكتور عدنان حيدر
٩- الرئيس حسين الحسيني
١٠- الحاج محمد رضا الحاج
١١- السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين
١٢- الأستاذ سلمان أمون
١٣- الأستاذ عبد الحليم خضرا
١٤- القاضي حسن الحاج
١٥- الدكتور فؤاد البستاني
١٦- الأستاذ حسين بيطار
١٧- الأستاذ سعد الله قصير
١٨- الأخ محمد علي الحسيني
١٩- المحامي راشد المقدم
٢٠- الأستاذ خليل حسين
٢٢- الدكتور حسين كنعان
٢٣- الأخ ابراهيم عقيل
٢٤- الوزير الدكتور ألبير منصور
٢٥- النائب الأستاذ عبد اللطيف الزين
٢٦- الرئيس نبيه بري
٢٧- الصحافي حسين قطيش
٢٨- الأستاذ حبيب صادق
٢٩- الشاعر جورج غريّب
٣٠- المطران جورج خضر
٣١- النائب بيار حلو
٣٢- الرئيس كامل الأسعد
٣٣- المحامي محمد الساحلي
٣٤- الأستاذ عبد الله موسى
٣٥- الأستاذ موفق بيضون
٣٦- الأستاذ ابراهيم اليحفوفي
٣٧- الأخ حسن عباس شريف
٣٨- الشيخ علي منصور
٣٩- الأخ زكريا حمزه
٤٠- الأخ السيد النائب حسين الموسوي
٤١- الحاج عباس طليس

٢١- النائب الدكتور حسين يتيم
٤٣- الرئيس رشيد الصلح
٤٤- الحاج مهدي زين
٤٥- الأخ السيد علي محمد الحسيني
٤٦- الضابط حبيب الأسمر
٤٧- السيد عبد المحسن مرتضى
٤٨- السيد الأستاذ عبده مرتضى الحسيني
٤٩- النائب علي حمد جعفر
٥٠- الوزير الأستاذ محسن دلول
٥١- الفنان رفيق شرف
٥٢- المحامي الأستاذ كريم بقرادوني
٥٣- الأستاذ نجيب وهبي
٥٤- الأستاذ الدكتور محمد شعيتو
٥٥- الأستاذ الأخ عاطف عون
٥٦- الأستاذ حسن مصطفى طعّان دندش
٥٧- الأستاذ باسم الجسر
٥٨- السفير الأستاذ خليل كاظم الخليل
٤٢- الشيخ حسين عبيد
٥٩- الأستاذ هدى رمضان
٦٠- الدكتور مالك بدر الدين
٦١- النائب فضل الله دندش
٦٢- الأستاذ السيد شفيق الموسوي
٦٣- الأستاذ الأخ محمد سعيد الخنسا
٦٤- الدكتور محمد علي الرز
٦٥- الإمام الشيخ عبد الأمير قبلان
٦٦- السيد محمد حسن الأمين
٦٧- الأستاذ خليل ابراهيم حيدر
٦٨- الأخ الشيخ ابراهيم دياب
٦٩- القاضي أديب علاّم
٧٠- المهندس عاكف حيدر
٧١- الأستاذ منير ابراهيم
٧٢- السيد الأستاذ حسين محمد علي شرف الدين
٧٣- المحامي الأستاذ غالب ياغي

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

الفصل الثالث

"الشيعة قلب العروبة النابض".

- الرئيس جمال عبد الناصر للرئيس صائب سلام

- "انا بيتي ليس محصوراً في خمسة امتار، ولا بعشرة آلاف كيلو متر انا وطني وبيتي ممتدان من المحيط إلى الخليج ان الوحدة العربية هدف لنا".

-الامام الصدر

- "مهما قيل عن الامام موسى الصدر فهو مفجر الحالة الشيعية في لبنان".

-المرجع السيد محمد حسين فضل الله

- "رجال الدين الشيعة نمط اخر من رجال الدين انهم يشرقطون ذكاء".

-كمال جنبلاط

- "الاسلام دين واحد، المسلمون امة واحدة، نبيهم واحد، قرآنهم واحد، قبلتهم واحدة، كل احكامهم واحدة، نحن امة واحدة".

-الامام الصدر

- " نحن نحلم اليوم، اننا سنقلب كل هذا الكون، لماذا لا؟".

-الامام الصدر

- "لا نريد شفقة ولا رحمة لا من اسرائيل ولا من أمريكا ولا من بلد آخر، كنا سادة العالم وسنكون سادة العالم".

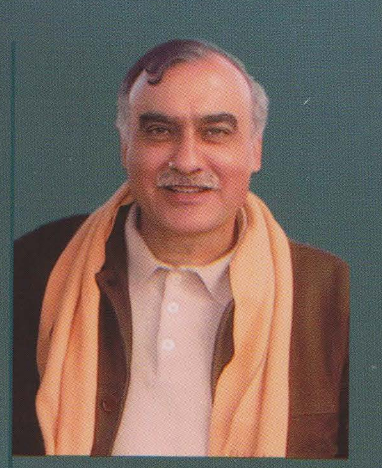
-الامام الصدر

"عرفت كل القادة العرب لكن اكثر زعيم عربي نال عربي، هو بلا شك الرئيس جمال عبد الناصر"

-الامام الصدر

"معك مفاتيح مصر كلها"

-الرئيس جمال عبد الناصر للامام الصدر



اكرم رياض طليس

مواليد- بريتال، بعلبك 1955

دبلوم الدراسات العليا في تاريخ لبنان الحديث - الجامعة اللبنانية

انتسب الى حركة فتيان علي، بتوجيه مباشر من الامام الصدر قبل انشاء حركة المحرومين

المسؤول السياسي لبيروت، ولاحقاً البقاع في حركة امل.

كاتب مقالات سياسية في مجلة الحركة "العواصف".

عمل مع الأخوة في "المقاومة المؤمنة"، بعد خروجه التنظيمي من حركة امل

المعاون السياسي لاذاعة المستضعفين، النور لاحقاً، فترة التأسيس

مستشار سياسي لحزب الله، فترة التأسيس

عمل في المجال الاعلامي "المنار" فترة قصيرة

"كاتب زاوية سياسية في جريدة " العهد

رئيس لجنة العلاقات العامة، في "ملتقى الاديان والثقافات " للتنمية والحوار

كاتب مقالات سياسية في جريدة السفير، تدافع عن خط الامام الصدر



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com



ISBN 978-6-1442666-9-4

